

منشورات اتحاد



القاهرة

# مجلة المؤرخ العربى

يصدرها اتحاد المؤرخين العرب بالقاهرة

## المحتويات

٧	كلمة الافتتاح .....
٩	كلمة التحرير .....
	د. عبدالغني علي الأتقري
	سفارتان بين دولة الأئمة الزيدية ودولتي الطاهريين والمماليك الجراكسة
١١	على عهد الإمام الزيدي المتوكل يحيى شرف الدين الحسني .....
	د. كرم حلمي فرحات أحمد
	الجوانب السياسية والحضارية لبلاد الحجاز كما تصورها رحلة ابن بطوطة
٤٥	كما تصورها رحلة ابن بطوطة في القرن الثامن الهجري .....
	د. خلف دبلان خضر الوذيناني
	سياسة السلطان با يزيد الأول الجديدة في الفتح العثماني
٩٣	نهاية طموحاته وتفكك دولته في موقعة أنقرة ٨٠٤ هـ / ١٤٠٢ م .....
	د. محمد قائد حسن الوجيه
	المطرفية الزيدية في اليمن ظهورها في القرن الخامس الهجري
١٤١	ومعتقداتها وقضاء الإمام عبد الله بن حمزة عليها .....
	د. رضوان أحمد الليث
١٩١	المسلمون وأهل الذمة في بلاد الشام في عصر الخلافة الراشدة .....
	د. أسعد لهاللي
	الشيخ محمد خير الدين وجهوده في مجال
٢٣٣	التربية والتعليم في الجزائر ( ١٩٢٨ - ١٩٥٤ م) .....

د . هيا بنت على النعيمى

حركة الردة فى البحرين

عقب وفاة الرسول (صلى الله عليه وسلم) حتى عهد عمر بن الخطاب ..... ٢٤٥

د . محمود إبراهيم السعدنى

«نقش أماسيس المصري (!!)»

(قراءة تاريخية حضارية فى نص باليونانية) ..... ٢٧٩

د . سيد محمود محمد عبد العال

نقابة الأشراف فى مصر عصر سلاطين المماليك

(٦٤٨-٩٢٣ هـ / ١٢٥٠-١٥١٧ م) ..... ٢٨٧

د . حاتم عبدالرحمن الطحاوى

العثمانيون و المغول فى مذكرات أسير الحرب

يوهان شيلنجر ١٣٩٦-١٤٢٧ م ..... ٣٣٣

د . لمياء بنت أحمد عبد الله شافعى

كتب التراجم فى المدرسة التاريخية المكية

القرن العاشر الهجرى (١٦م) نموذجاً ..... ٣٧٩

د . ثريا حامد الدمنهورى

التنافس الأنجلو أمريكى على امتيازات التنقيب عن النفط فى إمارات الساحل

العمانى (من نهاية الحرب العالمية الأولى حتى ستينيات القرن العشرين) ..... ٤١٣

د . سحر علي حنفي

أضواء على الصحة العقلية فى القاهرة العثمانية

٩٢٣ - ١٢١٦ هـ / ١٥١٧ - ١٨٠١ م ..... ٤٣٥

## سفارتان بين دولة الأئمة الزيدية ودولتي الطاهريين والمماليك الجراكسة

على عهد الإمام الزيدي المتوكل يحيى شرف الدين الحسني

تظل السفارات واحدة من أهم مجالات العلاقات المتشابكة بين القوى السياسية مهما تباينت طبيعة هذه العلاقات ما بين السلم والحرب، التحالف والتنافر، التقارب والتخاخم، وتعدّ الوثائق المنقولة بين أطراف السفارات - سواء نقلت شفاهة أو كتابياً - واحداً من أهم مصادر المادة التاريخية الأصلية وأكثرها صدقاً، فكانت تلك الوثائق ليسوا بشهود عيان فحسب، بل هم الأطراف التي صنعت الأحداث التي حُرّرت الوثائق حولها ومن أجلها، مع افتراضنا وجود مراعاة لاعتبارات المجاملات ومراسم التقرب وألغاف التودد بين الأطراف أثناء صياغتها، فهي تلقي الضوء - من خلال مضامينها الصريحة أو الضمنية - على جوانب مهمة من تاريخ تلك القوى السياسية في فضاءات لا يتطرق المؤرخون - غالباً - إلى تغطيتها، كما أن دراسة السفارات إجمالاً يساعد في تسليط الضوء على جوانب غالباً ما تكون هامشية في ثنايا الحديث عن الجوانب المختلفة للتاريخ، وخاصة بعض حوادث التاريخ الاجتماعي والاقتصادي والعسكري.

وفي مصادر تاريخ اليمن في العصر الإسلامي بقل وجود القدر الكافي من نصوص الوثائق السياسية التي قامت بنقلها السفارات بين القوى السياسية اليمنية أو بينها وبين أستاذ التاريخ الإسلامي المساعد بقسم التاريخ في كلية التربية - جامعة صنعاء، الجمهورية اليمنية.

غيرها من القوى غير اليمنية، ولعل سبب إغفال كثير من المؤرخين اليمنيين لتضمين تلك النصوص في مؤلفاتهم هو نظرهم إليها على أنها من ضروب الاستطراد غير المحمود في تفاصيل الأحداث التي أروا لها .

في هذا البحث نقف مع الثنتين من أهم وثائق السفارات التي تضمنتها المصادر التاريخية اليمنية، تم تحريرهما في العقدَيْن الثاني والثالث من القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي، ولم ينقل إلينا نصهما كاملاً إلا واحداً فقط من المؤرخين اليمنيين، هو المؤرخ الحسن ابن عبدالرحمن بن أحمد بن محمد بن الحسين بن عبدالقادر شرف الدين الحسيني (ت ١٢٦٥هـ/ ١٨٤٨م)<sup>(١)</sup> في كتابه القيم (المواهب السنية بما من به الله تعالى من القواكبي الجنية من أغصان الشجرة المتوكلية)، وهذا المؤرخ من أحفاد الإمام المتوكل يحيى شرف الدين، ذلك الإمام الزيدي الذي يعد الطرف الرئيس في هاتين السفارتين، ويبدو أن هذا المؤرخ قد وجد نص الوثيقتين كاملاً ونقلهما، إما لاطلاعه على بعض المصادر الخاصة بالإمام المتوكل شرف الدين نفسه مما لم يطلع عليها غيره من المؤرخين، أو أن محتوى الوثيقتين كان متاحاً لغيره من المؤرخين السابقين غير أنهم لم يقدروا أهمية تضمين النصين كامليْن في مصادرهم، واكتفوا بالتطرق إلى ذكر حصول تلكم السفارتين .

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

الوثيقة الأولى هي الخاصة بالسفارة التي بعثها الإمام المتوكل على الله شرف الدين بن شمس الدين (ت ٩٦٥هـ/ ١٥٥٧م) - رأس الدولة الزيدية باليمن في مطلع القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي، وكانت وجهتها بلاط السلطان الظاهر الثاني عامر بن عبدالوهاب الظاهر (ت ٩٢٣هـ/ ١٥١٧م)، أقوى سلاطين الدولة الطاهرية باليمن وأكثرهم قوة ونشاطاً عسكرياً، وتنوع محتواها ما بين الوعظ والتحذير والتهديد، وقد جاءت السفارة في سياق الصراع الدموي الكبير بين الدولتين حول مناطق النفوذ على الساحة اليمنية والذي كانت فيه الكفة راجحة لصالح الدولة الطاهرية .

أما الوثيقة الثانية فقد حملتها السفارة التي بعثها الإمام المتوكل شرف الدين نفسه إلى الأمير حسين الكردي، قائد الحملة التي جردتها دولة المالك الجراكسة على عهد السلطان قانصوه الغوري (ت ٩٢٢هـ/ ١٥١٦م) لمواجهة النفوذ البرتغالي المتزايد في السواحل الهندية ومياه المحيط الهندي وبحر العرب والخليج العربي، الذي مثل بؤرة نزيف كبير للمقدرات الاقتصادية

لدول المنطقة بشكل عام، إضافة إلى كونه تهديداً دينياً لوضعه استهداف الأراضي المقدسة بالحجاز ضمن مخططاته الاستعمارية .

السفارة الثانية في أصلها هي نتيجة طبيعية لفشل السفارة الأولى، فقد كانت الغاية منها الاستنجاد بالحملة المملوكية وطلب النصرة والعون من قائدها إزاء العنت الذي واجهه الإمام الزيدي أمام القوات الطاهرية، ومحاولة منه لإيقاف حملة الإبادة التي قادها السلطان الظاهر الثاني عامر بن عبد الوهاب لأفراد الشريحة العلوية الشيعية الزيدية والفاعلة سياسياً وعسكرياً آنذاك .

وما يزيد من أهمية هاتين السفارتين هي النتائج المترتبة عليهما، فقد تمخضتا عن أحداث كبيرة بلغت حد تحول الحملة المملوكية عن مسارها المرسوم، واقتحام الأراضي اليمنية، والدخول في صراع مسلح دموي مع الدولة الطاهرية، كانت فيه الدائرة على الدولة الطاهرية، قتل في آخر أحداثها السلطان الظاهر الثاني عامر بن عبد الوهاب الطاهري عند أسوار صنعاء، هو وأخيه الأمير عبد الملك بن عبد الوهاب وذلك سنة (٩٢٣هـ/١٥١٧م)، وهو ما مثل "نهياراً" شبه كامل للدولة الطاهرية، واستيلاء القوات المملوكية على مساحة واسعة من أراضي اليمن، ولم يوقف استمرار زحفها على المناطق المتبقية سوى هزيمة الدولة الأم - دولة المماليك المجراسة في مصر - في موقعة مرج دابق الشهيرة في السنة نفسها، ومقتل السلطان قانصوه الغوري على أيدي القوات العثمانية بقيادة السلطان سليم الأول .

ويجمل بنا في البداية إيراد إشارة تعريفية - بلا إسهاب ولا إخلال- بالشخصيات الثلاث الأهم، التي مثلت المحاور الرئيسة لهاتين السفارتين، وهذه الشخصيات هي: السلطان الطاهري الظاهر الثاني عامر بن عبد الوهاب، والأمير المملوكي حسين الكردي، والإمام الزيدي المتوكل على الله يحيى شرف الدين بن شمس الدين.

السلطان الظاهر الثاني عامر بن عبد الوهاب الطاهري (٨٩٤-٩٢٣هـ/١٤٨٩-١٥١٧م) :

هو السلطان الظاهر الثاني صلاح الدين عامر بن عبد الوهاب بن داود الطاهري، الأسوي القرشي نسباً، الشافعي الأشعري مذهباً وعقيدة، رابع سلاطين الدولة الطاهرية باليمن، وأكثرهم

شُهرةً وسَطوةً وقوةً وهبةً، وأطولهم حكماً، يُشار إلى مدة حكمه بالبنان، وتسترعي انتباه الباحثين في تاريخ اليمن - والمُطَّلِعِينَ عليه - فيتوقفون عندها، فهي في نظرهم جذيرة بالدراسة لأُمُور عدة، أهمها : أنها أطول مدة حَكَمَ فيها مَلِكٌ ظاهري<sup>(١)</sup>، ولما عُرفَ به هذا السلطان من الصفات المتميزة حكماً وإدارةً وعلماً وعمراً<sup>(٢)</sup>، وكذلك لما تميز به عهده من شدة الصراع وقوة احتدامه بين القوى السياسية الداخلية الكثيرة، كالصراع في إطار التنافس على العرش بين السلطان نفسه والأمراء الطاهريين من أخواله أبناء السلطان الظافر الأول عامر بن طاهر<sup>(٣)</sup>، والصراع الكبير بين الدولة الطاهرية والأئمة الزيدية على مناطق النفوذ والتوسع<sup>(٤)</sup> - وإن أعطى كل طرف منهما تأصيلاً شرعياً يبرر صراعه مع الآخر - والصراع الشديد بين الأئمة الزيدية أنفسهم - مع بعضهم بعضاً - بعد أن تعدد الداعون إلى أنفسهم بالإمامة منهم، والصراع - شبه الدائم - مع أغلب القوى القَبَلِيَّة في تهامة وبافِع<sup>(٥)</sup> وبيِّحان<sup>(٦)</sup> وغيرها من المناطق .

ومما يجعل مدة حكم السلطان الظافر الثاني عامر بن عبدالوهاب الطاهري مميزةً عن غيرها - أيضاً - أنها تُعد من أخطر المراحل التاريخية التي مر بها اليمن، وخاصة العشرين سنة الأخيرة منها، فقد ظهر على المسرح الدولي - ثم الإقليمي - قوة بحرية استعمارية غاتية - بمقياس ذلك العصر - ألا وهي قوة البرتغاليين، وكانت اليمن واحدةً من أكثر الأطراف تضرراً من هذا التحول الكبير، ذلك التحول الذي أحدث هزة عنيفة غيرت موازين القوى على مستوى العالم القديم، وهذا التحول بدوره أدى إلى دخول اليمن في صراع مع بعض القوى الخارجية، في مقدمتها قوة الماليك الجراكسة الحاكمين لمصر في هذه الفترة، ونتج عنه - في آخر مراحل هذا الصراع - القضاء على السلطان الظافر الثاني ؛ وتعريض الدولة الطاهرية عموماً إلى الانهيار .

### الأمير حسين الكردي (ت ٩٦٥هـ/ ١٥٥٧م) :

الأمير حسين الكردي هو أحد القواد البارزين في الأسطول البحري المملوكي، أوكلت إليه مهمة القيام بالتصدي للبرتغاليين في الخليج العربي وبحر العرب والمحيط الهندي، وخاصة أمام الشواطئ الهندية التي تمثل المصدر الأم لتجارة التوابل، التجارة الأهم والأثمن على مدار قرون طويلة في العصرين القديم والوسيط، بل حتى مشارف العصر الحديث، وقد قاد الأمير حسين الكردي حملتين في هذا الصدد، وتكللت مساعي الحملة الأولى في سنة (٩١١هـ/ ١٥٠٥م)

بالنجاح فيما تغير مسار الحملة الثانية عندما اتجهت صوب عمق الأراضي اليمنية لتدخل في صراع مرير مع الدولة الطاهرية، والذي أسفر عن تمكن القوة المملوكية من القضاء على معظم قوة الطاهريين وقتل آخر سلاطينهم السلطان الظافر الثاني عامر بن عبدالوهاب السابق ذكره .

الإمام المتوكل على الله يحيى شرف الدين<sup>(١٨)</sup> (٩١٢هـ-٩٦٥هـ/١٥٠٦ - ١٥٥٧م) :

هو الإمام المتوكل على الله يحيى شرف الدين<sup>(١٩)</sup> بن شمس الدين بن أحمد بن يحيى بن المرتضى الحسيني العلوي نسباً، الزيدي المعتزلي مذهباً وعقيدة، حفيد الإمام الزيدي الشهير المهدي أحمد بن يحيى المرتضى (ت. ٨٤٠هـ/١٤٣٦م) الذي أعلن نفسه إماماً عام ٧٩٣هـ/١٣٩١م إثر وفاة الإمام الزيدي الناصر صلاح الدين محمد بن علي الحسيني، كما أنه سيطر الإمام الزيدي المتوكل على الله المظهر بن محمد بن سليمان الحمزي الحسيني (ت. ٨٧٩هـ/١٤٧٤م) .

أعلن المتوكل على الله يحيى شرف الدين إمامته الزيدية في ظرف من أحلك ظروف تاريخها باليمن، فقد تمكن السلطان الظافر الثاني عامر بن عبدالوهاب الطاهري من كسر شوكتها، وقهر قوتها، وتشتيت جموعها، وزرع الإحباط في نفوس قادتها وأتباعها، إذ انتزع منها أعز حصونها وقلاعها وأمنعها، وفرق كثيراً من رجالها ما بين قتيل أو أسير أو هائم على وجهه في البلاد، ولم يبقَ من متصديري الإمامة الزيدية سوى الإمام الناصر الحسن بن عزالدين بن الحسن الحسيني (ت. ٩٢٩هـ/١٥٢٣م)<sup>(٢٠)</sup>، الذي كان منطوياً على ذاته في أقصى شمال اليمن، ولم يكن بيده من مفاتيح تحريك الأمور ما يجعله يخطو الخطوة الأولى لإقالة العثرة الزيدية أو تحريك ما ركد من مائها .

لما أعلن الإمام المتوكل شرف الدين إمامته سنة (٩١٢هـ/١٥٠٦م) بعث رسلاً منطلقاً من حصن الظفير<sup>(٢١)</sup> طالباً البيعة من خاصة الزيدية وعامتها<sup>(٢٢)</sup>، ولم تكن الاستجابة له كبيرة في بداية أمره نظراً للسلطة التي كانت للدولة الطاهرية وشدها في التعامل مع العناصر الزيدية ومن تعاون معها، إضافةً إلى أنه لم يكن قد عُرف لديهم كشخصية يعلق عليها الآمال في إحداث الفرق في الوضع القائم يومئذ .

كانت السنوات التالية لإعلان إمامة المتوكل يحيى شرف الدين تشهد بلوغ القوات الطاهرية إلى ما لم تكن قد وصلت إليه من المناطق في عمق الرقعة الجغرافية الزيدية بشمال صنعاء وغربها، كدخولها حصن ثلا وقلعة كوكبان سنة (٩١٧هـ/١٥١١م) مع حصنين آخرين بجوارهما، وفي سنة (٩٢٠هـ/١٥١٤م) أرسل السلطان الظافر الثاني عامر نائباً عنه إلى صعدة مشفوعاً بحامية صغيرة، غير أنه فشل في بلوغ مرآمه، ثم وضع يده على مناطق أخرى إضافية لتبلغ الدولة الطاهرية عندئذ أقصى امتداد لها على الأرض اليمنية .

كانت الأساطيل البرتغالية في هذه الأثناء قد رفعت من وتيرة نشاطها العدواني على السفن التجارية العربية في المحيط الهندي بما لا يسع القوى المتضررة السكوت عليه، وكانت مصر المملوكية هي المتضرر الأكبر؛ لذلك أرسلت حملتين بحريتين لمواجهة البرتغاليين، انطلقت الحملة الثانية منهما سنة (٩٢١هـ/١٥١٥م) ورسّت في جزيرة كمران، وقد رأى الإمام المتوكل شرف الدين في وجود هذه القوة فرصة لكسب موقفها وتوظيفه في دعم جهوده في مواجهة الطاهريين، لذلك قام بإرساله أمير الحملة، الأمير حسين الكردي، شاكياً إليه السلطان الظافر الثاني، معهداً مظاهر اضطهاده لآل البيت النبوي ومساوئ حكمه، ومطالباً بإياه بالنصرة<sup>(١٣)</sup>، وكان الأمير حسين الكردي في حاجة إلى استجلاء موقف السلطان الظافر الثاني من حملته، فلما بلغه موقعه المتخاذل منها، واستعداده لمواجهة بدلاً عن دعمها وتوفير كل أشكال التعاون معها، رد على الإمام المتوكل شرف الدين بما يؤكد دعمه له.

ولما وقع الصراع بين الحملة المملوكية وبين الدولة الطاهرية سنة (٩٢٢هـ/١٥١٦م)، وتحققت الهزيمة الكبيرة للطاهريين في السنة التالية، ومقتل السلطان الطاهري في هذا الصراع، وسيطرة الماليك على كثير من المناطق اليمنية بما فيها صنعاء، كان موقف الإمام المتوكل شرف الدين سلبياً من الطرفين، وذلك في انتظار ما سيسفر عنه الصراع الدائر، ولكنه أحس بأن الماليك عازمون على مواصلة التوسع في اليمن، وهو ما دعاه إلى رفض هذا التوجه والقيام بأولى خطوات الصدام معهم بدخوله حصن ثلا في السنة ذاتها (٩٢٣هـ/١٥١٧م)؛ فضرب عليه الماليك حصاراً لم يرفعه إلا عندما بلغهم خبر مقتل سلطانهم قانصره الغوري ثم سقوط دولتهم على أيدي الجيوش العثمانية<sup>(١٤)</sup>.

## الخلفية الفكرية والسياسية للصراع في اليمن عصريته :

من المعروف أن الزيدية هي أحد فرقتي الشيعة الرئيسيتين<sup>(١١)</sup>، والحضور التاريخي الحقيقي للزيدية في اليمن - من الناحية الفكرية والفقهية - قديم، تعود بداياته الأولى إلى أواخر القرن الثالث الهجري ، ومن أهم أركان الفكر الشيعي الزيدي القول بالإمامة، فقد تضمنت رسائل المؤسسين والمنظرين للفكر السياسي والعقائدي الزيدي الأوائل إشارات صريحة بأن الإمامة أصل من أصول الدين التي لا يصح إسلام المرء بدونها، ومفهوم الإمامة في الفكر السياسي الزيدي يمكن إجماله في حصر أحقية الفاطميين من أحفاد الإمام علي بن أبي طالب في الحكم دون غيرهم من أبناء الأمة الإسلامية، وقد زال إحساس العلويين بكونهم ضيقاً على اليمن منذ السنوات الأولى لوصولهم إليها، إذ اتخذوا من أتباع الفكر الزيدي وخصائمه ركيزة للتوسع السياسي على حساب القوى اليمنية الأخرى، واستمر هذا الفكر وقوداً لمعظم أوجه الصراع الدموي بين اليمنيين من أتباع الفرقة الزيدية وغيرهم طوال فترات تاريخ اليمن حتى مطلع التاريخ المعاصر .

كان العامل الفكري هذا مُدْكِاً إضافياً لمسببات الصراع الأخرى - الجغرافية والقبليّة والاقتصادية - التي كانت تدفع اليمنيين للاشتباك مع بعضهم منذ مراحل ما قبل اعتناقهم جيمعاً للدين الإسلامي، ومن ضمن الدوافع الفكرية العقائدية أيضاً التي أسهمت - دائماً - في إشكالك الصراع بين اليمنيين اتهام الأئمة الزيدية وعلماؤها لبقية اليمنيين بأنهم يقولون بعقيدة الجبر، وبالتالي وجب جهادهم وقتالهم، أو دفعهم - على الأقل - عن المساحات الجغرافية التي يقطنها أتباع الفرقة الزيدية، وقد اتضح ذلك بجملاء في مراسلاتهم الثنائية الأدبية، الشعرية والنثرية، منها تلك القصيدة التي نظمها - في المدة ذاتها - الإمام الزيدي المنصور بالله محمد بن علي الوُثُلُكي السراجي (ت ٩١٠هـ/ ١٥٠٤م)<sup>(١٢)</sup> يهدد فيها السلطان الظاهر الثاني عامر بن عبد الوهاب الطاهري (ت ٩٢٣هـ/ ١٥١٧م) في غمرة صراعهما على صنعاء، فقال الإمام الوُثُلُكي:

عَدِمْنَا حَيَلَنَا إِنْ لَمْ تَرَوْهَا      وَأَنْتُمْ بَيْنَ أَيْدِينَا نَعَامُ  
وَتَجَزِيكُمْ بِفِعْلِكُمْ قَدِيحاً      جَزَاءُ لَا خَفَاءَ وَلَا انكِتَامُ  
سَيُهْزَمُ جَمْعُكُمْ يَوْمَ التَّلَاحِي      وَلَا يُغْنِي عَنِ الْقَتْلِ انْهَزَامُ

وَلَكُمْ سَقْتُلُ مَنْ أَرَذَنْ      وَتَأْسِرُ مَنْ نَشَأَ وَلَا نُضْمُ  
 وَتُشْرِقُ أَرْضَنَا بِالْعَدْلِ<sup>(١٧)</sup>      وَيُنْفَى الظُّلُمَ إِذَا حَصَلَ الْمَرَامُ  
 وَنَحْمَدُ رِثْنَا وَنَقُولُ بُعْدًا      لِأَهْلِ الظُّلُمِ إِذَا حَصَلَ الْمَرَامُ  
 كَمَا بَعَدَتْ ثَمُودُ وَقَوْمُ عَادٍ      وَأَهْلُ الْأَيْكَةِ الْقَوْمَ اللَّئِيمَ<sup>(١٨)</sup>

ومنه كذلك تحريضه واستفاره لإمامين زيديين معاصرين له كان أحدهما يحكم منطقة صعدة وما حولها - هو الإمام الهادي عز الدين بن الحسن (ت ٩٠٠هـ / ١٤٩٥م)، بينما تركز الآخر في صنعاء - وهو الإمام المؤيد بالله محمد بن الناصر بن محمد (ت ٩٠٨هـ / ١٥٠٢م) - لكي يقوموا بصد السلطان الظافر الثاني عامر بن عبدالوهاب الظاهري، وجعل مدخله لاستشارة حقيقتهم التركيز على (الجبرية) باعتبارها معتقد يقول به السلطان، من وجهة نظره، وهي في حد ذاتها لدى الزيدية مسوغ كافٍ لقتله، وسبب مقنع لحربه، وخاصة إذا ما كان قد أصبح خطراً محدقاً بالمذهب الزيدي نفسه ومهدداً إياه بالإزالة، ولذلك قبل الإمام المنصور الوشلي في تحريضهما :

وَصَنَعَاءُ الْمَدِينَةُ فِي بِلَادٍ      أَحَاطَ بِسُورِهَا الْقَوْمُ الطُّغَمَاءُ  
 ذُووُ الْحَبْرِ الَّذِينَ لَهُمْ قِتَالٌ      يُلَازِمُهُ الشَّاعَةُ وَالْمَلَامُ  
 إِلَى التَّارِي أَضَافُوا كُلَّ فِعْلٍ      قَبِيحٍ لَا حَيَاءَ وَلَا احْتِشَامَ<sup>(١٩)</sup>  
 وَأَنْ زَعَيْنَهُمْ رَجُلٌ عَشُومٌ      عَلَى صَنَعَاءَ نَيْتُهُ الْمَقَامُ<sup>(٢٠)</sup>

وقال أيضاً في السياق نفسه :

فَبِ مَبَكِّي صَنَعَا وَصَعْدَةً أَنْتَمَا      لِفُلُكِي نَجَاءٌ فِي بِحَارٍ تَفَرَّقُ  
 وَبِ مَلَكِي آلِ الرُّسُولِ تَذَارِي      هَدَى كَذَا فِي بَحْرِ الضَّلَالَةِ يَفَرَّقُ  
 هُوَ الْمَذْهَبُ الرَّيْدِيُّ مَذْهَبُ خَدِّكُمْ      بَطْلَعْتَهُ نُورُ الْهِدَايَةِ يَبْرُؤُ  
 وَحَمُوا عَلَيْهِ بِالصُّوَرِ وَالْقِيَا      وَأَرَوْا طُعْمَهَا مَنْ ذَمِ الْقَوْمِ يُشْرِقُ<sup>(٢١)</sup>

وفيما يتعلق بالمدة التي تناولها في هذا البحث أضيف عاملان آخران إلى قائمة العوامل السابقة، زادا من حدة الصراع بين الدولة الطاهرية والأئمة الزيدية، أما العامل الأول فهو رغبة السلاطين الطاهريين في الأخذ بالثأر من الأئمة الزيدية الذين قامت قواتهم بقتل السلطان الطاهري المؤسس الظاهر الأول عامر بن طاهر سنة (٨٧٠هـ/١٤٦٦م)، وأما العامل الثاني فهو احتراق الطرفين للماضي المتمثل في استحضار عقدة الصراع الجاهلي بين الأمويين الهاشمين في مكة إضافة إلى ما وقع ضمن أحداث الفتنة الكبرى وفي مدة حكم يزيد بن معاوية بن أبي سفيان، إذ أن السلاطين الطاهريين كلهم ينتسبون إلى بني أمية في حين أن الأئمة الزيدية جميعاً من بني هاشم .

ويقتضي الإنصاف أن نذكر أن اليمنيين من غير أتباع الفرقة الزيدية - من جانبهم - قد بادلوا الزيديين نظرة عدم الرضا بملثلها، فقد نظروا إلى الريدية على أنها إحدى الفرق الضالة، أو على الأقل المبتدعة<sup>(١٢١)</sup>، وذلك لعدد من الاعتبارات الفكرية العقائدية والاحتلاقات الفقهية المذهبية، إذ أن بعض كبار علماء الزيدية وأنتمتها قد خاضوا في مسألة الصحبة والصحابة وقذحوا في بعض أعلامهم، إضافة إلى تبني الزيدية للعقيدة الاعتزالية بينما كان بقية اليمنيين متبنين إما للعقيدة السلفية الحنبلية أو الأشعرية، وكلاهما حصصان تاريخيان للمعتزلة؛ فانعكس ذلك على موقفهم السياسي من الإمامة الزيدية نفسها، وكان موقفهم متسماً بدعوة الرفض وعدم القبول، وقد غدت هذه القناعة أفراد الجيوش التي قادها السلاطين - والطاهريين منهم - في صراعهم مع القوة الزيدية، ومن المعروف بدهاء أن أشرس المعارك هي تلك التي تدور بين طرفين كلاهما يزعم أنه يقاتل باسم الله تعالى وجهاداً في سبيله .

السفارة الأولى : أرسلها الإمام شرف الدين إلى السلطان الظاهر الثاني عامر الطاهري :

هناك أهمية كبيرة لمعرفة المناسبة التي تم بعث هذه السفارة في أجوائها، وقد سبقَت الإشارة إلى أن الزيدية قد وأحمت ظروفًا قاسية لم تمر بملثلها طوال تاريخ وجودها في اليمن، إذ تمكن السلطان الطاهري الظاهر الثاني عامر بن عبدالوهاب من كسر شوكتها، وقهر قواتها، وتشتيت جموعها، فزرع الإحباط في نفوس قادتها وأتباعها، وذلك لأنه حقق ضدها انتصارات كبيرة جداً، تمكن على إثرها من استزاع أعر حصونها وأمنع قلاعها، ومد نفوذه إلى معظم الرقعة الجغرافية التي مثلت عمقاً لدولة الأئمة الزيدية، وفرق كثيراً من رجالها ما بين قتيل أو أسير أو هُتم على

وجهه في البلاد، ولما فشل الإمام المتوكل شرف الدين في استعادة - ولو بعض - ما فقدته الدولة الزيدية، قام بتحرير هذه الوثيقة وعيها إلى سلطان الطاهري المذكور وذلك في سنة (٩١٤هـ/ ١٥٠٨م).

### تعليق على وثيقة السفارة الأولى :

تعد وثيقة هذه السفارة - مقارنة مع غيرها من الوثائق السياسية التي تضمنتها المصادر التاريخية اليمنية - هي الوثيقة السياسية الأطول، والأكثر تفصيلاً في موضوعها، ويمكننا أن نحمل أهم ملامح هذه الوثيقة في النقاط الآتية:

(١) تعد هذه الوثيقة واحدة من وثائق الفكر السياسي الزيدي المهمة؛ ذلك لأنها تضمنت تمسكاً بفكر الإمامة الذي أرسى دعائمه قدماء منظري الزيدية ومؤسسو دولتها في اليمن، وفي الوقت نفسه ألمحت بشكل واضح إلى قبول الزيدية - بممثليها بإمامهم يحيى شرف الدين - التفاوض حول حلول وسطى يمكن القبول بها في غمرة حالة الضعف التي أصابت الزيدية تحت وطأة السطوة الطاهرية، وهي نعمة لم تؤثر عن عمره من أئمة الزيديين السابقين .

(٢) في ثانياً المحتوى الفكري لهذه الوثيقة ثمة موضوع مناسب لدراسته من قِبَل المتخصصين في الفكر السياسي والسياسة الشرعية، لعلهم يجدون فيها دليلٌ تجديدٍ تقدميٍّ اضطرابيٍّ في فكر الإمامة عند الزيدية في القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي، خاصة أنها صادرة عن واحد من أشهر أئمة الزيدية باليمن على الإطلاق.

(٣) استخدم الإمام شرف الدين في كتابة هذه الوثيقة أسلوباً هو أقرب لطريقة الوعظ الديني والترويح الفكري منه للخطاب السياسي، لذلك ضمنها عدداً كبيراً من الآيات القرآنية الداعمة لوجهته الفكرية وقضاياه السياسية، بلغ عددها ستة وعشرين آية قرآنية، معللاً ذلك بقوله : " ... بل ندعوكم إلى تأمل آيات القرآن المجيد، الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد؛ ولهذا استكثرتنا في رسالتك من آيات لقرآن للقطع بحفظه من الخلل والزيادة وللقصان، ولم نستكثر من إبراد أحاديث الرسول صلى الله عليه وعلى أولاد فاطمة البتول وسلم؛ لقلة المتوتر منه ولتلقى بالقبول، واحتياج الأحاديث منه إلى معرفة الرجال العدول، والمعروف منهم والمجهول، الذي لا يخطئ فيه إلا العلماء الفحول ... " (١٣١) .

(٤) قام محرر الرسالة بتكرار التذكير بشواهد التقارب بين المذهب الزيدي والمذاهب السنية الأخرى الشافعية والحنفية والمالكية، ناصحاً السلطان الطاهري الظاهر الثاني بمراجعة أقوال العلماء المتقدمين من علماء المذاهب المشار إليها، والدالة على التزامهم الولاء والمودة لآل البيت النبوي، يتضح ذلك في مثل الفقرة التي يقول فيها: " وإذا كنت من أهل التقليد، لمن لم يعرف حكم الشرائع المفيد، فإن عليك فرضاً واجباً، وحتماً لازماً، وهو التزام من تركن على فضله ووعدده، وعدم طمعه في الدنيا وعلقه، أن يتلو عليك نصوص العلماء المتقدمين من الشافعية والحنفية والمالكية، إذ لم يكونوا ليميلوا عن علماء أهل البيت الطاهرين ... " (١٧٤) إلى أن قال: "... فلا تظن أن بين المذهب الزيدي وبين مذاهب الفقهاء الأقدمين عداوة، وكلٌ منهم يصوب الآخر في اجتهاده، ولا يخطئه في مذهبه واعتقاده، وإنما فرق بينهم علماء السوء المتأخرون ... " (١٧٥) .

(٥) تضمنت هذه الوثيقة معلومات تاريخية لم تُشر إليها أي من المصادر التاريخية اليمنية المعروفة والمتداولة إطلاقاً، وهي الإشارة إلى أن بعضاً من أقرّب الإمام يحيى شرف الدين قد انضم إلى البلاط الطاهري، متبدياً قومه وأهل مذهبه، ومتحدداً مهم موقوف الضد السياسي، ولعله كان يلعب دور الدليل والمستشار للسلطان الطاهري الظاهر الثاني عامر بن عبد الوهاب في حربه ضد الزيدية وأئمتها، وأشارت الوثيقة إلى أنه كان متولياً بعض المهام لدى الإمام شرف الدين ثم حدث ما جعله ينقم عليه فاتخذ جانب الطاهريين وأخذ في تحريضهم ضده، تقول الوثيقة: "... وكأني بمن عندك من أهل مذهبنَا - بل من بعض قرابتنا - يقول: لقد فعلت هذا الوجه بمن هو عنده، وذلك قول غير صحيح، صادر من غير نصيح، فإنه يعلم - وأنت تعلم - أنك غير فاعل لذلك، لأحد من أهل الممالك، ولعلك تعلم - ونحن نعلم - مما تقمنا على المشار إليه، عدم صلاحه لما عوّل فيه عليه ... " (١٧٦) .

(٦) تصوّر محرر الوثيقة ما يمكن أن تكون حُججاً للسلطان الطاهري في هجومه الكاسح على الزيدية، فكان يفترضها ثم يقوم بالرد عليها، وهي من أساليب المعتزلة الفلاسفة والمتضلعين بعلوم المنطق وطرائق الجدال، لذلك نجد تكرراً لعبارة أمثال قوله: فإن قلت ... فلماذا لم ...

(٧) من ملامح البناء اللغوي في هذه الوثيقة حفاظ محررها على ما كان متعارفاً عليه من لإكثار من المحسنات البديعية كالسجع وغيره، واستخدامه التناص واستعارة الألفاظ المشهورة المتداولة، كان أكثر استعارته من ألفاظ الآيات القرآنية أو الأحاديث النبوية .

(٨) عندما أراد محرر الرسالة الاستشهاد بموقف الإمام أبي حنيفة النعمان المؤيد - أو على الأقل المتعاطف - مع ثورة العلويين الريديين في عهد الخليفة العباسي أبي جعفر المصور سنة (45هـ/762م)، وقع في خلط بين الزعيمين العلويين الشقيقين: إبراهيم بن عبدالله الشاذلي في البصرة بالعراق<sup>(١٧)</sup> وبين أخيه يحيى بن عبدالله الذي أعلن ثورته بعد وفاة الإمام أبي حنيفة النعمان<sup>(١٨)</sup>، وهو خطأ تاريخي واضح، إذ يقول: "... وقد كان من تلامذة زيد بن علي عليه السلام أبو حنيفة، ونال بسبب موالاته الإمام يحيى بن عبدالله ما هو معروف في السير، وكذلك نال الشافعي رحمه الله بسبب موالاته الإمام يحيى بن عبدالله إلى حد الضرب بالسياط، ..."<sup>(١٩)</sup>، ولعله غاب عن محرر الرسالة أن البعد الزمني بين وفاة الإمامين الشافعي وأبي حنيفة النعمان قريباً من مائة سنة، فكيف يقفان سوياً موقف الموالاة من العلوي الشاذلي يحيى بن عبدالله؟ .

(٩) لم تتضمن هذه الوثيقة أية إشارة إلى كون كاتبها هو أحد رجال حاشية الإمام المتوكل يحيى شرف الدين أم هو نفسه، وهو ما أرححه، فهو معروف بعلمه الواسع ومعرفته الثامة باللغة العربية وآدابها، ويكفي لمعرفة مدى سعة علمه الالتفات إلى أنه يبيع بالإمامة الزيدية التي تشترط بلوغ درجة الاجتهاد في متصدي إمامتها، كما لم تتضمن هذه الوثيقة - من جهة أخرى - اسم السفير الذي قام بإيصالها إلى السلطان الظاهري الظاهر الثاني عامر بن عبد الوهاب .

السفارة الثانية: أرسلها الإمام المتوكل شرف الدين إلى الأمير حسين الكردي؛

كانت الأساطيل البرتغالية في مطلع القرن الهجري العاشر/ السادس عشر الميلادي قد رفعت من وتيرة نشاطها العدوانية على السفن التجارية العربية في المحيط الهندي وامتداداته حتى توقفت الحركة التجارية فيه بشكل كامل - أو كادت - ولم تكن اليمن ومصر والقوى السياسية والعسكرية الفاعلة فيهما بمنأى عن الأحداث الدائرة في المحيط الهندي لما له من أهمية قصوى بالنسبة إليهما<sup>(٢٠)</sup>، وكان لموقع اليمن الجغرافي المتوسط بين المجالين الحيويين للمصالح من جهة والبرتغاليين من جهة أخرى دوره في إحبار اليمنيين على التأثير والتأثر بمحمل ما يدور في المنطقة حتى لو فترضت - جداً - وجود الرغبة لديهم في السكون وعدم الولوج في حلبة الصراع، إذ أنه من المستحيل أن يقوم المصاليك بأي نشاط عسكري مصاد للبرتغاليين في المحيط الهندي والبحر الأحمر دون الدعم المادي والمعنوي للسلطات القائمة في اليمن، كما أن الاستحالة قائمة في وجه البرتغاليين إذا ما عزموا على سد البوابة الجنوبية للبحر الأحمر في وجه التجار المصريين والشاميين

وبعض الأفارقة، وكذلك الوصول إلى تحقيق الشق الصليبي من أهداف حملاتهم ببلوغ الأراضي المقدسة بالحجاز، الاستحالة قائمة في وجههم إذا لم يؤكدوا سيطرتهم على الموانئ اليمنية المهمة وجزرها الكبيرة سواءً في البحرين العربي أو الأحمر، أي : إن اليمن كانت نقطة الارتكاز الجغرافية في أحداث هذه المرحلة من تاريخ المنطقة .

ومن الواضح بجلال أنه لم يكن هناك ثمة مطامع مملوكية في اليمن، سواءً قبل هذه المرحلة المصرية من تاريخ المنطقة أو قبلها، وكان هذا الأمر - من خلال اضطراد المسيرة التاريخية للعلاقات الودية القائمة بين القوى والدول الحاكمة في المنطقتين - راسخاً لدى الجميع، فلم تشهد مؤشرات لانعدام الثقة أو حلول الشك على هذه العلاقات، وهو ما تعكسه الهدايا المتبادلة بين العروش الحاكمة، وما استغاثه الطاهرين بالسلطان قانصوة الغوري ضد القرصنة البرتغالية ثم الموقف المُشترَك لحاكم عدن - مرجان الظافري - من الحملة المملوكية الأولى التي قادها الأمير حسين الكردي إلى الهند سنة (٩١١هـ / ١٥٠٥م)<sup>(٣٢١)</sup> إلا أدلة إضافية على صفاء العلاقات الثنائية بين الطرفين الطاهري والمملوكي عصرئذٍ.

بيد أن سوء الفهم الذي صاحب مسير الحملة للمملوكية الثانية سنة (٩٢١هـ / ١٥١٥م) يُعدُّ استثناءً في علاقة اليمن بمصر مساباً، فقد وصلت الحملة المكونة من حوالي عشرين سفينة - محملة بما يقرب من ستة آلاف جندي معهم كثير من مؤنهم الحربية والحياتية اللازمة - إلى جزيرة كُمران، " وكان هدفها النهائي هو الهند وتأمين التحصينات العسكرية في البحر الأحمر وطرق الهند ضد الأسطول البرتغالي، وخوفاً من معاودة البرتغاليين الهجوم على البحر الأحمر وجدة على شاكلة ما فعلوا عام (٩١٩هـ / ١٥١٣م) " (٣٢٢) .

ما أن سمع الإمام الزيدي المتوكل يحيى شرف الدين بنزول الحملة في جزيرة كمران حتى حاول استمالة أميرها - حسين الكردي - وإقحامه في الصراع الدائر بينه وبين السلطان الظافر الثاني عامر الطاهري، فأرسل إليه السفارة التي تناولها هنا<sup>(٣٢٣)</sup>، وقد أرجأ الأمير الكردي الرد عليه لأنه لم يضع في حساباته أن يُخْرِجَ الحملة عما جُرِّدَتْ من أجله، ولعله لم يزل الرد عليه إلا تحسباً للظنون التي تمكن الإمام شرف الدين من إثارتها عنده بخصوص السلطان الطاهري<sup>(٣٢٤)</sup>.

بعث الأمير حسين الكردي رسالته الثانية إلى السلطان الظافر الثاني عامر بن عبدالوهد - مشفوعةً بهديا جليلة من السلطان الغوري - يستعجله في إرسال ما يحتاجه جد الحملة من الزاد

وغيره، فاستشار السلطان بطاقته فاختلفوا ما بين مؤيد ومعارض، وكانت حجة المعارضين أن دعوى خروج الحملة إلى الهد وجهاد البرتغاليين ما هي إلا ستارٌ لبسط النفوذ على اليمن<sup>(٣٦)</sup>، وأن هذه المساعدة إذا ما بُذلت فإنها ستصبح حقاً مكتسباً يصعب رفض بذلها لاحقاً، وقد مال السلطان الظاهر الثاني إلى هذا الرأي، فأغلظ الرد لمعوثي الأمير الكردي، وأرسل إلى ابنه عبدالوهاب - حاكم زبيد - بمنع السفن من التوجه في البحر الأحمر نحو الشمال<sup>(٣٧)</sup>، قاصداً بذلك حرمان الحملة من مصادر غذائها، فصدقت الظنون التي كان الإمام شرف الدين قد أثارها لدى الأمير حسين الكردي، فرد عليه رداً يعرب له عن تضامنه معه .

في مثل هذا الوضع أصبح استمرار الحملة المملوكية في مواصلة طريقها بالغ الصعوبة، خاصةً أن المسافة المتبقية بينها وبين وجهتها النهائية مازالت بعيدة جداً، وأنها إذا كانت غير قادرة على الحصول على ما يكفيها من المؤن وهي مازالت في النطاق الحيوي لها فإنها ستكون أعجز في مواجهة قوة عظمى بحجم البرتغاليين وإمكاناتهم، ولعل الأمير حسين الكردي رأى في موقف الطاهريين هذا ممالأةً للبرتغاليين ووقوفاً إلى صفهم، فوجد نفسه مضطراً إلى معاقبتهم، ولما كنا على علم بمدى قوة شخصية السلطان قانصوه الغوري فأبداً ندرك أن تغيير مسار الحملة - كما ستراه - كان عن مشورةٍ منه، وليس محض احتهااد شخصي من قائد الحملة .

تحولت الحملة بقوامها كاملاً إلى السواحل اليمنية، وتقاطرت القوى المعارضة للحكم الطاهري، من القبائل وغيرهم، إلى الأمير حسين الكردي باذلين له المساعدة والعون، مقدمين أنفسهم جنوداً في حملته، فصعّب ذلك الأمر على الطاهريين<sup>(٣٨)</sup>، الذين انهزموا أمام الماليك في أول اختبار لهم معهم، فوقعت زبيد تحت السيطرة المملوكية سنة (٩٢٢هـ/١٥١٦م)، وسقط الأمير عبدالوهاب بن السلطان الظاهر الثاني جريحاً ليموت بعدها بأيام في تعز، وكان لبنادق الماليك الحديثة التي لم يعهدها اليمنيون دور الفصل في هذه المعارك<sup>(٣٩)</sup>، وتتابعت هزائم الطاهريين أما الماليك، بما فيهم السلطان الظاهر الثاني نفسه الذي خسر أول معركة يقودها أمامهم سنة (٩٢٣هـ / ١٥١٧م ) في منطقة الترتنة<sup>(٤٠)</sup>، فانسحب إلى مدينة تعز، ثم غادرها إلى إب أمام زحفهم، فأقاموا الخطة للسلطان الغوري على منابرها<sup>(٤١)</sup> .

وصلت القوات المملوكية تقدمها حتى دخلت المقرنة - مركز الحكم الطاهري، وتقهرق السلطان الظاهر عامر الثاني حتى وقعت بين الطرفين المعركة الفاصلة عند أسوار صنعاء، في ربيع الآخر من

سنة ٩٢٢ هـ الموافق مايو ١٥١٧ م، وانجبت المعركة عن مقتل السلطان الطاهري وأخيه عبدالملك<sup>(١١)</sup>، وذلك استحكمت قبضة المماليك على أهم المناطق في اليمن، في تهامة والجبال، ولم تستعص عليهم من المناطق التي قصدوها سوى عدن .

### تعليق على وثيقة السفارة الثانية :

اختلفت وثيقة هذه السفارة عن وثيقة السفارة الأولى من نواح عدة، منها أن هذه الوثيقة تضمنت التصريح باسم السفير الذي تصدر للسفارة وحمل الرسالة بيده من الرُّسُل إلى الرُّسُل إليه، فهو الفقيه العالم العامل صلاح الدين بقية المجاهدين- كما وصفته الوثيقة - صلاح بن سراج الله، وما يؤسف له أن مصادر تراجم علماء اليمن التي صنعها مؤرخو الزيدية أو خصوصهم لم تتضمن ترجمة لهذا الفقيه، ومن جانب آخر اختلفت هذه الوثيقة عن سابقتها بأنها صرحت بأن ما تم تدوينه في متن الرسالة ليس كل ما أراد الإمام المتوكل يحيى شرف الدين تحريره فيها، وأن السفير مفوض في تبين ما لم يتسع مقدم كتابة الرسالة له، فقد قال الإمام شرف الدين في آخر عباراتها : " ... والفقيه الصالح صلاح يحقّق لكم ما لا يتسع له الكتاب، ولا يقوم به إلا المشافهة والمخطاب، وصلاة الله على سيدنا محمد وآله وسلم " <sup>(١٢)</sup> بينما نجد وثيقة السفارة الأولى لا تصرح بفتح الباب أمام السفير لإضافة شيء إلى ما تم التطرق إليه من الحجج فيها، وآخر وهو الاختلاف بين السفارتين أن الأولى كانت بين قوتين يمينيتين في حين أن أحد طرفي الثانية كانت قوة إقليمية غير يمنية .

من ناحية أخرى نجد عدداً من أوجه التشابه في البناء اللغوي لوثيقتي السفارتين ومحتواهما الدلالي، فمُحرّر كلا الوثيقتين قد حافظ على قدر كبير من زخرفة ألفاظهما بالسجع وأخواته من المحسنات البديعية الأخرى، وذلك ما يدعوننا إلى ترجيح أن كاتب الوثيقتين هو الشخص نفسه، وربما يكون الإمام المتوكل يحيى شرف الدين شخصياً، كما أن وثيقة السفارة الثانية أكّدت على المعلومات التاريخية التي تضمنتها وثيقة السفارة الأولى عن وجود أحد أقارب الإمام شرف الدين من الزيدية العلويين بين صفوف الطاهريين، بعضهم وينصرهم على أهل مذهبه، وهي المعلومة التي لم تتضمنها المصادر التاريخية اليمنية، تقول الوثيقة الثانية : " ... وأعانه على ذلك رجل من أهل البيت، ادعى ما ليس له بحق، فأنكر عليه الإمام الوشلي، فلم يزل صاحب بعض هذا الطاغية، ويصر فرقته الباغية، حتى تمكن من الإمام الوشلي محمد بن علي. " <sup>(١٣)</sup>

هناك مجموعة من النقاط المهمة الجديرة بالإبراز في ثنايا ملامح وثيقة السفارة الثانية، يمكن التطرق إلى أهمها في النقاط الآتية:

(١) مع أن الخلفية الفكرية العقائدية والمذهبية التي يدين بها حكام الدولة الطاهرية بمن فيهم السلطان الظافر الثاني عامر بن عبدالوهاب هي نفسها الخلفية العقائدية والمذهبية التي يدين بها الماليك الحراكسة بمن فيهم الأمير حسين الكردي ، التي سبقت الإشارة إلى أنهما من دوافع الصراع بين الزيدية وغيرهم من أبناء اليمن ، إلا أن الإمام المتوكل يحیی شرف الدين لم يجد بأساً في الاستعانة بالأخير ضد الأول ، وهو ما يعزز القناعة بأن القوى اليمنية وظفت الحلاقات الفكرية والمذهبية في صراعها مع بعضها كونها حافزاً كبيراً لأفراد جيوشها للإتخراط في صراع تلك القوى على المصالح السياسية والاقتصادية بحماسة كبيرة ، فقد كان الطاهريون - حكاماً ومحكومين - شافعيي المذهب أشعريي العقيدة ، وذلك بالضبط ما ينطبق على الأمير حسين الكردي ورؤسائه ومرؤوسيه .

(٢) ألمحت هذه الوثيقة بشكل شبه صريح إلى النسب الأموي للطاهريين وسلطانهم الظافر الثاني عامر بن عبدالوهاب ، وهو ما غاب تماماً في ثنايا وثيقة السفارة الأولى ، تقول الوثيقة في معرض مدحها للأمير حسين الكردي : " .. أمير الأمراء الإسلامية ، مفرج كرب العترة الطاهرة الزكية ، الناقم بثأر الحسين من الفرقة الغوية ، النظالة العامرية ، المتخلي من أجل ذلك بكل زين ، المتخلي عن كل شين ، الوافي بحق سيد الشهداء الحسين ، الأمير الجليل النبيل حسين ، حياه الله من السلام بأستائه ، ومن الإكرام بأركناه وأعضائه ... " (١) ، وفي ذلك قرينة واضحة تدل على أن إرث الماضي السحيق من الفتنة الكبرى والصراع بين معاوية بن أبي سفيان والإمام علي بن أبي طالب وما تلاه إبان الحكم الأموي كان ماثلاً بين عيني الإمام يحيى شرف الدين ومستحضراً إياه في صراعه مع الطاهريين .

(٣) ربما يتبادر إلى الذهن أن الإمام المتوكل يحيى شرف الدين لم يتطرق إلى التلميح إلى ما جرى للحسين بن علي على أيدي الأمويين إلا ليستجيش عاطفة الأمير حسين الكردي كونه يحمل الاسم نفسه ولِيحمله على التعاطف مع الريدة المنتسبين إلى حفيد الإمام الحسين بن علي رضي الله عنهما .

(٤) استطاع الإمام المتوكل يحيى شرف الدين في رسالته أن يوجز بعبارة غير مخلة ما أوقعه السلطان الظافر الثاني عامر بن عبدالوهاب في رجال الزيدية وقادتها ، وذلك من مهارته اللفظية ومعرفته القوية بها ، إذ يقول في ذلك : " ... بأننا لم نزل إلى الله مبتهلين ، ولما لديه من الفرج مستظرين ، وبالتجرّد لما بدت من عدو الله الجائر عامر ، والقيام بالدعاء إلى دفاعه وجهاده امتثالاً لأوامر الله الملك القادر ، ولكن منع من ذلك عدم المعين والناصر ، وحذلان من أهل الزمان المشؤوم القصر ، وميل من لناس إلى الأطماع الحقيرة ، وانخداع بزحارف الأباطيل الفاضحة المبيرة ، حتى

تمكن منهم هذا الظالم الغشوم، وأوقعهم من الحزني والوبال والهوان في أقصى التخوم، وشمل شره البرئ والغري، والصعيف والقوي، والشجي والخلي، وتبع بمعظم جيشه ومكره أهل بيت النبي، ولم يبق في سلطانه لأهل البيت باقية، ولا أجيب لهم بإجابة نافعة وأعية، حتى يدهم الظالم في البلاد، وفرق بين الآباء منهم والأولاد، ومات الأكثر منهم في تخوم اليمن مطرودين متبدين، يتمنى الولد أن يحضر موت أبيه، والوالد أن يشاهد أحوال بني، وفعله في آل المصطفى ما حرم الله في ملك البحرين، بل في سبي الكفار الخارجين عن الدين... ولقد همم - أخزاه الله - بقصد الحرمين، وإخراج من فيه من ولد الحسين...<sup>(٤٤)</sup>.

(٥) أراد الإمام المتوكل يحيى شرف الدين أن يستحث دواعي الفخر لدى المصاليك القدامين من مصر لعله ينح في تحويلها إلى رد إيجابي على استنجاه بهم، وذلك من خلال التذكير بسلطان مصر قانصوه الغوري، وما لمصر من ذكر معروف في سيرة أبي الأنبياء إبراهيم عليه السلام والنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم، فيقول: "... فرجعنا ... إلى الله سبحانه وتعالى، وسألناه تعجيل الفرج، وإطعام وجه المهج، على يد من هو أهل للحامد المبرورة، والمقاصد المشهورة، في حياة الدين والرعاية لحق رسول رب العالمين، وما ذاك إلا لسريته صالحة، وتجارة رابحة، من السلطان المحرم، والمستطيل الأعظم، قانصوه أطال الله بقاءه وتوفيقه، وأوضح إلى كل مقصود مبرور طريقه، ولقد رعا لسر الله العظيم في أهل البيت والنسب الكريم، الذي جعله الله في مصر لخليفة إبراهيم، وختم أنبيائه محمد عديهم وعلى آلهما أفضل انصلاة والتسليم، ونرجو أن الله تعالى قد وفقكم، أيها الغزاة الأعلام، لمشابهة من قال فيهم الملك العلام : " فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه، أذلة على المؤمنين، أعزة على الكافرين، يجاهدون في الله ولا يخافون لومة لائم، ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، والله واسع عليم...<sup>(٤٥)</sup> .

(٦) جعل محرر هذه الوثيقة الشاهد من هذه السفارة وبيت القصيد في هذه الوثيقة الاستجدائية صريحاً واضحاً، إذ هو طُلب المدد من الرجال والعدة لكي يستخلص الزيدية أرضهم من أيدي الدولة الظاهرية، ولم يترك المحرر الاحتمال قائماً في ألا يتضح المطلب الرئيس من السفارة والسفير، تقول الوثيقة: "... وهذا كتابنا يحتوي على التهنة السنية، بما فتح الله به من الفتوحات الهية، والحث لكم على استدراك هذه البقية، من عثرة نبهكم الظاهرة الزكية، وبذل المعاونة على استخلاص سائر البلاد من يد هذا الطاغية وأعوانه وأنصاره، وقد بقيت لنا بلاد محاورة لبلادنا ونحن نفتقر إلى الإعانة منكم، بما أمكن من الرجال والعدة، وما النصر إلا من عند الله العزيز الحكيم، والله خير الناصرين...<sup>(٤٦)</sup> .

## الملاحق

- الملحق الأول : النص الكامل لوثيقة السفارة الأولى التي بعثها الإمام المتوكل يحيى شرب الدين إلى السلطان الطاهري الظاهر الثاني عامر بن عبد الوهاب :

( يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَتَسْتَظِرُّ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لَكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ١٨١ ) وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ أُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ( ١٩١ ) سورة الحشر ) ، أما بعد : حمداً لله حق حمده ، وشهادة ألا إله إلا الله وحده لا شريك له ، شهادة خافت لوعيده ، راح لوعده ، والصلاة والسلام على سيدنا رسولنا وعبيده ، وعلى الناجين بنحوه ، والقاصدين بقصده ، فهذا كتاب بمن هو لجميع أمة محمد كالوالد الشفيق ، باعتبار النصيحة التي هي الدين ، بنص سيد المرسلين ، للخاص والعام والقريب والسعيد ، كيف يحى بقبوله للنصيحة صلاح عامة المسلمين ، وسداد كافة المؤمنين ، ودفع البلية عن أهل بيت الأمين ، وسكون واعتنتهم الحاصلة بما نالهم من التمحيص والتمحيص ، وحقق دمائهم ودما الناس أجمعين ، ( وَذَكَرَ قَبْلُ الذِّكْرِ تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ ) ( سورة الذاريات ) ، لا حرم من كان القصد الحس التصدير بهذا ( ص : ٢٢ ) البلاغ الأنور إلى ملك اليمن ، فأقول . ولست مركب نفسي . من العيوب ومقارفة الذنوب ، ولكن أفعال بالجهر المشهور ، والأثر الماثور ، مُرُوا بالمعروف وإن لم تعلموه كله ، واحتسبوا المنكر وإن لم تحتسبوه كله <sup>(١٨١)</sup> ، واعتصم بالله من أن تكون من الذين يأمرون الناس بالبر ويسبون أنفسهم ، وأسأله أن يكون لي حيث قصدي .

أيها الملك الذي تزيت له دنياه ، فظن أن رضى مولاه في فعله ما يطابق هواه ، وغره قول جهال أوليائه : إن الله أكرمهم بالقهر لأعدائه ، سلام عليك ، والله وسيلتي إليك ، في أن تتبع كلامي في كتابي هذا تتبع طالب للمرشاد ، مفرغ قلبه من الأحقاد ، منصف من نفسه ، ذاكر قرب حلول رسنه ، وحيداً لا مؤنس له ، ولا وَزَرَ ولا مهرب ولا مفر إلا ما اكتسب من صدق اليقين ، واستصحب تقوى الميقين ، ولا يصدك أنفة المتكبر عن تأمل ما أتى به مُذَكِّرُهُ ، فصيحة في تخشين ، خير من خديعة في لين ، إياك أن تتبع هواك فيضلك عن سبيل الله ، ( إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ يَوْمَ الْحِسَابِ ) ( سورة ص ) ، فإن دعاك من جلساتك عبيد هواهم إلى ما فيه بقاء التناذهم ... <sup>(١٨٢)</sup> في ( قُلْ لَا أَتَّبِعُ أَهْوَاءَكُمْ قَدْ ضَلَلْتُ إِذًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَشَدِّينَ ) ( سورة الأنعام ) ، وينقطع عن سبيل العلة قبل أن تسترعى للرحلة بموقف قول نحن إليه صانرون : ( إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا مَسَّهُمْ ضَلَالٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ ) ( سورة الأعراف ) ، وتفكر تفكر الدين إذا

علموا هم يعملون، وفي معنى تهديد (ذَرَهُمْ يَأْكُلُوا وَيَشْتَبِعُوا وَيُلْهِمُ الْأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ) (سورة الحجر)، (نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ بَلْ لَا يَشْعُرُونَ) (سورة المؤمنون)، واطفأ تأجج نار الكبر بقوله تعالى: (نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ بَلْ لَا يَشْعُرُونَ) (سورة البقرة)، ولا يفرك قول المجلس والخليل: إن الذي أنت عليه جميل مقبل، (يَا وَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا، لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا) (سورة الفرقان)، وقال - وهو أصدق القائلين - (الْأَجَلَاءُ يَوْمَئِذٍ بِغُضْفِهِمْ رَبِّضُ عَدُوٍّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ) (سورة الزخرف)، وهيهات أن يأتي أماناً من يخط في ذنبه خبط العشوى، ويضرب بأسباب الهوى إلى غير سبيل التقوى، (وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ، فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى) (سورة النازعات)، هذا وإننا لا نلتبس منكم اتباعنا، والانقياد لمجرد قولنا، بل ندعوكم إلى تأمل آيات القرآن المجيد، الذي (لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ) (سورة فصلت)؛ ولهذا اسكثرنا في رسالتنا من آيات القرآن للقطع بحفظه من الخلل والزيادة والقصان، ولم نستكثر من إبراد أحاديث الرسول صلى الله عليه وعلى أولاد فاطمة البتول وسلم؛ لقللة المتواتر منه والمنلقى بالقبول، واحتياج الأحاديث منه إلى معرفة الرجال العول، والمعروف منهم والمجهول، الذي لا يخط فيه إلا العلماء الفحول، قال الله تعالى: (تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنًا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ) (سورة آل عمران)، محتاج إلى معرفة حقيقة العبادة، ولا تُعرف حقائقها إلا بالنظر في أوامر الباري ونواهيه، ثم تتبع أحوالك وأحوال من تعاديه وتساويه، فما وافق الشرع اتبع، وما بعد عنه احتز من وامتنع، عملاً بما ندب إليه قول من بيده ملكوت كل شيء وإليه ترجعون: (خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ) (سورة الأعراف).

وإذا كنت من أهل التقليد، لمن لم يعرف حكم الشرائع المعيد، فإن عليك فوضاً واجباً، وحتماً لازماً، وهو التزام من تركن على فصله ووعده، وعدم طمعه في الدنيا ولهعه، أن يتلو عليك مصوص العلماء المتقدمين من الشافعية والحنفية والمالكية، إذ لم يكونوا ليميلون عن علما أهل البيت الطاهرين، ثم تنظر هل أنت في أفعالك وأقوالك أحق بالأمر أم ممن يتأهل لهذا الأمر من أهل البيت الجامع لشروط الزعامة، وأسباب الإمامة، التي هي كلها أمور دينية ومصالح كلية، وإن قلت: إنك لم تحارب من أهل البيت إلا من ظهر ظلمه وحار حكمه، فما سبيلك إلى من لم يظهر منه ذلك ولا سلك في مثل تلك المسالك، بل ما سلطانك على من دأبه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والتمتزه عن المعاصي في صفه والكبر، ولا يفعل فعلاً إلا وقد نظر في موقفه

للشرع الشريف، ومطابقته للدين الحنيف، ثم انظر في فعالك، هل أنت تحري فيها مطابقة ذلك؟ وانظر في أتباعك وأهل مذهبك في زمانك، هل معهم من الزهد والورع مثل أتباع حصومك حتى تأخذ لنفسك؟ فإن قلت: إني ما أحرمت العدل في أهل البيت إلا لقيمه مقام الجاهل، فهلا قمت مع العادل منهم على الجائر حتى يستقيم على الحق وينحط الساطل، ثم انظر إلى أعوانك الذين يتعلقون بالأمر ... " على مثل مال الذي أجزيتهم عليه، من فعل المنكر والجور، والفعل بما لم يطابق الشرح المظهر، فبجري لك في هذا أن قصد نفسك وقصد من معك ليس إلا رفعة الدنيا لا غير، وكثير من علماء مذهبك يقول: إنك غير جاز على شريعة الرسول .

هذه نبذة من أمور ظاهرة، يفهمها العالم وغير العالم، ولا تسأل في علماء مذهبك إلا من ليس يأخذه في الله لومة لائم، ويحاف عقاب ما أشدت إليه هذه الآيات التي قال الله فيها: ( وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَقَلًا قَلِيلًا فَيَتَّبِعُونَ مَا يَشْتَرُونَ ) (سورة آل عمران)، ( لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَقْتُلُونَ ) (سورة آل عمران)، ( يَا الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِنْ بَيْنَائِهِمْ أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ ) (سورة البقرة) ولا تقبل منهم من غير نظر منك لنفسك، واقتكار فيما ألقوه إليك من الإخبار، فقد قال صلى الله عليه وآله وسلم: استفت نفسك وإن افتاك المفتون<sup>١</sup> ، فإن محرة التقليد ليس طريقاً إلى السلامة، ولا سبيلاً إلى الأمان عند الندامة، في هذه الأمور القطعية، والعوائد الكلية، بل لا بد فيها من البيان حتى (ص: ٤٢) يسكن الخاطر والجنان، وإلى هذا المعنى أشار الملك الرحمن: ( اتَّخَذُوا أَخْبَارَهُمْ وَهَبَائِهِمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ ) (سورة التوبة)، قال ابن عباس: ما عبدوهم، بل قالوا لاتبعوهم من غير برهان، وقال الله تعالى حاكياً عن المقلدين: ( إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَمَا كُنَّا مُتَّبَعِينَ أَنْتُمْ كُنْتُمْ أَعْيُنًا نَنظُرُ مِنْ النَّارِ ) (سورة غافر)، ( وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا وَكُنَّا أَتَيْنَا فَأَصَلُّوا لِنَسِيبَ ) (سورة الأعراب)، وذم المقلدين حيث قال: ( قَالُوا حَسْبَتْ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أُولُوا كَانْ أَبَاؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ ) (سورة المائدة)، وقال صلى الله عليه وآله وسلم: من أخذ دينه عن أفواه الرجال ذهب به الرجال من بين إلى شمال، وكان في دين الله على أعظم رول<sup>٢</sup> ...<sup>٣</sup> .

وليت شعري هل بقي عند علماء مذهبك شرع الإمام كما هو نص الشافعي وغيره من العلماء الأعلام، فإن كان ذلك عدكم باقياً فهل تعتقد في نفسك أنك إمام المسلمين؟ فإن قلت: لا، فما طريقك إلي فعل أفعال الأئمة؟ وما سلطانك على من توليت عليهم من هذه الأمة؟ وكيف حالك

عند خالفك؟ وإن قلت : نعم، قلت لهم: هَلْ لَهَا شروط معتبرة، وقواعد محررة، فلا بد أن يقولوا: نعم، فنظر هل قد أدركت شروطها وحقاتها؟ واستكملت أسبابها وطرائقها؟ فلا شك أن الإمام خليفة النبي صلى الله عليه وآله وسلم، ومنها هذا، وتعلم أنك في هذا الزمان قد جردت لعداوة أولاد نبيك صلى الله عليه وآله وسلم وتفريقهم، وتبديدهم في البلدان، وقد جرى عليهم منك هذا التمهيص، وما خرجوا من الشام إلى اليمن إلا من مثل هذا البلاء والتفصيص، وليس عليهم في هذا حرج عند الله وعند من يعرف ويعقل سنن الأنبياء والصالحين، وإغا الحرج والمصيبة في الدين والدنيا على من تصدى لمناواتهم، وتعنى بمعاداتهم، ونظر الذين فعلوا مثل فعلك ممن قد تمكّن أكثر من تمكّنك من الأموية والعباسية وغيرهم من الملوك، هل كان لهم بذلك في دينهم ودنياهم أثر صالح؟ أم قد أهلكوا أنفسهم، وبطل أمرهم واضمحل، إلا بكل سوء ذكرهم، ولم يعرف لأحد منهم باقية، وكل لسان عليهم بالذم ناعية، وأولاد علي عليه السلام لا يزال يتجدد أمرهم، ولا يبلى على وجه الأرض ذكرهم، وذلك مصداق قول حدهم صلى الله عليه وآله وسلم: **إنّي تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا من بعدي أبدًا: كتب الله وعترتي أهل بيتي**، إن اللطيف الخبير نبيّني أئمتهم لن يفترقا حتى يردا عليّ **الحوض** \*، **قالت له في نفسه، حذر أن يكون خصمك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في تفريقك أولاد بيته في البلاد، وقصدت لهم بالهلاك والفساد، فإن قلت: إنك لم تقصد إلا من كان منهم ظالمًا لنفسه، وعبر عامل لحلول رمسه، فلا ننكر أن منهم من قد كان كذلك، ولو لم يكن منهم ذلك ما وقعوا في المهالك، لكن مالك لا تعين الصالح منهم على الطالح حتى يكون من أهل النظر في المصالح، بل صرت تجعل همك في نكايه أفضلهم وخيارهم، وتقصد بالسوء علماءهم**.

هذا ونحن ندعوك إلى أمور: إما إخلاصك إلى صاحب الإمامة، [ص: ٥٢] من أهل الرئاسة بالحق والزعامة، من أولاد بنت نبيك المختار صلى الله عليه وسلم وعلى آله الأخيار، وعملك على رأيه في الإيراد والإصدار، حتى تكون من جملة أتباعه وأعوانه وأنصاره، فتفوز بخير الدنيا والآخرة، وتظفر بالسعادة الثابتة، ولا أراك لهذا فاعلاً، والأمر الثاني: أن تعين صاحب هذا الأمر من أولاد بنت نبيك بشئ من المال والبلاد، تقرب بذلك إلى رب العباد، وتقتصر على ما قد صار في يدك من الممالك، ولا تضيق على أولاد بنت نبيك المسالك، وتجمع شملهم في أوطاهم، وتقرب إلى الله باجتماعهم في أعطائهم<sup>(٥٥)</sup>، والذي تخافه في اجتماعهم لا يضرّك مع علم الله بقاء ملكتك، ولا ينفعك حذرّك مع علم الله زوالها، **(وَأَنْ يَمْسُكَ اللَّهُ بِضُرِّ قَلْبِكَ شَيْفَ لَهْ إِلَّا هُوَ وَإِنْ بَرَدَكَ**

يُخَيِّرُ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ ) (سورة يونس)، مع أن الموت قريب عاجل، والزوال من الدنيا - وإن مُلِكْتَ كلها - لا يشك فيه عاقل، فليست الدنيا تسوى هذا الاحتفال، ولا تقابل بهذا الالتفات إليها والإقبال، ولو كانت الدنيا عند الله تسوى جناح بعوضة ما سقى فيها كافر شرية ما<sup>(١٦)</sup>، فلا تعتبر بما ملكت فيها من الملك الزائل، والمال الطافل، فقد تَلَذَّه كافرون في كثير من الأرض، ذات الطول والعرض، وكأنني بمن عندك من أهل مذهبنـا- بل من بعض قرابتنا - يقول: لقد فعلت هذا الوجه بمن هو عنده، وذلك قول غير صحيح، صادر من غير نصيح، فإنه يعلم - وأنت تعلم - أنك غير فاعل لذلك، لأحد من أهل الممالك، ولعلك تعلم - ونحن نعلم - مما نعمنا على المشار إليه، عدم صلاحه لما عُوِّلَ فيه عليه، وهذا الوجه قد جعله الشيخ علي بن طاهر لحي والدنا الإمام المظهر بن محمد عليه السلام، فإنه أعانته على أخذ ذمار، واستصفى ما حولها من الأقطار، وكان عوناً له على أمره، حتى قيل أنه أخذ منه ولاية فيما يقدم فيه ويحجم، ويقطع ويجزم، فإن صح ذلك فهو إذاً من الموقَّفين، السعداء في الدنيا والدين، ولعل أسرار زيارته الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وروايته التي تُذكر قد أدركته حتى فاز بجزيل الثواب، ونجى من وبيل العذاب .

وإن لم يحصل منك لا هذا ولا هذا، فأمر ثالث، وهو المهادنة لمن بقي من الزيدية في هذه البلاد الحقيرة، والقرى البسيرة، فإنها لا تزيد في ملكك إن علم الله بقاء، ولا تمنع من هلاكك إن أراد الله انتفاء، وقد صرت في أمهات بلاد اليمن، والله أعلم ما يكون في حرب من بقي، هل لك أم عليك، ( كَمْ مِنْ فِتْنَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِتْنَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ) (سورة يونس) .

وقد عجبنا من قصدك لنا بالعداوة من غير أن تعرفوا ما عندنا، ولا تتيقنوا قصدنا، وما تنقمون منا إلا أن قضا بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والآن ما قد جرى بيننا وبينكم ما يحرر الصدور، وقد طلبنا منكم أخذ هذه الأمور، والصلاح فيها لكم ولسائر الجمهور، هذا ولا بد أن يكون من عندكم من الناس في رسالتنا هذه على أنصاف:

- منهم من يقول: هذا رجل مغفل يطلب ما لا يتقدر، ويحاول ما لا يتصور .
- ومنهم من يقول: هذا يجزُّ العرض إلى [ص: ٦٢] نفسه .
- ومنهم من يقول غير ذلك .

فعليك أن تنتظر في القول لا في الثقل، فقد قال سبحانه في حق سيد البشر حين جرى في حقه مثل هذه الأقوال من كان في زمنه: (وَإِنْ يَكُ صَادِقًا يُصِيبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ ) (سورة غافر)، (وَإِنْ يَكُ صَادِقًا يُصِيبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ ) (سورة محمد) .

واعلم - هداك الله - أنه إذا حصل جمع شمل أمة محمد صلى الله عليه وآله وسلم على يدك كنت أسعد الملوك والسلاطين، وأرفع مشايخ الأولين والآخرين، فتعلم أن زيد بن علي وأبا حنيفة والشافعي ومالكاً رضي الله عنهم أجمعين على شريعة واحدة، وطريقة غير متباعدة، وقد كان من تلامذة زيد بن علي عليه السلام أبو حنيفة، ونال بسبب موالاته الإمام يحيى بن عبدالله ما هو معروف في السير، وكذلك نال الشافعي رحمه الله بسبب موالات الإمام يحيى بن عبدالله إلى حد الضرب بالسياط، فلا تظن أن بين المذهب الزيدي وبين مذاهب الفقهاء الأقدمين عداوة، وكلا منهم بصوب الآخر في اجتهاده، ولا يخطئه في مذهبه واعتقاده، وإنا فرق بينهم علماء السوء المتأخرون.

ولنختم كتابنا هذا بما ختم الله كتابه الكريم، حيث قال: ( وَأَتَقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ) (سورة البقرة)، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم<sup>(١٧)</sup>.

- الملحق الثاني : النص الكامل لوثيقة السفارة الثانية التي بعثها الإمام المتوكل يحيى شرف الدين مستنهداً بالأمير المملوكي حسين الكردي قائد الحملة المملوكية إلى الهند :

« بسم الله الرحمن الرحيم، نعمة سبقت وشمكت، ومنحة تمت وكملت، بلغت من لدن حكيم خبير، على أهل بيت نبيه البشير النذير، أجراه على يد ملك السيف الأمير، الهمام الخطير، أمير الأمراء الإسلامية، مفرج كرب العترة الطاهرة الزكية، الساقم بشأراً الحسين من الفرقة الغوية، الظالمة العامرية، المتخلي من أجل ذلك بكل زين، المتخلي عن كل شين، الوافي بحق سيد الشهداء الحسين، الأمير الجليل النبيل حسين، حياه الله من السلام بأسنائه، ومن الإكرام بأزكاه وأهنه، والله المسؤول أن يوقفنا وإياه لإصاهة مراده، وهداية عباد، وإجراء أحكام شريعته الطاهرة في بلاده، وتطهيرها من آثار الجائر وتنويرها من ظلمات جرأته وعناده، وبعد : فإني كتاباً هذا لتعريف خاطر الأمير، وفقه الملك القدير، بأننا لم نزل إلى الله مهتلين، ولما لديه من الفرج منتظرين، وبالتجربة لما بدت من عدو الله الجائر عامر، والقيام بالدعاء إلى دفاعه وجهاده امتثالاً لأوامر الله الملك القادر، ولكن مع من ذلك عدم المعين والناصر، وخذلان من أهل الزمان المشؤم القاصر، وصيل من الناس إلى الأطماع الحقيرة، وانخداع بزحارف الأباطيل الفاضحة المبيرة، حتى تمكن منهم هذا الظالم الغشوم، وأوقعهم من الخزي والويل والهوان في أقصى التحوم، وشمل شره البرئ

والغوي، والضعيف والقوي، والشجي والخلي، وتتبع معظم جيشه ومكره أهل بيت النبي، ولم يبق في سلطانه لأهل البيت باقية، ولا أجيب لهم بإجابة نافعة واعية، حتى يدهم الظالم في البلاد، وفرق بين الآباء منهم والأولاد، ومات الأكثر منهم في تخوم اليمن مطرودين متبدين، يتعنى الولد أن يحضر موت أبيه، والوالد أن يشاهد أحوال بنيهِ، وفعله في آل المصطفى ما حرم الله في ملكِ اليمين، بل في سبي الكفار الخارجين عن الدين، وأعانته على ذلك رجل منا أهل البيت، ادعى ما ليس له بحق، فأكر عليه الإمام الوشلي، فلم يزل صاحبنا يعضد هذا الطاغية، وينصر فرقته الباغية، حتى تمكن من الإمام الوشلي، محمد بن علي، ولم يعذرنا أهل زماننا عن القيام في مقامه الجلي، ولقد هم - أخواه الله - بقصد الحرمين، وإخراج من فيه من ولد الحسين، فرجعا - مع بذل ما بقي معنا من جهد في دفاع مجهود المذاكرة له كثير من الحدود - إلى الله سبحانه وتعالى، وسألناه تعجيل الفرج، وإطفاء هيج المهج، على يد من هو أهل للمحامد المبرورة، والمقاصد المشهورة، في حياطة الدين والرعاية لحق رسول رب العالمين، وما ذاك إلا لسرية صالحة، ومحارة رابحة، من السلطان الأكرم، والمستطيل الأعظم، قد صوره أطال الله بقاءه وتوفيقه، وأوضح إلى كل مقصود مرور طريقه، ولقد رعا لسر الله العظيم في أهل البيت والنسب الكريم، الذي جعله الله في مصر لحنبلة إبراهيم، وحاتم أنبيائه محمد عليهما وعلى آلهما أفضل الصلاة والتسليم، ونرجو أن الله تعالى قد وفقكم، أيها الغزاة الأعلام، لمشابهة من قال فيهم المملك العلام: ( فَسَوَّكَ يَأْتِي اللَّهُ يَقُومُ يُجِبُّهُمْ وَيُجِيبُونَهُ أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ) (سورة البقرة).

وقد رجحنا إرسال هذه الرسالة بيد صاحبنا الفقيه العالم العامل صلاح الدين، بقية المجاهدين صلاح بن سراج الله، كتب الله هدايته، وأحسن رعايته، وهذا كتابها يحتوي على التهنئة السنية، بما فتح الله به من الفتوحات الهنية، والحث لكم على استدراك هذه البقية، من عترة نبيكم الظاهرة الزكية، وبذل المعاونة على استخلاص سائر البلاد من يد هذا الطاغى وأعوانه وأنصاره، وقد بقيت لنا بلاد مجاورة لبلاد، ونحن نعتقر إلى الإعانة منكم، بما أمكن من الرجال والعدة، وما النصر إلا من عند الله العزيز الحكيم، والله خير الناصرين، والفقيه الصالح صلاح يحق لكم ما لا يتسع له الكتاب، ولا يقوم به إلا المشافهة والمحطاب، وصلاة الله على سيدنا محمد وآله وسلم « (١٥٨) ».

## الهوامش

- ١- أديب آل الإمام المتوكل يحيى شرف الدين في عصره، ومؤرخ أخبارهم، توكّياتي المولد والنشأة، أحد عن مشاهير علماء اليمن في زمنه، وكانت له مطارحات ومناقشات ومساجلات مع عدد من علماء وأدباء اليمن، وأشهرهم إبراهيم بن الإمام الشهير محمد بن إسماعيل الأمير الصنعاني، وقد ترك ديواني شعر، أحدهما عامي والآخر بالفصحى، كما اشتهر كتابه المشار إليه (المراهب السنية)، انظر زيارة: محمد بن محمد بن يحيى (ت ١٢٨٠هـ / ١٩٦٠م)، نيل الوطر من تراجم رجال اليمن في القرن الثالث عشر، مركز الدراسات والبحوث اليمنية، صنعاء، ودار العودة، بيروت، (د، ت)، ج ١ ص ٣٢٩ - ٣٣٩، الوجه عبدالسلام عباس، أعلام المؤلفين الزيدية، مؤسسة الإمام زيد بن علي الثقافية، عُمان، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م، ص ٣٢٢، ٣٢٣.
- ٢- قامت هذه الدولة سنة (٨٥٨هـ / ١٤٥٤م)، وحكمها الملكان الأخوان الظاهر الأول عامر بن طاهر والمجاهد علي بن طاهر مدة ٢٥ سنة، ثم حكمها الملك المنصور عبدالوهاب بن داود مدة ١١ عاماً، وامتدت فترة حكم الملك الظاهر الثاني عامر بن عبدالوهاب إلى حوالي ٢٩ عاماً، وبقي الأمراء الظاهريون في نزاع دائم حتى انتهى أمرهم بعد وفاة الملك لظاهر الثاني عامر بعشرين سنة تقريباً، أي أن ظهورها استمر حوالي ٨٥ عاماً، فتكون مدة حكم الملك الظاهر عامر ثلث المدة تماماً، بل تزيد قليلاً.
- ٣- للاطلاع على جهود هذا السلطان وإنجازاته العمرانية والعسكرية والعلمية ينظر المدخلي، د. محمد ربيع هادي عمير، الأحوال السياسية والمظاهر الحصارية في عصر السلطان عامر بن عبدالوهاب الظاهري، رسالة ماجستير، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة أم القرى، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٥م.
- ٤- ابن الديبع، أبو الضياء عبدالرحمن بن علي (ت ٩٤٤هـ / ١٥٣٧م)، قرة العيون بأخبار اليمن الميمون، تحقيق محمد علي الأكرع، الطبعة الثانية، ١٤٠٩هـ / ١٩٨٨م، (د، ن)، ص ٤٣١ - ٤٤٦، بغية المستفيد في أخبار مدينة زيد، تحقيق عبدالله محمد الحشني، مركز الدراسات والبحوث اليمنية، صنعاء، ١٩٧٩م، ص ١٨٥-١٩٨، الفضل المزيد على بغية المستفيد في أخبار مدينة زيد، تحقيق د يوسف شلحد، مركز الدراسات والبحوث اليمني، صنعاء، دار العودة، بيروت، ١٩٨٣م، ص ٢٤١-٢٥٧، الكندي، تاريخ حضرموت السياسي [العدة المفيدة الجامعة لتواريخ قديمة وحديثة]، تحقيق عبدالله الحشني، مكتبة الإرشاد، صنعاء، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م، ج ١ ص ١٥٤، محمد ربيع المدخلي، الأحوال السياسية والمظاهر الحصارية، ص ٧٦ - ٨٨.
- ٥- يحيى بن الحسين، غاية الأماني في أخبار القطر اليماني، تحقيق د سعيد عبدالفتاح عاشور دار الكاتب العربي للطباعة والنشر، القاهرة، ١٣٨٨هـ / ١٩٦٨م، ص ٦١٨ - ٦٢٥، الكبسي، محمد بن إسماعيل (ت ١٣٠٨هـ / ١٨٩٠م)، اللطائف السنية في أخبار الممالك اليمنية، مطبعة السعادة، القاهرة، ١٩٨٤م، ص ١٢٦، ١٢٧، أحمد، د. محمد عبدالعال، بنو رسول وبو طاهر وعلاقات اليمن الخارجية في عهدهما، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٠م، ص ٣٢٣، ٣٢٤، زيارة، محمد بن محمد بن يحيى

(ت ١٣٨٠هـ / ١٩٦٠م)، أئمة اليمن، مطبعة النصر الناصرية، تعز، ١٩٥٢م، ص ٣٦٠، ابن الديبع، قرّة العيون، ص ٤٤٢، ٤٤٥، الفضل المزيد، ص ٢٣٤ - ٢٤٧ .

٦- يافع اسم لقبيلة جُثَيْرِيَّة كبيرة، وأطلق اسمها على المنطقة التي يسكنها أفرادها، وتقع منازلها بين الضالع وتُحج، وهي أرض جبلية صخرية شديدة الوعورة، ترتفع عن مستوى سطح البحر بحوالي ٢٢٠٠ قدم، ويبلغ ارتفاع بعض جبالها إلى ٢٥٠٠ قدم، وهي أعلى المناطق في المحافظات الجنوبية من اليمن وأكثرها ارتفاعاً، ويقدّر ما أسهمت هذه الطبيعة الصعبة جداً في عزلة أهلها أسهمت أيضاً في إكسابهم قدراً عالياً من الشجاعة والإقدام، وجعلتهم مغرمين بالسفر والهجرة إلى سواج يمنية مجاورة أو أقطار أخرى، بامخرمة، الطيب بن عبدالله بن أحمد (ت ٩٤٧هـ / ١٥٤٠م)، السيرة إلى المواضع والبلدان، نسخة مصورة عن مخطوطة مكتبة المصمودية بالمدينة المنورة، تحت رقم (٢٥٦٩)، ق ٤٠٢، الحجري، محمد بن أحمد (ت ١٣٨٠هـ / ١٩٦٠م)، مجموع بلدان اليمن وقبائلها، تحقيق إسماعيل الأكرع، مكتبة الإرشاد، الطبعة الثالثة، ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٤م، ج ٤ ص ٧٧٣، ٧٧٤، المتحف، إبراهيم بن أحمد، معجم البلدان والقبائل اليمنية، دار الكلمة، صنعاء، المؤسسة الجامعية للدراسات، بيروت، الطبعة الرابعة، ١٤٢٢هـ / ٢٠٠٢م، ج ٢ ص ١٨٩٤ - ١٨٩٦ .

٧- يتّبعن حقلٌ أثيري واسعٌ في قِيع فسحٍ يمتد باستطالة ابتداءً من سفوح الجبال الواقعة شمال مدينة البيضاء، إلى أطراف وادئ السبعين لحي تعد أحد أكثر أقسام صحراء لُريح الحالي، ويتّبعان أحد منازل قبيلة مُراد المُذَجِجِيَّة الشهيرة، التي ينتمي إليها قُتل الإمام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه الخارجي الشهير عبد الرحمن بن مدحمر مرادي، وأرض يتّبعن زراعية خصبة، غنية بالمياه المنحدرة إليها من جبال البيضاء، ومياهها الجوفية متوافرة على أعصاب قربة، لذلك تكثر فيها مزارعات الحبوب وبعض الفواكه والخضروات، وتكثر فيها المناحل، ويتّبعان تقع على أطلال مدينة قُبع الأثرية القديمة، التي كانت عاصمة لدولة قُتبان البسية في فترة ما قبل الميلاد، وهي تشكل واحدة من مديريات محافظة سُبوَّة المتاخمة لصحراء الربع الحالي، بامخرمة، المصدر السابق، ق ٧٥، الحجري، المصدر السابق، ج ١ ص ١٣٢، ١٣٣، المتحف، المصدر السابق، ج ١ ص ٢٠٨، ٢٠٩ .

٨- تناولت المصادر والمراجع الأتية أخبار هذا الإمام، ابن داعر، صلاح بن داعر المرهبي (ت في القرن العاشر الهجري)، سيرة الإمام يحيى شرف الدين، صورة عن نسخة مخطوطة بمكتبة زيد الحموي، صنعاء، ق ٤ وما بعده، زيارة، أئمة اليمن، ص ٣٦٩ وما بعده، تقديف المهتدين بذكر الأئمة المجتدين، مطبعة المقام الشريف، صنعاء، ١٣٤٣هـ / ١٩٢٤م، ص ٧٤، خلاصة المتنون في أنباء ونيلاء اليس الميمون، تحقيق أحمد محمد ربرة، مركز التراث والبحوث اليمني، ساري، بريطانيا، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م، ج ٣ ص ٥٥ وما بعده، شرف الدين، الحسن بن عبد الرحمن بن أحمد شرف الدين (ت ١٢٦٥هـ / ١٨٤٨م)، المواهب لسيرة محمد بن به الله تعالى من العواكف الجنية من أعصاب اشجرة المتوكيلة، مخطوط، صورة عن نسخة إبراهيم عبد الكريم شرف الدين، كوكبان، ص ١٦ وما بعده، شرف الدين، محمد بن إبراهيم بن الفضل بن إبراهيم (ت ١٠٨٥هـ / ١٦٧٤م)، السموت لذهبية في خلاصة لسيرة المتوكيلة، (د، ت، ر

١. ص ١ وما بعدها، المؤيد، داود بن الهادي بن أحمد (ت ١٠٣٥هـ/١٦٢٥م). ذيل البسامة، (مطبوع بكتاب مآثر الأبرار) تحقيق عبدالسلام الوجيه وآخر، مؤسسة الإمام زيد بن علي الثقافية، غفان، الطبعة الأولى، ٢٠٠٢م، ص ١٣٩٠، يحيى بن الحسين، غاية الأمان، ص ٦٣٥ وما بعدها.

٩- حمل الاسمين معاً - يحيى وشرف الدين، أي أن شرف الدين ليس لقباً له، وقد اشتهر باسمه شرف الدين أكثر من شهرته باسم يحيى، انظر مصادر سيرته .

١٠- هو الإمام الناصر الحسن بن عز الدين بن الحسن (ت ٩٢٩هـ/١٥٢٣م)، أعلن دعوته وإمامته فور وفاة أبيه، وبعث رسائله إلى كثير من الجهات، وقبِلَ أمير صعدة محمد بن الحسين الحمزي البهال إمامته، وأقام الدعوة له على منابرهما بالرغم من أنه كان معارضاً لأبيه، ورفض إمامته عدد من كبار أهل بيته، وقد وقعت المظاهرة بينه وبين معارضة الإمام المنصور بالله محمد بن علي الوثلي السراجي في السود حول مسوغات الخروج والتعارض، ولم يُستلم أحد منهما لصاحبه، ولم يذكر في عهد الإمام الناصر بعد ذلك ما يشتهر سوى تحالفه مع الشريف محمد بن عبدالله الشوبع - أحد أشراف المنطقة الشمالية الشرقية لليمن - ضد الإمام المتوكل يحيى شرف الدين سنة (٩٢٤هـ/١٥١٨م)، انظر زيارة، أئمة اليمن، ص ٣٥٧، انحاء المهتدين، ص ٧٣، خلاصة المتون، ج ٣ ص ٤٢، الكبسي، اللطائف السنية، ص ١١٧، المؤيد، ذيل البسامة، ص ١٣٧٤ وما بعدها، يحيى بن الحسين، غاية الأمان، ص ٦٢١ وما بعدها .

١١- أحد أشهر معاقل العلم والحضون المشهيرة في تاريخ اليمن، به كهوب عديدة وعميقة، يقع في قمة جبل إلى الشمال من مدينة حجة، ويبعد عنها بمسافة ١٥ كيلومتراً تقريباً، وتنتشر على جوانبه الكثير من المدرجات الزراعية، وهو اليوم مركز إداري من مديرية متبن محافظة حجة، الخجري، مجموع بلدان اليمن وقبائلها، ج ٣ ص ٥٦٧، الملقحي، معجم البلدان والقبائل اليمنية، ج ١ ص ٩٧٥، ٩٧٦ .

١٢- زيارة، أئمة اليمن، ص ٣٧٢، خلاصة المتون، ج ٣ ص ٥٨، شرف الدين، المواهب السنية، ص ١٧، شرف الدين، السلوك الذهبية، ص ١٩، ٢١، يحيى بن الحسين، غاية الأمان، ص ٦٣٥.

١٣- شرف الدين، المواهب السنية، ص ٢٦- ٢٨، شرف الدين، السلوك الذهبية، ص ٢٥ - ٢٩، يحيى بن الحسين، غاية الأمان، ص ٦٤٢، خطاب، عبدالعظيم، قنصوه الغوري ونهاية الدولة المملوكية، رسالة دكتوراه، كلية الآداب، جامعة عين شمس، ١٩٧٣م، ص ٢٠٩ .

١٤- زيارة، خلاصة المتون، ج ٣ ص ٧٦، شرف الدين، المواهب السنية، ص ٣١، أئمة اليمن، ص ٣٨٨ .

١٥- الفرقة الأخرى هي الشيعة الإمامية، وكل فرق الشيعة - وإن كُثُرَتْ - ما هي إلا من فروع هاتين الفرقتين الرئيسيتين (الرديدة والإمامية)، الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (ت ٢٥٥هـ/٨٦٩م)، رسائل الجاحظ، تحقيق عبدالسلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٣٨٤هـ/١٩٦٤م، ج ٤ ص ٢١١، الأشعري، أبو الحسن علي بن إسماعيل (ت ٣٣٠هـ/٩٤١م)، مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد، دار النهضة المصرية، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٣٨٩هـ/١٩٦٩م،

ج ١ ص ٨٨، البغدادي، عبدالقاهر بن طاهر (ت ٤٢٩هـ/ ٣٧٠م)، الفرق بين الفرق، دار الأفاق الجديدة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٣٩٣هـ/ ١٩٧٣م، ص ٣٨.

١٦- هو الإمام للنصور بالله محمد بن علي بن محمد بن أحمد الوُثلي السراهي الحنسلي (ت ٩١٠هـ/ ١٥٠٤م)، أحد أعلام الزيدية، علمياً وسياسياً وعسكرياً، كان معروفاً بالفضل وسعة العلم والشجاعة والإقدام، لهذا كان رأس حرية الزيدية في صراعها المرير مع الدولة الطاهرية على عهد السلطان الظاهر الثاني عامر بن عبدالوهاب قبل تحكمه من اكتساح مناطق نفوذ الزيدية، وكان الإمام المنصور محمد الوثلي يستخدم مهارته العالية في البلاغة وجودة نظم الشعر في تحريض جموع الزيدية وأئمتها المتصارعين على مصعب الإمامة ليقوموا بمواجهة خطر الظاهريين الناهض، وقد وقع في أسر السلطان الظاهري الظاهر الثاني فألقاه في السجن حتى توفي فيه سنة (٩١٠هـ/ ١٥٠٤م)، الرجف، محمد بن عني بن يونس (ت ٩١٦هـ/ ١٥١٠م)، مآثر الأبرار في تفصيل مجملات جواهر الأخبار، تحقيق عبدالسلام الوجيه، مؤسسة الإمام زيد بن علي الثقافية، عُنْد، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م، ج ٣ ص ١٢٦٩، زيارة، أئمة اليمن، ص ٣٥٨-٣٦٦، الوجيه، أعلام المؤلفين الزيدية، ص ٩٦٩.

١٧- المقصود بالعمل والظلم في هذا البيت - في تقديري - ليس المدلول البدعي لهاتين اللفظتين الذي يتبادر إلى ذهن القارئ، بل فيه تصنيف لاصطلاح عقائدي، فالقائل به يشير إلى العقيدة الزيدية الاعتزالية، الشهيرة بـ (عقيدة العدل والتوحيد)، والظلم يُشَدَّر إليه فيه بضمح إلى وصف الزيدية للعقيدة الجبرية التي اتهموا بها أهل السنة في الجَنِّ.

١٨- إسماعيل بن محمد، سبط الذَّكَل في شعر الآن، مخطوط مصور على ميكروفيلم بمعهد المحفوظات العربية، القاهرة، تحت رقم (١٨٤١ أدب)، ص ٣٣٢.

١٩- ذلك أن الزيدية - كميرهم من القائلين بالعقيدة الاعتزالية - يقولون بأن الإنسان يخلق أفعاله بنفسه، ومن لا يقول بقلوبهم - في نظرهم - فهو يصيب كل فعل إلى الله سبحانه وتعالى.

٢٠- المصدر السابق، ص ٣٢٩.

٢١- المصدر السابق، ص ٣٣٥.

٢٢- البرهقي، عبدالوهاب بن عبدالرحمن السكسكي (ت ٩٠٤هـ/ ١٤٩٨م)، طبقات صلحاء اليمن، تحقيق عبدالله محمد الحبشي، مكتبة الإرشاد، صنعاء، لطبعة الثانية، ١٩٩٤م، ص ١١٣.

٢٣- شرف الدين، المواهب السنية، ص ٢٣.

٢٤- المصدر السابق، ص ٢٤.

٢٥- المصدر السابق، ص ٢٩.

٢٧- الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير (ت ٢٢٩هـ/٩٢٢م)، تاريخ الأمم والملوك، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٩٧٦م، ج ٧ ص ٥٥٢، الأصفهاني، أبو الفرج علي بن الحسن بن أحمد (ت ٣٥٦هـ/٩٦٧م)، مقاتل الطالبين، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، ١٣٨٩هـ/١٩٦٩م، ص ٢٢٢-٣١٥ .

٢٨- الطبري، المصدر السابق، ج ٨ ص ٢٣٥، الأصفهاني، المصدر السابق، ص ٤٦٥-٤٧٠، ابن الطقطقي، محمد بن علي بن طباطبا (ت ٧٠٩هـ/١٣٠٩م)، الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية، مكتبة صبيح، القاهرة، ١٣٨١هـ/١٩٦٢م، ص ١٥٦، ١٥٧ .

٢٩- شرف الدين، المواهب السنية، ص ٢٦ .

٣٠- السلطان، محمد حميد، العزو البرتغالي للجنوب العربي والخليج في الفترة من ١٥٠٧ - ١٥٢٥م، مركز زايد للتراث والتاريخ، العين، ٢٠٠٤م، ص ٢٨١ .

٣١- ابن الديبع، بغية المستعبد، ص ٣٠٤، ٣٠٥، خطاب، قانصوه الغوري ونهاية الدولة المملوكية، ص ٢٠٤ .

٣٢- السلطان، الغزو البرتغالي للجنوب العربي والخليج، ص ٢٨٢، سليم، محمود رزق، الأشراف قانصوه الغوري، دار المصرية للتأليف والترجمة، (د، ت)، ص ٩١٨ .

٣٣- شرف الدين، المواهب السنية، ص ٢٦- ٢٨، شرف الدين، السلوك الذهبية، ص ٢٥ - ٢٩، يحيى بن الحسين، غاية الأمانى، ص ٦٤٢، خطاب، قانصوه الغوري ونهاية الدولة المملوكية، ص ٢٠٩ .

٣٤- يبدو أن البطانة السيئة كان لها الدور الكبير في إبعاد صدر السلطان الظاهر الثاني عامر بن عبد الوهاب الطاهري على الحملة التي بلغت أواخرها عندما وصلت إلى جازان، فقد أرسل أميرها -حسين الكردي- رسلاً منه إليه يخبره بطورخ الحملة حازان، وأن وجهتها الهند بغرض جهاد البرتغاليين، ويستحثه إلى بحث معورته المالية والعينية، انظر شهاب، محمد صالح، أضواء على تاريخ اليمن البحري، دار الدارابي، بيروت، لجنة نشر الكتاب اليمني، عدن، ١٩٧٧م، ١٤٧، شرف الدين، أحمد حسين، اليمن عبر التاريخ، مطابع الفرزدق، الرياض، الطبعة الخامسة، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م، الطبعة الخامسة، ص ٢٣٣، ٢٣٤، ويحكى المؤرخ بافقيه، محمد بن عمر الطيب، تاريخ الشجر وأخبار القرن العاشر، تحقيق عبدالله محمد الحبشي، مكتبة الإرشاد، صنعاء، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ/١٩٩٩م، ص ١٠٦: أن السلطان انتزع للخبر وأعرض عن الجواب، وإذا أخذنا بهذه المعلومة فإنها ستكون التفسير القوي لإرجاء الأمير حسين الكردي الرد على الإمام شرف الدين، وكأنه لم يكن قد استوثق بعد من موقف البلاط الطاهري من حملته .

- ٣٥- سالم، د. سيد مصطفى، الفتح العثماني الأول لليمن، معهد البحوث والدراسات العربية وجامعة صنعاء، الطبعة الثالثة، ١٩٧٧م، ص ٩٩ .
- ٣٦- ابن الديبع، قرة العيون، ص ٤٦٠، الفضل المزبد، ص ٣٥٨، باقيقه، تاريخ الشعر وأخبار القرن العاشر، ص ١٠٦، ١٠٧، يحيى بن الحسين، غاية الأمانى، ص ٦٤٢، ٦٤٣، خطاب، قانصوه الغوري ونهاية النولة الملوكية، ص ٢٠٥، ٢٠٦ .
- ٣٧- باقيقه، المصدر السابق، ص ١١٤، يحيى بن الحسين، المصدر السابق، ص ٦٤٤، ٦٤٥، ابن الديبع، المصدر السابق، ص ٤٦٤، ٤٦٥، الفضل المزبد، ص ٣٦١ .
- ٣٨- المصدر السابق، ص ٣٦١، ابن الديبع، قرة العيون، ص ٤٦٤، الهروالي، محمد بن أحمد (ت. ١٥٨٢/١٩٩٠م)، البرق اليمني في الفتح العثماني، منشورات المدينة، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٧هـ/١٩٨٦م، ص ٢١ .
- ٣٩- تصغير تربة، قرية كبيرة إلى الجنوب الشرقي من مدينة زيد. وليست بعيدة عنها، وهي اليوم إحدى مراكز مديرية زيد الإدارية محافظة لحديدة، المقهى، معجم البلدان والفجائل اليمنية، ج ١، ٢٢٧، ٢٢٨ .
- ٤٠- شيبان، أحمد سالم، الوجود الملوكي في اليمن ٩٢١-٩٤٥هـ/١٥١٥-١٥٣٨م، دار الثقافة العربية، الشارقة وجامعة عدن، الطبعة الأولى، (د. ت)، ص ١٦٥، باقيقه، تاريخ الشعر وأخبار القرن العاشر، ص ١٢٥، الهروالي، البرق اليمني في الفتح العثماني، ص ٢٩، ابن الديبع، قرة العيون، ص ٤٦٨، الفضل المزبد، ص ٣٦٩ .
- ٤١- المصدر السابق، ص ٣٧٠، ابن الديبع، قرة العيون، ص ٤٦٩، ٤٧٠، يحيى بن الحسين، غاية الأمانى، ص ٦٥١، شرف الدين، اليمن عبر التاريخ، ص ٢٣٥، Smith, G Rex, The Tahirid Sultan of the Yemen, in Studies in the Medieval history of the Yemen and South Arabia, Variorum, 1997, p141
- ٤٢- شرف الدين، المواهب السنية، ص ٢٧ .
- ٤٣- المصدر السابق، والصفحة نفسها .
- ٤٤- المصدر السابق، ص ٢٦ .
- ٤٥- المصدر السابق، ص ٢٧ .
- ٤٦- المصدر السابق، والصفحة نفسها .
- ٤٧- المصدر السابق، ص ٢٧، ٢٨ .

٤٨-الهندي، علاء الدين علي المتقي بن حسام الدين (ت ٩٧٥هـ/١٥٦٧م)، كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، عناية إسحاق الطوسي، بيت الأفكار الدولية، أمريكا، (د، ت)، ج ١ ص ٢٤٧ - برقم (٥٥٢٢)

٤٩-في أصل المخطوطة هنا كلمة لم أستطع تبيينها فتركت مكانها

٥٠-وهنا أيضاً كلمة لم أستطع تبيينها فتركت مكانها .

٥١-الهندي، كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، ج ١ ص ١٠٣٨ - برقم (٢٩٣٣٩)، أبو نعيم، أحمد بن عبدالله الأصفهاني (ت ٩٤٣هـ/٩٥١م)، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، دار الكتب العلمية، بيروت، ودار الفكر، بيروت، (د، ت)، ج ٩ ص ٤٤، ونحوه البخاري، أبو عبدالله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم (ت ٢٥٦هـ/٨٦٩م)، كتاب التاريخ الكبير، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، ١٤٠٧هـ/١٩٨٦م، ج ١ ص ١٤٥، برقم (٤٣٢).

٥٢-لم أجد هذا الحديث - لا نصاً ولا معنى - في أي من كتب الحديث المطبوعة المشهورة التي توافرت لي.

٥٣-هنا أيضاً كلمة لم أستطع تبيينها فتركت مكانها .

٥٤-الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى بن صبرة (ت ٢٧٩هـ/٩٨٩م)، جامع الترمذي، تحقيق عادل مرشد، مكتبة دار البيان الحديثة، الطائف، ودار الأعلام، غُضَّان، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م، ص ٨٢٥، برقم (٣٧٨٨)، وصححه لأثباني، محمد ناصر الدين، صحيح سنن الترمذي، مكتب التربة العربي لدول الخليج، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م، ج ٣ ص ٢٧٧ .

٥٥-أعطن، جمع عُطِنَ، والعطن للإبل كالوطى للسان. وقد غلب على ميركها حول الحوض، انظر ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم بن علي بن أحمد (ت ٧١١هـ/١٣٣١م)، لسان العرب، تحقيق عبدالله علي الكبير وآخرين. دار المعارف، القاهرة، (د، ت)، ج ٧ ص ٤٤٢، وأراد الإمام شرف الدين هنا معناها المجازي لا الحقيقي.

٥٦-الألباني، محمد ناصر الدين، سلسلة الأحاديث الصحيحة، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م، ج ٢ ص ٣٠٥، برقم (٦٨٦)، الترمذي، جامع الترمذي، ص ٥٢٠، برقم (٢٣٢٠)، أبو نعيم، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، ج ٣ ص ٢٥٣ .

٥٧-شرف الدين، المواهب السنية، ص ٢١ - ٢٦، وأشار إليه شرف الدين، السلوك الذهبية، ص ٢٥ بإقتصاص.

٥٨-شرف الدين، المواهب السنية، ص ٢٦ - ٢٨، شرف الدين، السلوك الذهبية، ص ٢٥ - ٢٩

## قائمة المصادر والمراجع

١. القرآن الكريم .  
• أحمد: محمد عبدالعال (الدكتور)
٢. بنو رسول وبنو طاهر وعلاقات اليمن الخارجية في عهدهما، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٠ م .  
• إسماعيل بن محمد:
٣. سبط اللاك في شعر الأكل، مخطوط، مصور على ميكروفيلم بمعهد المخطوطات العربية، القاهرة، تحت رقم ( ١٨٤١ أدب ) .  
• الأشعري: أبو الحسن علي بن إسماعيل (ت ٣٣٠هـ / ٩٤١م)
٤. مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، تحقيق محمد محيي الدين عبدالحمد، دار النهضة المصرية، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٣٨٩هـ / ١٩٦٩ م .  
• الأصفهاني: أبو الفرج علي بن الحسن بن أحمد (ت ٣٥٦هـ / ٩٦٧م)
٥. مقاتل الطالبين، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، ١٣٨٩هـ / ١٩٦٩ م .  
• الألباني، محمد ناصر الدين
٦. صحيح سنن الترمذي، مكتب التربية العربي لدول الخليج، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨ م
٧. سلسلة الأحاديث الصحيحة، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣ م .  
• البخاري، أبو عبدالله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم (ت ٢٥٦هـ / ٨٦٩م)
٨. كتاب التاريخ الكبير، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٦ م .  
• البرهقي، عبد الوهاب بن عبد الرحمن السككي (ت ٩٠٤هـ / ١٤٩٨م)
٩. طبقات صلحاء اليمن، تحقيق عبدالله محمد الحشوي، مكتبة الإرشاد، صنعاء، الطبعة الثانية، ١٩٩٤ م  
• البغدادي: عبدالقاهر بن طاهر (ت ٤٢٩هـ / ١٠٣٧م)
١٠. الفرق بين الفرق، دار الأفاق الجديدة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٣٩٣هـ / ١٩٧٣ م .  
• الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة (ت ٢٧٩هـ / ٩٨٩ م )
١١. جامع الترمذي، تحقيق عادل مرشد، مكتبة دار البيان الجديدة، الطائف، ودار الأعلام، عمان، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ / ٢٠٠١ م .  
• الجاحظ: أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (ت ٢٥٥هـ / ٨٦٩م)
١٢. رسائل الجاحظ، تحقيق عبدالسلام هارون، مكتبة الجاحظي، القاهرة، ١٣٨٤هـ / ١٩٦٤ م .  
• الهجري: محمد بن أحمد (ت ١٣٨٠هـ / ١٩٦٠م)
١٣. مجموع بلدان اليمن وقبائلها، تحقيق إسماعيل الأكوع، مكتبة الإرشاد، الطبعة الثالثة، ١٤٣٥هـ / ٢٠١٤ م .  
• خطاب: عبدالعظيم
١٤. قاصص الغوري ونهاية الدولة المملوكية، رسالة دكتوراه، كلية الآداب، جامعة عين شمس، ١٩٧٣ م  
• داعر، صلاح بن داعر المرهبي (ت في القرن العاشر الهجري)
١٥. سيرة الإمام يحيى شرف الدين، صورة عن نسخة مخطوطة بمكتبة زيد الحوشي، صنعاء .  
• ابن الديبع: أبو الضياء عبدالرحمن بن علي (ت ٩٤٤هـ / ١٥٣٧م)
١٦. بعية المستعبد في أخبار مدينة زيد، تحقيق عبدالله محمد الحشوي، مركز الدراسات والبحوث اليمنية، صنعاء، ١٩٧٩ م .
١٧. الفضل المزيدي على بغية المستعبد في أخبار مدينة ريبد، تحقيق د. يوسف شلحد، مركز الدراسات والبحوث اليمنية، صنعاء، ١٩٨٣ م .
١٨. قرة العيون في أخبار اليمن الميمون، تحقيق محمد علي الأكوع، الطبعة الثانية، ١٤٠٩هـ / ١٩٨٨ م .  
( د. ) .

- ريادة. محمد بن محمد بن يحيى (ت ١٣٨٠هـ/ ١٩٦٠م)
- ١٩. أئمة اليمن، مطبعة النصر الناصرية، تمز، ١٩٥٢م.
- ٢٠. الخاف المهتدين بذكر الأئمة المجدين، مطبعة المقام الشريف، صنعاء، ١٣٤٣هـ/ ١٩٢٤م.
- ٢١. خلاصة المتون في أنباء ونبلاء اليمن الميمون، تحقيق أحمد محمد ريادة، مركز التراث والبحوث اليمنى، ساري، بريطانيا، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م.
- الرحيف: محمد بن علي بن يونس المعروف بابن فند (ت ٩٦٦هـ/ ١٥١٠م)
- ٢٢. مآثر الأبرار في تفصيل مجملات جواهر الأخبار ويسمى [اللواحق الندية بالمحادثات الوردية]، تحقيق عبدالسلام الوجيه وآخر، مؤسسة الإمام زيد بن علي الثقافية، عَمَّان، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م.
- سالم: سيد مصطفى (الدكتور)
- ٢٣. الفتح العثماني الأول لليمن، معهد البحوث والدراسات العربية وجامعة صنعاء، الطبعة الثالثة، ١٩٧٧م.
- السلطان: محمد حميد
- ٢٤. الغزو البرتغالي للجنوب العربي والخليج في الفترة من ١٥٠٧ - ١٥٢٥م، مركز زايد للتراث والتاريخ، العين، ٢٠٠٤م.
- سليم: محمود رزق
- ٢٥. الأشرف قانصوه العمري، الدار المصرية للتأليف والترجمة، (د. ت)
- شرف الدين: أحمد حسين
- ٢٦. اليمن عبر التاريخ، مطبع المردني، الرياض، الطبعة الخامسة، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م.
- شرف الدين: الحسن بن عبدالرحمن بن أحمد شرف الدس (ت ١٢٦٥هـ/ ١٨٤٨م)
- ٢٧. المواهب السنية عما به الله تعالى من العواكف الجسة من أعصان الشجرة المتوكلية، محفوظ، صورة عن نسخة إبراهيم عبدالكريم شرف الدين، كوكبان.
- شرف الدين: محمد بن إبراهيم بن الفضل بن إبراهيم (ت ١٠٨٥هـ/ ١٦٧٤م)
- ٢٨. سيرة الإمام شرف الدين المسمى [السلوك الذهبية في خلاصة السيرة المتوكلية]، (د. ت، ر).
- شهاب: حسن صالح
- ٢٩. أصوار. على تاريخ اليمن البحري، دار الفارابي، بيروت، لجنة نشر الكتاب اليمنى، عدن، ١٩٧٧م.
- شيبان أحمد سالم
- ٣٠. الوجود الملوكي في اليمن ٩٢١-٩٤٥هـ/ ١٥١٥-١٥٣٨م، دار الثقافة العربية، الشارقة وجامعة عدن، الطبعة الأولى، (د. ت).
- الطبري: أبو جعفر محمد بن جرير (ت ٣١٠هـ/ ٩٢٢م)
- ٣١. تاريخ الأمم والملوك، تحقّق محمد أبي الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٩٧٦م.
- ابن الطقطقي، محمد بن علي بن طباطبا (ت ٧٠٩هـ/ ١٣٠٩م)
- ٣٢. الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية، مكتبة صبيح، القاهرة، ١٣٨١هـ/ ١٩٦٢م.
- باقره: محمد بن عمر الطيب
- ٣٣. تاريخ الشعر وأخبار القرن العاشر، تحقيق عبدالله محمد الحيشي، مكتبة الإرشاد، صنعاء، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م.

- الكيسي: محمد بن إسماعيل (ت ٨١٣-هـ / ١٨٩٠م)
٣٤. اللطائف السنية في أخبار الممالك اليمنية، مطبعة السعادة، القاهرة، ١٩٨٤م.
- الكتبي: سالم بن محمد (ت ١٢١٠هـ / ١٨٩٢م)
٣٥. تاريخ حضرموت السياسي [العدة المفيدة الجامعة لتواريخ قديمة وحديثة]، تحقيق عبدالله الحبشي، مكتبة الإرشاد، صنعاء، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م.
- بامخرمة: الطيب بن عبدالله بن أحمد (ت ٩٤٧هـ / ١٥٤٠م)
٣٦. النسبة إلى المواضع والبلدان، نسخة مصورة عن مخطوطة، مكتبة المحمودية بالمدينة المنورة، تحت رقم ٢٥٦٩.
- المدخلي: محمد ربيع هادي عمير (الدكتور)
٣٧. الأحوال السياسية والمظاهر الحضارية في عصر السلطان عامر بن عبدالوهاب الطهري، رسالة ماجستير، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة أم القرى، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٥م.
- المقحفى: إبراهيم أحمد
٣٨. معجم البلدان والقبائل البسيّة، دار الكلمة، صنعاء، المؤسسة الجامعية للدراسات، بيروت، الطبعة الرابعة، ١٤٢٢هـ / ٢٠٠٢م.
- ابن منظور: جمال الدين محمد بن مكرم بن علي بن أحمد (ت ٧١١هـ / ١٣٣١م)
٣٩. لسان العرب، تحقيق عبدالله علي الكسر وآخرين، دار المعرف، لقاهرة، (د، ت).
- المؤيدي: داود بن الهادي بن أحمد (ت ٣٥٠هـ / ١٦٢٥م)
٤٠. ذيل السمامة، (ملحق بكتاب مآثر الأبرار) تحقيق عبدالسلام لوجيه وآخر، مؤسسة الإمام زيد بن علي الثقافية، عمّان، الطبعة الأولى، ٢٠٠٢م
- أبو نعيم: أحمد بن عبدالله الأصفهاني (ت ٤٣٠هـ / ٩٥١م)
٤١. حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، دار الكتب العلمية، بيروت، ودار الفكر، بيروت، (د، ت).
- النهروالي: محمد بن أحمد (ت ٩٩٠هـ / ١٥٨٢م)
٤٢. البرق البعاني في الفتح العثماني، منشورات المدينة، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٦م.
- الهندي: علاء الدين علي المتقي بن حسام الدين (ت ٩٧٥هـ / ١٥٦٧م)
٤٣. كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، عناية إسحاق الطيبي، بيت الأفكار الدولية، أمريكا، (د، ت)
- الوجيه: عبدالسلام عباس
٤٤. أعلام المؤلفين الزيدية، مؤسسة الإمام زيد بن علي الثقافية، عمّان، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م
- يحيى بن الحسين: يحيى بن الحسين بن القسم بن محمد بن علي (ت ١١٠٠هـ / ١٦٨٨م)
٤٥. غيبة الأماسي في أخبار لفطر البعاني تحقيق د. سعيد عبدالفتاح عاشور. دار الكاتب العربي للطباعة والنشر، القاهرة، ١٣٨٨هـ / ١٩٦٨م
46. Smith, G Rex, The Tahirid Sultan of the Yemen, in Studies in the Medieval history of the Yemen and South Arabia, Variorum, 1997

## الجوانب السياسية والحضارية لبلاد الحجاز

### كما تصورها رحلة ابن بطوطة

في القرن الثامن الهجري

#### المقدمة :

جاء هذا البحث شاملاً في موضوعه ، حيث رصد لنا الجوانب السياسية والحضارية لبلاد الحجاز كما تصورها رحلة ابن بطوطة، مما يثبت لنا أن كتب الرحالة تعد من أهم المصادر التاريخية لرصد تاريخ الحجاز.

وهذا البحث يسهم في إلقاء الضوء على أهمية دراسة كتب الرحلات خاصة رحلة ابن بطوطة، ومدى أهميتها، وأسلوب ابن بطوطة ومنهجه في تدوين رحلته، وتسجيل انطباعاته لا سيما وأن كتب الرحلات عموماً تعدّ من أصدق المصادر التاريخية وأكثرها عناية بما يتعلق بالحجاز سياسياً واجتماعياً واقتصادياً وعلمياً وجغرافياً، مما تفتقر إليه المصادر الأخرى، إذ اتصف الرحالة - ولو بدرجات متفاوتة - بدقة الملاحظة، والوصف والتقصي وتسجيل مشاهداتهم بأمانة وصدق.

• أستاذ التاريخ والحضارة الإسلامية المساعد - كلية الآداب والعلوم الإنسانية - جامعة قناة السويس

ولعل هذا البحث يكشف لنا القيمة العلمية لرحلة ابن بطوطة بوصفها مصدراً مهماً من مصادر تاريخ بلاد الحجاز.

وقد قسمت هذا البحث إلى مقدمة وتهييد وخمسة مباحث وخاتمة.

أما المقدمة فقد بيّنت فيها أهمية الموضوع وسبب اختياره ومدى أهمية كتب الرحلات كمصدر من مصادر تاريخ الحجاز.

التهييد: حياة ومكانة ابن بطوطة الاجتماعية والعلمية ثم خصائص ومميزات رحلته والهدف منها.

المبحث الأول: المشاهدات الجغرافية والعمرانية لبلاد الحجاز.

المبحث الثاني: الجوانب السياسية والإدارية لبلاد الحجاز.

المبحث الثالث: الجوانب الاجتماعية لبلاد الحجاز.

المبحث الرابع: الجوانب الاقتصادية لبلاد الحجاز.

المبحث الخامس: الجوانب العلمية لبلاد الحجاز.

الخاتمة: وقد تضمنت أهم النتائج التي تمخض عنها البحث.

## التمهيد

نال أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد بن إبراهيم اللواتي الشهير بابن بطوطة (٧٧٠هـ / ١٣٦٨م)، لقب أعظم الرحالة المسلمين على الإطلاق، وكشفت روايات رحلته عن الإنسان المسلم وعن طبيعة الأمة الإسلامية في القرن الثامن الهجري الرابع عشر الميلادي، حيث أبرزت لنا الجانب المشرق من الحضارة الإسلامية، وإن مما يزيد أهمية الرحلات أنها تكشف لنا النقاب عن الإنسان في فكره وسلوكه وتنظيمه الاجتماعي عبر التاريخ.

لذا فمن الواجب أن نتناول مقتطفات من حياة الرحالة ابن بطوطة ومكانته الاجتماعية والعلمية والهدف من رحلته وخصائصها وميزاتها. وابن بطوطة هو محمد بن عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن يوسف بن عبد الرحمن<sup>(١)</sup> بن يوسف اللواتي الطنجي، أبو عبد الله بن بطوطة (٧٠٣-٧٧٠هـ/١٣٠٣-١٣٦٨م)<sup>(٢)</sup> الملقب بشمس الدين<sup>(٣)</sup> رحالة مغربي، يرجع نسبه إلى «لواته»<sup>(٤)</sup> إحدى القبائل البربرية، ولد سنة (٧٠٣هـ/١٣٠٣م) يوم الإثنين السابع عشر من رجب بمدينة طنجة.<sup>(٥)</sup>

ينسب ابن بطوطة لأسرة علم، فمنها القضاة والعلماء، وهو ما ذكره الملك الهند عندما خيره بين الوظائف التي يرغبها، فقال: أما الوزارة والكتابة فليست شغلي، وأما القضاء والمشايخ فشغلي وشغل آبائي.<sup>(٦)</sup> درس ابن بطوطة بطنجة، وكان يعد نفسه لتولي لقضاء مثل كثير من أفراد عائلته، ويؤيد ذلك حديثه عن نفسه بعد وصوله إلى تونس: «وبعد مدة تعين لركب الحجاز الشريف عند خروجه من تونس قاصداً الحجاز»<sup>(٧)</sup> وهذا دليل علمه بالفقه، وقد ذكر ابن حجر العسقلاني ت ٨٥٢ هـ أنه نفى العديد من العلماء.<sup>(٨)</sup> كان ابن بطوطة سريع الاندماج والتأقلم مع أهل المدن والبلدان التي زارها، وألف عاداتها نظراً لطول مدة سفره، وكان شديد الحرص على التمسك بتعاليم الدين الإسلامي<sup>(٩)</sup>، فلا يكاد يسمع بهرجل صالح أو عالم إلا وسارع إلى لقائه والتبرك بدعائه وهو كثير الزواج، كما عُرف عنه شدة الاعتزاز بوطئه والحنين لأهله طوال غيبه عنهم، ولا شك أن ابن بطوطة حقق فنون الفروسية والقتال، ففي رحلته هذه ما يشهد على اشتراكه في بعض المعارك التي حدثت أثناء تنقلاته.

وما أن بلغ ابن بطوطة الثانية والعشرين حتى تاقته نعمة إلى الرحلة، وعن هذه الرحلة يقول عبد الرحمن بن حلدون ت ٨٠٨ هـ: كان ابتداء رحلة ابن بطوطة سنة ٧٢٥هـ وانتهائها سنة ٧٥٤هـ<sup>(١٠)</sup> وقد حدد ابن حجر العسقلاني ت ٨٥٢ هـ خروجه للرحلة في رجب سنة ٧٢٥هـ<sup>(١١)</sup>،

وبهذا تكون الرحلة قد استغرقت تسعاً وعشرين سنة، جاب فيها جميع الأقطار التي تسنى له الوصول إليها في ذلك الوقت فانتهى به الأمر إلى ترحال وراء آخر وسفر إثر سفر، ورحلة تعقبها رحلة أخرى، ومثله كثير من الرحالة والتجار المسلمين، وقد قدم زكي حسن مسحاً وتصنيفاً جيداً لكتباتهم، وقد تصدر لكتابة هذه الرحلة محمد بن محمد بن عبدالله بن جزى الكلبي (٦٩٣-٧٥٨هـ/١٢٩٤-١٣٥٧م)، وهو كاتب السلطان أبي عنان فارس المريني حاكم المغرب حينذاك في الفترة (٧٩٤-٧٥٩هـ/١٣٤٨-١٣٥٨م) ويتوجيه من هذا السلطان أُملي ابن بطوطة تفاصيل رحلته علي ابن جزى، وكانت مهمة ابن جزى أن يسمع الحديث ويدونه ويرتبه ويسقحه ويوضح ما أغمض منه، وقد حافظ ابن حري علي تدوين كل المعلومات التي أُملاها صاحب الرحلة ولم يسقط منها شيئاً ولم يتعرض ابن جزى لتحقيق ما أورده ابن بطوطة لأنه كان واثقاً من صحة ما أورده علي وجه العموم، وقد عي ابن بطوطة بالشكل والنقط لكل ما أشكل أو غمض لئلا يلتبس علي القارئ وكان يوضح معاني الكلمات الأعجمية، وقد انتهى ابن جزى من كتابتها في عام (٧٥٧هـ/١٣٥٦م).<sup>(١٢١)</sup> كان هدف ابن بطوطة من الرحلة والباعث له علي السفر، ومفارقة الأهل هو حج بيت الله الحرام وزيارة قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقد أدى فريضة الحج سبع مرات الأولى سنة (٧٢٦هـ/١٣٢٥م) والثانية سنة (٧٢٧هـ/١٣٢٦م) والثالثة سنة (٧٢٨هـ/١٣٢٧م) والرابعة سنة (٧٢٩هـ/١٣٢٨م) والخامسة سنة (٧٣٠هـ/١٣٢٩م)، والسادسة سنة (٧٣٢هـ/١٣٣١م) والسابعة سنة (٧٤٩هـ/١٣٤٨م).<sup>(١٢٢)</sup> ولم يشر ابن بطوطة إلى طلبه العلم في البلدان التي زارها، وكتفى بالإشارة إلى سماعه علي بعض الكبار من العلماء والوعاظ، ولقائه للعديد من العلماء.<sup>(١٢٣)</sup> من أبرز صفات ابن بطوطة التي تمتع بها قوة المشاعر الدينية، حيث كان الباعث الأول له علي الرحلة والسفر هو حج بيت الله الحرام وزيارة قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولم يذكر ابن بطوطة رسول الله إلا ويقرن ذكره بالصلاة عليه والتسليم، ويبدو هذا الشعور الديني العميق في أحاديثه عن المسجد الحرام والطواف حول الكعبة والسعي بين الصفا والمروة، وما مائل ذلك، يقول في حديثه عن الرحلة وهو متجه إلى مكة: «ثم أدلجنا من هذا الودي المبارك، والنفوس مستبشرة بملوغ آمالها مسرورة بحالها ومآلها»<sup>(١٢٤)</sup>، وقد قطع في تجواله أكثر من مائة وخمسة وسبعين ألف ميل، واستطاع ابن بطوطة أن يحتفظ بكل مشاهداته في ذهنه دون تمحيص، يدفعه لذلك حب الاستطلاع والتعرف علي غرائب وعجائب البلدان.<sup>(١٢٥)</sup>

كان ابن بطوطة مثقفاً ثقافة دسبية، ودرس في المغرب قبل حروجه إلى الرحلة، ثم درس علي مشهورى العلماء في البلاد التي زارها وأحارده كثير من العلماء، يقول عن نفسه «سمعت بجامع

بنى أمية حميع صحيح الإمام البخارى على الشيخ شهاب الدين أحمد بن أبي طالب بن أبي العم المعروف بابن الشحنة الحجار، ويقول: ومن أجازنى من أهل دمشق الشيخ أبو العباس الحجازي<sup>(١٧١)</sup> وأكثر ما يلفت الانتباه مدى اهتمامه بالاس بمختلف طبقاتهم وعلى الأخص العلماء والصالحين، فهو بذلك يعد مؤرخاً من الناحية الاجتماعية للمسلمين في عصره<sup>(١٧٢)</sup>، خاصة وأن رحلته تحتوي الكثير من الموضوعات في مختلف النواحي، مما دفع كثير من المترجمين ترجمة هذه الرحلة إلى الإنجليزية والفرنسية. وقد تناولها بالدراسة والترجمة المستشرق الفرنسي «بلاتش تريبية» في كتابه «الرحالة العرب في العصر الوسيط»<sup>(١٧٣)</sup>.

كان ابن بطوطة سخيًّا كثير الإنفاق يستدين بلا حدود وينفق كما يشتهي، يعطى الفقراء، ويعطى الأصدقاء، ويهدى إلى الرؤساء، وعُرف عنه أنه طاهر السريرة طيب القلب حسن الظن بالاس، يمدح الناس ويشيد بشرف النساء ويحب الصالحين ويلزم المرضى حتى يمن الله عليهم بالشفاء، ويشكر الله ويشكر للناس أياديهم.

وكان فارساً مقاتل، وقد حكى مواقف عديدة تدل على شجاعته. يقول: «ثم خرجا ونحن ثنائ وعشرون فارساً وخرج في تلك الصحراء ثمانون رجلاً من الكدر وفرسان، وكان أصحابي ذوى نجدة فقاتلناهم أشد القتال قتلنا أحد الفارسين منهم وغسنا فرسه وقتلنا من رجالهم نحو اثني عشر رجلاً، واصابتنى نشاب، وأصبحت فرسى نشابة ثنية، ومن الله بالسلامة منها»<sup>(١٧٤)</sup> وأول منصب تقلده ابن بطوطة كان قاضى لركب الحجازى الخارج من تونس، ثم تولى القضاء بالهند وجزيرة المهل<sup>(١٧٥)</sup> وعقب عودته إلى وطنه ولي قضاء بعض المدن<sup>(١٧٦)</sup>، امتازت رحلة ابن بطوطة بطولها، وحفلت بتنوع حوادثها فجمعت الكثير من الغرائب، وحوت الكثير من المعلومات عن أحوال المسلمين السياسية والاجتماعية والاقتصادية، وكان حريصاً على الاتصال بالملوك لينال أعطيائهم، ويتمكن من مواصلة رحلته مما يدل على علو مكانتها الاجتماعية.

ومن الملاحظ اهتمام ابن بطوطة بالجانب الاجتماعى من حيث حالة العلماء والملوك وعادات الناس في البلاد التي زارها، وقد تمتع بذاكرة قوية خاصة في سرد بعض المعلومات الخاصة بوصف المساجد وأبعادها، وحفلت رحلته بالحكايات والروايات دون تححيص فيها ولا تدقيق، لقد كانت رحلته حافلة بأوصاف دقيقة مع اهتمامه بذكر القصص العربية والنادرة في رحلته، مما أكسبه حرة كبيرة في هذا المجال، وقد قيل عن السفر: «إن السفر تعليم للصغير وخبرة للكبير»<sup>(١٧٧)</sup>

## المبحث الأول

### المشاهد الجغرافية والعمرانية في بلاد الحجاز

رصد ابن بطوطة مشاهداته الجغرافية والعمرانية في رحلته بدقة وصدق وأمانة، وحفظ لنا هذه المشاهد كتاريخ لبلاد الحجاز في وقت غفل عن حفظها كثير من المؤرخين.

١- المشاهد الجغرافية في الطريق إلى الحجاز: تبوك: طريق الحاج الشامي يبدأ من تبوك، وأرضها خصبة ويكثر به النخيل، ويرى بها سقاؤون حول عين ماء غزيرة، بنيت على هيئة صهريج كبير، أقيمت لهم حولها أحواض كبيرة، يسقون منها الجمال ويملؤون منها القرب.<sup>(١)</sup>

\*- العلا: وهي موضع من ناحية وادي القري بينها وبين تبوك ثمانية أيام وبها أحساء بين الرمال - وهو ماء - تشغه الأرض من الرمل فإذا صار إلى صلالة أمسكته، فأتاح لأهلها زراعة النخيل وبعض المزروعات الأخرى، فأصبحت قرية كبيرة جمسة المظر اشترت فيها العديد من الدور، واشتهر أهلها بفضولهم وأدبهم في دفع الكثير من الخجاج إلى ترك الفاتح من حاجتهم من الأزواد بها إلى حين قفولهم من الحج وهي أيضاً سوق كبير حث يقصده تجار الشام النصارى للبيع والشراء مع الحجاج.<sup>(٢)</sup>

\*- حمر ثمود: وتعرف اليوم بمذائن صالح بينها وبين تبوك خمسة أيام وقد أطلق عليه ابن بطوطة بشر الحجر أو حجر ثمود. وأشار إلى كثرة الماء بها، وحدد مكان مبرك ناقة صالح عليه السلام، بأنه بين جبلين، بهجانه أثر مسحد يصلى الناس فيه.<sup>(٣)</sup>

\*- هدية: آخر وادي العباس، ماؤها أحسن، وصف بمزارته، يستخرج بواسطه الحفر، ويستشر قطاع الطرق حولها، مما يضطر الحجاج لقتالهم هناك، ويعدّها تظهر أعلام المدينة المنورة.<sup>(٤)</sup>

٢- المشاهد الجغرافية بالمدينة المنورة هي مدينة مشرفة جميلة، أرضها سيخة مشرفة على وادٍ مليء بالنخيل، ولم يتطرق ابن بطوطة لوصفها العام

\*- جدة: قال عنها ابن بطوطة هي بلدة قديمة على ساحل البحر، يُقال إنها من عمارة الفرس وبخارجها مصانع قديمة، وبها حباب للماء منقورة في الحجر الصلد، يتصل بعضها ببعض وهي كثيرة.<sup>(٥)</sup>

\*- جبل الطويل: يشرف هذا الجبل على موضع معركة بدر، وقد شبهه ابن بطوطة بكثيب رمل ممتد، وذكر أيضاً جبل الرحمة على يسار مدخل بدر، يُقال إن الملائكة نزلت عليه يوم بدر.<sup>(٦)</sup>

### ٣- المشاهد الجغرافية في الطريق من المدينة المنورة إلى مكة المكرمة:

\*- ذو الحليفة : تبعد عن المدينة ستة أو سبعة أميال، وقيل إنها تعرف ببئر علي، وأرض ذي الحليفة بطحاً سهلة تشرف على وادي العقيق.<sup>(٧)</sup>

\*- صحراء البرواء: صحراء واسعة مسيرتها ثلاثة أيام، مجهولة المسالك عدية المعالم.<sup>(٨)</sup>

\*- وادي رابغ: آخر البرواء، يوجد به الكثير من مستنقعات الماء الجارية، تحت الرمال، يحفر الحجاج لاستخراج الماء النقي منها وفي بعض الطريق عقبة محجرة، وتتكون غدران فيها فترة طويلة خاصة بعد هطول المطر.<sup>(٩)</sup>

\*- عقبة السوق: على مسافة نصف يوم من خليص، كثيرة الرمل يقصدها الحجاج لشرب السوق بها.<sup>(١٠)</sup>

\*- عسفان: منزل آخر في أرض مسطحة تحف بها الجبل متوفر بها آبار عذبة، وبها الكثير من أشجار المقل وبها حصن خرب.<sup>(١١)</sup>

\*- خليص: تقع بين جبلين يكثر به النحل، وبها عين دائعة الجريان، أحدثت في الأرض أخاديد تبدو على هيئة الآبار، ويوجد به بئر تنسب لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه.<sup>(١٢)</sup>

\*- بطن مرّ أو مرّ الظهران: هو وادٍ خصب يضم قرى كثيرة يزرع بها النخيل والفواكه التي تجلب إلى مكة المكرمة وبها عين ماء كبيرة.<sup>(١٣)</sup>

### ٤- المشاهد الجغرافية بمكة المكرمة:

\* نظراً لمكانة مكة المكرمة الدينية والعلمية في نفوس المسلمين، فقد وصفها ابن بطوطة وصفاً جغرافياً كوادٍ معجذب ليس فيه زرع، تحيط به الجبال بحيث لا يراها قاصدها إلا عند اقترابه منها، وعلى الرغم من تكوينها الجغرافي إلا أنها عامرة بالسكان وامتدادها آخذ في الاستطالة.<sup>(١٤)</sup>

\*- جبل أبي قبيس: أشار ابن بطوطة إلى أنه أقرب الجبال للمسجد الحرام يحيط به الجبوب والشرق، يشرف على الحجر الأسود ويقع في أصله ويرقى إليه من ثلاثة مواضع، من شعب عمر وشعب علي وشعب أحياد الصغير، وبه قبر آدم عليه السلام، وعلى هذا الجبل كان يشطر القصر للنبي صلى الله عليه وسلم، وهو أحد الأخشين.<sup>(١٥)</sup>

\*- جبل قعيقعان: يسمى الأحمر ويسمى هو وأبو قبيس الأحشبان والحبحيان، ويقع جبل قعيقعان شمال مكة. <sup>(١١٦)</sup>

\*- جبل الخندمة <sup>(١١٧)</sup>: وهو المشرف على شعبي أجباد الأكبر وأجباد الأصغر. <sup>(١١٨)</sup>

\*- جبل ثور <sup>(١١٩)</sup>: وهو على بعد فرسخ من مكة المكرمة على طريق اليمن، وهو الجبل المشهور الذي أوى إليه النبي صلى الله عليه وسلم وأبو بكر رضي الله عنه عند هجرتهم إلى المدينة المنورة. <sup>(١٢٠)</sup>

\*- جبال التنعيم: وهي أربعة جبال تقع على طريق التنعيم، اثنان من الجهة اليمنى واثنان من الجهة اليسرى، وعليها أربعة أعلام من الحجارة، يقال إنها الجبال التي وضع عليها سيدنا إبراهيم عليه السلام أجزاء الطير. <sup>(١٢١)</sup>

\*- المزدلفة: وصفها ابن بطوطة بأنها أرض منسطة فسيحة تقع بين جبلين، وقدروا المسافة بينها وبين عرفات بمثل المسافة بين منى ومكة المكرمة. <sup>(١٢٢، ١٢٣)\*</sup> - عرفات: وقد قيزت بانسباط أرضها، وإحاطة الجبال بها، حيث يقع جبل الرحمة في طريقها بعيداً عن الجبال الأخرى، فهو عبارة عن حجارة منقطعة بعضها عن بعض، وأسفل الجبل وعلى مكان غير بعيد منه مكان وقوف الرسول صلى الله عليه وسلم، وهو عبارة عن جبل قليل الارتفاع، وحول جبل الرحمة جبال وصهاريج للماء، وعلى يسار العلمين اللذين وضعاً للمستقبل أيضاً وادي الأراك، وبه أراك أخضر يمتد في الأرض امتداداً طويلاً. <sup>(١٢٤)</sup>

## ٥- المشاهد العمرانية:

تناول ابن بطوطة المشاهد العمرانية في بلاد الحجاز وشمل هذا التناول المساجد والأربطة والمباني والحصون والآبار وأماكن الوضوء.

\* الحصون الموجودة بطريق الحجاز: شاهد ابن بطوطة حصن بعسفا وهو حصن قديم ذو أبراج، وشاهد أيضاً بخليص حصنين، أحدهما ذو عمارة حديدة مبنية على ريو، والآخر منهزم يقع أسفل منه. <sup>(١٢٥)</sup>

\* الآبار وأماكن الوضوء بالمدينة المورة: من هذه الآبار بئر أريس، تقع بالقرب من مسجد قباء، وكذلك بئر رومة وهي في جهة الغرب من حصن العزاة بالقرب من الخندق <sup>(١٢٦)</sup> كما أشار

ابن بطوطة إلى وحود دار اللوضاء عند باب السلام، أمر الملك المنصور قلاوون (٦٧٨-٦٨٩هـ) ببنائها. <sup>(٣٦)</sup>

\*- المساجد الموجودة في المدينة المنورة: وفي مقدمتها المسجد النبوي الشريف، وروسته الشريفة، والحديث عن المنبر الكريم. <sup>(٣٧)</sup> ووصف ابن بطوطة مسجد قباء بأنه مسجد مربع الشكل له منذنة طويلة بيضاء، وفي وسطه روضة صغيرة هي مكان مبرك الناقة بالنبي صلى الله عليه وسلم، واحتوت قبله هذا المسجد على عدة محاريب، وله باب واحد. <sup>(٣٨)</sup> ومسجد علي بن أبي طالب رضي الله عنه <sup>(٣٩)</sup>، ومسجد سلمان الفارسي رضي الله عنه <sup>(٤٠)</sup> ومسجد الفتح الذي نزل فيه سورة الفتح على النبي صلى الله عليه وسلم. <sup>(٤١)</sup>

\*- الحصون بالمدينة المنورة: شاهد ابن بطوطة حصن العزاب وقد نسب هذا الحصن إلى عمر بن الخطاب الذي قام بإسكان عزاب المدينة فيه. <sup>(٤٢)</sup>

المساجد في مكة المكرمة: تناول ابن بطوطة المساجد في مكة المكرمة وفي مقدمتها المسجد الحرام، فوصفه ووصف أبوابه، والصفاء والمروة، وشتر زمزم والمقام والكعبة المشرفة. وتناول في حديثه الكلام على مآذن هذا المسجد. <sup>(٤٣)</sup> ومسجد فوق جبل أبي قبيس: وسطحه مشرف على مكة المكرمة. وقد أراد الملك الظاهر عمارته. <sup>(٤٤)</sup> مسجد الجن: ويقع على يمين المستقبل لمقبرة المعللة، في وادٍ بين جبلين. ويبدو أن المسجد كان مهتماً في زمن رحلة ابن بطوطة لإشارته إلى خرابه. <sup>(٤٥)</sup> ومسجد على طريق التنعيم: يبعد عن مكة المكرمة بنحو ميل، ويقال إن موضع المسجد هو موضع جلوس النبي صلى الله عليه وسلم عند عودته من العمرة مستريحاً، وقد أطلق عليه المتكأ. <sup>(٤٦)</sup> مسجد المزدلفة: ويقع بوسط المزدلفة وعليه قبة، وتظهر أنواره ليلاً من بُعد. <sup>(٤٧)</sup> مسجد إبراهيم عليه السلام: يقع هذا المسجد قرب آبار الشبيكة بوادي طوى، والظاهر أن المسجد غير معروف الآن. <sup>(٤٨)</sup> مساجد التنعيم: وهي عدة مساجد مبنية بالحجارة وتنسب إلى السيدة عائشة رضي الله عنها. <sup>(٤٩)</sup>

\*- الأربطة في مكة المكرمة: أورد ابن بطوطة أسماء عدد من الأربطة بمكة المكرمة منها: رباط الصوفية، وقيل رباط السدرة وبابه يفتح على المسجد الحرام بجانب باب بني شيبه وسماه باب الرباط <sup>(٥٠)</sup> ورباط بأعلى جبل أبي قبيس: وقد أشار ابن بطوطة إلى عزم الملك الظاهر ركن الدين بيبرس البندقداري على تعميره. <sup>(٥١)</sup> ورباط الموفق: بالقرب من باب إبراهيم وأنه من أفضل الأربطة. <sup>(٥٢)</sup> ورباط العباسي: وقد خصص لسكنى المحاورين، وقد شيده الملك الناصر ناصر الدين

محمد بن قلاوون (٧٠٩-٧٤١ هـ)، وهو بين الصفا والمروة في سنة (٧٢٨ هـ/١٣٢٧ م.<sup>(١٣١)</sup> ورياط الشرايبي يقع عند باب بنى شيبه وقد جعله رميشة بن أبي غني مجعد بن أبي سعد (٧٤٦ هـ/١٣٤٥ م) أمير مكة داراً له.<sup>(١٣٢)</sup> ورياط ربيع وهو من أحسن الأريطة بمكة، ويدخله بنر عذب ورياط كلالة الذي كان شيخه الشيخ سعيد الهندي.<sup>(١٣٣)</sup>

\* المباني بمكة المكرمة: وصف ابن بطوطة المباني بمكة المكرمة وخاصة القريبة من الحرم، وقد حرص على مشاهدة العديد من الدور بها منها: دار خديجة رضى الله عنها ودار مولد النبي صلى الله عليه وسلم ودار أبي بكر الصديق رضى الله عنه وموضع صلب عبد الله بن الزبير<sup>(١٣٤)</sup> كما تناول وصف أسوار مكة المكرمة وأبواب هذه الأسوار<sup>(١٣٥)</sup>.

\* الحصون بمكة المكرمة: تم تشييد حصن فوق جبل أبي قبيس لكنه هُدم قبل دخول ابن بطوطة إلى مكة المكرمة بزمان.<sup>(١٣٦)</sup>

\* الآبار وأماكن الوضوء بمكة المكرمة: تحدث ابن بطوطة عن آبار عذبة تسمى آبار الشبيكة على طريق التنعيم، وقد أكد ابن بطوطة على وجود بساتين عذبة في منطقة الزاهر مما يؤكد على وجود آبار لسقيها.

كما أشار ابن بطوطة إلى وجود بئر عند باب إبراهيم أحد أبواب المسجد الحرام، وبئر آخر بداخل رباط ربيع. كما أشار إلى وجود دار للوضوء بجوار رباط العباسي، والذي بناه هو الملك الناصر محمد بن قلاوون سنة (٧٢٨ هـ/١٣٢٧ م.)<sup>(١٣٧)</sup>

## المبحث الثاني

### الجوانب السياسية والإدارية لبلاد الحجاز

استطاع ابن بطوطة أن يصور لنا العالم الإسلامي من خلال رحلته، وأوضح لنا أنه دولٌ مفككة متناحرة، خلال القرن الثامن الهجري، ولم يقتصر الأمر على أن يستقل كل قطر بكيانه، فقد تفككت بعض الأقطار إلى دويلات متعددة، وكان الحكام يغيرون على جيرانهم ويسلبونهم سلباً منهم، ويستولون على مدنهم، ويكون مصير المهزوم القتل أو اللجوء السياسي.<sup>(١)</sup> كما يوضح لنا ابن بطوطة أن الحياة السياسية لم تخل من المظالم والمؤمرات ولم تكن بلاد الحجاز بمعزل عن هذه السياسة التي كانت موجودة في العالم الإسلامي آنذاك.

لقد صور لنا ابن بطوطة الجوانب السياسية من خلال بيان إمارة مكة والمدينة وبيان مدة علاقتهما مع سلاطين الدول الإسلامية ومدى سياستهم مع أفراد رعيّتهم، ثم أشار إلى مدن بلاد الحجاز التي تعتبر وحدات إدارية، وتناول التنظيمات المالية، والموارد المالية، كما تحدث عن التنظيمات القضائية، وكذلك الخسبة ومالها من دور مهم في الحياة العامة في بلاد الحجاز.

إمارة مكة المكرمة: عاصر ابن بطوطة أثب - رحلته إلى مكة المكرمة الأميرين الشريفين الأخدين الأخوين أسد الدين رميثة<sup>(٢)</sup> وسيف الدين عطيفة<sup>(٣)</sup> ابني الأمير أبي غي بن أبي سعد بن علي بن قتادة الحسيني.

وقد أشار ابن بطوطة أن مكة المكرمة كانت تتبع السلطان يوسف بن رسول (٦٤٧-٦٩٤هـ / ١٢٥١-١٢٩٦م) ملك اليمن المعروف بالمظفر، فيقول: «ومقره من باب العمرة مدرسة عمرها السلطان المعظم يوسف بن رسول ملك اليمن، وكان يكسر الكعبة إلى أن غلبه على ذلك الملك المنصور قلاوون (٦٧٨-٦٨٩هـ) / (١٢٧٩-١٢٩٦م).<sup>(٤)</sup> وجاء في كتاب غاية المرام، أن بني رسول وصلوا اليمن بصحبة الملك المعظم توران شاه بن أبوب، لتتوفي سنة (٥٧٦هـ / ١١٨١م). وحظي المنصور نور الدين عمر بن علي بن رسول (٦٢٦-٦٤٧هـ / ١٢٢٥-١٢٤٦م) بمكنة كبيرة لدى الملك المسعود صلاح الدين يوسف بن الملك الكامل محمد بن الملك العادل الأيوبي حتى أنه بمكة المكرمة مرة واستنابه نيابة عمارة باليمن مرتين، وأوصى له بالملك من بعده

ملك اليمس.<sup>(١٦)</sup> وكان للملك المنصور عمر بن علي بن رسول (٦٢٦-٦٤٧هـ) نفوذ سياسي وأدبي ببلاد الحجاز، كان كثير الاهتمام بالحرمين الشريفين وتقديم الخدمات للحجاج، وتقديم الجمال التي تحمل الزاد والماء للمتقطعين والضعفاء، وتحمل من تأخر أو ضعف عن المشي، ولا يقل عنه في الاهتمام بالحجاج الناصر محمد بن قلاوون، بل يزيد، فيحدث ابن بطوطة عن زاوية بها هذا الملك الناصر بسرياقوس خارج القاهرة لخدمة الحجاج المسافرين. وكان هذا الملك يبحث إلى مكة المكرمة مرتباً القاضي والخطيب والأئمة والمؤذنين والقراشين وكل ما يحتاج إليه الحرم الشريف، ومن قول ابن بطوطة متحدث عن صلاة الجمعة في الحرم: «فإذا خرج الخطيب أقبل لابساً ثوب سواد معتماً بعمامة سوداء وعليه طيلسان أسود، كل ذلك من كسوة الملك الناصر محمد بن قلاوون»<sup>(١٧)</sup>

كما عمر الناصر محمد بن قلاوون رباطاً وبني داراً للوضوء داخل الحرم، يقول ابن بطوطة: «وبين الصفا والمروة دار العياض رضى الله عنه. وهو الآن رباط يقطعه لمحاررون، وقد عمره الملك الناصر محمد بن قلاوون رحمه الله، وبني أبيض دار وضوء فيما بين الصفا والمروة سنة ثمان وعشرين، وجعل لها بابين أحدهما في السوق والآخر في العطارين، وعليه ريع يسكنه خدامهما»<sup>(١٨)</sup>

إن ما ذكره ابن بطوطة عن سلطان اليمن المنصور عمر بن علي بن رسول والملك الناصر محمد بن قلاوون يدل على مدى العلاقة بين أشرف مكة المكرمة وسلاطين مصر واليمن، ولم تقتصر العلاقة على هذين القطرين بل تعدتها إلى بلاد البجة<sup>(١٩)</sup> حيث إن الشريف أبو نعي أمير مكة المكرمة قد تزوج بنت ملك البجة، وأنجب منها ولماً يسمى زيد المعروف بابن السواكنية صاحب جزيرة سوكن<sup>(٢٠)</sup>، فعندما وصل ابن بطوطة إلى سواكن قال: «إن سلطانها الشريف زيد بن أبي نعي<sup>(٢١)</sup> وأبوه أمير مكة المكرمة»<sup>(٢٢)</sup>

كما امتدت علاقة أمراء مكة المكرمة إلى العراق أيضاً، فقد تم الدعاء على قبة زمزم في سنة (٧٢٩هـ/١٣٢٨م) لسلطان العراق أبي سعيد بن حريش بن أرغون الذي حكم العراق قرابة عشرين عاماً، وتوفي سنة (٧٣٦هـ/٥٣٣١م)<sup>(٢٣)</sup>، في عهد الشريفين رميشة وعطيفة أميري مكة المكرمة، ويبدو أن سبب الدعاء لسلطان العراق في ذلك العام عائده إلى كثير صدقات أهل العراق وسلطانها المعهنة إلى مكة المكرمة. فقد ذكر ابن بطوطة وقت وجوده بمكة المكرمة في سنة ٧٢٨هـ/١٣٢٧م. و٧٢٩هـ/١٣٢٨م. وصول الأمير أحمد بن الأمير رميشة، ومبارت بن

الأمير عطيفة من العراق حاملين صدقات عظيمة للمجاورين وأهل مكة المكرمة من قبل السلطان أبي سعيد ملك العراق، ثم يذكر ابن بطوطة أن الدعاء لصاحب العراق لم يتكرر عقب تلك السنة<sup>(١٤٤)</sup>

لقد انفرد ابن بطوطة عن غيره من المؤرخين الرحالة بإلقاء الضوء على علاقات أخرى كجانب من الجوانب السياسية لبلاد الحجاز، وقد أفاض في وصف هذه العلاقة، وهى علاقة أشرف مكة بسلطان مصر الملك الناصر حلوها ومَرَّها، وقد امتدت هذه العلاقة إلى قضاء مكة المكرمة الذين ارتبطوا معه بصلات جيدة، حيث كانت صدقاته وصدقات أمرائه تصل إلى يد قاضى مكة المكرمة نجم الدين محمد بن الإمام محبى الدين الطبرى، والذي تولى توزيع أعطياته على أشرف مكة المكرمة وكبرائها، وخدمة الحرم الشريف وجميع المجاورين، وعلى الرغم من قوة الصلة بين سلاطين الماليك في مصر وأمراء مكة المكرمة، فإن صلتهم بملوك اليمن كانت قوية أيضا وقد أشار ابن بطوطة إلى الدعاء لسلطان بنى رسول وذكر اسمه بعد الدعاء للسلطان المملوكى الملك الناصر في مصر.<sup>(١٤٥)</sup> مما يدل على سياسة الموازنة التى اتبعها أمراء مكة المكرمة للمحافظة على علاقتهم ببنى رسول باليمن وسلاطين مصر، إلا أنه يبدو أن علاقتهم بسلطان مصر الملك الناصر قد شابها نوع من الفتور عقب فتنة أشار إليها ابن بطوطة في حديثه عن علاقة الملك الناصر بأمراء مكة المكرمة، إذ حدث في سنة ٧٣٠ هـ/ ١٣٢٩ م. أثناء موسم الحج خلاف بين أمير مكة «عطيفة» وبين «أيدمور» أحد الأمراء بالقاهرة في أيام الملك الناصر محمد بن قلاوون<sup>(١٤٦)</sup>، بسبب قيام تجار من أهل اليمن بالسرقة، فرفع الأمر إلى أيدمور الذي أوعز لمبارك ابن الأمير عطيفة بأحضار اللصوص، فاعتذر عن ذلك لعدم معرفته بهم، ولعل في هذا إشارة إلى عدم رضى أمير مكة المكرمة عن تدخل أيدمور في شئون مكة المكرمة، وخاصة الحاج اليمنيين حفاظاً على علاقة مكة المكرمة وأهل اليمن، وعندما حدث سرقة لأهل مصر والشام، تكفل أمير مكة المكرمة بحل الأمر فلم يرض عن ذلك أيدمور نظراً لما حدث من قبل فتناول علي أمير مكة المكرمة بما أثار غضب الناس عليه، ثم ركب أيدمور متوجها نحو عسكره فلحقه أمير مكة وأتباعه فقتلوه هو وولده، فوقعت الفتنة بالحرم، واشتدت وحاول القاضى وأهل مكة المكرمة إيقاف ماحدث وعقد الصلح ودخل الحاج مكة المكرمة، فأخذوا أمتعتهم ورحلوا إلى مصر، وبلغ الخبر الملك الناصر فاستاء لذلك، وسير عساكره إلى مكة المكرمة، ففر الأمراء عطيفة وابنه مبارك، ورمبشة وأولاده إلى وادى نخلة، فلما وصلت عساكر الناصر إلى مكة المكرمة بعث أمير مكة ابناً له يطلب الأمان فأعطوه الأمان، ثم خلع عليه مبعوث الناصر وأعادته إلى الحكم.<sup>(١٤٧)</sup>

لم تفتقر همة أمراء مكة المكرمة عن توطيد أواصر المحبة وحسن العلاقات مع سلاطين الممالك الإسلامية، حيث ارتبط هؤلاء الأمراء بعلاقات ودية مع سلطان كلوة<sup>(١٨١)</sup> وهو أبو المظفر حسن بن سليمان<sup>(١٨٢)</sup> حيث كانوا يقدون عليه لئيل أعطياته، كما أشار إلى ذلك ابن بطوطة.<sup>(١٨٣)</sup>

ومن الملامح التي ذكرها ابن بطوطة ظلم الحكام لرعاياهم، حيث بين أن مكة المكرمة لم تنج من ظلم الحكام لبعض أفرادها، فيقول: ومنهم الشيخ سعيد الهندي شيخ رباط كلاله، وكان هذا الشيخ قد قصد ملك الهند محمد شاه فأعطاه مالا عظيما قدم به مكة المكرمة فسجنه الأمير عطيفة أمير مكة وطالبه بأداء المال فامتنع فعذبه حتى أعطى خمسة وعشرين ألف درهم وعاد إلى بلاد الهند.<sup>(١٨٤)</sup> كما تطرق ابن بطوطة في رحلته إلى معرفة بعض المدن والقرى التي تتبع مكة المكرمة فذكر لنا جُدة حيث كانت تتبع شريف مكة المكرمة وعليها عامل من قبله مهمته تحصيل المكوس والضرائب.<sup>(١٨٥)</sup> ويتبين لنا أن نفوذ أشرف مكة المكرمة قد شمل وادي الصفراء<sup>(١٨٦)</sup> وذكر أيضا أن فيها حصناً يسكنه الحسينيون.<sup>(١٨٧)</sup>

إمارة المدينة المنورة: عاصر ابن بطوطة أثناء رحلته إلى المدينة المنورة أميرين هم طفيل بن منصور بن جواز الحسيني<sup>(١٨٨)</sup> وكبيش بن منصور بن حماد.<sup>(١٨٩)</sup> ولم يكن للمدينة المنورة الحظ الأوفر مثل مكة المكرمة من اهتمام ابن بطوطة، بل إن المدينة المنورة لم تحظ إلا بالقليل من الاهتمام، وبالتالي فالمعلومات السياسية عنها قليلة إذا ما قورنت بما كتبه وما ذكره ابن بطوطة عن مكة المكرمة. كما تحدث ابن بطوطة عن كيفية تولي طفيل بن منصور الإمارة فقال: تولى إمرة المدينة المنورة كبيش بن منصور بن جواز عقب قتله لعمه مقبل بن جواز<sup>(١٩٠)</sup> وقيل عوضاً بدمه، ثم إن كبيشاً بن منصور خرج سنة (٧٢٧هـ/١٣٢٦م) إلى القلعة في شدة الحر ومعه أصحابه فأخذوا إلى الراحة وتفرقوا تحت ظلال الأشجار فما راعهم إلا وأبناء مقبل بن جواز في جماعة من عبيدهم ينادون يا ثارات مقبل. فقتلوا كبيش بن منصور صبراً ولعقوا دمه وتولى بعده أخوه طفيل بن منصور.<sup>(١٩١)</sup> وحده في رواية القلقشندي: أن مقبلاً بن جواز اشترك في إمرة المدينة المنورة مع أخيه منصور على إثر طلبه من الظاهر بيبرس بمصر لذلك، وعندما قام منصور بالإيعاز لابنه في تدبير شؤون المدينة المنورة خلال غيابه فعتبر مقبل ذلك تعدياً على حقوقه في الإمارة فهجم على ابن أخيه وانتزعها منه، مما دفع بكبيش إلى الخروج من المدينة المنورة واللحاق بأحباء العرب طالباً مساعدتهم واستعاد المدينة وقتل عمه مقبل في سنة ٧٠٩هـ وعاد منصور إلى إمارته ثم مات

سنة ٧٢٥هـ. فولى ابنه كبش قتلته عسكر ابن عمه ودى بن جواز الذي حكم المدينة من قبل الملك الصاصر بن قلاوون وعقب وفاته تولاهما طفيل بن منصور وانفرد بامارتها.<sup>(١٣٩)</sup>

أورد ابن بطوطة بعض الملامح السياسية حول أمراء المدينة المنورة مثلهم كغيرهم من أمراء العالم الإسلامي، فكما فيهم عدل وانصاف فيهم أيضا سياسة الإغتيال والمؤمرات، فقد عرفت في المدينة المنورة وسيلة القتل في سبيل الإمارة، بل إنها شملت حتى من يتناول على شخص الشريف ولو خطأ، فيقتل جزاء ذلك، وذكر ابن بطوطة أن أحد فقهاء ومدرسي المالكية بالمدينة المنورة ويدعى أبو العباس الفاسي، تحدث يوما مع الناس فانتهى به الكلام إلى القول أن الحسين بن علي بن أبي طالب لم يعقب، فبلغ ذلك أمير المدينة طفيل بن منصور بن جواز الحبشني فأنكر كلامه واستعظمه وأراد قتله، ثم عدل عنه ونفاه من المدينة، وقيل بل بعث إليه من قام بقتله، واختفى أثره.<sup>(١٤٠)</sup>

إن ما ذكره ابن بطوطة عن أحوال المدينة المنورة السياسية قليل جداً، لكنه أبرز مدى الصراع على الإمارة والسلطة، كما نجد أن ما ينطبق على مكة المكرمة ينطبق أيضاً على المدينة المنورة من حيث علاقتها بمصر في بعض الأحيان وانقطاعها أحياناً أخرى.

فالعلاقة والارتباط بمصر قائم على أساس الوضع الاقتصادي والاستقرار الداخلي، فمتى توفر الاستقرار وعم الرخاء الاقتصادي أصبحت إمارة مستقلة، ومتى ترزعزع الوضع الداخلي نجد الأشراف الحسنيين يسارعون إلى الاستنجاد بملوك مصر ضد بعضهم بعضاً فتعود العلاقة مرة أخرى، وبالمقابل حرصت تلك الدول على إقامة علاقة ودية مع أشراف الحجاز وإرضائهم في سبيل الدعا. لهم على منابر الحرمين الشريفين.<sup>(١٤١)</sup>، ولذلك فعلموك مصر تكتفي عند ذكر نواب الحجاز بإظهار الطاعة<sup>(١٤٢)</sup>، وأقصى عقاب ينزل بأشراف الحجاز في حالة خروجهم عن الطاعة أو مخالفة ما يصدر إليهم من أوامر هو الاعتقال مدة من الزمن في القاهرة، وإسناد الأمر لمن عليه الدور في تولي السلطة.<sup>(١٤٣)</sup> أما الجوانب الإدارية لبلاد الحجاز: فقد أشار ابن بطوطة<sup>(١٤٤)</sup> إلى أن من مدن الحجاز التي تعتبر كوحدات إدارية ينبع، والوجه، والمدينة المنورة، ومكة المكرمة وجدة وإبغ ووادي الصفراء وخليص.<sup>(١٤٥)</sup>، وبجانب الحديث عن هذه الوحدات الإدارية نتناول الحديث عن أمراء تلك البلاد ونظام ولاية العهد ونظام الوزارة، وعندما وصل ابن بطوطة إلى جدة أشار إلى أن متولى أمرها كان من قبل أمير مكة، ولقبه بالأمير وهو أبو يعقوب بن عبد الرزاق<sup>(١٤٦)</sup>

وحمل حاكم ينبع لقب أمير، وكان أحياناً يلجأ إلى الاستبداد وارتباطه بمصر. كما تبعت مر الظهران<sup>(٣٧)</sup> والصراة مدينة مكة المكرمة كمحلية إدارية ونظام إداري يختص بالمدين التابعة لبلاد الحجاز.<sup>(٣٨)</sup> نلاحظ من خلال ما ذكره ابن بطوطة أن الأمراء ببلاد الحجاز كانوا أئمة من الأشراف وقد تولوا حكم البلاد وهم من ذرية الحسن والحسين ابني الإمام علي بن أبي طالب رضى الله عنهم جميعاً، فهي إمارة عربية في تقاليدها<sup>(٣٩)</sup>، وقد أشار ابن بطوطة وغيره من الرحالة الذين نزلوا بلاد الحجاز إلى بعض حكام مكة فذكروا على سبيل المثال: قتادة بن إدريس، وحسن بن قتادة<sup>(٤٠)</sup>، وأبو سعد الحسن، ثم خلفه ابنه أبو نعي، ثم رميثة وحميصة<sup>(٤١)</sup>، أما المدينة المنورة فخضعت لأسرة من الأشراف من ذرية الحسين بن علي رضى الله عنهما، وأشار ابن بطوطة إلى بعض حكمائها منهم: طفيل بن منصور بن حماز، وكبيش بن منصور.<sup>(٤٢)</sup>

كما لم تفعل كتب الرحالة ومن بينهم ابن بطوطة الإشارة إلى الصراع القائم بين الأمراء والأشراف في بلاد الحجاز على السلطة ومحاولتهم الوصول إليها بمختلف الوسائل إلى جانب اشتراك اثنين في إدارة شئون البلاد، ومثال ذلك الصراع على السلطة، ودور الشريف أبي نعي فيها، وما حدث بين رميثة وحميصة.<sup>(٤٣)</sup> والملاحظ أن الأمر لم يكن مقصوراً على مكة المكرمة، بل تجده واضحاً في المدينة المنورة في عهد طفيل بن منصور وكبيش بن منصور، واشتراك مقبل في الإدارة مع أخيه منصور عقب مقتل كبيش.<sup>(٤٤)</sup>

أما نظام ولاية العهد كجانب من التنظيمات الإدارية في بلاد الحجاز، فإنها لم تكن موجودة في تقاليد الأشراف، ولكن يعد ولي العهد للحكم عن طريق المشاركة أثناء عهد والده أو أخيه فتتاح له الفرصة لإنابات مدة أهليته لهذا المنصب.<sup>(٤٥)</sup> وأحياناً يعهد الأمير لأحد أبنائه صراحةً مثلما فعل الأمير أبي سعد الحسن لابنه أبي نعي.<sup>(٤٦)</sup> وغالباً ما يكون الفصل في هذا الأمر إما للحليفة ببغداد أو لسلطين المالك بمصر، فقد فصل السلطان الناصر في أمر رميثة وحميصة عندما اشتد الخلاف بينهما وبين إخوانهم<sup>(٤٧)</sup>.

أما نظام الوزارة في بلاد الحجاز فقد أظهرت بعض كتب الرحالة الذين عاشوا في القرن السابع والثامن الهجريين وجود الوزراء في بلاد الحجاز غير أن ابن بطوطة أفعل ذلك، فري كان الوزير ينوب عن أمير مكة المكرمة في حضور بعض المناسبات مثل إنابة الوزير عن الشريف أبي نعي في حضور ختم القرآن في المسجد الحرام ليلة السابع والعشرين من رمضان.<sup>(٤٨)</sup>

أما من ناحية التنظيمات المالية، فكل ما أشار إليه ابن بطوطة كان يتعلق بالأعطيات والأوقاف في زمن رحلته، حيث كانت الأعطيات والهدايا والهبات تصل إلى أشرف مكة المكرمة مثل التي وصلت من مصر إلى قاضي مكة المكرمة نجم الدين محمد بن الإمام محيي الدين الطبري وكيل السلطان الناصر في مصر، حيث تولى توزيعها على كافة أهل مكة المكرمة.<sup>(٤٩)</sup> وتلك التي أهداها وزير الشريف أبي نعي للمخيط في ليلة السابع والعشرين من شهر رمضان<sup>(٥٠)</sup>

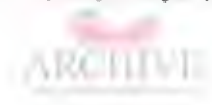
وهناك الصدقات والأعطيات التي تصل من العراق لأهل مكة المكرمة. ومنها أيضا التي يأخذها الأشرف من سلطان كلوة.<sup>(٥١)</sup> أما الأوقاف فقد تمثلت في المساكن التي أسهم الأغنياء في إنشائها من أموالهم الخاصة، سواء من أهل البلاد أو من القادمين عليها، وأوقفت على المجاورين، إلى جانب الأموال المبذولة لهم.<sup>(٥٢)</sup>

كما أشار ابن بطوطة إلى التنظيمات القضائية في بلاد الحجاز باعتبار أن القضاء أدى دوراً مهماً في الحياة العامة، وهو من أحل المناصب<sup>(٥٣)</sup>، إذ تقوم مهامه على الفصل في الخصومات ومشكلات الأفراد والجماعات، ويُنَّ ابن بطوطة أن تعيين القاضي يتم في مكة المكرمة من قبل الخلافة العباسية قبل سقوط بغداد. وعنف انتقالها إلى مصر أصبح مرسوم تعيين القاضي يصدر منها كما يوجد لهؤلاء القضاة نواب يلتمسون بأداء أعمالهم في حالة غيابهم.<sup>(٥٤)</sup>

وكذلك الأمر في المدينة المنورة فهناك القاضي ونائبه، يقول ابن بطوطة: إن سراج الدين عمر المصري أقام في خطة القضاء بالمدينة المنورة نحو أربعين سنة، وكان ينوب عنه الفقيه أبو عبد الله محمد بن فرحون، فكان القاضي يقوم بإمامة الناس في صلاة الاستسقاء وعند ثبوت هلال شهر ذي الحجة يقوم القاضي بإلقاء خطبة شاملة وخاصة بأحكام الحج لكافة الحجاج، موضعاً لهم الطريق السليم لأداء الفريضة<sup>(٥٥)</sup>

ومن مهام القاضي إلقاء خطبة الجمعة المشتملة على الوعظ والتذكير والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم وآله وأصحابه والدعاء لعلي النبي صلى الله عليه وسلم حمزة والعباس رضي الله عنهم، وكذلك الحسن والحسين رضي الله عنهما، وزوجات النبي صلى الله عليه وسلم وفاطمة الزهراء، ثم الدعاء للحليفة العباسي وأمير مكة المكرمة ثم حاكم مصر وولي عهده.<sup>(٥٦)</sup> وأشار ابن بطوطة إلى الحسنة ومالها من دور مهم في الحياة العامة في بلاد الحجاز، وهي تسهم مع القاضي

في تنفيذ القوانين المتصلة بالمصالح والآداب العامة في الغش والاحتيال، وقد أورد ابن بطوطة اسم أحد الأشخاص الذين تولوا منصب المحتسب وهو إمام الحنابلة محمد بن عثمان، وإلى جانب قيامه بالحسبة فهو نائب في القضاء أيضاً، ويبدو أن أمير مكة المكرمة يقوم بحماية المحتسب ويعطى عمارة في حضور عدد كبير من الناس صامتاً لعدم التعرض له بسوء.<sup>(١٤٧)</sup> أما التنظيمات الحربية، فالواقع أن الرحالة معلومتهم عنها قليلة، وعلى الرغم من ذلك فقد ألقى ابن بطوطة بعض الضوء على أسماء بعض القادة، فمنهم: محمد بن إبراهيم، وعلي وأحمد أبنا صبيح، وعلي بن يوسف، وشداد بن عمر، وعامر الشرق ومنصور بن عمر، وموسى المرزوق.<sup>(١٤٨)</sup> وقد سبق التجبني في رحلته ابن بطوطة حيث أخبر أن أمر القادة لم يقتصر على أبنا الأسرة الحاكمة في أن يكون منهم قادة الجيش، بل تعداه إلى الموالي حيث برز منهم أحد القادة من ذوي الكفاءة والشجاعة في عهد الشريف أبي غي حيث نزل التجبني أثناء رحلته في داره ويدعى محمد بن الحسن.<sup>(١٤٩)</sup>



## المبحث الثالث

### الجوانب الاجتماعية لبلاد الحجاز

أشار ابن بطوطة في رحلته إلى الجوانب الاجتماعية في المجتمع الحجازي، فتحدث عن طبقات هذا المجتمع وعاداته وتقاليده والاحتفالات التي يقيمها، والملابس التي يرتديها.

١- طبقات المجتمع: استطاع ابن بطوطة أن يوضح لنا صورة المجتمع الحجازي المقسم إلى طبقات بحسب مراتبها الاجتماعية، وظهر من كلامه أن الحياة الاجتماعية في بلاد الحجاز قد تنوعت وأخذت مظاهر عدة، ولاغربة في ذلك، فالتفاوت الطبقي كان له أثره الكبير في بلاد الحجاز، وأهم هذه الطبقات:

\* الطبقة الحاكمة: تولى حكم الحجاز الأشراف من ذرية لحسن بن علي رضى الله عنهما في مكة المكرمة، ومن ذرية الحسين بن علي رضى الله عنهما في المدينة المنورة واتسم حكمهم بطابع الإمارة فقط.<sup>(١)</sup> وقد أشار إلى ذلك ابن بطوطة، فذكر أن من حكام مكة المكرمة الأشراف من نسل الشريف أبي غنى عطيفة ورميشة، ومقرهما مكة المكرمة.<sup>(٢)</sup> ودارهم قرب المسجد الحرام وأقام رميشة أحياناً في حصن الخديد.<sup>(٣)</sup> وقد عُرف عن رميشة حُسْنُ نسبه في أهل مكة المكرمة بينما كان الناس يخشون أخاه حميضة لقسوته<sup>(٤)</sup>، وتولى الحكم من أولاد رميشة عجلان<sup>(٥)</sup>، وثقبة.<sup>(٦)</sup>

أما المدينة المنورة فقد أشار ابن بطوطة إلى حكامها وهما كبيش بن منصور بن جمار، وطفيل بن منصور بن جمار من ذرية الحسن بن علي رضى الله عنهما، واعتمد الأشراف على حرس يعرفون بالحرابة، وهم يحفون بالأمير وبين يديه وهم يحملون الخراب باعتبارهم حرس أمير البلد.<sup>(٧)</sup>

\* طبقة القواد: وهي من الطبقات التي لها أهميتها الكبرى، وتتبع الشريف، ويتم اختيار أفرادها من أكابر الأشراف، وكانوا يخرجون مع مركب الأمراء مثل مركب الأمير رميشة والأمير عطيفة في المناسبات. من هؤلاء القواد: محمد بن الحسن مولى الشريف أبي غنى في مكة<sup>(٨)</sup>، وأحياناً قد يكون القائد لايمت للأسرة الحاكمة بصفة، وقد أشار إلى ذلك ابن بطوطة من خلال ما أورده من أسمائهم مثل محمد بن إبراهيم، وعلى وأحمد ابني صبيح، وعلى بن يوسف وشداد بن عمر وعامر الشرق، ومنصور بن عمر، وموسى المزرق وغيرهم.<sup>(٩)</sup>

\* طبقة العلماء: حظى العلماء بأهمية كبيرة لدى الناس، وحظيت بلاد الحجاز بزيارة العديد منهم، وجلسوا لإلقاء الدروس، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فمن علماء مكة المكرمة الشيخ الفقيه العالم الصالح إمام المالكية أبو عبد الله محمد ابن الفقيه الإمام الصالح الورع أبي زيد عبد الرحمن. وإمام الشافعية شهاب الدين بن البرهان، وإمام الحنفية المحدث الفاضل محمد بن عثمان البغدادي الأصل المكي المولد، ومن علماء المدينة المنورة بها: الدين بن سلامة، وعز الدين الواسطي، وسراج الدين عمر المصري والفقيه أبو عبد الله محمد بن فرحون، والإمام المحدث جمال الدين المطري، وأبو عبد الله الغرناطي.<sup>(١٠١)</sup>

\* طبقة القضاة: تُختار طبقة القضاة من رجال العلم، فهم يلحقون بفئة العلماء، يقومون بتنفيذ الأحكام الدينية على سائر الناس، وفي بلاد الحجاز أشار ابن بطوطة إلى وجود هذه الطبقة، ووجود قضاة لجميع المذاهب، فكل طائفة تنوع إمامها وقاضيا، ولكل إمام مكان محدد في المسجد، يصلى فيه مع أتباعه، ومن قضاة مكة المكرمة العالم الصالح العبد محم الدين محمد بن الإمام العالم محيي الدين الطبري. والعالم شهاب الدين فاضل بن نجم الدين محمد، ومن قضاة المدينة المنورة القاضي مراح الدين عمر لمصري، وهذه جملة لادين الأسبوطي.<sup>(١٠٢)</sup>

\* طبقة أصحاب المهن: ومنها طبقة التجار، الذين كسوا أصحاب دور كبير في بلاد الحجاز، التي كانت تعتمد بالدرجة الأولى على التجارة، وكانت حوانيت التجارة مصفوفة على جانبي الصفا والمروة، وهناك الفلاحون المشتغلون في بساتين مكة المكرمة المتناثرة في "الزاهر" الذي هو مبني على جانبي الطريق خارج مكة المكرمة يحتوي على ديار وبساتين، والمتناثرة أيضا في "المسفلّة" وهو موضع خارج مكة المكرمة بالإضافة إلى مهن أخرى كالتسقين والحجازين، وصنع الحلوى والرعاة<sup>(١٠٣)</sup>، والأغوات وهم حدم المسجد الحرام في مكة المكرمة والمسجد النبوي في المدينة المنورة<sup>(١٠٤)</sup>، ويعملون على العناية بالمسجد خلال ساعات الليل والنهار ونظافته وإشعال وإطفاء قديله<sup>(١٠٥)</sup>، ومن المهن أيضاً صناعة الثياب، إذ يطلق على أحد أبواب المسجد الحرام باب الحياطين<sup>(١٠٦)</sup>، إلى جانب مهنة الطوافة حيث يقوم سدنة البيت بالطواف بالحجّاح مقابل أجر على ذلك<sup>(١٠٧)</sup>، بالإضافة إلى مهنة الحماله والجزرة والبناء والتجيد وصناعة الدهن<sup>(١٠٨)</sup>، الذين لهم أجرة معلومة، وهذه مجمل المهن التي أشار إليها ابن بطوطة، واستطعت تتبعها، ولا يعني هذا اقتصار أهل الحجاز على هذه المهن فقط، فرمّا وجدت غيرها ولكن ابن بطوطة أغفل ذكرها

\* طبقة الفقراء والمجاورين: كان بعض فقراء الحجاز يفرغ نفسه للعبادة، وبعضهم يعيش على الصدقات، يقول ابن بطوطة: ومن المجاورين بمكة المكرمة الإمام الصوفي عفيف الدين عبد الله بن أسعد، كثير الطواف أنا، الليل وأطراف النهار وغيره من المجاورين الكثير والكثير.<sup>(١٨)</sup>

٢- العادات والتقاليد: تحدث ابن بطوطة عن العادات والتقاليد الحسنة والمكارم الجميلة لأهل مكة المكرمة واصفاً إياها بأنها من الأفعال الجميلة، والأخلاق الحسنة، كالإتيان إلى الضعفاء والمنقطعين وحسن الجوار للفقراء ودلل على ذلك بأنه متى صنع أحدهم وليمة يبدأ فيها بإطعام الفقراء المنقطعين المجاورين، ويستدعيهم بتلطف ورفق وحسن خلق، ثم يطعمهم، وأكثر المساكين المنقطعين يكونون بالأفقران، حيث يطبخ الناس أخبارهم، فإذا أطبخ أحدهم خبزه واحتمله إلى منزله يتبعه المساكين فيعطى لكل واحد منهم ما قسم له، ولا يردهم خائبين، ولو كانت له خبزة واحدة فإنها تعطى ثلثها أو نصفها عن طيب نفس، ومن عادات المكيين الاحتفاء بالضيوف وإقامة الولائم، كما أدرجوا على إعداد مياه زمزم للشرب في الحرم حيث توصع في دوارق بعد تنظيفها وتوضع حولها الكيزان<sup>(١٩)</sup> الميضا، وتسمى الغراريب.<sup>(٢٠)</sup>

ومن عاداتهم الحسنة أيضاً الاعتناء بالأيام وصبا عدتهم على تعلم طرق الكسب الحلال، حيث اعتاد الأيتام الصغار الجلوس في السوق ومع كل واحد منهم قفتان، إحداها كبيرة والأخرى صغيرة، ويسمون القفة مكتملاً، فباتى الرجل من أهل مكة إلى السوق فيشتري الحبوب والنعم والخضر، ويعطى ذلك للصبي يجعل الحبوب في إحدى قفتيه والنعم والخضر في الأخرى، ويحمل الصبي ذلك إلى دار الرجل ليتهمأ له طعام منها مقابل أجر معلوم، في حين يتجه الرجل لقضاء أعماله.<sup>(٢١)</sup>

كما أشار ابن بطوطة أن من عادات أهل مكة المكرمة كثرة استعمالهم الطيب والكحل والسواك، وحرص النساء على الطواف في ليلة الجمعة.<sup>(٢٢)</sup>

ومن عادات أهل المدينة المنورة ما شهده ابن بطوطة في مسعد الفتح حيث يقول: وكانت إقامتنا بالمدينة الشريفة في هذه الوجهة أربعة أيام وفي كل ليلة بيتت بالمسجد الكريم والناس قد حلقوا في صحنه حلقاً، وأوقدوا الشمع الكثير، وبينهم ربعات القرآن الكريم يتلونهم وبعضهم يذكرون الله، وبعضهم في مشاهدة التربة الطاهرة، والحدة بكل حاب ينغمون بمدح رسول الله صلى

الله عليه وسلم، وهكذا دأب الناس في تلك الليالي المباركة، ويوزعون الصدقات الكثيرة على المحاورين والضعفاء والمحتاجين.<sup>(١٢٣)</sup>

وإذا كان ابن بطوطة قد أشار إلى العادات والتقاليد الحسنة لأهل مكة المكرمة والمدينة المنورة، فقد أشار أيضاً إلى العادات والتقاليد غير الحسنة والتي تنطرق إلى البدع والشائعات مثل اعتقاد بعض أهل مكة في زيادة ماء زمزم في ليلة النصف من شعبان، وقد ذكرها من قبله ابن جبير في رحلته والعبدري أيضاً.<sup>(١٢٤)</sup>، وأشيح أيضاً أن حمام الكعبة لا يهبط على الكعبة أو فوقها، وإذا هبط شفى من علته أو مات لحينه.<sup>(١٢٥)</sup>

ومن الشائعات ما أشير حول جبل ثور، وقولهم من لم يستطع دخول القار من الفتحة التي دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم منها فهو ابن زنا.<sup>(١٢٦)</sup> ومن البدع "أنه في حالة وجود قحط يخرجون مصحف زيد بن ثابت الصحابي الجليل رضى الله عنه ويصعوه في القبة مع المقام بعد فتح باب الكعبة ثم يجتمع لباس وهم حاسرو الرؤوس داعين الله ومتضرعين إليه حتى يتداركهم برحمته.<sup>(١٢٧)</sup>

ومن العادات غير الحسنة المنتشرة بين بعض أهل المدينة المنورة التي أشار إليها ابن بطوطة، أن هناك قطعة من الجذع الذي حنّ للمسبي صلى الله عليه وسلم بقلها الناس، ويبادرون للتبرك بلمسها ومسح الحدود فيها.<sup>(١٢٨)</sup>

من الشائعات التي سجلها ابن بطوطة أثناء طريقه إلى مكة المكرمة والمدينة المنورة، عادة الركب المار بتبوك إعداد الجيش بأسلحته ويتقدم الرجالة والفرسان وخلفهم الركب، في حين يقوم بعضهم بتحميل أكوام الحطب على الدواب نقلته بأرض تبوك، ويقبلون على المدينة بهذه الهيئة زاعمين أن الرسول صلى الله عليه وسلم دخلها بتلك الطريقة.<sup>(١٢٩)</sup>

٣- الاحتفالات: درج أهل مكة المكرمة على الاحتفال بمناسبات معينة منها: احتفالهم يوم الجمعة وخروج الخطيب والمؤذنين، واحتفالهم بشهر رجب والعمرة وغيرها من العبادات، واحتفالهم في شهر شعبان بإيقاد المصابيح والمشاعل، والصلاة والطواف والخرج للاعتصام.<sup>(١٣٠)</sup>

كما يحتفلون في رمضان بصرب الطبول عند باب الأمر، وتفرق الأئمة السنيين استعداداً

لإقامة التراويح، وتحديد فرش المسجد، والإكثار من الشمع والمشاغل، واستمرار عادة ختم القرآن الكريم في الوتر من العشر الأخير لشهر رمضان، وكذلك الاحتفال ببداية شهر شوال، وتزيين الحرم المكي بالمصابيح والشموع الموقدة في جميع أنحاء الحرم وسطحه، وسطح المسجد الموجود بأعلى جبل أبي قبيس، والاحتفال بشهر ذي الحجة، وضرب الطبول في أوقات الصلاة إلى يوم الصعود إلى عرفات، ويقوم الخطيب يوم السابع من ذي الحجة أثر صلاة الظهر بإلقاء خطبة في الناس يرشدهم إلى الطرق الصحيحة في أداء الفريضة، وكان هذا الاحتفال موجوداً وقت زيارة ابن بطوطة لمكة المكرمة.<sup>(١٣١)</sup>

٤- الملابس: حرص أهل الحجاز على لبس الملابس النظيفة الحسنة، وقد أشار ابن بطوطة إلى أمير مكة المكرمة وهو يلبس ثوباً أبيض وعمامة بيضاء، متقلداً سبغه، ويلبس القاضي الخطيب في صلاة الجمعة ملبسه السوداء المزينة بخيوط الذهب وعلى رأسه عمامة سوداء مزينة أيضاً، وعليه طيلسان شرب وقيق، كما يرتدي رئيس المؤذنين وقت صلاة الجمعة ملابس سوداء، ويحمل على عاتقه سيفه، وساد اللون الأبيض ثياب أهل مكة المكرمة، وقيام الأمير بلباس المحتسب عمامة تكون له جوازاً، فلا يجوز أحد على التعرض له، ولكنها تصبح عديمة النفع عند رحيل صاحبها عن مكة المكرمة.<sup>(١٣٢)</sup>

## المبحث الرابع

### الجوانب الاقتصادية لبلاد الحجاز

سجل ابن بطوطة في رحلته العديد من الجوانب الاقتصادية لبلاد الحجاز سواء على المسار الزراعي أو الصناعي أو التجاري وذلك على النحو التالي:

١- الزراعة: نلاحظ أن بلاد الحجاز قد اعتمدت في الزراعة على المياه، ومن ناحية توفر المياه نجد في القرين بئر مياه عذبة، وفي مكة المكرمة هناك سقاية للماء، وفي بطن مرّ وخليص ويدر والصفراء وقباء مياه آبار عذبة، وبذلك اتسعت الرقعة الزراعية في مختلف مدن بلاد الحجاز، وقد أشار ابن بطوطة إلى المحاصيل الزراعية في بلاد الحجاز فيقول: ولقد أكلت بها من الفواكه والعنب والتين والحوخ والرطب ولا نظير له في الدب، وكذلك الطبخ المجلوب إليها لا يماثله سواء طبيباً وحلاوة، حيث تجلب لها سموكه والخضر من الطائف وودي رحلة، وبطن مرّ.<sup>(١)</sup>

ونلاحظ أن الأراضي الزراعية كانت قريبة من مكة المكرمة ومن حولها من القرى والأودية، يقول ابن بطوطة: ثم رحلنا من عسقلان، ونزل بطن مرّ، ويسمى أبض مرّ الظهران، وهو وادي خصب كثير النخل ذو عين فوارة سيالة تسقى تلك الناحية، ومن ههنا لوادي تجلب الفواكه والحضر إلى مكة المكرمة.<sup>(٢)</sup>

كما اشتهرت الطائف بخصوبة تربتها الزراعية، حيث تحوي الفواكه وتضم بساكنها النخيل والعنب والحوخ والتين، وقد أشار ابن بطوطة إلى ذلك عند حديثه عن رباط ربيع بمكة المكرمة عندما يأتي أهل الطائف بالفواكه بأنهم يحرجون العشر من الناتج من النخيل والعنب والحوخ والتين.<sup>(٣)</sup>

٢- الصناعة. ساهمت الأحجار الكريمة كالجواهر والياقوت وغيرها المخلوبة إلى بلاد الحجاز في ازدهار صناعات رائجة ومعروفة، وهي صناعة الحلي والمجوهرات وغيرها من صناعات الفضة استخدمت في تزيين المسجد الحرام، حيث كانت هذه المادة من الفضة تجلب إلى البلاد، وقد أشار ابن بطوطة أبض إلى توفر الفضة والذهب في بلاد الحجاز ورخص أسعارها.<sup>(٤)</sup>

٣- التجارة: اعتمدت بلاد الحجاز على التجارة لإقبال الكثير على العمل في مجالها، ويبدو أن طبيعة البلاد قد دفعت السكان إليها ونجد ذلك واضحاً في القرآن الكريم في دعوة سيدنا إبراهيم الخليل لأهلها: "فاجعل أفتة من الناس تهوى إليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون" سورة إبراهيم (آية ٣٧) وقال تعالى: "أولم نمكن لهم حرماً آمناً يجيب إليه ثمرات كل شيء القصص (آية ٥٧). فالآيات تشير إلى المكان وما خصه الله به من مميزات دينية، وهي اتجاه القلوب إليه، ثم الناحية الاقتصادية المتمثلة فيما ساقه الله لهم من رزق ليكونوا شاكرين لنعمه، ومحافظين عليها، أما الآية الثانية فأشارت إلى قدسية المكان، وإلى الأرزاق والخيرات المحسولة إليه من كل مكان، وقد أشار ابن بطوطة إلى المراكز التجارية في بلاد الحجاز مثل، جدة وهو ميناء بحري، ومكة المكرمة، وينبع وتبوك والعلا والدعا، ورابغ وعسفان وغيرها من الموانئ.<sup>(١)</sup>

كما أشار ابن بطوطة إلى أن الوردات التجارية تحمل من داخل بلاد الحجاز إلى مكة المكرمة فيحمل إليها الخضار والفواكه من الأودية القريبة مثل وادي نخلة ويطن مرّ ومن الطائف<sup>(٢)</sup>

وقد تعددت الأسواق التجارية في بلاد الحجاز وتنوعت مبيعاتها وأوقاتها، وقد أشار إلى ذلك ابن بطوطة فذكر أن في مكة المكرمة يوجد سوق تجاري ما بين الصفا والمروة، تباع فيه الأطعمة، وسوق للثياب والأمتعة، وسوق للعطارين عند باب بنى شيبة وسوق الدقاقين أي التوابل في أجياد، يقول ابن بطوطة: وبين الصفا والمروة سوق عظيمة، تباع فيها الحبوب واللحم والتسر والسمن وسواها من الفواكه.<sup>(٣)</sup>

## المبحث الخامس

### الجوانب العلمية لبلاد الحجاز

حفلت رحلة ابن بطوطة بالجوانب العلمية لبلاد الحجاز، متضمنة المذاهب الإسلامية وبعض المدارس العلمية، وأشهر العلماء الكبار، وذلك على النحو التالي:

١- المذاهب الإسلامية في بلاد الحجاز : تعددت المذاهب الإسلامية في بلاد الحجاز، وقد أشار ابن بطوطة إلى تعدد الأئمة في الحرم المكي تبعاً لتعدد المذاهب، فكان هناك المذهب المالكي، والشافعي وأحنفي والحنبلي، ويمثل كل مذهب من هذه المذاهب إمام كبير فهناك الفقيه العالم إمام المالكية أبو عبد الله محمد بن أبي زيد عبد الرحمن. وشهاب الدين بن البرهان إمام الشافعية، وشهاب الدين أحمد بن علي إمام الحنفية، والمحدث محمد بن عثمان البغدادي الأصلي المكي المولود إمام الحنابلة. <sup>١</sup> ولغت انتباه الرحالة الذين سبقوا ابن بطوطة وزاد استنكارهم من وجود الفرقة الزيدية حيث كان الإمام الزيدي موحوداً زمن رحلة ابن حبيب عام ٥٧٩هـ (١١٨٣م). واستمر وجود الزيدية في وقت رحلة التحيبي إلى مكة سنة (٦٩٦هـ/١٢٩٦م). ولكن هذه الفرقة اختفت واختفى وحواد إمامهم في وقت رحلة ابن بطوطة الذي رأى مكة سنة (٧٢٦هـ/١٣٢٥م). وبالرغم من تعدد الأئمة والمذاهب بالحرم الشريف إلا أنه لم يحدث اضطهاد أو تحيز لمذهب على آخر، بل سار أئمة وعلماء المذاهب جنباً إلى جنب لنشر العلم، ورعى يحدث تفقه العلماء على أكثر من مذهب. <sup>٢</sup>

٢- المدارس العلمية في بلاد الحجاز: سارت المدارس العلمية بمكة المكرمة جنباً إلى جنب مع المسجد الحرام في نشر العلم، وقد أشار ابن بطوطة إلى مدرسة واحدة فقط وهي لمدرسة المظفرية، (التي بناها ملك اليمن المظفر نور الدين عمر بن رسول. <sup>٣</sup>) غير أن المسجد الحرام يعد مدرسة علمية ومركزاً لنشر العلم والتعليم من أعظم لمراكز العلمية، حيث تعقد فيه حلقات العلم المتنوعة، ليس وفق منهج محدد بل كن الأمر متروكاً لكل عالم في تدريس المفيد. <sup>٤</sup>

وقد أشار ابن بطوطة إلى أن الكثير من طلاب العلم قد حرصوا على طلب العلم بالمسجد الحرام، وليس بالمدرسة المنتشرة بمكة وحدها. <sup>٥</sup> ولم يشير ابن بطوطة في رحلته إلى وجود مدارس علمية بالمدينة المنورة بسبب ما كن عليه المسجد النبوي والمسجد الحرام من نشاط علمي بسبب وفرة العلماء ولكتب لعلمية، وكأنما مكة والمدينة كانت مقراً لتعلم والعلم.

ويأتي المسجد النبوي مركزاً ثانياً من المراكز العلمية بالحجاز، وظلت المدينة المنورة مقصداً لطلبة العلم، وكان العلماء المجاورون يحتفظون بكتبهم داخل المسجد النبوي في أماكن خاصة بهم، كما ضم المسجد النبوي مكتبة كبيرة وبعض المصاحف الموقوفة على المسجد.<sup>(٧١)</sup>

وقد شاهد ابن بطوطة وغيره من الرحالة الذين نزلوا بلاد الحجاز خزان للكتب في المسجد الحرام، وهي كتب وقفت على المسجد الحرام إلى جانب الكتب الخاصة بكل عالم يتولى التدريس، إلى جانب الكتب الموقوفة من قبل علماء مكة المكرمة مما يعطى انطباعاً واضحاً عن وحد اتصال حضارى بين المسلمين فى بلاد الحجاز وشعوب الدول الأخرى، مما أعطى بلاد الحجاز بعض الخصوصيات الثقافية التى تنفرد بها عن باقى المنطقة العربية<sup>(٧٢)</sup>.

٣- أشهر العلماء الكبار بمكة المكرمة : ضمت مكة المكرمة جمعاً غفيراً من العلماء، سواء كانوا مقيمين بها أو مجاورين للمسجد الحرام، في زمن ابن بطوطة وقد أورد ابن بطوطة عدداً من هؤلاء العلماء مثل: نجم الدين محمد بن محيي الدين الطبري، المولود في سنة (٦٥٨هـ/ ١٢٥٩م)، تفقه وأفتى وتولى القضاء حتى مات في سنة ٧٣٠هـ/ ١٣٢٩م، لقيه ابن بطوطة وأثنى عليه لفضله وكثرة صدقاته ومواساته للمجاورين وحسن خلقه، وكثرة عبادته وإطالة مكوثه في المسجد الحرام وقيامه بإطعام الأشراف والأعيان والفقراء، وخدم الحرم الشريف والمجاورين، وحظي بمكانة كبيرة لدى الملك الناصر ملك مصر، إذا يعتبر وكيلاً عنه في توزيع صدقاته وصدقات أمرائه على سكان مكة المكرمة.<sup>(٧٣)</sup>

والعالم الفاضل جلال الدين محمد الأفشهري، جاور بالحرمين وسمع بها الكثير، وله عناية كبيرة بالحديث الشريف، ولد سنة (٦٦٤هـ/ ١٢٦٥م)، ومات بالمدينة المنورة سنة (٧٣٩هـ/ ١٣٣٨م). وقد لقيه ابن بطوطة وأشار إلى جلوسه عند باب إبراهيم أحد أبواب المسجد الحرام<sup>(٧٤)</sup>

وإمام الحنابلة محمد بن عثمان البغدادي، سمع وحديث وناب في القضاء بمكة المكرمة عن القاضي نجم الدين الطبري، وتوفى سنة (٧٣١هـ/ ١٣٣٠م) و لقيه ابن بطوطة ويّنه أنه بغدادي الأصل مكّي المولد، وكان المحتسب بعد قتل تقي الدين المصري، وله عند الناس هبة وسطورة<sup>(٧٥)</sup>

ومحمد بن عبد الله بن أحمد الطبري المكي الشافعي، ولد سنة (٦٧٨هـ/ ١٢٧٩م) بمكة المكرمة وتوفى سنة (٧٣٥هـ/ ١٣٣١م). وقد مدحه ابن بطوطة كثيراً لبلاغته وحسن بيانه، وكان يكتب لكل جمعة خطبة خاصة بها.<sup>(٧٦)</sup>

والعالم عز الدين الحسن بن علي الواسطي، ولد سنة (٦٥٣ هـ/١٢٥٥ م) ومات في شعبان سنة (٧٤١ هـ/١٣٤٠ م)، ذكره ابن بطوطة من مكة المكرمة والمدينة المنورة وقال عنه: إنه من أصحاب الأموال الطائلة، يحمل إليه من بلده المال الكثير في كل سنة فيبتاع الحبوب والتمر ويقرها على الضعفاء والمساكين، ويتولى حملها إلى بيوتهم بنفسه ولم يزل ذلك دأبه إلى أن توفي.<sup>(١٣)</sup>

والعالم أحمد بن محمد بن أحمد زين الدين الطبري المكي، ولد سنة (٦٩٣ هـ/١٢٩٣ م)، وتوفي بمكة المكرمة سنة (٧٤٢ هـ/١٣٤١ م) قال عنه ابن بطوطة: إنه الفقيه الصالح زين الدين الطبري شقيق نجم الدين من أهل الفضل والإحسان للمجاورين.<sup>(١٤)</sup>

والعالم أحمد بن علي بن يوسف شهاب الدين الحنفي المكي إمام الحنفية بالحرم الشريف، ولد بمكة المكرمة سنة (٦٧٣ هـ/١٢٧٤ م) وتوفي بها سنة (٧٦٣ هـ/١٢٧٤ م)، قال عنه ابن بطوطة: إنه من كبار أئمة مكة المكرمة وفضلائها وكرمائها، قام في كل عام باستدانة أربعين أو خمسين ألف درهم لإطعام المجاورين وأبناء السبيل.<sup>(١٥)</sup>

٤- أشهر العلماء الكبار بالمدينة المنورة. حفلت لمدينة المورة بالعديد من العلماء القاصين على التعليم ونشر العلم، إضافة إلى العلماء القادمين إليه، ورى حاور بعضهم واستقر بها ذلك في زمن ابن بطوطة من بين هؤلاء العلماء: العالم الجليل سراج الدين عمر بن أبي العباس الأنصاري، ولد سنة (٦٣٥ هـ/١٢٣٧ م) وتوفي سنة (٧٢٦ هـ/١٣٢٥ م)، أشار إليه ابن بطوطة بقوله: قاضي وخطيب المدينة المنورة، ظل قاضي وخطيب المدينة نحو أربعين سنة.<sup>(١٦)</sup>

والعالم جمال الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد العبادي السعدي الشافعي رئيس المؤذنين بالحرم النبوي الشريف، ونائب القاضي والخطيب والإمام في المدينة المورة، ولد سنة (٦٧١ هـ/١٢٧٢ م) وتوفي سنة (٧٤١ هـ/١٢٤٣ م) وقال عنه ابن بطوطة: هو الإمام المحدث الفاضل.<sup>(١٧)</sup>

والعالم محمد بن محمد بن أحمد كمال الدين المصري، نبغ في الفقه، وسمع الحديث، تولى القضاء والخطبة والإمامة بالمدينة المورة، ولد سنة (٦٧٤ هـ/١٢٧٥ م) في القاهرة، وتوفي سنة (٧٤٥ هـ/١٣٤٤ م)، ولفيه ابن بطوطة قاتلاً عنه: إنه من مصر وأشار إلى توليه الخطابة والقضاء بالمدينة المنورة.<sup>(١٨)</sup>

والعالم أبو عبد الله محمد بن محمد الغرناطي، جاور بالمدينة وأخذ الحديث وأتقن الفرائض والحساب، توفي سنة (٧٥٤هـ/١٣٥٣م) ولقيه ابن بطوطة وأثنى عليه ونعته بالشبح المجاور المعروف بالتراس وأصبح فيما بعد أحد القائمين على خدمة المسجد النبوي الشريف.<sup>(١٩٩)</sup>

والعالم محمد بن فرحون بن محمد بن فرحون التونسي المولد والمنشأ، أشار ابن بطوطة إلى عمله نائباً للقاضي سراج الدين، وله العديد من الأبناء بالمدينة المنورة، ومات سنة (٧٢١هـ/١٣٢٠م) وقد برع في علم الميقات.<sup>(٢٠٠)</sup>

والعالم عبد الله بن محمد بن فرحون قاضي المالكية ومؤرخ المدينة المنورة، ولد سنة (٦٩٣هـ/١٢٩٣م)، أخذ العلم على يد علماء عصره، واستوطن المدينة المنورة، وعمل نائباً للقاضي مدة أربع وعشرين سنة، ثم انفرد بقضاء المالكية، وكان عالماً بالحديث ومعانيه والقرآن الكريم وتفسيره، وله العديد من المؤلفات، قال عنه ابن بطوطة: أبو محمد عبد الله مدرس المالكية ونائب الحكم.<sup>(٢٠١)</sup>

والعالم البهاء بن سلامة المصري الذي قام بالخطابة، والإمامة بالمدينة المنورة، أشار ابن بطوطة إلى إمامته للمسجد النبوي الشريف وقت قدومه إلى المدينة المنورة، وكان من أكابر المصريين.<sup>(٢٠٢)</sup>

لقد تمتعت مكة المكرمة والمدينة المنورة بمكانة علمية عظيمة في نفوس المسلمين جميعاً، وهما من أهم المراكز التي تشد إليها الرحال وتضرب إليها أكناد الإبل في سبيل طلب العلم والعبادة، وقام علماؤها بدور كبير في النهوض بالحركة العلمية وازدهارها.

## الخاتمة

لقد اعتمدت في هذا البحث على كتاب رحلة ابن بطوطة لإظهار أهميته، والتأكيد على أن هذه الرحلة من المصادر المهمة لتاريخ الحجاز، وقد قمخض هذا البحث عن عدد من النتائج تتعلق بالجوانب السياسية والاجتماعية والاقتصادية والعلمية، ومن هذه النتائج نتائج الجوانب السياسية: حيث ظهر من خلال الدراسة أنه قد حدث اضطراب سياسي في بلاد الحجاز نتيجة تصارع أمراء الأشراف فيما بينهم على الإمارة، وقد استعان الأمراء الأشراف بملوك مصر تارة وملوك اليمن تارة أخرى في سبيل الحصول على الحكم، وقد ارتبط أشراف الحجاز ارتباطاً وثيقاً في القرن الثامن الهجري بالمماليك بمصر، الذين تدخلوا في شئون الحجاز الداخلية، وامتد ليشمل الأمراء أنفسهم من ناحية توليتهم وعزلهم، وامتدت سيطرت أمراء مكة المكرمة على مناطق شاسعة خارج الحجاز ليشمل مملكة سواكن وبلاد الحبشة.

أما الجوانب الاجتماعية: فقد تعددت الطبقات في المجتمع الحجازي، واختلاف تركيبته السكانية، وظهرت عادات وتقاليد انفراد بها أهل الحجاز عن سائر الأمصار الإسلامية، وكذلك الاحتفالات المرتبطة بأكثر الشهور العربية.

أما الجوانب الاقتصادية: فقد ظهر من خلال الدراسة استقرار الأحوال السياسية بالممالك الإسلامية المجاورة للحجاز يعقبه استقرار سياسي واقتصادي بالحجاز يسبب ما يصلها من أعطيات منها بانتظام، وأن أهل الحجاز لديهم معرفة بأساليب المعاملات التجارية يختلف أنواعها، وأن للأسواق وانتشارها وجود كبير.

ومن حيث الجوانب العلمية: كانت رحلة ابن بطوطة مشاهدات في بلاد الحجاز بمثابة موسوعة علمية مصفرة عن هذه البلاد لما حوته من معلومات مهمة لكافة أحوال المسلمين في القرن الثامن الهجري.

وتضمنت هذه الرحلة العديد من أسماء العلماء البارزين في مكة والمدينة، كما ضمت مكة المكرمة والمدينة المنورة المذاهب الإسلامية الأربعة وسار علماء هذه المذاهب جنباً إلى جنب لدفع الحركة العلمية والنهوض بها وبروز دور المسجد الحرام العلمي، وكذلك دور المسجد النبوي فكان كل منهما بمثابة جامعة مفتوحة يتوافد إليها طلاب العلم المسلمون من جميع أنحاء العالم الإسلامي.

كما أبرزت الدراسة دور العلماء المجاورين في رواج الحركة العلمية بمكة المكرمة والمدينة المنورة، واطلعت الدراسة من خلال رحلة ابن بطوطة على كثير من المشاهد الجغرافية والعمرانية في مكة المكرمة والمدينة المنورة.

## هوامش البحث

### هوامش التمهيد

- ١- حسين محمد فهم، أدب الرحلات، طبعة عالم المعرفة العدد ١٣٨، الكويت ١٩٨٩ م. ص ٢٧. وانظر ابن الخطيب ذو الوزارتين لسان الدين ت ٧٧٦هـ، الإحاطة في أخبار غرناطة، تحقيق محمد عبد الله عان، طبعة الشركة المصرية للطباعة والنشر - القاهرة ١٩٧٤ م، ٢٧٣/٣.
- ٢- ابن حجر شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن علي العسقلاني ت ٨٥٢هـ، الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، طبعة دار الجليل - بيروت بدون تاريخ ٤٨٠/٣.
- ٣- ابن بطوطة، الرحلة، طبعة دار صادر بيروت ١٩٨٥ ص ٥.
- ٤- ولواته بطن من بطن البربر ينتسبون إلى لوا الأصغر بن لوا الأكبر بن زهيك. انظر عبد الرحمن بن خلدون ت ٨٠٨هـ، تاريخ ابن خلدون، طبعة مؤسسة جمال للطباعة والنشر - بيروت ١٩٧٩ م. ١١٦/٦.
- ٥- ابن بطوطة، الرحلة ص ١٤. و«طبعة» بلد على ساحل بحر المغرب، وهي مدينة قديمة، آثارها ظاهرة، باؤها بالحجارة قائمة على البحر، وهي على ظهر جبل، وهي آخر حدود أفريقيا، انظر ياقوت الحموي ت ٦٢٦هـ، معجم البلدان طبعة دار صادر - بيروت بدون تاريخ ٤٣/٥.
- ٦- ابن بطوطة، الرحلة ص ٥١١.
- ٧- ابن بطوطة، الرحلة ص ١٨.
- ٨- ابن حجر العسقلاني، الدرر الكامنة ٤٨٠/٣.
- ٩- ابن بطوطة، الرحلة ص ١٤.
- ١٠- ابن خلدون عبد الرحمن ت ٨٠٨هـ، المقدمة طبعة دار نهضة مصر، الطبعة الثالثة بدون تاريخ، ٣٢٢/١.
- ١١- ابن حجر العسقلاني، الدرر الكامنة، طبعة دار الكتب الحديثة القاهرة بدون تاريخ، ١٠/٤.
- ١٢- انظر مقدمة ابن جري برحلة ابن بطوطة ص ٩-١٣، وانظر ابن الخطيب، الإحاطة ٢٥٦-٢٥٧/٢، ٢٦٥.
- وانظر زكي محمد حسن، الرحالة المسلمون في العصور الوسطى، طبعة دار المعارف القاهرة ٥٤٩١ م، وانظر:
- M Zakki Arab Accounts of India (During The Fourteenth century) dell, Delhi, 1981
- ١٣- ابن بطوطة، الرحلة ص ١٤، ١٧٠، ٢٤٠-٢٤٢، ٢٨٠، ٦٥٤.
- ١٤- ابن حجر العسقلاني، الدرر الكامنة ٤٨٠/٣.

١٥- ابن بطوطة، الرحلة ص ١٤، ١٣٠.

١٦- كراتشكوفسكي، ترويج الأدب الجغرافي نقله إلى العربية صلاح الدين عثمان، طبعة جامعة الدول العربية ١٩٥٧ م، ٤٢١/١. ونقلوا زيادة، الجغرافية والرحلات عند العرب ط ٣، طبعة المطبعة الأهلية للنشر والتوزيع- بيروت ١٩٨٢ م ص ١٨٠.

١٧- ابن بطوطة، الرحلة ص ١٠٨ - ١١٠.

١٨- نقلوا زيادة، الجغرافية والرحلات عند العرب ص ١٨٢.

١٩- حسني محمود حسين، أدب الرحلة عند العرب ص ٤١، والبستاني، دائرة المعارف ٣٩٩/١.

وانظر :

- Blanche Trapièu : Les Voyageurs Arabes au Mogen Age Gallimard, 8 eme edition, 1937.

٢٠- ابن بطوطة، الرحلة ص ٤١٠، ٥١٥ - ٥١٦.

٢١- جزيرة المهيل، وهي ما تعرف اليوم بحرائر المالديف، انظر محمد محمود الصدد، رحلة ابن بطوطة، طبعة دار المعارف للطباعة، والنشر والتوزيع تونس ١٩٨٥ م، ص ٤٩ وشوقي عبد القوي عثمان، تجارة المحيط الهندي في عصر السيادة الإسلامية، طبعة عدم المعرفة - العدد ١٥١١، لكويت ١٩٩٠، ص ١٩٣.

٢٢- ابن بطوطة، الرحلة ص ١٨، ٥١١، ٥٨٢، ٥٨٨، وانظر ابن حجر العسقلاني، الدرر الكامنة ٣/ ٤٨٠.

٣٢- انظر مقدمة هذا المرجع :

- C H.Lockitt, theadventure of Travel Longman 15th edition 1960 .

### هوامش البحث الأول

١- ابن رشيد، ملء العيبة، ط دار الغرب الإسلامي- بيروت ١٩٨٨ م، ٧/٥، ابن بطوطة، الرحلة ص ١١٢.

٢- ابن رشيد، ملء العيبة ١١/٥ - ١٢، ١٥ - ١٦، وابن بطوطة، الرحلة ١١٢ - ١١٣.

٣- البهوي، تاج المفرق تحقيق الحسن السائح - ط بيروت (د ت) ٢٧٨/١، وابن بطوطة، الرحلة، ١١٢ - ١١٣، وابن رشيد، ملء العيبة ١٤/٥ - ١٥.

٤- ابن بطوطة، الرحلة ص ١١٣، والبهوي، تاج المفرق ٢٧٩/١.

٥- التميمي، مستعد الرحلة ص ٢١٨ - ٢١٩، وابن بطوطة، الرحلة ص ٢٤٢ - ٢٤٣.

٦- العبدري، الرحلة امعربية ص ١٦٣ - ١٦٤، وابن بطوطة، الرحلة ص ١٢٨ - ١٢٩.

٧- البلوي، تاج المشرق ٢٧٩/١، وابن بطوطة، الرحلة، ص ١٢٨.

٨- ابن بطوطة، الرحلة ص ١٢٨-١٢٩، والعبدي، الرحلة المغربية ص ١٦٣ - ١٦٤.

٩- العبدي، الرحلة المغربية ص ١٦٤ - ١٦٥، وابن بطوطة، الرحلة ص ١٢٩.

١٠- ابن بطوطة، الرحلة ص ١٢٩، والعبدي، الرحلة المغربية ص ١٦٦.

١١- ابن بطوطة، الرحلة ص ١٢٩.

١٢- ابن بطوطة، الرحلة ص ١٢٩-١٣٠.

١٣- ابن بطوطة، الرحلة ص ١٣٠.

١٤- ابن بطوطة، الرحلة ص ١٣١، وأبو عبدالله العبدي: الرحلة المغربية - تحقيق محمد الفاسي - طبعة الرباط المغرب ١٩٦٨ م. ص ١٧٢ - ١٧٣، التنجيبي الفاسم بن يوسف ت ٧٣٠ هـ: مستفاد الرحلة والاعترا ب، تحقيق عبد الحفيظ منصور، طبعة الدار العربية للكتاب ليبيا- تونس ١٩٧٥ م. ص ٢٣٠.

١٥- ابن بطوطة، الرحلة ص ١٣١-١٤٤، والعبدي، الرحلة المغربية ص ١٧٣، والتنجيبي، مستفاد الرحلة ص ٣٥١.

١٦- ابن بطوطة، الرحلة ص ١٤٤، والعبدي، الرحلة المغربية ص ١٧٣، والتنجيبي، مستفاد الرحلة ص ٣٥٠.

١٧- جبل الخدمة: الحديقة جبال مكة الشرقية التي تبدأ من أبي قيس متجهة شرقا إلى المفجر الذي يفصل بين جبال منى وجبال مكة وتقتد جنوبها حتى تشرف على المفجر الغربي الذي يفصلها عن جبل ثور، انظر البلادي عاتق بن غيث، معجم معالم الحجاز، طبعة مطبوعات نادي الطائف الأدبي- السعودية ١٩٧٨ م. ٣/ ١٦٠.

١٨- ابن بطوطة، الرحلة ص ١٤٤، والعبدي، الرحلة المغربية ص ١٧٣.

١٩- وهو الآن يقع داخل عمران مكة، ويشرف على حى الهجرة.

٢٠- ابن بطوطة، الرحلة ص ١٤٥، والتنجيبي، مستفاد الرحلة ص ٣٥٥، والعبدي، الرحلة المغربية ص ١٨٦.

٢١- ابن بطوطة، الرحلة ص ١٤٤-١٤٥، والتنجيبي، مستفاد الرحلة ص ٣٦١.

٢٢- ابن بطوطة، الرحلة ص ١٦٩، والعبدي، الرحلة المغربية ص ١٨٣ - ١٨٤، والحربي، المسالك وأماكن طرق

الحج تحقيق حامد الجاسر ط ٢ - الرياض ١٩٨١ م. ص ٥٠٦ - ٥٠٨، والفاسي، شعاع القرام ١/ ٤٩١

- ٤٩٢، ٤٩٨، ٤٩٩، ٥٠٤ - ٥٠٦.

٢٣- للعبدي، الرحلة المغربية ص ١٨٤ - ١٨٥، والفاسي، شعاع القرام ١/ ٤٨٢ - ٤٨٨، وابن بطوطة، الرحلة

ص ١٦٩ - ١٧٠.

٢٤-التجيبى، مستفاد الرحلة ص ٢٢٢، وابن رشيد، مل- العيبة بما جمع بطول الغيبة في الوجبة الوجهية إلى الحرمين مكة وطيبة - تحقيق محمد الحبيب جد ٢ طبعة الدار التونسية للنشر - تونس ١٩٨٢ م، جد ٣ طبعة ١٩٨١ م. وجه طبعة دار العرب الإسلامي - بيروت ١٩٨٨ م. ١٥/٥، وابن بطوطة، الرحلة ص ١٢٩ - ١٣٠.

٢٥-ابن بطوطة، الرحلة ص ١٢٦، عبد القدوس الأنصاري، آثار المدينة المنورة ط ٤، طبعة المطبعة العربية الحديثة - بيروت ١٩٨٥ م. ص ٢٣٩، ٢٤٦، وألشنتقطي، الدر الثمين ط ٣، طبعة دار القيلة - مكة ١٩٩١ م. ص ١٦٧.

٢٦-ابن بطوطة، الرحلة ص ١١٨ - ١١٩.

٢٧-ابن بطوطة، الرحلة ص ١١٤ - ١١٩.

٢٨-البُلوي، تاج المفرق ١/ ٢٨٧ - ٢٨٨. وابن بطوطة الرحلة ص ١٢٥.

٢٩-ابن بطوطة، الرحلة ص ١٢٥، والبُلوي، تاج المفرق ١/ ٢٨٨.

٣٠-ابن بطوطة، الرحلة ص ١٢٥، والبُلوي، تاج المفرق ١/ ٢٨٨.

٣١-البُلوي، تاج المفرق ١/ ٢٨٨، وابن بطوطة، الرحلة ص ١٢٥.

٣٢-ابن بطوطة، الرحلة ص ١٢٦.

٣٣-البُلوي خالد بن عيسى ت ٧٨٠ هـ، تاج المفرق في تحلية علماء المشرق، تحقيق ومقدمة الحسن السائح، طبعة بيروت (د. ت)، ١/ ٣٠٥ - ٣٠٧، والفاسي محمد بن أحمد الحسني ت ٨٣٢ هـ، شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام، تحقيق عُمر عبد السلام التدمري طبعة دار الكتاب العربي - بيروت ١٩٨٥ م، ١/ ٣٦٩، ٣٨٥ - ٣٨٧، ٣٣٠ - ٣٣١، ٣٤٦، التجيبى، مستفاد الرحلة ص ٢٤٣ - ٤٤٦، ٢٢٧ - ٢٢٨، ٣٠٣ - ٣٠٤، ٢٧٩ - ٢٨٠، وابن بطوطة، الرحلة ص ١٣٦، ١٣٩ - ١٤٠.

٣٤-ابن بطوطة، الرحلة ص ١٤٢ - ١٤٤، والبُلوي، تاج المفرق ١/ ٣١٢.

٣٥-البُلوي، تاج المفرق ١/ ٣٨٠، وابن بطوطة، الرحلة ص ١٤٢، وسيد عبد المجيد بكر، أشهر المساحد في الإسلام ط دار القيلة - مكة ١٩٨٤ م. ص ١٠٢ - ١٠٤.

٣٦-ابن بطوطة، الرحلة ص ١٤٣، ولتجيبى، مستفاد الرحلة ص ٢٤٩، والبُلوي، تاج المفرق ١/ ٣٩٠.

٣٧-ابن بطوطة، الرحلة ص ١٦٩.

٢٨-التجيبى، مستفاد الرحلة ص٢٤٩، والبلادي، معالم مكة التاريخية والأثرية ط دار مكة السعودية ١٩٨٠ م. ص٢٧٢، وابن بطوطة، الرحلة ص١٦٩ - ١٧٠.

٣٩-التجيبى، مستفاد الرحلة ص١٤٣، والبلوي، تاج المشرق ١/٣١٠، والفاسي، شفاء الغرام ١/٤٢٩، وابن ظهيرة، الجامع اللطيف ص٢١٠، وابن بطوطة، الرحلة ص١٤٣.

٤٠-الفاسي، شفاء الغرام ١/٥٢٧، وابن بطوطة، الرحلة ص١٣٩، والتجيبى، مستفاد الرحلة ص٢٤٥.

٤١-ابن بطوطة، الرحلة ص ١٤٤، والفاسي، شفاء الغرام ١/٥٢٧.

٤٢-ابن بطوطة، الرحلة ص ١٤٠، والتجيبى، مستفاد الرحلة ص٤٥٦، والعاسي، العقد الثمين ١/١٢٢.

٤٣-الفاسي محمد بن أحمد الحسيني ٨٣٢هـ، - والعقد الثمين في أخبار البلد الأمين، تحقيق عمر عبد السلام التدمري طبعة دار الكتاب العربي - بيروت ١٩٨٥ م، ١/١٢٠، وابن بطوطة، الرحلة ص١٤١.

٤٤-ابن فهد، إتحاف الوري ٣/٦٠، والفاسي، شفاء الغرام ١/٥٢٨، وابن بطوطة، الرحلة ص ١٤٨.

٤٥-ابن بطوطة، الرحلة ص ١٥٤، والفاسي، شفاء الغرام ١/٥٣٢ - ٥٣٥، والفاسي، العقد الثمين ١/١٢٠ - ١٢٢، وابن فهد، إتحاف الوري ٢/٥٦٤، ٣/٦٤.

٤٦-التجيبى، مستفاد الرحلة ص٢٣٣ - ٢٣٦، ٢٣٩، والبلوي، تاج المشرق ١/٣١١ - ٣١٣، والفاسي، شفاء الغرام ١/٤٣٨، ٤٣٩، وابن بطوطة، الرحلة ص١٤، ١٤٢.

٤٧-ابن بطوطة، الرحلة ص ١٣١.

٤٨-ابن فهد، إتحاف الوري ٢/٥٣٦ - ٥٣٨، والتجيبى، مستفاد الرحلة ص٢٥٢، وابن الجوزي، المنتظم ١/٢٦٠.

٤٩-البلوي، تاج المشرق ١/٣٠٩، والتجيبى، مستفاد الرحلة ص٢٣٣، ٢٤٦، ٢٤٨، ٢٤٩، والفاسي، شفاء الغرام ١/٥٥٩، ٥٥٢، ٥٤٦، ٥٥٢، والفاسي، العقد الثمين ١/١٢٠، وابن بطوطة، الرحلة ص١٤١ - ١٤٣، ١٥٤.

### هوامش المبحث الثاني

١- ابن بطوطة، الرحلة ص ١٤، ٢٢.

٢- رميشة بن أبي غي محمد بن أبي سعد حسن بن أبي علي أمير مكة، وليها نحو ثلاثين سنة، توفي ثامن ذي القعدة ٧٤٦هـ/١٣٤٥ م. انظر ابن تعري بردي، الدليل الشافي على المهمل الصافي، تحقيق فهم شلتوت، طبعة مكتبة الخانجي القاهرة (د - ت) ١/٣٠٦.

٣- عطيفة بن أبي غي محمد بن أبي سعد حسن بن أبي علي أمير مكة، وليها إحدى عشرة سنة ونصف، وقتل سنة ٧١٠هـ. انظر ابن تعري بردي، الدليل الشافي ١/٢٧٩.

- ٤- السلطان يوسف بن عمر بن علي بن رسول أحد سلاطين الدولة الرسولية ، الذين حكموا اليمن أكثر من قرنين واتسع ملكهم فشمل أكثر بلاد اليمن ، وتبرجع تسمية الدولة بهذا الاسم إلي أن تسبهم ينتهي إلي محمد بن هارون الغساني ، وكان أثيراً عند الخليفة العباسي ، فأرسله عدة مرات إلي سلاطين الأيوبيين بمصر فأطلق عليه لقب رسول ، واعتبر المؤرخون أن دولة بني رسول دولة هيمية وليست دخيلة ولذلك يعتبرون محمد بن هارون من حمدة جبلة بن الأيهم آخر ملوك العباسية . انظر أحمد شلبي ، موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية ، الطبعة الثالثة مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ١٩٨٥ م ، ٣٥١/٧ . وانظر ابن بطوطة ، الرحلة ص ١٤٨ ، ١٣٩ .
- ٥- أحمد بن إبراهيم الحسيني ، شفاء لقلوب في صاقيب بني أيوب تحقيق ناظم رشدي ، ط بيروت ( د ت ) ص ٥٠ - ٥٥ ، والزركلي ، الأعلام طبعة دار العلم للملايين - بيروت ١٩٨٦ م ، ٩٠ / ٢ .
- ٦- العر بن فهد ، غاية لمرام تحقيق فهم شلتوت - طبعة دار المدني السعودية ١٩٨٦ م ، ٥٩٦ / ١ - ٥٩٨ .
- ٧- ابن بطوطة ، الرحلة ص ٤٣ ، ١٤٩ ، ١٦٠ ، ١٦١ .
- ٨- ابن بطوطة ، الرحلة ص ١٤١ .
- ٩- البجة : أرض أسفل مصر والبيعة هـ جنس من الحبش . ولادهم بين البحر الأحمر ونبيل مصر ، والبجة من مدن الحبشة ، انظر ابن حوقل أبو القاسم التنصيص ت ٣٦٧ هـ ، صورة الأرض ، طبعة دار مكتبة الحياة ، بيروت ١٩٧٩ ، ص ٥١ ، وهاقوت الحموي ، معجم البلدان ( ١ : ٣٤٠ )
- ١٠- سواكن . ميناء سوداني على ساحل بحر الحار قرب عباد ترفاً ليه السفلى لشي تقدم من جدة ، وأهل بجاة سود نصاري ، انظر هاقوت الحموي ، معجم البلدان ٢ / ٣٧٦ .
- ١١- زيد بن أبي عمي محمد بن أبي سعد حسن بن علي بن قتادة بن دريس بن مطاعن الحسني ، انظر الفاسي تقي الدين محمد بن أحمد الحسيني ت ٨٣٢ هـ ، العقد الثمين في أخبار البلد لأمين تحقيق عمر عبد السلام لشدهري ، طبعة دار لكتاب العربي - بيروت ١٩٨٥ م ، ٤٨٣ / ٤ - ٤٨٤ .
- ١٢- ابن بطوطة ، الرحلة ص ٢٤٥ .
- ١٣- أبو سعيد بن حريد بن أرغون بعا ملك التتار وصاحب العراق والجزيرة وخرسان والروم ، كان مسلماً حسن الإسلام ، قام في ملكه عشرين سنة ، ومات سنة ٧٣٦ هـ / ١٣٣٥ م ، انظر ابن حجر العسقلاني ، الدرر لكمنة ١ / ٥٠١ ، ١٣٧ / ٢ .
- ١٤- ابن بطوطة ، الرحلة ص ١٧٢ ، ٢٤١ .
- ١٥- ابن بطوطة ، الرحلة ص ١٤٩ ، ١٦١ .
- ١٦- أبدمور أحد الأمراء بالقاهرة في أيام ملك الناصر ، كان أمير حسار ، وحج بالناس ، انظر ابن حجر العسقلاني ، الدرر لكمنة ١ / ٤٠٧ .

١٧- ابن بطوطة، الرحلة ص ٢٤٢ .

١٨- كِلوة: موضع بأرض الزنج وعلى بعد نحو ٢٤ كم، إلى الجنوب من مدينة دار السلام عاصمة تنزانيا حالياً .  
انظر ياقوت الحموي، معجم البلدان ٤/٤٧٨ .

١٩- هو أبو المظفر حسن بن سليمان، كان كثير الفوز إلى أرض الزنوج والإعارة عليهم، فكثرت عدايمته، وعمل على صرفها وفق تعاليم الشريعة الإسلامية في كتاب الله عز وجل، وقد حكم ٢٤ سنة ومات دون عقب.  
انظر ابن بطوطة، الرحلة ص ٢٥٨ ، والمالكى سليمان عبد الغنى، سلطنة كلوة الإسلامية، طبعة دار النهضة العربية، بيروت ١٩٨٦، م، ص ٤٣ .

٢٠- ابن بطوطة، الرحلة ص ٢٥٨ .

٢١- ابن بطوطة، الرحلة ص ١٥٥ .

٢٢- ابن بطوطة، الرحلة ص ٢٤٣

٢٣- وادي الصفراء من ناحية المدينة المنورة، وهي فوق يسع م، في المدينة المنورة. انظر ياقوت الحموي، معجم البلدان ٤/٤١٢ .

٢٤- ابن بطوطة، الرحلة ص ١٢٨

٢٥- هو طعيل بن منصور بن جدار الحسيني استقر في إمرة المدينة المنورة بعد قتل أخيه كبش بن منصور بن جدار الحسيني في رجب ٧٢٨ هـ/ ١٣٢٧ م. وكان أميراً كبيراً كامل السؤدد وعالي الهمة صاحب جود، محسناً لاسيما إلى المجاورين، استمر حاكماً إلى سنة ٧٥٠ هـ/ ١٣٤٩ م. انظر السخاوي شمس لدين محمد بن عبد الرحمن ت ٩٠٢ هـ، التحفة النطيفة في تاريخ مدينة الشريعة، عنى بطبعه ونشره أسعد طرا بزوني الحسيني. (٥ ت) ٢/٢٥٨-٢٥٩ .

٢٦- كبش بن منصور بن جدار الحسيني، ولي إمرة المدينة المنورة بعد قتل أبيه في رمضان سنة ٧٢٥ هـ/ ١٣٢٤ م. فأقام سنة ونحو خمسة أشهر، وقتل على يد أولاد عمه مقبل بن جدار في رجب ٧٢٨ هـ/ ١٣٢٧ م. انظر السخاوي، التحفة النطيفة ٣/٤٢٦-٤٢٧ .

٢٧- مقبل بن جدار بن شحنة بن هشام الحسيني، طرق المدينة المنورة في شعبان سنة ٧٠٩ هـ/ ١٣٠٩ م فتعبط منه كبش بن منصور بن جدار وهو ابن أخيه، وكان إذ ذاك يحالف أباه على الإمرة فدهمهم مقبل بن جدار ليلاً ونصب مسلماً حبشياً كان معه وصعد معه على السور فاستيقظ له كبش وتقاتلا إلى أن قتل مقبل وقتل معه عدد من أقاربه، انظر ابن حجر العسقلاني، الدرر الكهنة ٤/٤٢٦ .

٢٨- ابن بطوطة، الرحلة ص ١٢٤ .

٢٩- القلقشندي، صبح الأعشى شرح وتعليق نبل الخطيب ط دار الفكر ودار الكتب العلمية - بيروت ١٩٨٧ م.  
٣٠٤/٤ - ٣٠٥، وأحمد بن محمد بن صالح الحسبي، المدينة المنورة عبر التاريخ الإسلامي ط بيروت ١٩٧٢ م. ١١٨ - ١٢١.

٣٠- ابن بطوطة، الرحلة ص ١٢٣-١٢٤.

٣١- عز الدين بن فهد، غاية المرام ٤١/٢.

٣٢- المصدر السابق ١٨/٢.

٣٣- الخرجي، العقود الثلوثية في تاريخ الدولة الرسولية، تصحيح محمد الأكوخ ط صغ ١٩٨٣ م ٢٨٠/١.  
والقلقشندي، صبح الأعشى ٢٧٨/٤، والعز بن فهد، غاية المرام ٨٠/٢.

٣٤- ابن بطوطة، الرحلة ص ١٢٨ - ١٢٩.

٣٥- ينبع مكان بين مكة والمدينة، وتسمى بذلك لكثرة مياهها، ياقوت الحموي، معجم البلدان ٤٥٠/٥.

- رابع: واد يقطعه الحاج بين البرود والحفة، ياقوت الحموي، معجم البلدان ١١/٣.

- وادي الصفراء: من ناحية المدينة كثير الحبل والزرع والخبر سهو بين بدر مرحلة، وماء هذا الوادي كله عيون، وهي فوق ينبع على يلى المدينة. انظر ياقوت الحموي، معجم البلدان ٤١٢/٣.

- خليص: مكان بين مكة والمدينة، انظر ياقوت الحموي، معجم البلدان ٣٨٧/٢.

٣٦- ابن بطوطة، الرحلة ص ٢٤٣.

٣٧- مر الظهران: موضع على مرحلة من مكة، وهو الوادي وبه عيون كثيرة، انظر ياقوت الحموي، معجم البلدان ١٠٤/٥.

٣٨- ابن بطوطة، الرحلة ص ١٢٨-١٢٩.

٣٩- القلقشندي، صبح الأعشى ٢٨١/٤.

٤٠- التنجبي، مستفاد الرحلة تحقيق عبد الحفيظ مصور، ط الدار العربية للكتاب ليبيا - تونس ١٩٧٥ م.  
ص ٣٠٥، والقلقشندي، صبح الأعشى ٢٧٧/٤.

٤١- التنجبي، مستفاد الرحلة ص ٣٠٥ - ٣٠٦.

٤٢- ابن بطوطة، الرحلة ص ١٢٣ - ١٢٤.

٤٣- التنجبي، مستفاد الرحلة ص ٣٠٥ - ٣٠٧.

٤٤- ابن بطوطة، الرحلة ص ١٢٤.

٤٥- التجيبي، مستفاد الرحلة ص ٣٠٧، وأحمد بن عمر الزيلعي، نظام المشاركة في الحكم لدى أشرف مكة  
مجلة النذرة العدد (٣) الرياض ١٤٠٩ هـ ص ٧٤ - ٧٥

٤٦- العصامي، سمط النجوم ٢٢٥/٤.

٤٧- المصدر السابق ٢٢٧/٤.

٤٨- التجيبي، مستفاد الرحلة ص ٤٦٣.

٤٩- ابن بطوطة، الرحلة ص ١٩٤، ١٦٠، وانظر ابن فهد، إتحاف الوري ٥٤٦/٢.

٥٠- التجيبي، مستفاد الرحلة ص ٤٦٣.

٥١- ابن بطوطة، الرحلة ص ١٧٢، ٢٤١، ٢٥٨.

٥٢- ابن بطوطة، الرحلة ص ١٤٩، ١٧١.

٥٣- الفلقشندي، صبح الأعشى ٢٣٦/١٢.

٥٤- ابن بطوطة، الرحلة ص ١٤٩، ١٥١، ١٦١، والتجيبي، مستفاد الرحلة ص ٤١٥، والفلقشندي، صبح  
الأعشى ٢٣٦/١٢ - ٢٣٧.

٥٥- التجيبي، مستفاد الرحلة ص ٤٦٥، وابن بطوطة، الرحلة ص ١٢، ١٢١، ١٦٩.

٥٦- ابن بطوطة، الرحلة ص ١٦٠.

٥٧- المازدي، الأحكام السلطانية، ط دار الكتب العلمية بيروت (د ت) ص ٢٩٩، وابن الأخوة، معالم القرية  
تحقيق محمد محمود شعبان وصديق أحمد عيسى ط الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٦ م ص ٥١،  
والسنامي، نصاب الاحتساب تحقيق موتل يوسف ط دار العلوم القاهرة ١٩٨٣ م ص ١٢ - ١٣، وابن  
بطوطة، الرحلة ص ١٥١ - ١٥٢، والقاسي، العقد الثمين ١٣٤/٢ - ١٣٥.

٥٨- ابن بطوطة، الرحلة ص ١٦٢.

٥٩- التجيبي، مستفاد لرحلة ص ٢٢٩، والفلقشندي، صبح الأعشى ٢٨١/٤.

### هوامش المبحث الثالث

١- الفلقشندي، صبح الأعشى ٢٨١/٤.

٢- ابن بطوطة، الرحلة ص ١٨٤.

٣- القاسي، العقد الثمين ٤١٥/٤.

٤- التجيبي، مستفاد الرحلة ص ٣٠٦ - ٣٠٧.

٥- عجلائ بن ربيعة ولي مكة لعدة مرات وتوفي سنة ٧٧٧هـ، انظر ابن تغري بردي، الدليل الشافي ١/ ٤٤٢.

٦- ثقبه بن ربيعة من أسرة قتادة ولي إمارة مكة شريكاً لأخيه، ثم استقل بها إلى أن مات سنة ٧٦٢هـ / ١٣٦٠م، انظر ابن تغري بردي، الدليل الشافي ١/ ٢٣١، وانظر القاضي، العقد الثمين ٤/ ٥٩ - ٦٠.

٧- ابن بطوطة، الرحلة ص ١٦٢-١٦٣.

٨- التجيبي، مستفاد الرحلة ص ٢٢٩، وسليمان المالكي، بلاد الحجاز ط دارة الملك عبد العزيز - الرياض ١٩٨٣م ص ١١٠.

٩- ابن بطوطة، الرحلة ص ١٦٢.

١٠- ابن بطوطة، الرحلة ص ١٥٠ - ١٥١، ١٢٠ - ١٢١.

١١- ابن بطوطة، الرحلة ص ١٤٩، ١٢٠ - ١٢١.

١٢- ابن بطوطة، الرحلة ص ١٤٨ - ١٤٩، وحميل حرب، الحجاز والبس في العصر الأيوبي - ط تهامة السعودية ١٩٨٥م ص ٢٣ وانظر ابن حجر، الرحلة ص ١٢٨، ١٢٧، ١٢٥.

١٣- الأغوات، جمع الأغا، انظر عبد الرحيم عبد الكريم الأنصاري، نخبة المحبين تحقيق محمد العروس ط تونس ١٩٧٠م ص ٥٣.

١٤- السخاوي، التحفة اللطيفة ١/ ٦١ - ٦٣.

١٥- التجيبي، مستفاد الرحلة ص ٢٤٧.

١٦- التجيبي، مستفاد الرحلة ص ٢٦٤.

١٧- ابن حجر العسقلاني، الدرر الكامنة ٤/ ٣٣٦، وابن بطوطة، الرحلة ص ١٤٨ - ١٤٩.

١٨- ابن بطوطة، الرحلة ص ١٥٢ - ١٥٣.

١٩- الكور، نوع من الأواني ذو عروة وفي حالة عدم وجودها يسمى كوباً. انظر ابن منظور، لسان العرب (ك، و، ز).

٢٠- التجيبي، مستفاد الرحلة ص ٢٢٣، ٤٦٣، والمعركة ما يقرب بها وهي على قدر مل - اليد، ابن منظور، لسان العرب (غ، و، ف).

٢١- ابن بطوطة، الرحلة ص ١٤٨-١٤٩.

٢٢- ابن بطوطة، الرحلة ص ١٤٩، وابن المجاور، تاريخ المستنصر ضبط وتصحيح أوسكر لونفريز - ط بريل -  
لبن ١٩٥١ م. ص ٩.

٢٣- ابن بطوطة، الرحلة ص ١٢٦-١٢٧.

٢٤- ابن جبير، الرحلة ص ١١٩، والعبدري، الرحلة المغربية ص ١٧٥ - ١٧٦، وابن بطوطة، الرحلة ص ١٣٧.

٢٥- العاسي، شفاء العرام ص ٣٠، وابن ظهيرة، الجامع اللطيف ص ٢٩، والتجيبى، مستفاد الرحلة ص ٢٨٩.

٢٦- التجيبى، مستفاد الرحلة ص ٣٥٣ - ٣٥٦، وابن بطوطة، الرحلة ص ١٤٥.

٢٧- ابن بطوطة، الرحلة ص ١٣٨.

٢٨- ذكر هذه البدعة ابن جبير في رحلته ص ١٧٠، والعبدري في الرحلة المغربية ص ٢١٩، وابن بطوطة، الرحلة  
ص ١١٣.

٢٩- ابن بطوطة، الرحلة ص ١١٢.

٣٠- ذكرها الأزرقي في أخبار مكة تحقيق رشدي الصالح - ص ٣ دار اشقانة بيروت ١٩٧٨ م ١/ ٢١٠، وابن  
بطوطة في الرحلة ص ٢٥، ١٥٦، ١٦٥.

٣١- ابن بطوطة، الرحلة ص ١٦٦-١٦٩، وابن حيدر، الرحلة ص ١٤٩.

٣٢- ابن بطوطة، الرحلة ص ١٥١-١٥٢.

### هوامش المبحث الرابع

١- لقرين : مكان بالقرب من جدة ، وهو مرسل الحجاج يحرمون منه . ويطن مر : موضع من نواحي مكة ، بعده  
يجتمع وادي البعلتين فيصيران وادي واحدًا . وظلص : هو حصن بين مكة والمدينة . والنصفراء : واد  
كثير النحل والدرع من ناحية المدينة المنورة . انظر باقوت الحموي . معجم البلدان ١/ ٤٩٩، ٣٨٧/٢،  
٤١٢/٣، وابن بطوطة، الرحلة ص ١٣٢، وقد ذكرها ابن جبير في الرحلة ص ٨٨ - ٨٩، ٩٣، والتجيبى،  
مستفاد الرحلة ص ٢٢٣.

٢- ابن المجاور<sup>١</sup> تاريخ المستنصر ص ٤١، وابن بطوطة، الرحلة ص ١٣٠.

٣- ابن بطوطة، الرحلة ص ١٥٤، والقلقشندي، صبح الأعشى ٤/ ٢٥٣ - ٢٥٤، وابن المجاور، تاريخ المستنصر  
ص ٩.

٤- العلاء : اسم لموضع من ناحية وادي الفري يسها وبي الشام . الدعا : مرسل بطريق مكة من البصرة . رايغ  
واد يقطعها الحاج بين البراءة والجمعة . انظر باقوت الحموي . معجم البلدان ٢/ ٤٩٣، ١١/٣.

١٤٤/٤، وابن بطوطة، الرحلة ص ١٧١-١٧٢، ومؤلف مجهول، الاستبصار ص ١١.

٥- انظر العبدري، الرحلة المصرية ص ١٦٥ - ١٦٦، والتجيبى، مستفاد الرحلة ص ٢٢٣، وابن بطوطة، الرحلة ص ١١٣، ١٢٨، ١٢٩.

٦- ابن بطوطة، الرحلة ص ١٣٢، ١٥٤.

٧- ابن بطوطة، الرحلة ص ١٣٩، ١٤١، وابن المجاور، تاريخ المستنصر ص ١٢ - ١٣، وجميل حرب، الحجاز واليمن في العصر الأيوبي ص ٢٣١، والنعاسي، العقد الثمين ٤٤٦/٣، ١٦١، ١٦٦.

### هوامش المبحث الخامس

١- ابن بطوطة، الرحلة ص ١٥٠ - ١٥١.

٢- ابن جبير، الرحلة ص ٧٨، ٨٠، والتجيبى، مستفاد الرحلة ص ٢٩٧ - ٢٩٨.

٣- النفاسي، العقد الثمين ١٩٦/٥ - ١٩٩، والسحري، التحفة النطبعة ٢٢/٢.

٤- ابن بطوطة، الرحلة ص ١٣٩، والنفاسي، العقد الثمين ٤٨٩/٧.

٥- علي حسني الخروطلي، الحضارة العربية الإسلامية طبعة مكتبة الخانجي - القاهرة (د. ت) ص ٢٢٩، وعبد الرحمن بن صالح عبد الله، تاريخ التعليم في مكة المكرمة طبعة دار الشروق - القاهرة ١٩٨٢ م. ص ٤١، ومحمد الحسيني، الحياة العلمية في الدولة الإسلامية طبعة الكويت ١٩٧٣ م. ص ٣٧ - ٣٨.

٦- ابن بطوطة، الرحلة ص ١٤٠.

٧- التجيبى، مستفاد الرحلة ص ٢٩٦ - ٢٩٧، والسخاوي، التبعة للطبعة ٢٣١/٣.

٨- التجيبى، مستفاد الرحلة ص ٣٠٦، ٣٧٦، وابن بطوطة، الرحلة ص ١٣٨، والنفاسي، العقد الثمين ١٠٢/٥، وانظر :

- Kary Campbell, contem porary Tales from Eastern Arabia, in The lood Nights: critical Essay and Annotated Bibliography, Dar Mahjar Publishing and Distribution Cambridge Mass P 84-85 . 1985 .

٩- النفاسي، العقد الثمين، ٢٧١/٢ - ٢٧٢، وابن شهبة الدمشقي، طبقات الشافعية، ط عالم الكتب - بيروت ١٩٨٧ م. ٢٩٣/٢ - ٢٩٤، وابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب ط دار الفكر - بيروت (د

ت) ٩٤/٦ - ٩٥، وابن بطوطة، الرحلة ص ١٤٩.

١٠- النفاسي، العقد الثمين ٢٨٦/١ - ٢٨٧، وابن حجر العسقلاني، الدرر الكامنة ٣/٣٠٩، والسخاوي،

التحفة للطبعة ٤٦٠/٣ - ٤٦٥، وابن بطوطة، الرحلة ص ١٤٠.

١١- الفاسي، العقد الثمين ١٣٤/٢ - ١٣٥، وابن بطوطة، الرحلة ص ١٥١.

١٢- ابن حجر العسقلاني، الدرر الكامنة ٤٦٦/٣، والفاسي، العقد الثمين ٤٦/٢ - ٤٩، وابن بطوطة، الرحلة ١٤٩ - ١٥٠.

١٣- السخاوي، التحفة اللطيفة ٤٨٢/١ - ٤٨٣، وابن بطوطة، الرحلة ١٥٣، ١٢٠.

١٤- ابن بطوطة، الرحلة ص ١٥٢، وابن حجر العسقلاني، الدرر الكامنة ٢٤٣/١ - ٢٤٤، الفاسي، العقد الثمين ١١٩/٣.

١٥- الفاسي، العقد الثمين ١١١/٢ - ١١٣، وابن بطوطة، الرحلة ص ١٥١.

١٦- ابن بطوطة، الرحلة ص ١٢، والسخاوي، التحفة اللطيفة ٣١٢/٣ - ٣١٧.

١٧- الحسيني، ذيل تذكرة الحفاظ للنهجي ط دار إحياء التراث العربي - بيروت (د. ت) ص ١١٠، والسخاوي، التحفة اللطيفة ٤٦٦/٣، وابن بطوطة، الرحلة ص ١٢١.

١٨- ابن حجر العسقلاني، الدرر الكامنة ١٥٩/٤ - ١٦٠، وابن بطوطة، الرحلة ص ١٢١.

١٩- ابن بطوطة، الرحلة ص ١٢١ - ١٢٢، وابن حجر العسقلاني، الدرر الكامنة ٤٣٦/٤.

٢٠- ابن بطوطة، الرحلة ص ١٢٠ - ١٢١، والسخاوي، التحفة اللطيفة ٧٠٦/٣ - ٧١٠.

٢١- ابن حجر العسقلاني، الدرر الكامنة ٣/٢ - ٣، والسخاوي، التحفة اللطيفة ٤٠١/٢ - ٤٠٩، وابن بطوطة، الرحلة ص ١٢٠ - ١٢١.

٢٢- السخاوي، التحفة اللطيفة ٥٤/١. وابن بطوطة، الرحلة ص ١٢.

## المصادر والمراجع

- ١- أحمد بن إبراهيم الخليلي ت ٨٧٦هـ: شفاء القلوب في مناقب بني أيوب - تحقيق ناظم رشدي. ط بيروت (د . ت).
- ٢- أحمد شلبي: موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية، الطبعة الثالثة، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة ١٩٨٥ م.
- ٣- أحمد بن عمر الزيلعي: نظام المشاركة في الحكم لدى الأشراف بمكة المكرمة. مجلة الدارة العدد الثالث. ط. الرياض ١٤٠٩هـ.
- ٤- أحمد بن محمد بن صالح الحسيني: المدينة المنورة عبر التاريخ الإسلامي، طبعة بيروت ١٩٧٢. ٢٠.
- ٥- ابن الأخوة محمد بن محمد القرشي ت ٧٢٩هـ: معالم القرية في أحكام الحسبة - تحقيق محمد محمود شعبان وصديق أحمد عيسى، طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٦ م.
- ٦- الأزرقي أبو الوليد محمد بن عبد الله ت ٢٥٠هـ: أخبار مكة وما جاورها من الآثار - تحقيق رشدي الصالح الطبعة الثالثة، دار الثقافة - بيروت ١٩٧٨ م.
- ٧- البستاني المعلم بطرس: دائرة المعارف - طبعة دار المعرفة، بيروت. لبنان، بدون تاريخ.
- ٨- ابن بطوطة، أبو عبد الله محمد بن إبراهيم اللواتي ت ٧٧٩هـ: تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، المعروف برحلة ابن بطوطة، طبعة دار صادر، بيروت ١٩٨٥ م.
- ٩- البلاذري، عاتق بن غيث: معالم مكة التاريخية والأثرية. طبعة دار مكة - السعودية ١٩٨٠ م.
- معجم معالم الحجاز، ضعة نادي الطائف الأدبي، السعودية ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨ م.
- ١٠- السمرقندي، أحمد بن عيسى ت ٧٨٠هـ: تاج المفروق في تحلية علماء المشرق، تحقيق الحس السائح، طبعة بيروت (د . ت).
- ١١- النجيب القاسم بن يوسف ت ٧٣٠هـ: مستفاد الرحلة والاعترا ب، تحقيق عبد الحفيظ مصور، طبعة الدار العربية للكتاب - ليبيا- تونس ١٩٧٥ م.
- ١٢- ابن تغري بردي ت ٨٧٤هـ: الدليل الشافي على المهل الصافي، تحقيق فهم شلتوت، ط مكتبة الخانجي- القاهرة (د . ت).

- ١٣- ابن جبير أبو الحسن محمد بن أحمد البلسني ت٦١٤هـ: الرحلة، طبعة دار صادر - بيروت ١٩٨٠م.
- ١٤- جميل حرب محمود: الحجاز واليمن في العصر الأيوبي، طبعة تهامة - السعودية ١٩٨٥م.
- ١٥- ابن الجوزي عبد الرحمن بن علي ت٥٩٧هـ: المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، طبعة حيدر آباد - الدكن - مطبعة دائرة المعارف العثمانية ١٣٥٧هـ.
- ١٦- ابن حجر العسقلاني شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد ت٨٥٢هـ: الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، طبعة دار الجليل بيروت بدون تاريخ، وطبعة دار الكتب الحديثة، القاهرة (د.ت).
- ١٧- الحربي الإمام أبو إسحاق ت٢٨٥هـ: المناسك وأماكن طرق الحج ومعالم الجزيرة - تحقيق حمد الجاسر الطبعة الثانية - الرياض ١٩٨١م.
- ١٨- حسني محمود حسين: أدب الرحلة عند العرب، الطبعة الثانية - دار الأندلس سنة ١٩٨٣م.
- ١٩- حسين محمد فهم: أدب الرحلات، طبعة عالم المعرفة العدد ١٣٨ - الكويت ١٩٨٩م.
- ٢٠- الحسيني أبو المحاسن محمد بن علي ت٧٦٥هـ: ذيل تذكرة الحافظ الذهبي. ط. دار إحياء التراث العربي، بيروت (د. ت).
- ٢١- ابن حوقل، أبو القاسم ابن حوقل النصيبى ت٣٦٧هـ: صورة الأرض، طبعة دار مكتبة الحياة، بيروت ١٩٧٩م.
- ٢٢- الخزرجي علي بن الحسن ت٨١٢هـ: العقود للزلية في تاريخ الدولة الرسولية - تصحيح محمد بن علي الأكوخ الطبعة الثانية - صنعاء - اليمن ١٩٨٣م.
- ٢٣- ابن الخطيب ذو الوزارتين لسان الدين ت٧٧٦هـ: الإحاطة في أخبار غرناطة، تحقيق محمد عبد الله عنان، طبعة الشركة المصرية للطباعة والنشر - القاهرة ١٩٧٤م.
- ٢٤- ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد بن خلدون الحضرمي المغربي ت٨٠٨هـ: تاريخ ابن خلدون، طبعة مؤسسة جمال للطباعة والنشر - بيروت ١٩٧٩م. ومقدمة ابن خلدون، طبعة دار نهضة مصر - الطبعة الثالثة - القاهرة بدون تاريخ.
- ٢٥- ابن رشيد أبو عبد الله محمد بن عمر ت٧٢١هـ. ملء العيبة بما جمع بطول الغيبة في

الوجهة الوجهية إلى الحرمين مكة وطيبة - تحقيق محمد الحبيب ج ٢ طبعة الدار التونسية للنشر - تونس ١٩٨٢ م. ج ٣ طبعة ١٩٨١ م. وجد ٥ طبعة دار الغرب الإسلامي - بيروت ١٩٨٨ م.

٢٦- الزركلي خير الدين ت ١٣٩٧هـ: الأعلام، طبعة دار العلم للملايين - بيروت - لبنان ١٩٨٦ م.

٢٧- السخاوي شمس الدين محمد بن عبد الرحمن ت ٩٠٢هـ: التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة، عني بطبعه ونشره أسعد طرا بزوني الحسيني. د.ت.

٢٨- سليمان عبد الغني المالكي: بلاد الحجاز منذ بداية عهد الأشراف حتى سقوط الخلافة العباسية في بغداد، طبعة دار الملك عبد العزيز الرياض ١٩٨٣ م.

٢٩- السنامي عمر بن محمد ت ٦٩٦هـ: نصاب الاحتساب، تحقيق موئل يوسف، طبعة دار العلوم - القاهرة ١٩٨٣ م.

٣٠- سيد عبد المجيد بكر، أشهر المساجد في الإسلام طبعة دار القبة - مكة ١٩٨٤ م.

٣١- الشنقيطي غالي محمد «الأمين» البر الشين في معالم دار الرسول الأمين، الطبعة الثالثة، طبعة دار القبة الثقافية الإسلامية - مكة ١٩٩١ م.

٣٢- ابن شهبة الدمشقي أبو بكر بن أحمد بن محمد بن عمر ت ٨٨٥هـ: طبقات الشافعية، صححه وعلق عليه المحافظ عبد العليم خان - طبعة عالم الكتب - بيروت ١٩٨٧ م.

٣٣- شوقي عبد القوى عثمان: تجارة المحيط الهندي في عصر السيادة الإسلامية، طبعة عالم المعرفة - الكويت، العدد ٥١ لسنة ١٩٩٠ م.

٣٤- ابن ظهيرة محمد جد الله بن محمد ت ٩٨٦هـ: الجامع اللطيف في فضل مكة وأهلها وبناء البيت الشريف - الطبعة (٤) المكتبة الشعبية - بيروت ١٩٧٣ م.

٣٥- عبد الرحمن بن صالح بن عبد الله: تاريخ التعليم في مكة، طبعة دار الشروق - مصر ١٩٨٢ م.

٣٦- عبد الرحيم عبد الكريم الأنصاري: تحفة المحبين ولأصحاب في معرفة ما للمدنيين من الأنساب - تحقيق محمد العروس، طبعة تونس ١٩٧٠ م.

٣٧- العبدري أبو عبد الله بن العبدري ت ٦٨٨هـ: الرحلة المغربية - تحقيق محمد الفاسي - طبعة الرباط - المغرب ١٩٦٨ م.

٣٨- عبد القدوس الأنصاري: آثار المدينة المنورة، الطبعة الرابعة، طبعة المطبعة العربية الحديثة  
بيروت ١٩٨٥ م.

٣٩- العز بن فهد بن عز الدين عبد العزيز بن محمد بن فهد ت ٩٢٢هـ: غاية المرام بأخبار  
سلطنة البلد الحرام - تحقيق فهم شلتوت، طبعة دار المدني - السعودية  
١٩٨٦ م.

٤٠- العصامي عبد الملك بن حسين ت ١١١١هـ: سمط النجوم العوالي في أبناء الأوائل  
والتوالي. طبعة المطبعة السلفية -  
مصر (د . ت).

٤١- علي حسني الخربوطلي: الحضارة العربية الإسلامية، طبعة مكتبة الخانجي - مصر (د،  
ت).

٤٢- ابن العماد الحنبلي ت ٨٩٠هـ: شلوات الذهب، طبعة دار الفكر - بيروت (د . ت).

٤٣- الفاسي تقي الدين محمد بن أحمد الحسيني ت ٨٣٢هـ - لعقد الثمين في أخبار البلد  
الأمين، تحقيق عمر عبد السلام التدمري، طبعة دار الكتاب العربي، بيروت  
١٩٨٥ م. - وشفاء الغرام بأخبار البلد الحرام، تحقيق عمر عبد السلام التدمري  
طبعة دار الكتاب العربي - بيروت ١٩٨٥ م.

٤٤- ابن فهد النجم عمر بن محمد بن محمد بن فهد ت ٨٨٥هـ: تحاف الوري بأخبار أم القرى  
، تحقيق فهم شلتوت، ط، مكتبة الخانجي - القاهرة ١٤٠٤ هـ / ١٩٨٣ م.

٤٥- القلقشندي أحمد بن علي ت ٨٢١هـ: صبح الأعشى في صناعة الإنشا، شرح وتعليق نبيل  
المخطيب طبعة دار الفكر - ودار الكتب العلمية - بيروت ١٩٨٧ م.

٤٦- كراتشكوفسكي، أغناطيوس يوليا نوفش: تاريخ الأدب الجغرافي العربي، نقله إلى  
العربية صلاح الدين عثمان، وراجعه أيغور يلين، طبعة جامعة الدول العربية  
١٩٥٧ م.

٤٧- المالكي سليمان بن عبد الغني: سلطة كلوة الإسلامية، طبعة دار النهضة العربية، بيروت  
١٩٨٦ م.

٤٨- الماوري علي بن محمد. الأحكام السلطانية والولايات الدينية - طبعة دار الكتب  
العلمية - بيروت (د . ت).

٤٩- بن المجاور يوسف بن يعقوب ت ٦٩٠هـ: تاريخ المستبصر، ضبط وتصحيح أوسكر لونغيرين  
طبعة بريل - لندن. ١٩٥١ م

٥٠- محمد الحسيني - الحياة العلمية في الدولة الإسلامية، طبعة الكويت ١٩٧٣ م.

٥١- محمد محمود الصباد: رحلة ابن بطوطة، طبعة دار المعارف للطباعة والنشر والتوزيع تونس  
١٩٨٥ م.

٥٢- ابن منظور محمد بن مكرم ت ٧١١هـ: لسان العرب. طبعة دار صادر - بيروت (د . ت)  
وطبعة دار المعارف -  
مصر (د . ت).

٥٣- نقولا زيادة: الجغرافية والرحلات عند العرب، الطبعة الثالثة، طبعة المطبعة الأهلية للنشر  
والتوزيع، بيروت ١٩٨٢.

٥٤- ياقوت الحموي شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادى  
ت ٦٢٦هـ: معجم البلدان، طبعة دار صادر، بيروت بدون تاريخ.

### المراجع الأجنبية :

55- Blanche Trepieu : Les voyageurs Arabes au Mogen Age Gallimari. 8eme edition .  
1937 .

56- C.H . Lockitt Theadventure of Travel Longman: 15 th edition 1960

57- Kary Compbell , contem Porary Toles From Eastern Arabia , in The Lool Nights  
Critical Essays and An nota ted Bibliog rapraphy, Dar Mahjar Publishing and Distribution ,  
cambridge. Mass. p. 84-85. 1985

58- M Zakl Arab Accountns of India (During The Fourteenth century) dello, Delhi,  
1981 .

## سياسة السلطان با يزيد الأول الجديدة في الفتح العثماني

نهاية طموحاته وتفكك دولته في موقعة أنقرة ٨٠٤ هـ / ١٤٠٢ م

### قبل تولي السلطان با يزيد الأول الحكم

في سنة ٧٦٦ هـ الموافق ١٣٦٠ م تولى السلطان أورخان بن أرطغرل بن عثمان، وخلفه ابنه السلطان مراد الأول، ليواجه في بداية حكمه أعداء دولته في تحاليف خطرين.

أولاً : كان في المشرق إمارة القرمان السلجوقية التي بدأت تنظر بعين الخوف الشديد في غزو الإمارة العثمانية، واستطاع السلطان مراد الأول أن يوجه لها ضربات أقعدتها عن التحرك ضده طوال حكمه كما سيأتي الحديث عنها مفصلاً في البحث.

ثانياً : في أوروبا كان الإمبراطور البيزنطي يسعى إلى الانقضاء عليه، ولكن السلطان مراد الأول استولى على أدرنة ١٣٦٦ م، واتخذها عاصمة لبلاده، الأمر الذي كان له صدى في مختلف العواصم الأوروبية، وخاصة لدى البابا في روما، وقد دعا إلى حملة صليبية دون جدوى، بينما تابع العثمانيون توسعهم واستولوا على سالونيك<sup>(٢)</sup>.

فكان غزو الدولة العثمانية نحو أوروبا سبباً في قيام التحالف من القوى الصليبية البلقانية لصد الغزو العثماني، ولكن السلطان مراد الأول خاض ضد أعدائه الصليبيين معركة قوصوه

١ - / مشارك- بفسم التاريخ والحضارة الإسلامية- كلية الشريعة والدراسات الإسلامية - بجامعة أم

القرى- مكة المكرمة

الكرى في ١٥ يونيو ١٣٨٩م، سقط فيها السلطان مراد الأول شهيداً بعد أن أسر فيها ملك الصرب، والذي أعده السلطان با يزيد الأول في ساحة المعركة<sup>(١٢)</sup>.

### السلطان بايزيد الأول يعتلى عرش الدولة العثمانية :

فتولى السلطان با يزيد الأول عرش الدولة العثمانية بعد موقعة قوصو المشهورة، وقت بيعته في ميدان المعركة بعد استشهاد والده السلطان مراد الأول (٧٩٢هـ / ١٣٨٩م)، وكان السلطان با يزيد الأول أكثر من أبيه كرهاً للمسيحية، وأقل تعصباً للإسلام، ولكنه خطا خطو والده في الفتح والجهاد في أول الأمر<sup>(١٣)</sup>.

حين واصل حربه وتقدم بجيوشه داخل بلاد الصرب<sup>(١٤)</sup>، حتى انتصر على ملكها استيفن بن لازار وأخذه أسيراً<sup>(١٥)</sup> ولكن استيفن بن لازار ملك الصرب عرض على السلطان الصلح فوافق على ذلك<sup>(١٦)</sup>.

فاستهل السلطان با يزيد الأول أعماله بأن عين استيفن ابن ملك الصرب [لازار] حاكماً على بلاد الصرب، وتزوج من أخته<sup>(١٧)</sup> مبيحة<sup>(١٨)</sup>، وترك له حكم بلاده على حسب قوانينهم وأنظمتهم وأعراقهم دون التدخل في شئونهم الداخلية على شرط دفع جزية سنوية للدولة العثمانية على أن يدين له بالولاء، مع تقديم عدد معين من الجيوش المصرية للانضمام إلى الجيوش العثمانية وقت الحرب خدمة حربية للدولة على أن يقوم ملك الصرب بنفسه بقيادتهم عند الحاجة تحت قيادة السلطان العثماني<sup>(١٩)</sup>، كما تعهد ملك الصرب أيضاً للسلطان با يزيد الأول ببناء المساجد والمدارس والمحاكم للمسلمين في بلاد الصرب<sup>(٢٠)</sup>، وبذلك فقدت الصرب استقلالها منذ ذلك الوقت حتى القرن التاسع عشر الميلادي حين نالت استقلالها في تلك الفترة<sup>(٢١)</sup>. فأصبح بعد هذا الفتح والتوسع العثماني في البلقان، وجهاً لوجه مع أكبر الشعوب البلقانية عداً للعثمانيين (البلغار والمجر)<sup>(٢٢)</sup>.

عندئذ أقام السلطان با يزيد الأول علاقات ودية مع ملك الصرب استيفن بن لازار، وكان هدف السلطان من إقامة هذه العلاقات أن يتخذ من دولة الصرب حليفاً له في حروبه في آسيا الصغرى، كما أراد من هذه الدولة أن تكون دولة حاجزة بين أملاكه في البلقان وبين دولة المجر، التي كان يخشى من انتهازها عند غيابها للحرب في آسب الصغرى فتغير على أملاكه العثمانية بها<sup>(٢٣)</sup>.

وكان من مظهر هذه الصداقة بين استيفن والسلطان با يزيد الأول أن رد السلطان إلى استيفن كل الميراث والحقوق التي كان يتمتع بها أبيه لازار كملك على بلاد الصرب، كما وعده بمسح

الصر ب نصف العنينة التي تخرج بها كل من الدولتين في حروبها المستترة في آسيا الصغرى، وقد اتبع السلطان با يزيد الأول هذه السياسة، وهو عدم ضم بلاد الصرب إلى أملاكه، بل منحهم الاستقلال الذاتي، ليسكن بدل الصربيين حتى لا يكونوا شغلاً شاعلاً له نظراً لشهامتهم وجيهم للاستقلال<sup>(١٤١)</sup>، وخاصة أن ملك الصرب استيفن قد وافق على دفع الجزية للسلطان سنوياً، لذلك تمت معاملتهم معاملة أهل الذمة<sup>(١٤٢)</sup>.

وقد استفاد با يزيد الأول من هذا التحالف مع استيفن ملك الصرب حين برهن هذا الصليبي وقومه الصربيون على إخلاصهم لبايزيد في حروبه مع المجر<sup>(١٤٣)</sup>، على الرغم من أن السلطان اشتهر بحدة الطبع والقسوة، حيث اتسمت تصرفاته بالاندفاع والتسرع<sup>(١٤٤)</sup>.

وعلى أية حال فإنه بعد هذا التحالف مع الصرب اطمان با يزيد الأول على حدوده الغربية، فاتجه لعزو آسيا الصغرى لتوحيد الإمارات السلجوقية المسلمة في الأناضول لضمها لأملكه العثمانية<sup>(١٤٥)</sup>، وكان في نيته أيضاً القضاء على بيزنطة، وحصراً حين ساد الأمن في أوروبا، فأخذ يتدخل في سياسة القسطنطينية مستغلاً أوضاعها المضطربة الداخلية، لأن المدينة تمر بفترة ضعف، فتنهز السلطان هذه الفرصة وسار بنفسه إلى قلعة « الأشهر » المعروفة باسم « فيلادلفيا »<sup>(١٤٦)</sup>، عند الأوربيين، ففتحها ٧٩٥هـ / ١٣٩١م، وكانت آخر مدينة مهمة بقيت للقسطنطينية في آسيا الصغرى بالأناضول<sup>(١٤٧)</sup>.

### السلطان بايزيد الأول يتطلع لضم الإمارات السلجوقية :

لذلك بدأ السلطان با يزيد الأول يتطلع لضم الإمارات السلجوقية في آسيا الصغرى، وكانت سياسة السلطان با يزيد شرقية، بمعنى أنه فضل الاتجاه بفتوحاته نحو آسيا الصغرى من أجل تحقيق وحدة الأناضول لتكون تحت راية الدولة العثمانية بعد أن أمن حدود بلاده الغربية<sup>(١٤٨)</sup>، وكان يتميز هذه السلطان بالطموح في سياسته، فقد بذل جهداً في توحيد منطقة الأناضول ليقود العالم الإسلامي تحت إمرته<sup>(١٤٩)</sup>، وليس معنى ذلك أنه لم يحدث احتكاك بين الدولة العثمانية والإمارات السلجوقية التركية الإسلامية الواقعة في آسيا الصغرى

وقد ظهر هذا الاحتكاك قبل حكم السلطان با يزيد الأول في الستينات من القرن الرابع عشر الميلادي بين السلطان مراد الأول والد السلطان با يزيد الأول وبين أمير القرمات كما سبق ذكره، عندما أدرك الأخير أنه لا يستطيع المجازفة بالحرب مع الدولة العثمانية القوية، ولكي يحتفظ باستقلاله وكبريائه، فقد وافق على أن يروح ابنته لها يزيد بن مراد الأول.

وبذلك حصل السلطان مراد الأول نتيجة زواج ابنه على أجزاء من إمارة القرمين دون قتال، وكان من هذه الأجزاء، مدينة كوتاهية، ذات الموقع الاستراتيجي الفريد، وكان احتلال العثمانيين لهذه المدينة ضربة قوية لإمارتي تكه وحديد.

وعندما أدرك أمير إمارة حميد ضعفه أمام مقاومة الدولة العثمانية، قدم ببيع بعض أجزاء من دولته المطلة على ولاية تكه وكرمين، والقرمين إلى السلطان مراد الأول، وكان أهمها مدينة عك شهر التي تقع على حدود إمارة القرمين، وتم ضم هذه الأجزاء المهمة إلى أملاك الدولة العثمانية.

ويجب أن نلاحظ ملاحظة مهمة أن السلطان مراد الأول لم يقض على كل الإمارات السابقة، بل كان هناك ثلاث إمارات أخرى في آسيا الصغرى وهي (آيدين، وصاروخان، ومنتشا) ظلت هذه الإمارات المسلمة على استقلالها لم يمسهما السلطان العثماني آنذاك، وكانت دولة القرمين من أقوى الدول السلجوقية التركية في الأناضول التي عجز السلطان مراد الأول عن إخضاعها، وكانت تربطه بأميرها علاء الدين أوصر، بمصاهرة<sup>(١٢٣)</sup>

هذا هو الموقف في آسيا الصغرى حين تولى السلطان ب يزيد الأول إمارة الدولة العثمانية، حين عزم على توجيه فتوحاته نحو الأناضول بآسيا الصغرى، ذلك التوجه الذي أدى في النهاية إلى سقوطه في معركة أنقرة ٨٠٤هـ / ١٤٠٢م<sup>(١٢٤)</sup>.

وكان زعماء الإمارات السلجوقية التركية الإسلامية في الأناضول آيدين<sup>(١٢٥)</sup>، وصاروخان<sup>(١٢٦)</sup>، ومنتشا<sup>(١٢٧)</sup>، الذين احتفظوا باستقلالهم منذ قيام الدولة العثمانية، هي أولى الإمارات التي غزاها السلطان ب يزيد الأول، وقد قبلوا في بداية الأمر بحكمه، نتيجة لخوفهم منه، لإجباذاته وفتوحاته العظيمة في أوروبا<sup>(١٢٨)</sup>.

وكانت هذه الإمارات تطل على بحر إيجة، وكانت في نزاع دائم مع العاصم التجارية اللاتينية ولا سيما منها جنوة، وتتميز هذه الإمارات التركية بطابع تجاري أكثر منه حربي مثل إمارة القرمين وكيرمين، وكان تراعيها الدائم مع العاصم اللاتينية قد أضعفها. مما سهل للسلطان ب يزيد الأول استسلامها وبالتالي احتلالها<sup>(١٢٩)</sup>، ولفس السبب ترك أمير آيدين للسلطان أملاكه، وخرج منها ليعيش مطمئن البال في إحدى المدن الحاذجة عن النفوذ العثماني.

وتلا ذلك قيام كل من أميرى منتشا وصاروخان بترك ولايتهما للسلطان با يزيد الأول واحتامتهما لدى أمير قسطنطيني<sup>(١٣١)</sup>، وخوفاً من السلطان قام حاكم إمارة القرمين الأمير علاء الدين وتنازل للسلطان عن جزء كبير من أملاكه ليؤمن له ما تبقى من أملاك<sup>(١٣٢)</sup>، وباستيلاء السلطان با يزيد الأول على تلك الإمارات فقد حاز على أهم الموانئ وأعظمها والواقعة على بحر إيجه، (آيدين ومنتشا) وبذلك أصبحت الدولة العثمانية تطل على بحر إيجه، كما حازت أيضاً على أسطول إمارة صاروخان، وقد نفذ به العثمانيون من سواحل منتشا إلى البحر الأبيض المتوسط<sup>(١٣٣)</sup>، وهذا الموقع خلق نقطة جديدة للاحتكاك بين الدولة العثمانية من ناحية، وبين البندقية وجنوة من ناحية أخرى.

استدعى هذا الموقف ظهور العثمانيين على بحر إيجه بتكوين بحرية عثمانية، ولو أن البحرية العثمانية لم تتم وتكبر خلال عهد السلطان با يزيد الأول، إلا أن عهد السلطان با يزيد الأول، كان بداية تفكير الدولة العثمانية بالحاجة الملحة إلى بناء أسطول بحري يعتد به لمواجهة المعارك البحرية<sup>(١٣٤)</sup>، ولكن هذه الإمارات ما لبث أهلها أن استأموا من اتحاد السلطان با يزيد الأول لعطفه على العناصر المسيحية، بل والاعتماد عليهم كمستشارين له دون المسلمين<sup>(١٣٥)</sup>.

وعلى أية حال فبعد هذه الفتوحات التي كان أغلبها بدران حرب، عاد السلطان با يزيد الأول إلى أوروبا، وحاصر ملك الروم في القسطنطينية مانويل بالبولوج، وبعد أن ضيق عليها الحصار، ترك حولها جيشاً كبيراً لمحاولة فتحها، وغادرها لغزو بلاد الأفلاق، فاستطاع قهر أميرها (دوك مانيس) والتغلب عليه، وأرغمه على التوقيع على معاهدة يعترف فيها بسيادة الدولة العثمانية على بلاده، ويتعهد للسلطان فيها بدفع الجزية سنوياً مع بقاء بلاده له يحكمها بمقتضى عوائد وقوانين أهلها، وتم ذلك في سنة ١٣٩٣ م<sup>(١٣٦)</sup>.

وفي أثناء حرب السلطان با يزيد الأول مع الأفلاق في أوروبا أراد علاء الدين أمير القرمين استرداد ما تنازل عنه للسلطان، مستغلاً انشغاله في الحرب، وقد اتحدت معه الإمارات السلجوقية الواقعة في جنوب غربي الأناضول، كما اتحد معه القاضي برهان الدين الذي كان يسيطر على مساحات واسعة وسط الأناضول، ويتمتع بنفوذ كبير في أواسط رعاية التركمان في الشرق في حلف صد السلطان با يزيد الأول لاسترجاع ما أمكنهم استرجاعه من مساحات كبيرة من المدن والأراضي التي ضمها با يزيد الأول إلى أملاك الدولة العثمانية بالقوة

وقاد علاء الدين جيشاً قوياً وسار به لمهاجمة أنقرة، فاستطاع الانتصار على حاكمها تيمور طاش باشا، وأخذ أسيراً معه، وزحف على بقية المدن الواقعة في الأناضول<sup>(٣٦)</sup>.

ولما بلغ السلطان بايزيد الأول الهجوم الذي شنّه أمير القرمات على أملاكه في الأناضول، عاد مسرعاً بنفسه لإنقاذ الموقف إلى آسيا الصغرى، فتقابل الجيشان حول أنقرة، فكانت الهزيمة على علاء الدين أمام السلطان ثم أسره<sup>(٣٧)</sup>، واكتسح السلطان إمارات آسيا الصغرى، وأعاد ضم صاروخان وأيدين ومشتما التي اتخذت مع إمارة القرمات من جديد للطاعة العثمانية، وعاد العثمانيون إلى بحر إيجه وأرسوا قواعد قوتهم البحرية، وفي الجنوب استولوا على (أضاليا) آخر مدن أمير تكة، وكانت هذه المدينة أول ميناء عثماني على البحر الأبيض المتوسط<sup>(٣٨)</sup>.

ولكن السلطان بايزيد الأول كان قلقاً بسبب الأحداث والتطورات في أوروبا التي كانت تهاك صد الدولة، فلابد له من العودة بسرعة إلى عاصمة بلاده أدريه وذلك للاستعداد لهذه المؤامرة والقبض عليها، كما كان هناك بعض الإشكالات في خطوط مواصلاته الطويلة التي كانت لا تبشر بالخير ولا بالاستقرار ولهيسة على الإمارات السلجوقية، لذلك نراه يوافق بمبادرة منه على عقد الصلح مع علاء الدين أمير القرمات مضطراً على أن ينسحب السلطان من قونية على أن يحتفظ بمدينتي (عك شهر، وعك سير) الواقعة في الشمال الغربي من إمارة القرمات<sup>(٣٩)</sup>.

وعلى هذا الأساس عاد بايزيد الأول إلى بلغارب وذلك عندما وقع أول نزاع بينه وبين ملك المجر (سجموند)، ولكن علاء الدين لم يعتبر من المعركة السابقة، بل انتهز انشغال بايزيد في حربه مع بلغاريا، ووطد العزم على طرد العثمانيين من إمارته، للسيطرة على أملاكهم في الأناضول، وقد اتخذت معه الإمارات السلجوقية مرة أخرى، وتمكن بالفعل من استرداد (عك شهر)، واتجه نحو مدينة أنقرة واستطاع الفوز على تيمور طاش باشا في أحد المعارك، وأخذ معه أسيراً مرة ثانية، ثم توجه لأخذ بروسة<sup>(٤٠)</sup>.

لذلك عاد السلطان بايزيد لأول من جديد حينما علم بمحاولة علاء الدين انتزاع السيطرة من العثمانيين للأناضول، ولكن بعد أن حقق انتصاراً بهراً على بلغارب، وبالقرب من كوتاهية واحه جيش القرمات جيش السلطان وجيوش أتباعه من المسيحيين (البيزنطيين والصربيين وبلغارب والولاش) على أمر سراي، فاستطاع السلطان أن يقضي على الجيش القرماني، فانهزم علاء الدين أمام السلطان بايزيد الأول مرة ثانية، وتم أسره مع ابنه (محمد وعلي)<sup>(٤١)</sup>.

وقد رافق الإمبراطور البيزنطي مانويل الثاني السلطان با يزيد الأول في حملته إلى الأناضول الثانية، وكان با يزيد الأول ينظر إلى الإمبراطور مانويل على أنه تابع له أو من أتباعه، بينما كان الإمبراطور يرى نفسه حليفاً وعلى قدم المساواة مع السلطان با يزيد الأول.

وقد ظل الإمبراطور ضعيفاً في سراي بروسه (بورصة) مدة طويلة، وكان يتحدث التركية بطلاقة، وقد التزم باتجاهات السياسة العثمانية الخارجية إزاء بيزنطة<sup>(١٢١)</sup>.

وهذا دليل لما سبق لتشجيع أنصاره الصليبيين على دفع اتجاه السلطان با يزيد الأول إلى المشرق، لذلك تراهم يشاركونه في حروبه ضد الولايات السلجوقية المسلمة في الأناضول، وعلى رأس إمبراطور بيزنطة، وكانت هذه السياسة من السلطان سياسة خاطئة، كادت أن تخسر الدولة العثمانية بسببه، تقدمها في أوروبا وينتهي مدنها في أوروبا إلى الأبد.

وعلى أية حال فقد حاول علاء الدين من أسر أن يعرض على السلطان الصلح على أساس الاتفاقية السابقة، ولم يفلح لأن السلطان با يزيد الأول أدرك أن اتفقه مع علاء الدين لا طائل من ورائه لعدم التزامه بالمعاهدة السابقة، والآن يعد مصر تهديداً للدولة. لذلك وجد السلطان أن الفرصة أصبحت مواتية بين يديه لنقضاء عليه وعلى إمارة القرمان نهائياً للتخلص من هذا الخطر، فعلا علاء الدين قد وفر على السلطان با يزيد الأول مشقة السفر إلى القرمان لإخضاعها عندما حضر بنفسه إلى بروسه (بورصة) لانتزاعها من السلطان، ولكنه خسر المعركة، لذلك رفض السلطان الصلح مع علاء الدين أمير القرمان، وقام بقتله ١٣٩١م، لاستقرار المنطقة. وبذلك انتهت سلطة علاء الدين والقرمان<sup>(١٢٢)</sup>، وعاد السلطان إلى عاصمة بلاده بروسه بعد أن قتل علاء الدين بن قرمان وحبس ولديه بمدينة بروسه إلى أن أطلق سراحهما تيمور لك بعد موقعة أنقرة سنة ١٤٠٤هـ / ١٤٠٢م<sup>(١٢٣)</sup>.

والحقيقة أنه لم يتم إخضاع القرمان نهائياً فقد ظلت هذه الإمارة حتى سقوط القسطنطينية تنقض مضامح سلاطين الدولة العثمانية بين الفينة والفينة<sup>(١٢٤)</sup>. وواصل السلطان با يزيد الأول فتوحاته في الأناضول بآسيا الصغرى، واكتسح سيواس وتوقات<sup>(١٢٥)</sup>، وكان آخر أمرائها برهان الدين أمير سيواس<sup>(١٢٦)</sup>.

في حين أن الإمارة العثمانية في الوقت الذي استشهد فيه السلطان مراد الأول في قوصوه قد أخذت على عاتقها دوراً مهماً وهو الاستمرار في أراضي الأناضول والروملية، وتحولت إلى دولة

كاملة الأركان. ولكن السلطان بايزيد الأول حين اعتلى عرش الدولة (١٣٣٩م)، بدأت الدولة العثمانية ببقيدته تطبيق سياسة جديدة خاطئة، كانت من أسباب روال حكمه ونهاية لطموحاته على يد تيمورلنك في كارثة أنقرة كما سيأتي الحديث عنه في باب<sup>١٤٨</sup>، حين فرض سيطرته المباشرة على هذه المناطق التي طرد منها أسرتها الحاكمة وإخضاعها لسلطته المركزية المباشرة، ولقيت هذه السياسة مقاومة ليس فقط في البلدان المفتوحة بل داخل الدولة العثمانية نفسها، وكانت هذه مواجهة ضد التسرع في ضم المدن والإمارات، واعتبرت ذلك خروجاً عن التقاليد العثمانية<sup>١٤٩</sup>.

فقد كانت سياسة مراد الأول هي ترك الأراضي على شكل إقطاعات عسكرية للأمرأ، فبدأت من بعده سياسة تحويل هذه الأراضي إلى الملكية العثمانية بالفعل، إذ حدث فور سماع خبر وفاة السلطان مراد الأول أن ظهرت انتفاضات في الأناضول والبلقان قرد فيها أمرأ الإقطاع في الأناضول، فقدم بايزيد الأول مسرعاً نحوهم (١٣٨٩ / ١٣٩٠م) لإخماد هذا التمرد، وأخذ منهم أراضيهم لتصبح أرضاً عثمانية خالصة.

وأصبحت الإمارات القديمة مسحق عثمانية يتولى إدارتها عمال يحري تعيينهم من العاصمة، وكان نتيجة لهذه الجهود التي بذلها أن انخفض عدد الإمارات المناهضة له في الأناضول إلى مركزين أساسيين، - الأناضول وسبواس - وهذه الأعمال كانت بمثابة التطبيقات الأولى لسياسة استهدف بها السلطان بايزيد الأول، الذي عرف بلقب «الصاعقة» إقامة دولة مركزية قوية تدار من مركز واحد، هو السلطان، وكان هو يفعل ذلك يضع نصب عينيه صفة القائد المجاهد، وقد استطاع أن يصيغ ادعاءات السيادة داخل هذا الإطار<sup>١٥٠</sup>.

وقد اشتد العثمانيون في انتقاد سلطانهم بايزيد الأول حول إدخاله استعمال الدفتر في النظام الإداري العثماني، يضاف إلى ذلك أنه حاول في الأراضي التي ضمها حديثاً أن يحل عبيده (غلمان) محل الاستقرائية المحلية فاعتبرت هذه السياسة خروجاً على القاعدة والتقاليد العثمانية، وكانت هذه السياسة من أهم العوامل والأسباب التي أدت إلى نكبة السلطان بايزيد الأول وزال حكمه في موقعة أنقرة، وعودة الأسر الحاكمة في القرمآن على أثرها وغيرها من الإمارات السلجوقية الأخرى في الأناضول<sup>١٥١</sup> إلى الاستقلال بإماراتهم.

وهذا مما يعزز القول بأن آل عثمان لم يحكموا قبضتهم على إمارة القرمآن إلا بعد فتح

## السلطان بايزيد الأول يتابع حروبه في أوروبا :

ثم عاد السلطان بايزيد الأول، متابعة حروبه في أوروبا فأمر بزعف عام على طول حدوده الشمالية والشمالية الغربية، ووصلت قواته الغازية إلى ألمانيا لتثبيت حكمه هناك، وفي عام ١٣٩٣م استكمل احتلال بلغاريا وزود آدين وسليستريا ونيكوبولي وغيرها من قلاع الدانوب بحاميات قوية بعد أن قام بتقوية تحصيناتها تحصيناً قوياً، مما عزز من مكانة السكان المسلمين في تلك المدن، الذين ازدادت أعدادهم على طول الحدود الشمالية للدولة العثمانية، على أثر اعتناق عدد كبير من البلقانيين المسيحيين للإسلام، وهجرة عدد من مسلمي الأناضول إلى البلقان.

وما لبث أن حاصر السلطان بايزيد الأول العاصمة البيزنطية، وشدد عليها الحصار، وطلب من الإمبراطور بعد قهره من منطق القوة أن يعين قاضياً في القسطنطينية للفصل في شئون المسلمين، وقبل الإمبراطور إيجاد محكمة إسلامية وباء مسجد وتخصيص سعمائة (٧٠٠) منزل داخل المدينة للجالية الإسلامية، كما تدل للسلطان بايزيد الأول عن نصف حي غلطة، التي وضع فيها السلطان حامية عثمانية قوامها ستة آلاف (٦٠٠٠) جندي، وزيادت الجزيرة التي كانت الدولة البيزنطية تدفعها للسلطان العثماني.

وفرضت الحزاة العثمانية رسوماً على الكروم ومزارع الحضروات الواقعة خارج المدينة، وأخذت المآذن من تلك اللحظة تنقل الأذان إلى العاصمة البيزنطية، والتي أطلق عليها العثمانيون بعد الفتح « اسطنبول »<sup>(٢٣)</sup>، وقد فرض عليها السلطان الرقابة من خلال الحامية العثمانية وإحكام السيطرة عليها<sup>(٢٤)</sup>.

وبعد هذه المكاسب الجديدة للسلطان بايزيد الأول فقد أشار عليه مستشاروه المسيحيون بترك أوروبا وشأنها والتوجه إلى الأناضول بأسيا الصغرى، لاستكمال القضاء على الإمارات السلجوقية المسلمة وتوحيدها تحت السلطة العثمانية، وكان هدف المسيحيين من ذلك هو صرف السلطان عن الفتوحات الإسلامية نحو أوروبا، كما كان يفعل أسلافه لحرمانه أولاً من الأجر ومن ثم الثروات الجديدة<sup>(٢٥)</sup>، وثانياً إبعاد شبح الحرب عن دولهم لتوجيه السلطان وتحويله للصراع بالولايات السلجوقية المسلمة، وذلك لإضعاف قوته وبالتالي إعطاء فرصة للعالم المسيحي لاستعادة أقدسه لبنا، قواته وتسوية خلافاته لتوحيد جهوده، ضد الدولة العثمانية التي توغلت في داخل البلقان، للاتقاضي عليها في أقرب فرصة نظروهم من أوروبا كلها.

وقد نجح المسيحيون في تحويل أنظار السلطان إلى الشرق، حينما استصوب قولهم، لذلك لم يعنان فرسه ورايته من الغرب إلى الشرق، مخالفاً لمن سبقه من أسلافه، وعلى أية حال فإنه لم يبق من الإمارات السلجوقية التي ضمها السلطان إلى الدولة العثمانية، والتي قامت على أطلال دولة آل سلجوق في الأناضول سوى إمارة قسطنطيني<sup>(٦٦)</sup>.

وكانت هذه الإمارة خارجة عن أملاك الدولة العثمانية، وتقف حائلاً بين الدولة العثمانية في آسيا الصغرى والبحر الأسود، وبلاستيلاء على هذه المدينة يعني حصول الدولة على ميناء مهم جداً وهو ميناء سينوب على البحر الأسود<sup>(٦٧)</sup>، وكان أميرها يسمى با يزيد أيضاً، قد احتسب بإمارته الكثير من الأمراء وأبنائهم الذين استولى السلطان على بلادهم بالقوة وإيجاد مبرر لغارته عليها فقد أرسل السلطان با يزيد الأول، تنفيذاً لتوصية مستشاريه المسيحيين إلى أمير قسطنطيني يطلب منه تسليم أولاد أميرى (أيدين وصاروخان)، فامتنع عن تسليمهم فسار السلطان على رأس جيشه، إلى إمارة قسطنطيني لأخذها بالقوة وهرب با يزيد أمير قسطنطيني ومعه أمراء الإمارات السلجوقية الذين سبق أن احتسبوا به إلى تيمورلنك يشكون إليه السلطان با يزيد الأول ويستنجدون به لاسترداد بلادهم، فاستجاب تيمورلنك لرد بلادهم<sup>(٦٨)</sup>، وهذا هو سبب غزو بلاده من تيمورلنك<sup>(٦٩)</sup>، أما السلطان فقد صم وهو في طريقه للاستيلاء على قسطنطيني، مدن سامسون<sup>(٧٠)</sup>، وقيصري<sup>(٧١)</sup> وجايك وعثمانجق<sup>(٧٢)</sup>، وبذلك انقضت جميع الإمارات السلجوقية القائمة بالأناضول، وصار العلم العثماني كما أراد السلطان العثماني يرفرف أو يخفق فوق صروحها<sup>(٧٣)</sup>، وبهذا أصبح السلطان با يزيد الأول سيد الأناضول، ولكنه كن سيداً بالاسم، إذ لم يكن العثمانيون قد هضموا بعد هذه المناطق الأسبوية المفتوحة، كما تدل حوادث النزاع بين تيمورلنك والسلطان با يزيد فقد كان سكان هذه المناطق لا يزالون موالين لأسراتها الحاكمة، وقد اتضح ذلك في معركة أنقرة كما سيأتي<sup>(٧٤)</sup>.

وهكذا بعد أن قضى السلطان با يزيد الأول على الفتن في الأناضول سنة ٧٩٦هـ/١٣٩٤م وبالتحديد بعد ضم الإمارات السلجوقية في الأناضول وتوحيدها، وظن المسيحيون أنهم قد نجحوا في صرف السلطان عن أوروبا ليستريحوا من الزحف الإسلامي نحو بلادهم للأبد، إلا أن السلطان استشعر بمسئولية الجهاد نحو أوروبا مرة أخرى لذلك حشد قواته وواصل سياسته لعزو أوروبا لاستكمال فتح القسطنطينية، فاستولى على مدينة سالونيك<sup>(٧٥)</sup>، وتمركز فيها، ومنها اتجه إلى شمال بلاد البلغار، وعندما علم سسيمان ملك بلغاريا داخله الخوف لفقد بلاده من السلطان، وحاً بنفسه إلى الصدر

الأعظم، (علي بن خير الدين قرة خليل باشا وزير السلطان با يزيد الأول، ومعه ولده، ووضع كل منهما - الأب والأب - في عنقه مندبل الأمان، فأمنهما على حياتهما، وأرسل الأب إلى مدينة فيليببولي في مقدونية، وأبقى ابنه في معسكر السلطان، ولم يلبث الابن كثيراً حتى اعتنق الإسلام دون إكراه، عندما رأى سماحة الإسلام<sup>(١٧٦)</sup>، وقد قام السلطان باستكمال فتح بلاد البلغار وضماها إلى أملاك الدولة، فأصبحت تلك المناطق ولاية عثمانية<sup>(١٧٧)</sup>.

وحين علم سيجموند ملك المجر افتتاح السلطان بعض مدن البلغار التي كان يعتبرها تحت نفوذه وسيطرته، غضب وأرسل إلى السلطان يقول له : من أين لك الحق أن تستولي على بلاد البلغار، فلما حضر الرسول بين يدي السلطان أراه حزمة من الأقواس والنشاب، وقال له : « اذهب وأخبر مولاي بما نظرت »، وكان هذا الجواب دليلاً على الحرب، ولما عاد الرسول وأبلغ مولاه « ملك المجر » بما عاينه ورآه، فكر بأنه لا يقدر على حرب ومقاومة الدولة العثمانية وجنودها<sup>(١٧٨)</sup>، وكان من الطبيعي أن تشير انتصارات الدولة العثمانية حزع الغرب<sup>(١٧٩)</sup>، فعَمَّ الخوف معظم الأوروبيين من سرعة تقدم فتوح العثمانيين في أوروبا، فقامت ضجة وفزع للحض على جيوشهم<sup>(١٨٠)</sup> للتصدي للعثمانيين.

### سيجموند يدعو لشن حرب صليبية على المسلمين العثمانيين:

لذلك نطلق سيجموند إلى مدينة روما يطلب من البابا بونيفاس الثاني النجدة والمساعدة والعون<sup>(١٨١)</sup>، كما دعا حكام أوروبا المسيحيين إلى شن حرب صليبية ضد المسلمين العثمانيين، وكان ذلك ١٣٩٤م، لصدهم عن بلاده، ويعتبر سيجموند المحرك الأول لتلك الحرب الصليبية، لأنه أصبح متاخماً للدولة العثمانية في عدة نقاط، فخاف خوفاً شديداً وخشي فقد مملكته، كما فقدوا البلغاريون من قبل سنة ١٣٩٣م<sup>(١٨٢)</sup>، لأن بلغاريا كانت بين السلطان العثماني وسيجموند ملك المجر، وكان الأخير يدرك أنه لا يستطيع وحده إنقاذ البلقان. وفي نفس الوقت كان ملوك أوروبا يدركون أن الطريق أمام العثمانيين إلى قلب أوروبا سيصبح مفتوحاً لو نزلت هزيمة كبيرة بالمجر<sup>(١٨٣)</sup>، وكان من نتائج الاستيلاء على بلغاريا يعد تهديد لبيزنطة بصورة دائمة وحطيرة، فأصبحت الدولة العثمانية تتطلع إلى الأراضي المجرية لتحطيم النفوذ المجري هناك، وكان هذا الأمر وراء توحيد دول أوروبا ضد الدولة العثمانية. لتشكيل حملة صليبية<sup>(١٨٤)</sup>.

ومن هذا المنطلق انتعشت الروح الصليبية ولقيت دعوة سيجموند استحابة وتأييداً من البابا - بونيفاس الثاني - الذي دعا أوروبا إلى شن حرب صليبية ضد الدولة العثمانية، لذلك عادت

الفكرة الصليبية التي نسيها الناس في الظاهر منذ أمد بعيد، تعود إلى الظهور من جديد مرة أخرى<sup>(٧٥)</sup>.

وتلك الدعوة لقيت صدى قوي وأشعلت ملوك أوروبا وأبطرتها حماساً في حركة واسعة للوقوف صفاً واحداً لطرد العثمانيين من أوروبا<sup>(٧٦)</sup>، فأرسل البابا بونيفاس الثاني من روما أربعة آلاف جندي مقاتل، وكذلك ملك فرنسا كارلوس الثالث بستة آلاف مقاتل للاتصام إلى سيجموند ملك المجر<sup>(٧٧)</sup>، أغلبهم من بلاء فرنسا، وفيهم كثير من أقارب ملك فرنسا تحت قيادة الشاب الكونت دي نهر<sup>(٧٨)</sup> ابن ملك دوك بورغونيا<sup>(٧٩)</sup>، وقد انضم إلى أولئك الجنود وفرنس القديس يوحنا الارشليمي، أمير الأفلاق وبلغاريا اللذان خلعا ولاهما للعثمانيين<sup>(٨٠)</sup>.

وقبل التحق بالكونت دي نهر، وهو في طريقه إلى بلاد المجر، من ألمانيا حوالي ستة آلاف مقاتل ألماني، بقيادة الكونت بلاتين روبرت بن روبرت الثاني، ومن إنجلترا عشرة آلاف مقاتل بقيادة هنتجدون، وانحز إليه حاكم الأفلاق في عشرة آلاف مقاتل، وقدم من بولندا وبوهيميا وإيطاليا وأسبانيا حوالي ثلاثة عشر ألف مقاتل، وكان ملك المجر سجموند ينتظر هذه الجيوش ومعه حوالي ستون ألف مقاتل<sup>(٨١)</sup>.

وعلى أية حال فإنه لا يهبط الأعداد المقاتلة للطرفين، بقدر ما يهبط في النهاية تشكيب جيش صليبي اشتركت فيه كل دول أوروبا الغربية، وكذلك دول المواجهة التي تواحه الزحف العثماني أو مناطق السيطرة العثمانية، وقد توافد هؤلاء الجيود الصليبيون إلى بودا، من إنجلترا، واسكتلند، وبولند، وبوهيميا، والنمسا، وإيطاليا، وسويسرا، وكذلك من بلدان جنوب شرقي أوروبا<sup>(٨٢)</sup>، تدفعهم الروح الصليبية لسحق وطرد الدولة العثمانية من أملاكها في أوروبا.

وبعد تردد من البندقية للدخول في هذه الحرب اشتركت وأعدت أسطولاً صغيراً في الدردنيل، وذلك لتفتيش المضيق لجعل خط الإمدادات الأوربية متصلاً بالقوات الموجودة في المجر، لمحاولة درء الخطر العثماني من استغلال هذا المضيق لقطع الإمدادات الأوربية وبالتالي يعمد إلى فشل الحلف الصليبي<sup>(٨٣)</sup>.

وقد استغرقت هذه الاستعدادات الأوربية وقتاً طويلاً، وكان البابا صاحب الدعوة، وصرفت أوروبا مبالغ كبيرة من الدراهم لم يسبق أن صرفتها أوروبا في القرون الوسطى<sup>(٨٤)</sup>.

وكن الهدف من هذا الحلف الصليبي أو الحملة الصليبية هي هزيمة وسحق الأتراك العثمانيين وطردهم بصورة نهائية من البلقان إلى الأناضول، ثم محاولة الوصول إلى البقاع المسيحية في بيت المقدس بفلسطين، لتخليصها من يد المماليك، وكانت هذه خطة الحملة<sup>(٨٥)</sup>.

لهذا اجتمع المجلس العسكري الأعلى في بودابست، وتم انتخاب ملك المجر سيجمند الأول للقيادة العامة، فاجتاز الجيش الصليبي الحدود المجرية العثمانية ودخل الأراضي العثمانية<sup>(٨٦)</sup>، عن طريق بلاد الصرب، التي حافظ أميرها على ولائه وعهده للسلطان با يزيد الأول، مما دعا الحلفاء الصليبيون إلى تخريب أراضيه لعدم تحالفه معهم<sup>(٨٧)</sup>.

وقد عبر هذا الحلف نهر الدانوب (الطونة) وعسكر حول مدينة نيكولي<sup>(٨٨)</sup> لمحاصرتها والاستيلاء عليها<sup>(٨٩)</sup>، وكانت هذه المدينة من أقوى وأهم المعاقل العثمانية على نهر الدانوب في أوروبا، وكانت محصنة تحصيناً قوياً بأسوار منيعة<sup>(٩٠)</sup>.

وظل هذا الحلف الصليبي متمركزاً حول قلعة نيكولي الواقعة على الضفة الجنوبية من نهر الدانوب (الطونة) لحصاره والاستيلاء عليها، فلم يستسلم القائد العثماني (دوغان بك) والذي حيدهم عن دخول القلعة وقد مضت فترة أسبوعين أي (١٥) يوماً على حصار الصليبيين لها دون فائدة، في حين وردت الأخبار بأن العثمانيين أخذوا يقتربون من القلعة، وكان جيش السلطان بايزيد الأول قد تحرك من تراقيا، فدق فرسانه، خيالة الصليبيين في سرعة الحركة<sup>(٩١)</sup>، وقد وصلت مقدمة جيشه تحت قيادته إلى نيكولي في يوم الاثنين الموافق ٢٥ سبتمبر ١٣٩٦م، وعسكر بجيشه في التلال على مسافة ثلاثة أميال من الجيش الصليبي<sup>(٩٢)</sup>، يرافقه كثير من الجيش الصربي بقيادة أميرهم استيفن وفاء للشرط الذي التزم به في الصلح مع السلطان با يزيد الأول، فتقدم السلطان لحرب الحلف الصليبي المذكور، فاشتعلت نار الحرب بين الفريقين، ولكن فقدان روح النظام عند هؤلاء الصليبيين المحاربين جعل حماسهم عديم الجدوى بالكلية، وذهبت جهود سيجموند لقيادتهم أدراج الرياح<sup>(٩٣)</sup>، حين بادريهم السلطان با يزيد الأول بالهجوم واشتبك معهم في معركة سال فيها الدم بين الفريقين وانتهت هذه المعركة بفوز العثمانيين على الحلف الصليبي بهزيمة ساحقة<sup>(٩٤)</sup>، بجيش قوامه حوالي سبعين ألف جندي، وكان الجيش الصليبي مؤلفاً من مائة وثلاثين ألف جندي، إلا أنه لم يكن هؤلاء الصليبيين قد شاهدوا حرباً بهذا الحجم ولا طاعروها في الكتب، كانوا جنوداً جديدين، لكنهم لم يعتادوا إلا على مقاتلة خمسة عشر ألف جندي وجهاً لوجه على أكثر تقدير.

فكانوا يجهلون تكتيك الحرب العثمانية، لذلك اضطربوا عندما ضيق عليهم السلطان بايزيد الأول الحاق، وأرادوا النجاة والهرب عن طريق نهر الطونة لكنهم شاهدوا أن النهر من أوله إلى آخره مرصوف بالحجارة (الأتراك، فقد حاولوا بينهم وبين النهر، فكان العثمانيون الأتراك يقتلون بالسيف من لم يستسلم منهم<sup>(٩٨)</sup>، أما سيجموند ملك المجر، فقد هرب من المعركة إلى شاطئ البحر الأسود حيث وثب على إحدى السفن من الأسطول النصراني ففرت به إلى أوروبا، وبذلك تضاعفت مكانة المجر في عيون المجتمع الأوروبي، وتبخر ما كان يحيط بها من هيبة ورهبة واعتداد بقوة ملكها سيجموند، وبهزيمته أصبح الوضع في البلقان أكثر سوءاً وأصبح الطريق ممهداً أمام العثمانيين لمزيداً من الفتح<sup>(٩٩)</sup>، وقد أمكن للسلطان إبادة معظم القوة الصليبية الكاثوليكية الضخمة التي احتشدت في (بودا) خلال مدة قصيرة عند قلعة نيكولي، وكانت تلك القوة الصليبية خلال زحفها نحو الأماكن تحرق وتهدم ما يصادفها في الطريق وتوقع أنواع المظالم بالسكان الأرثوذكس المحليين، فلما منيت بالهزيمة. تأكد لديهم الرأي القائل باستحالة طرد العثمانيين من الأناضول<sup>(١٠٠)</sup>.

وقيل مات من الصليبيين غرقاً في النهر وصرباً بالسيف حوالي مائة ألف جندي، وتمكن من الفرار حوالي عشرة آلاف جندي<sup>(١٠١)</sup>، كما وقع في الأسر حوالي عشرة آلاف جندي قام الجنود العثمانيون بقتل معظمهم أمام السلطان، منهم كثير من نبلاء فرنسا، وأطلق سراح الباقين منهم يوحنا كونت دي نافر<sup>(١٠٢)</sup>، فقد عفا عنه السلطان لشجاعته وبسالته<sup>(١٠٣)</sup>، وكانت خسائر الأتراك غير معلومة لديهم، ولكن المصادر الأوروبية تقدر حجم الخسائر العثمانية بثلاثين ألف جندي تركي بين قتيل وجريح<sup>(١٠٤)</sup>.

وعلى أية حال فقد استطاعت إمارات فيدن البلغارية، من الإفلات والنجاة من السقوط في أيدي العثمانيين ١٣٩٣م، ولكن العثمانيين استطاعوا الاستيلاء عليها في هذه المرة ١٣٩٧م، نتيجة لهزيمة الخلف الصليبي في موقعة نيكولي ١٣٩٦م، حيث أصبح الطريق سهلاً ومهداً أمام العثمانيين كما سبق ذكره، لذلك استطاعوا احتلال أثينا، ثم عبروا مدينة اسميوس، واحتلوا أرجوس، وانتصروا على القوات لبيزنطية هناك، واحتلوا الشاطئ الجنوبي، وكان ذلك إذناً بأن القسطنطينية قد جاء دورها، بعد القضاء على كل العناصر الصليبية أو التي باستطاعتها أن قد يد المساعدة لمدينة القسطنطينية، التي كانت تمر بفترة ضعف في السنوات لعشر الأخيرة<sup>(١٠٥)</sup>، هنا الأمر عمل على ذبوع شهرة السلطان بايزيد الأول في العالم الإسلامي كمجاهد كبير،

وعلى ذلك كان في مقدوره أن يضع القسطنطينية تحت الحصار الشديد ويتطلع إلى احتلال روما، وهذا أثار الخوف في نفوس أهلها، أما الإمبراطور البيزنطي فقد كان يعتقد عن إيمان أن إنقاذ القسطنطينية لن يتم إلا عن طريق المساعدة التي يمكن الحصول عليها من الخارج، كما توقع أن فتح القسطنطينية قريب المآل<sup>١١</sup>، وأعلن السلطان با يزيد الأول أنه سيحتل إيطالي، بعد فتح القسطنطينية، وأن حصانه سيتناول طعامه على مذهب كنيسة القديس بطرس في روما<sup>١٢</sup>.

عندما فقدت بيزنطة كثيراً من تأثيرها وهيبته بعد معركة نيكولي، مما جعل الإمبراطور مانويل الثاني يطلب المساعدة من روسيا والبندقية، وملك فرنسا وبريطانيا لإنقاذ القسطنطينية من تهديد العثمانيين لها، فاستجاب شارل ملك فرنسا لطلب مانويل، فأرسل من المصحك فرقة تتكون من ألف ومائتين جندي تحت قيادة المارشال بوكيكو (Boucicau) الذي سعى لشق طريقه إلى القسطنطينية، ولكن القوة التي كانت معه صغيرة لن تستطيع إنقاذ القسطنطينية<sup>١٣</sup>.

في نفس الوقت كان حيا السابع مافس الإمبراطور مانويل الثاني على العرش يتفاوض في فرنسا لبيع حقه في العرش لملك فرنسا مقابل قصر هياك، ودخل يقدر بمائتين وخمسين ألف فلورين ذهبي، فقرر الإمبراطور مانويل الذهاب إلى الغرب لطلب المساعدة، وتدخل بوكيكو للصلح بين الإمبراطورين البيزنطينيين المتنازعين (أنا ومانويل) وتقرر أن يحكم حيا السابع كإمبراطور في القسطنطينية في غياب مانويل، ومع ذلك فإن مانويل لم يكن يأمن له، فأرسل أسرته عند أخيه في المورة، وذهب في رحلة لطلب المساعدة من الغرب، فزار البندقية وعدداً من المدن الإيطالية، ثم ذهب إلى باريس، ومنها إلى لندن، ولم تحقق رحلته نتائج إيجابية إلا بعض الوعود، التي لم تتحقق لصعد الهجوم العثماني المحتمل لفتح المدن فرحل إلى باريس مرة أخرى، وأقام بها عامين، إلى أن وصلت أخبار هزيمة السلطان با يزيد الأول على يد المغول مما جعل القسطنطينية تنعم بفترة راحة من الاستقرار<sup>١٤</sup> كما سيأتي ذكره.

وفي الحقيقة أن الصربيين قد أثبتوا ولاهم للدولة العثمانية في ساحة نيكولي، والتي أحرز فيها السلطان با يزيد الأول بمساعدتهم قمة مجده في تلك المعركة، فأرسل من ميدان القتال إلى قاضي بروسه يخبره فيه بانتصاره في نيكولي<sup>١٥</sup>، كما بعث من أدرنة عاصمة بلاده الرسائل إلى كبار حكام المشرق الإسلامي، يرف فيها بشرى انتصاره في معركة نيكولي، وقد أرسل مع الرسل مجموعة من الأسرى الصليبيين كهدايا من المستصر دليلاً مادياً على انتصاره، واتخذ لقب

« سلطان الروم » كدليل على وراثته لدولة السلاجقة وسيطرته على كل شبه جزيرة الأناضول<sup>(١١٠)</sup>، وبهذا الانتصار العظيم الذي حققه السلطان با يزيد الأول في معركة نيكوبلي رسخت أقدام العثمانيون في البلقان، حيث انتشر الخوف بين الشعوب البلقانية، وخضعت بلغاريا والمجر للدولة العثمانية، وعاقب السلطان حكام جزيرة المورة الذين قدموا المساعدات للحلف الصليبي<sup>(١١١)</sup>، ويعني ذلك أن العثمانيين بهذا العمل قد سيطروا على شبه جزيرة البلقان كلها ما عدا مدينة القسطنطينية وما حولها<sup>(١١٢)</sup>.

### العلاقة المملوكية العثمانية في بداية عهدها تختلف عن نهايته :

وكانت العلاقة المملوكية العثمانية في بداية عهدها طيبة، فلم يحدث بين الدولتين صدام، لعدم ظهور أطماع لأي منهما في أملاك الآخر، وقد زاد من تحالفهما الخطر المغولي الزاحف نحو الغرب، المتجه نحو بلادها<sup>(١١٣)</sup>.

لذلك أرسل السلطان با يزيد لأول إلى الخليفة العباسي المتوكل المقيم في القاهرة، طالباً منه أن يخلع عليه لقب سلطان الروم لكي يسوغ على السلطة التي مارسها أو تمنح به هو وأجداده من قبل طابعاً شرعياً رسمياً لتزاد هيبة لدى العالمين الإسلامي والمسيحي، ولم يكن في استطاعة السلطان برقوق - حامي الخليفة العباسي - أن يتعلل أو يرفض طلب السلطان، بل وافق عليه، إذ كان يرى في السلطان العثماني حليفه الأوحيد ضد قوات تيمورلنك التي كانت تهدد كلا الطرفين بخطر عظيم<sup>(١١٤)</sup>، لذلك خلع عليه الخليفة العباسي لقب سلطان أقاليم الروم تدعيماً لموقفه هناك، وتوجيهاً لجهودهما معاً ضد العازي المغولي لهما على حد سواء<sup>(١١٥)</sup>، وعلى الرغم من مخاوف السلطان برقوق من الخطر المغولي نحو بلاده، إلا أنه كان يخاف أكثر من أطماع العثمانيين<sup>(١١٦)</sup>، وهنا يجب التنويه أن السلطان با يزيد الأول، وهو أول من لقب «سلطان آل عثمان»، لذلك لم ينتقل آل عثمان من طور الإمارة إلى دور السلطنة إلا في عهد السلطان با يزيد الأول، وعنى يديه أصبحت الإمارة العثمانية الدولة التي عرفت باسم الدولة العثمانية، كما أن هذا السلطان بحق هو أول من فكر في توحيد العالم الإسلامي، وكانت طموحاته أن يقوده تحت إمرته<sup>(١١٧)</sup>، وقد تدفق على الأناضول آلاف المسلمين الذين قدموا لخدمة الدولة العثمانية وسلطانها، وكانت هذه الهجرة لم تقتصر على رعيا التركمان، بل كانت مليئة بالجنود الذين أسهموا في الحياة الحكومية والاقتصادية والثقافية، في إيران والعراق، وما وراء النهر، إضافة إلى الجموع الفارة أو الهاربة من أمام زحف قوات تيمورلنك من أواسط آسيا<sup>(١١٨)</sup>.

وقد صدقت محاورف السلطان برقوق حين أخذ السلطان با يزيد الأول يتطلع إلى الممالك في آسيا الصغرى، شرق الأناضول، فكان احتكاكه أكثر من مرة بدول الممالك في مصر والشام، فقد هاجم قيصرية، وقبض على أميرها الذي كان يتبع لدولة الممالك، وسيطر على بلاد القاضي برهان الدين وسط الأناضول، وحين بدأت انتصاراته<sup>(١٣٣)</sup> حضر بنفسه في ٢-٨هـ / ١٣٩٩م، إلى سيواس، وشاهد الوضع هناك، وكان ابنه محمد الأول (جلبي)، والياً على هذا الإقليم<sup>(١٣٤)</sup>، ولما علم السلطان با يزيد الأول بوفاة الأمير برقوق، وتولى ابنه فرج الحكم مكانه على مصر أرسل إليه رسولاً يعرض عليه ترك « ملاطية » الأهلة بالسكان الأتراك لأنها تخص القاضي برهان الدين التي آلت بلاده للسلطان العثماني، وعندما تلقى الجواب بالرفض من الأمير فرج المملوكي قام بإعداد جيش لهذا الغرض ونزل به من سيواس إلى ملطية، وقام بحصارها حتى استسلم أهلها في شهر محرم ٢-٨هـ / ١٣٩٩م، فأخذها عنوة من الممالك<sup>(١٣٥)</sup> وقد أدى ذلك الأمر إلى توتر العلاقات المملوكية العثمانية في الوقت الذي كان فيه خطر تيمورلنك ماثلاً على أبواب الأناضول (٢-٨هـ / ١٣٩٩م)، فاحتل السلطان العثماني المدن المملوكية الأخرى، كحصن منصور (آدي يان) كاهته بسبي دارنده، ديوريفي البستان، حتى تجاوزت الحدود العثمانية نهر الفرات، كما اعترف بنو دلقادر بالسيادة العثمانية في ٢/٩/١٣٩٩م، وخضعت له مدينة خربوت وارزبجان، وهكذا تكونت الوحدة الأناضولية التي يسعى من أجلها لإعادة أحياء تركية علا، الدين السلجوقية في آسيا الصغرى<sup>(١٣٦)</sup>.

هذه السياسة الجزئية منه في الشرق أوقعتة فيما بعد لأن يدخل ساحة نفوذ تيمورلنك من ناحية والأراضي المملوكية من ناحية أخرى، حتى وجد نفسه وجهاً لوجه أمام تيمورلنك<sup>(١٣٧)</sup> كما سيأتي.

وعلى أية حال فقد شعر السلطان با يزيد الأول بما شعر به القاضي برهان الدين أحمد حاكم سيواس آنذاك، لما كان على قيد الحياة بالخطر المغولي عقب استيلاء تيمورلنك على بغداد للمرة الأولى حين لجأ للعثمانيين والممالك في مصر، وشرح لهم هذا الوضع المريب من أطماع المغولي، فاقترح بإعداد حلف صد تيمورلنك، ولكنهما (العثمانيون والممالك) لم يهتموا بهذا الأمر<sup>(١٣٨)</sup>.

لذلك أحس السلطان العثماني كما سبق ذكره بحرج موقفه وخطأ ما أقدم عليه، عندما أحس بالخطر المغولي يقترب من بلاده، ولا نصير له في المنطقة سوى دولة الممالك، فهدم بالاعتذار

لسلطان الممالك الناصر صلاح الدين بن فرج بن برقوق عما أقدم عليه، وأرسل له هدية ثمينة مع أحد رسله، وظل السلطان بايزيد الأول يؤكد صداقته واحترامه لسلطين الممالك<sup>(١٢٣)</sup>، حتى طلب من السلطان المملوكي فرج ما طلبه القاضي برهان الدين وهو التحالف معه ضد الخطر المغولي الذي أصبح على مقربة من بلادهما، فرفض السلطان المملوكي فرج ذلك التحالف بعد التشاور مع أمراء الممالك، الذين تأثروا باحتلال السلطان العثماني للمطية وغيرها من الممالك التابعة لدولة. ففضى هذا الاحتلال على إمكانية التحالف بينه وبين السلطان فرج بن برقوق، وقد استفاد تيمورلنك من هذا الخلاف والتنافس بين الممالك والعثمانيين في صالحه<sup>(١٢٤)</sup>، حيث تمكن من مهادمة كلا القوتين على انفراد<sup>(١٢٥)</sup>، فقد غزا سيواس العثمانية وقام بتخريبها وبهذا العمل فقد أنزل بالعثمانيين أول ضربة، واكتفى في بداية الأمر بسيواس، ولم يتقدم نحو الأراضي العثمانية.

أما السلطان بايزيد الأول فقد شعر بأن الوضع في سيواس مؤلم، فقد تأثر كثيراً لعدم استعداده لملاقاة تيمورلنك على الفور، لكنه سار بقواته إلى قيصري، وانتظر تيمورلنك، لكن تيمورلنك اتجه نحو سوريا<sup>(١٢٦)</sup>، وهاجم الممالك في مصر وإلشام وتمكن من هزعتهم سنة ١٤٠٠م، بالقرب من مدينة دمشق<sup>(١٢٧)</sup>.

ولما رأى السلطان العثماني اتجه تيمورلنك نحو الممالك قاد الجيش العثماني بنفسه إلى الحدود الشرقية، وأخذ مدينة أذربيجان من أميرها مهتران حليف تيمورلنك، وبعد ذلك خيره بأن يعيد له المدينة على أن يصبح - مهتران - تابعاً له ويكون حاكماً على أذربيجان ثم أخذ عائلة مهتران كرهينة لديه حتى يضمن ولائه، وأرسلها إلى مدينة بروسه (بورصة) وكان ذلك في شهر ذي الحجة سنة ٨٠٣هـ / ١٤٠١م، وبهذه الصورة فقد اتسعت الفتوة بين تيمورلنك وبايزيد الأول لغارته على أمير أذربيجان التابع لتيمورلنك<sup>(١٢٨)</sup>.

وبعد ذلك عاد السلطان إلى عاصمته بروسه (بورصة) ليستريح من عناء الحروب، وليجتمع باللذات<sup>(١٢٩)</sup> ونشوة انتصاراته، وأيضاً مراقبة الزحف المغولي، ورصد اتجاهاه للاستعداد له، وبما هو على تلك الحال، فقد أرسل تيمورلنك خطاباً أثبته حملته لسوريا يهدد السلطان بايزيد فيه، ويسه من العفلة، لارتكاب لأخطاء ضد حلفائه وأمراء الإمارات السجوقية المسلمين الذي اغتصب ممتلكاتهم، وتهديده لدولة الممالك، كما ذكره بغموض أصل أسرته، فأغلظ له السلطان بايزيد الأول الجواب مع رسوله<sup>(١٣٠)</sup>، وبين له أنه من أسرة عريقة ذات أمجاد معروفة، ومن نسب

عالي، وطلب بأن يكون تيمورلنك تابعاً له مفاخرًا بتاريخهم العظيم، فأنصرف الرسول المغولي مخذولاً<sup>(١٣١)</sup>.

### استغلال الخلاف بين السلطان بايزيد الأول وتيمورلنك :

استغل إمبراطور القسطنطينية وملكوك أوروبا هذا الخلاف الذي وقع بين السلطان بايزيد الأول وتيمورلنك، وطلبوا من الأخير مساعدتهم لإنقاذ سقوط القسطنطينية في يد السلطان بايزيد الأول، وكان تيمورلنك قد بدأ مواصلة فتوحاته وزحفه نحو خوارزم وبالتحديد قد وصل إلى ما بين النهرين لمواصلة قتال السلطان بايزيد الأول<sup>(١٣٢)</sup>، الذي كان ينوي حصار القسطنطينية، ولما علم أن إمبراطور القسطنطينية قد استنجد بتيمورلنك، تقدم بجيشه لحصار القسطنطينية، عقاباً له على موقفه العدائي، ثم طلب السلطان تسليم المدينة، واتبعها بالاستيلاء على الشاطئ الآسيوي وعلى جزء ضيق من مضيق البسفور، ولكن الإمبراطور رفض تسليم القسطنطينية، فأحكم السلطان الحصار عليها مصمماً في هذه المرة فتحها<sup>(١٣٣)</sup>.

وفي أثناء هذا الحصار وصل السلطان بايزيد الأول رسالة من تيمورلنك، بأمره فيها بإعادة جميع أراضي بيزنطة التي سبق للسلطان الاستيلاء عليها ورفع الحصار عنها، وفي نفس الوقت بلغه زحف تيمورلنك إلى أطراف بلاده، فشق على السلطان العثماني هذا الأمر، لذلك رأى رفع الحصار عن القسطنطينية - للاستعداد لصد الزحف المغولي عن بلاده - بعد أن شارفت على السقوط واكتفى بالصلح مع ملكها، مع أن أوروبا كانت تتوقع سقوطها في أي لحظة لعدم استطاعتهم تقديم المساعدة المطلوبة لخوفهم من السلطان العثماني<sup>(١٣٤)</sup>.

غير أن التقدم الذي أحرزه السلطان بايزيد الأول في الأناضول عقب النجاح الذي حققه في الغرب جعله يقف وجهاً لوجه أمام تيمورلنك الذي ظهر من الشرق على مسرح الأحداث لغزو العثمانيين<sup>(١٣٥)</sup>، نظراً لسياسة السلطان العثماني الحافطة لالتحايه نحو المشرق مخالفاً في ذلك سياسة أسلافه الذين كان هدفهم الجهاد لنشر الإسلام نحو الغرب، فأكسبته تلك السياسة عداوة الجميع من مسلمين وأوربيين، فأنقذ هذا الغزو سقوط القسطنطينية في يد السلطان العثماني، الذي كان يدعي لنفسه الوصاية في الأناضول كوريث للمغول، ونتيجة لسوء علاقته أيضاً مع سلطان المماليك، وجد نفسه وحيداً أمام تيمورلنك، وكان أمراء الأناضول الذين طردهم من إماراتهم وحوّلها أو ضمها لدولته فأصبحت أراضي عثمانية، وكذلك رجال الإقطاع كانوا غير

راصين عن السياسة المركزية التي أتبعها السلطان وطبقها، هؤلاء جميعاً كانوا يرون في تيمورلنك أنه منقذ لهم<sup>(١٣٦)</sup>.

وكان يمكن لبازيد الأول اكتساح أوروبا، لولا ما قدّره الله، من قدوم خطر تيمورلنك، الذي عصفت بالسلطنة العثمانية، وتسبب في انهيارها لفترة حتى استعادت وحدتها على يد ابنه السلطان محمد الأول<sup>(١٣٧)</sup>.

وعلى أية حال فقد حشد السلطان بايزيد الأول جيوشه التي كانت متفرقة في أنحاء أوروبا وآسيا عائداً بها إلى بروسة (بورصة) عاصمة بلاده للاستعداد لحرب تيمورلنك<sup>(١٣٨)</sup>، ويعني ذلك تحويل جيشه صوب الشرق، لإبعاد الخطر الجديد خطر المغولي تيمورلنك عن الدولة العثمانية<sup>(١٣٩)</sup>.

وتيمورلنك هذا ينتهي إلى الجنس التركي، ينحدر في أصوله إلى إحدى الأسر الكريمة في بلاد ما وراء النهر، تولى هذا القائد عرش خراسان عام ١٣٦٩م، وعاصمته سمرقند، في الوقت الذي كان فيه السلطانين مراد الأول وابنه بايزيد الأول يرسيان قواعد دولتهما البلقانية، سيطر تيمورلنك على القسم الأكبر من العالم الإسلامي، فقد نشرت قواته في آسيا من مدينة دلهي إلى مدينة دمشق، ومن بحر آرآل إلى الخليج العربي، واحتل فارس وأرمينيا، وأعالي الفرات ودجلة، والمناطق الواقعة بين بحر قزوين إلى البحر الأسود، وفي روسيا سيطر على المناطق المحتلة بين أنهار الفولجا والدون والدينبير<sup>(١٤٠)</sup>، وأعلن بأنه سيجعل الأرض المسكونة ملكاً له، وكان دائماً يردد هذا القول: « أنه يجب ألا يوجد سوى سيد واحد على الأرض، طالما أنه لا يوجد إلا إله واحد في السماء »، وكان يكره أن تكون هناك قوة أقوى منه أو منافسة له.

وقد اتصف تيمورلنك بالشجاعة والعبقرية الخربية والمهارة السياسية، وكان إذا قرر أمراً يطلع على التقارير التي يبعثها إليه جواسيسه الذين كان يرسلهم إلى ذلك المكان، ليكون ملماً بقوة وضعف أعدائه.

وكان تيمورلنك لا يتسرع في اتخاذ القرارات بل يوازن ويفكر بعمق حتى يتخذ القرار المناسب، ثم يتمسك به، لهيبته التي كان يتمتع بها بين جنوده، وكانوا يطيعون أوامره أبداً كانت ومهما كانت.

على أن تيمورلنك باعتباره مسلماً صالحاً كان يراعي العلماء ورجال الدين وبخاصة دراويش

الطريقة النقشبندية، وكانت دولته شبيهة بدولة السلطان بايزيد الأول من حيث أنهما قامتتا على أنقاض دول صغيرة لجأ أمراؤها إلى كلا الجانبين كما سبق ذكره<sup>(١٤١)</sup>.

ومهما يكن القول فقد واصل تيمور زحفه حتى وصل إلى بغداد في العراق، فهرب حاكمها السلطان أحمد جلالتري<sup>(١٤٢)</sup>، خوفاً من بطشه، كما هرب حاكم أرزيجان قره يوسف، والتجأ بعائلتيهما إلى السلطان بايزيد الأول، وكان تيمورلنك يسعى لنصرة أمراء القرمانيين وأوربا الذين استطاعوا استمالته، وقد وافق ذلك ما بنفسه من أطماع لد غزو على بلاد الشام وبلاد الأناضول، لذلك أرسل سفيراً إلى السلطان بايزيد الأول يطلب فيه تسليم أحمد جلالتري، وقره يوسف ولكن السلطان رفض هذا الطلب، وعاد السفير إلى تيمورلنك<sup>(١٤٣)</sup>.

### محاولة للصلح بين تيمورلنك والسلطان بايزيد الأول :

وفي رواية أرسل تيمورلنك خطاباً إلى السلطان بايزيد الأول يريد الصلح دون قتال حيث قال: « أنت رجل مجاهد في سبيل الله، وأنا لا أحب قتالك، ولكن انظر أي البلاد التي كانت معك من أبيك وجدك، فاقتنع بها وسلم إلى البلاد التي كانت من إرثي ».

وقد أشار الصدر الأعظم العثماني علي باشا على السلطان بايزيد الأول بأن يتبع سياسة السلم والصلح مع تيمورلنك، وقد أرسل سفيراً إلى تيمورلنك للتفاهم في الصلح، وكلفه السلطان بعمل معاهدة إذا اتفقا، ولكن تيمورلنك لم يكثرث بالأمر، بل زحف إلى حدود الأناضول، وأخبر سفير السلطان العثماني بأنه ينتظر رد سلطانته بايزيد الأول، وسمح للسفير والوفد المرافق له بالعودة وأرسل معهم سفيره الخاص بالشرط التالي :

أن تيمورلنك يريد استلام قره يوسف بصفة خاصة حباً أو ميئاً، لكن السلطان بايزيد أجاب السفير، بأن قره يوسف لم يقدم له أي معلومات أو مساعدة، وأنه في ضيافته الخاصة، لذلك لا يمكن أن يسلم إليه كل من جاء إليه لاحقاً مهما كلفه ذلك من أمر<sup>(١٤٤)</sup>.

بيد أن السلطان العثماني كان لديه خفة وشجاعة، ولم يكن عنده صبر ساعة، كان إذا تكلم وهو في صدر المجلس فإنه لا يزال في حركة زحف أو اضطراب حتى يصل إلى أطراف الإبرار، ولما وصل شرط تيمورلنك إليه رفض تنفيذ هذا الصلح واستهجنه في أسلوبه وفرض ما يريد، لذلك رد عليه مهذواً ومتحدياً قوته ومرحياً بقدومه للقتال<sup>(١٤٥)</sup> دون ضيقه.

لذلك أدرك تيمورلنك أنه لا يمكنه حرب السلطان العثماني على الأقل في هذا الوقت الحاضر مثل ما كان يفعل في الماضي، واضطر أمام ذلك إلى نقل معظم قواته إلى وسط آسيا وبالتحديد في مدينة «قرباغ» حيث قضى الشتاء بها<sup>(١١٦)</sup>.

وكما لجأ أمراء العراق وأذربيجان إلى السلطان العثماني بايزيد الأول، فقد لجأ من قبلهم إلى تيمورلنك أمراء الإمارات السلجوقية في آسيا الصغرى، وفي كلا الجانبين أصبح اللاجئون يحرضون ويحركون كل طرف لشن الحرب ضد الآخر، ولم تجد هذه التحريضات آذاناً صاغية في بادئ الأمر من الطرفين<sup>(١١٧)</sup>.

### الصلبيون يحرضون تيمورلنك للهجوم على العالم الإسلامي :

وقبل أن أشيع بأنه قد دخل طرف ثالث وهم الصليبيون الذين عمدوا إلى تحريض تيمورلنك على هجوم العالم الإسلامي من جهة الشرق وذلك عن طريق بناتهم اللواتي كن في قصور أمراء وحكام المغول مستغلين هذا عن طريق السياسة والمفاوضات<sup>(١١٨)</sup>، وخاصة من المدن الأوربية، (جنوة وقشتالة)، الحاقدة على السلطان بايزيد الأول، فقد شجعت تيمورلنك على حرب الدولة العثمانية<sup>(١١٩)</sup>.

ولكن تيمورلنك لم يستمع إلى رسلهم بسبب تمسكه بالإسلام من ناحية ومن الناحية الأخرى، لم يكن هناك ما يدل على تقديم أي مساعدات مجدية يمكن أن تقدمها كل من جنوة وقشتالة له، ولكن هذه الاتصالات قد تكون شجعت تيمورلنك على العمل ضد العثمانيين<sup>(١٢٠)</sup>، ومستغلاً كراهية الماليك وأمراء الأناضول وشعوبهم الإقطاعيين لحكم السلطان بايزيد الأول، وقد هبأت هذه الظروف المناخ لتيمورلنك لغزو بلاد السلطان العثماني.

إضافة إلى أن الصليبيين قد زوجوا بناتهم، وأهدوا بعض جوارهم الحسان للعمل في قصور حكام المغول وأعيانهم لاستمالة قلوبهم قبل عقولهم لتحريكهم لغزو الدولة العثمانية من المشرق حتى تتوقف حركة جهادهم عن الفتح في أوروبا، وهم يتولون الهجوم المعاكس من الغرب ليتمكنوا من إبعاد خطر العثمانيين عن أوروبا كلها بمساعدة المغول، وقد حاولوا من قبل صرف السلطان بايزيد الأول إلى الشرق ليركز جهوده في توحيد الإمارات الإسلامية بالأناضول لتحويله عن أوروبا، وبالتالي يفسح لهم المجال للزحف إلى بلاد الشام للاستيلاء على القدس الشريف في فلسطين<sup>(١٢١)</sup>.

وكانت نتيجة حربه مع هذه الإمارات المسلمة والتي قرَّ أمراتها للاحتواء بتيمورلنك وطلب المساعدة منه لاسترداد إماراتهم في نظري أهم أسباب غارة المغول على الدولة العثمانية، إضافة إلى أطماع المغول منذ موجهاتهم الأولى، وقد تكون هذه الحملة استمراراً للغارات السابقة التي قامت في وسط آسيا.

إلا أن ما برره تيمورلنك لهذه الغارة هو خوفه من تحركات السلطان بايزيد الأول ضده، وضربه من الخلف لأنه كان يفكر في غزو الصين لتوسيع ممتلكاته، فخشى تحالف الممالك مع الدولة العثمانية لحرب ضده، وهذا فيه شيء من الصحة لذلك لا بد أن يستثمر التناحر الحالي بينهما في صالحه، وكان يتعين الأسباب والفرص وحين سنحت له، يبادر بالزحف على الدولة العثمانية<sup>(١٥٢)</sup>.

والحقيقة أن الدولة العثمانية بدأت هي الأخرى منذ فترة من الزمن تستشعر نوايا الخطر المغولي يهددها من الشرق، مما يتيح لميزنطة فرصة جديدة يتنفسون من خلالها الصعداء وينفكون من الضغط العثماني<sup>(١٥٣)</sup>.

وهذه دلالة واضحة على تأثير أوروبا على فكر تيمورلنك وأمراته عبر بناتهم وجوارهم، لذلك استجابوا لقلوبهم قبل عقولهم، فكانت الكارثة بين المسلمين كما سيأتي.

وقد أدرك السلطان بايزيد الأول حتمية الصراع مع تيمورلنك، ولهذا السبب قبل أنه سعى إلى تقوية مركزه الحربي في آسيا الصغرى عن طريق القضاء على الإمارات التي قامت على أنقاض دولة السلاجقة<sup>(١٥٤)</sup>، وهذا احتمال ضعيف يؤكد الباحث بل تقوده الأطماع لتوحيد أمارات الأناضول تحت حكمه مهما كلفه ذلك الأمر.

لذلك أخطأ حين اتجه إلى ضم دول إسلامية كانوا كثيري العدد، وغير راضين عن سياسة السلطان الذي أخذ يتدخل في شئونهم، خاصة دون مراعاة لهم، وفي هذه السياسة التي اتبعها قد خالف فيها أسلافه في سياسة الفتح العثماني، وهو الاتجاه نحو الغرب للفتح ونشر الإسلام هناك، دون الالتفات إلى الممالك الإسلامية في المشرق<sup>(١٥٥)</sup>، وكان ينبغي عليه أن يعقد مع تلك الممالك حلف صدقة وحسن جوار ليستعين بهم في أي لحظة ضد أوروبا، ويكونون بجواره في مثل هذه المحن لا ضده كما هو الحال.

لهذا سقط السلطان في طموحاته، عندما تعددت عليه الجبهات واتسعت الفجوات في الغرب والشرق الإسلامي، ولم يبق له صديق، مما أكسبه عداوات المسلمين قبل الأوروبيين لتدخله في

شيوخهم، وكان عليه أن يكسبهم إلى جانبه دون الدخول في صدام معهم والحقيقة أنه كان شجاعاً مقداماً، ولكن يبدو لم تكن عنده حكمة وسياسة أجداده المؤسسين في الفتح العثماني<sup>(١١٦)</sup>.

أما السلطان بايزيد الأول فكانت تعيب سياسته التعجل في الفتح العثماني، دون تمييز بين الدول الإسلامية والأوربية، كان أسلافه في فتح أي مدينة في الغرب وليس في المشرق الإسلامي يستريحون حتى تستقر أحوال هذه المدن ويصمتون ولا لها وانتظمتها ضمن ممالكهم السابقة حينئذ يبدؤون بغزو جديد، وهكذا كانت سياستهم في فتوحاتهم في اتجاه واحد منذ تكوين دولتهم.

وعلى أية حال فعندما رفض السلطان بايزيد الأول تسليم أعداء تيمورلنك إليه بشكل سافر، والتزم بحمايتهم، مهما كلفه ذلك الالتزام، لذلك تردد تيمورلنك في بداية الأمر في غزو السلطان بايزيد الأول حتى لا يشير المشاكل والمشاعر ضده في العالم الإسلامي، والتي لم تكن أساساً في صالحه، باعتباره أحد قوى العالم الإسلامي، ولكنه كان عارماً على فتح بلاد الصين، وإدخالها إلى الإسلام، وكان يعلم أن الدولة العثمانية لا تبالي بأنة حدود بسهما، كما كان يخشى من استمرار استيلائها على الإمارات السلخوقية في آسيا الصغرى والتي لحا إليه حكامها لتحليصهم منه في استرجاع أقطارهم<sup>(١١٧)</sup>، وخاصة أن تيمورلنك قد بدأ بغزو الحدود العثمانية.

وكان تيمورلنك يعلم أن غالب جند السلطان بايزيد الأول هم من لسلاجقة، أبناء الإمارات المذكورة ففكر في استمالتهم في صفه، لذلك أرسل إلى زعمائهم وكبار رجالهم، يذكرهم بحسنهم ولجوء أمرائهم لديه، ويعددهم وعينهم صدقاً بإعادة ممتلكاتهم التي سلبها السلطان بايزيد الأول منهم، فوعده سراً بالانضمام إليه عند الحرب<sup>(١١٨)</sup>، وقد نجح تيمورلنك في هذه المهمة من اختراق صفوف السلطان العثماني بأخذ هذه الموافقة، والتي تعد من أهم العوامل التي أسقطت بايزيد في الميدان كما سيأتي الحديث عنه.

عندئذ بدأ تيمورلنك بعد أن ضمن ولاء أبناء الإمارات السلخوقية داخل جيش السلطان العثماني غارته في سنة ٨٠٣هـ / ١٤٠٠م، بجيوشه على بلاد آسيا الصغرى التابعة للدولة العثمانية، وفتح مدينة سيواس بأرمينيا، وأسر حاكمها أورخان ابن السلطان بايزيد الأول، ثم قام بقطع رأسه، لرفض والده تسليم أحمد الجلاتري، وقرة يوسف له<sup>(١١٩)</sup>.

ثم أعقب ذلك قتل ما أسره من العثمانيين، لكنه اعترف أنه لم يلق صعوداً في الحرب طيبة حياته مثل صعود آل عثمان، لذلك أدرك عدم قدرته إسقاط القلاع الأنضولية، لكنه كان يطمح

في إبادة الجيش العثماني، عندئذ انسحب من الأناضول إلى قفقاسيا، متجنباً الحرب مع السلطان بايزيد الأول، على أمل أن يعترف له بالتبعية مثل ما اعترف له سلطان الهند والماليك من قبل، ولكن السلطان بايزيد الأول غيرهم، فقد رفض الاعتراف بتيمورلنك، وبصيغة فيها تحقير، فلم يتحقق أمله، وظل السلطان العثماني بعد ذلك الانسحاب أن المشكلة قد انتهت، ولكن الحقيقة أن تيمور كان ينوي العودة بتخطيط جيد لكسب المعركة<sup>(١)</sup>.

تيمور لنك يستعد للحرب على الدولة العثمانية:

ولكن آراء أمراء تيمورلنك وأتباعه وحتى أولاده وأحفاده انقسمت إلى من يريد منعه من التحرك إلى الأناضول، لأنه لا يليق بهم حرب الدولة العثمانية السنية، حنفية المذهب والتي تنطق أيضاً التركية مثلهم، وحاملة لراية الجهاد الإسلامي، وهناك من يشكك في قدرة انتصاره على السلطان بايزيد الأول لقوة المقاومة التي لقيها جيشه في سيواس واعترف بها تيمورلنك نفسه، وهناك فريق آخر يعرضه على حرب العثمانيين<sup>(٢)</sup>، ويبدو أنهم أمراء الأناضول اللاتين لديه.

وقد حاول تيمورلنك خلال قصته لشتاء في هقاسب إقناع أمرائه وأبنائه المعارضين لشن الحرب على الدولة العثمانية يدفعه شكه باحتمال صرب السلطان بايزيد الأول لجيشه من الحلف أثناء حملته المرتقبة على الصين<sup>(٣)</sup>، لأن السلطان بايزيد الأول كان ينوي الاستيلاء على مناطق أذربيجان والحزيرة، والعراق إذا ترك تيمورلنك هذه الأماكن، لذلك كان لا يريد ترك منافس قوي خلف ظهره، وخاصة إذا كان خصمه السلطان بايزيد الأول، إلا أنه في نهاية المطاف طلب تيمورلنك من السلطان بايزيد الأول قبول شروطه لإنهاء الحرب معه وهذه المطالب هي كالتالي :

(١) إطلاق سراح مهتران حاكم أذربيجان مع عائلته.

(٢) إرسال السلطان لأحد أبنائه كرهينة لديه.

(٣) إرسال ما يدل على خضوع السلطان بايزيد له.

(٤) إعادة إمارات الأناضول إلى أمرائها.

(٥) تسليم قرة يوسف وأحمد حلاير وتسليم عائلتيهما مقابل مائة ألف عثمانيين في حروبهم

مع الصليبيين.

وكان حواب السلطان بايزيد الأول مع صدره الأعظم الذي كلفه بالتحرّك لمواجهة تيمورلنك ردّاً على شروط الصلح قوله « إن قواتنا سوف ترد لما شرفنا، ولي نعيش عبيداً أو خاضعين لأحد » وفي نفس الوقت رفع الحصار عن القسطنطينية، وعقد مع إمبراطورها مانويل معاهدة صلح، ثم سحب جيشه مضطراً للاستعداد لمقابلة المغولي، وعندما كتب السلطان بايزيد الأول رسالته إلى تيمورلنك فإنه كتب اسمه بحروف كبيرة واضحة، بينما كتب اسم تيمورلنك بالحروف السوداء الصغيرة احتقاراً له<sup>(١١٣)</sup>.

هذا الرد ساعد تيمورلنك على إقناع قادته بالحرب ضد السلطان العثماني، وبين لهم سياسة بايزيد المتسارعة لأطعماعه وتحقيق طموحاته، في حين أن قدوم تيمورلنك هو الآخر من الشرق إلى تلك المنطقة تقوده الأطماع والمغامرة للتوسع، فقد أضرم نار الحرب من موسكو إلى نهر الكنج حتى وصل إلى سوريا المملوكية، تدفعه إضافة إلى أطعماعه استجابة بعض ملوك أوروبا، وملوك القسطنطينية، الذين استجدوا به لصد بايزيد الأول عن فتح القسطنطينية كما سبق ذكره. لذلك اتخذ تيمورلنك من قضيتي أحمد جلالتري حاكم العراق وقرة يوسف حاكم أذربيجان اللذين لجأ إلى السلطان بايزيد الأول ذريعة للغارة على الدولة العثمانية<sup>(١١٤)</sup>.

وعني أن أطماع تيمورلنك وتوسعاته لا تقل مكرّاً عن السلطان العثماني، أما السلطان بايزيد الأول فقد قام خلال تلك الفترة، بإعداد جيوشه التي كانت متفرقة في أوروبا، وطلب الاستعانة من حلفائه الصرب، وعاد إلى بروسه العاصمة<sup>(١١٥)</sup>، وخاصة عندما علم بسير تيمورلنك إلى سيواس وخذلان أبطاله في مدينة سيواس، حين استقوى عليهم تيمورلنك بجيشه الكبير وقتل ابنه، وملأت انتصاراته الأسماك، وألقت الخوف والرعب في قلوب الجيش العثماني لقصدته في معاملة أسراه<sup>(١١٦)</sup>، ولكن هذا الأمر لم يخيف مثل السلطان بايزيد الأول، الذي سار بجيشه لحرب هذا المغولي الذي أفسد عليه فتح القسطنطينية، وانتقاماً لدم ابنه<sup>(١١٧)</sup>، حينما علم من عيونه أن تيمورلنك في سيواس، سار إلى أنقرة، يريد أخذ بعض الولايات قبل وصول تيمورلنك لها، مثل مدينة قاضي برهان الدين، ومدينة اقتراع الحبلية (التي استولى عليها تيمورلنك) كما سبق، لأن أغلب جوده كانوا من المشاة فلا بد أن يختار المواقع المرتفعة، وقد وفق في هذه الخطة ضد تيمورلنك في أول الأمر، لأن قوات تيمورلنك أغلبهم من الفرسان.

ثم أصدر السلطان بايزيد الأول أوامره إلى الصدر الأعظم للدولة علي باشا وقادة الجيش بعدم

القيام بحرب ميدانية، وأرسل قوة من الجيش تقطع الطريق على تيمورلنك في المنطقة الموجود بها. واعتراض إمدادات جيشه التي ستلحق به، وكان إقدام السلطان على هذه الخطة لاعتداده بنفسه وفي قواته بالانتصار على قوات تيمورلنك.

وعندما تلاقت طلائع القوتين المغولية والعثمانية في مناطق سيواس وتوقاد، رأى تيمورلنك أنه في خطر إذا حارب في هذه المنطقة لسيطرة القوات العثمانية على المعرات الواقعة بين سيواس وتوقاد.

لذلك انسحب من تلك المنطقة مسرعاً نحو مدينة قيسرية بناءً على ما ورد من معلومات عن القوات العثمانية وتركزها في المواقع المهمة السابقة، لكنه لم يذهب بكل القوات بل بقواته الاحتياطية، وكانت قليلة حتى يتجنب مواجهة العثمانيين، وبسبب انسحاب تيمورلنك وعدم قبوله للحرب بين توقاد وسيواس، فإن السلطان بايزيد الأول ترك قوة صغيرة في الموقع المذكور واتجه نحو الغرب في نفس الاتجاه الموازي لقوات تيمورلنك<sup>١١٨</sup>.

والحقيقة أن تيمورلنك كان يريد أن يسحب أو يستدرج قوات السلطان بايزيد الأول خلفه، إلا أن السلطان عرف اللعبة ولم تنطل عليه هذه الخدعة، بل كان ينتظر موعد المواجهة مع تيمورلنك، الذي سار نحو مدينة قره سي، فلما علم بقسوم لقوات العثمانية نحوه اضطرت أحواله وفشلت خطته، لأن المكان لم يكن مناسباً للحرب، لذلك تحدث مع أركان جيشه دون حرج لتدارس هذا الأمر وتغيير الخطط التي تضمن لهم الانتصار، فاستقر الرأي على أن يتقدم بجيوشه بسرعة فائقة، وترك العثمانيون خلفه، فسلك طريق أنقرة، وحين وصلها ضرب الحصار على قلعتها، ولكنه لقي مقاومة عنيفة من محافظها يعقوب بيك من قبل السلطان العثماني، كما توقع أيضاً في هذه المرة أن يأتي السلطان بايزيد الأول من الطريق الذي جاء منه، وكان ينوي السيطرة على أنقرة من ناحية القلعة التي أحكم الحصار عليها والواقعة في الشمال الشرقي لأنقرة، وقبل مجيء السلطان العثماني وقواته، قام تيمورلنك بقطع المياه عن القلعة، وكان الهدف من ذلك هو الإسراع في سقوطها، لأن تيمورلنك كان يتوقع وصول الجيش العثماني متأخراً، ولكن القوات العثمانية كانت تسير في عدة اتجاهات، كما أسرعت في الخروج من الطريق الذي لم يكن يتوقعه تيمورلنك على الإطلاق، لأنه كان ينتظر وصول الجيش العثماني من الشرق الجنوبي، إلا أن الجيش العثماني جاء من الشمال الشرقي، وبالتحديد من ناحية قلعة جيكر روال، ونزلوا بقرية ملكشه بوادي جيبرك<sup>١١٩</sup>.

فاضطرب تيمورلنك لهذه المفاجأة، وانشغل بالإعداد للقتال، في تلك اللحظة الحرجة، وطوال الليل، وإزاء هذا الموقف أو الوضع الخطير واللحظة الحاسمة فإن تيمورلنك استطاع أن يحافظ على الهدوء لئلا يضيع هذه المواجهة بسلام، وقد عمل تلك الليلة على تغيير جبهة القتال، حيث انسحب من مكانه جانب القلعة ليتجنب الاصطدام مع السلطان العثماني في هذا الوقت.

ونلاحظ فيما سبق أن تيمورلنك دائماً ما يغير خططه الحربية للمرونة التي كان يتمتع بها إذا أحس بحرج خطته، مع أخذ مشورة قادته بعكس خصمه السلطان العثماني وهذه المرونة هي إحدى عوامل النصر على خصمه السلطان بايزيد الأول كما سبأتي.

أما السلطان بايزيد الأول الذي أوقع تيمورلنك في هذا الحرج الذي كاد فيه أن يقضى عليه في أول مواجهة لو اتبع مشورة أبنائه وقادة جيشه الذين أشاروا عليه بمبادرة الهجوم السريع لمواجهة تيمورلنك في اللحظة التي كان يخشاها تيمورلنك، لكنه رفض الأخذ برأيهم، ففوت فرصة الانتصار على خصمه في تلك المواجهة، حيث رأى أنه من الصواب عدم المواجهة لقرب قاعدة الجيش المغولي، وهذا الأمر أعطى لتيمورلنك وقتاً طويلاً للتفكير للتخلص من هذا الوضع الخطير، والخطأ الذي وقع فيه حسب توقعاته المخاطئة، فقام بتغيير خطته التي تكفل له الانتصار<sup>(١٧٠)</sup>.

وعلى أية حال فقد بدأت المعركة الحاسمة بين القائدين في يوم الجمعة ١٩ / ذي الحجة سنة ٨٠٤هـ الموافق ٢٠ يونيو ١٤٠٢م، وقيل في يوم الجمعة ٢٧ ذو الحجة ٨٠٤هـ الموافق ٢٨ يوليو سنة ١٤٠٢م<sup>(١٧١)</sup>.

قبل بأن جيش تيمورلنك حوالي سبع مائة (٧٠٠) ألف جندي، وجيش السلطان بايزيد الأول حوالي مائة وعشرين (١٢٠) ألف جندي<sup>(١٧٢)</sup>.

وفي هذا الصدد يقول المؤرخ العثماني إسماعيل حقي بأن جيش تيمورلنك يقدر بمائة وستين (١٦٠) ألف جندي، أما قوات السلطان بايزيد الأول فتقدر بنحو سبعين (٧٠) ألف جندي، وذلك كما ورد في كتاب (فتحنامه) التيموري.

لذلك لم يكن هناك تناسب بين قوات الفريقين، فقد جاء تيمورلنك بقوة كبيرة مجهزة بالدروع الواقية من ما (وراء النهر) أي من أواسط آسيا الوسطى، عندما علم بأن خصمه السلطان بايزيد الأول الذي يتمتع بصفة الشجاعة والإقدام، وبهذه الصورة نرى كثرة أعداد قوات تيمورلنك

(١٦٠) ألف مقاتل، وبصفة خاصة في أعداد الفرسان، إضافة إلى وحود (٣٢) فيلاً في جيشه، مقابل (٧٠) ألف عثماني مقاتل يغلّب عليهم كثرة المشاة<sup>(١٧٣)</sup>، وقيل جيش السلطان العثماني مائة وعشرون (١٢٠) ألف جندي مقاتل، ولكن كن أكثرهم من المشاة<sup>(١٧٤)</sup>، والباحث يبيل للأخذ بهذا القول، إذا كن جيش تيمورلنك مائة وستين (١٦٠) ألف جندي مقاتل.

وفي الحقيقة لا يهنا أعداد جيش الفريقين كما أوردته المصادر السابقة بقدر ما يهنا نتيجة المعركة، لتناقض المصادر التاريخية في تحديد عدد الجيشين بدقة لما فيها من مبالغات في تقدير أعداد المقاتلين في كل فريق.

### خيانة تشطر الجيش العثماني نصفين :

والجدير بالذكر أنه لما دارت المعركة أوصى السلطان بايزيد الأول قذته بالتضحية والإقدام لإحراز النصر على حصه. فدسّل الخشاش قتلاً شديداً أظهر السلطان العثماني حلاله من الشجاعة ما أبهر العقول من قبيل شروق الشمس حتى غروبها، ولكن فرار عساكر فرسان الأناضول من فرق (أيدين وميتشا وصاروخان والقرمان) وسرعة انضمامهم وانحيازهم إلى صفوف خصمه تيمورلنك، حسب اتعاقد مع السري السابق، لوجود أمرتهم وأبنائهم وكبار رجالهم في صفوف الجيش المغولي، قبل أنهم كانوا يقدرون هؤلاء المقتدين بحوالي خمسين (٥٠) ألف مقاتل، لذلك لم يبق مع السلطان العثماني سوى عشرة آلاف جندي انكشاري<sup>(١٧٥)</sup> والقوات الصربية التي صمدت في القتال، وقد أثبتوا ولاهم وصدقهم للدولة العثمانية حين ثبتوا في الحرب ضد تيمورلنك، وقاتلوا بطولة وبسالة شهد لهم تيمورلنك بقدرتهم الحربية<sup>(١٧٦)</sup>، على أن ذلك النقص لم يشن السلطان العثماني فقد استمر في الحرب والقتال ضد خصمه<sup>(١٧٧)</sup>.

ولكن هذه الخيانة تسببت في شطر جبهتين داخل صفوف الجيش العثماني وبالتحديد في قلب الجيش الذي كان على رأسه السلطان العثماني، وعلى أثر ذلك تشتت الجيش في الميمنة والميسرة، لفقد السيطرة على إدارة المعركة، فانهزم الجيش العثماني أمام قوات تيمورلنك، فافترح قادة الجيش العثماني على السلطان بايزيد الأول، الانسحاب لإعادة ترتيب الأوضاع كما كان يفعل تيمورلنك، ولكن السلطان رفض الانسحاب وفضل الاستمرار في القتال دون الانسحاب<sup>(١٧٨)</sup>.

ولكن الصدر الأعظم علي باشا وكذلك مراد باشا، وأعا الانكشارية حسن أعا وغيرهم

من كبار قادة الجيش العثماني انسحبوا لعدم تكافؤ القوتين، ولكنهم قاموا بتخليص أولاد السلطان على الرغم من هزيمة الجيش، فأخذوا سليمان الابن الأكبر الذي شاهد الهزيمة ولاذ معهم بالفرار إلى مدينة بروسه (بورصة) ومن بورصة غادر سليمان إلى مدينة أدرنه بالقرب من مدينة القسطنطينية<sup>(١٧٩)</sup>.

وانسحب محمد الأول الذي استطاع بالتدريج من السيطرة على مناطق سيواس وأماسية ومعهم جيش الاحتياط، ولحق به أخيه عيسى.

أما مصطفى وموسى فقد بقي مع والدهما ولم ينسحبوا كما انسحب أخويهما حتى وقعا في الأسر معهما كما سيأتي<sup>(١٨٠)</sup>. ولاذ بالفرار ملك الصرب وقواته بعد أن رأى الهزيمة التي لا يقوى على مقاومتها مفضلاً مبدأ السلامة<sup>(١٨١)</sup>.

ولو أخذ السلطان بمشورة أصحابه وحاول الانسحاب لتعبير خطته أو طلب الهدنة للتفاوض على الصلح حتى يستطيع أن يعيد حساباته وتنظيم جيشه من جديد لكان هناك قولاً آخر، ولكنه ثبت في مكانه، وفضل أن يموت بشرف في ميدان القتال ولا ينسحب كما أشار عليه قادته<sup>(١٨٢)</sup>.

### هزيمة السلطان العثماني :

لهذا انهارت قوته لاستخدامه الشجاعة والقوة دون العمل بالسياسة والكياسة التي اتبعها خصمه تيمورلنك في عدة لقاءات مع السلطان حيث ينسحب ليتجنب القوة العثمانية ومن ثم يقوم بتعديل خطته التي تضمن له الانتصار والسلطان بايزيد يتعقبه من مكان لآخر دون تخطيط لثقتهم وعزازته بقوته حتى أزهق جيشه.

وكان بإمكانه الانسحاب أو الهرب من المعركة حسب رأي مستشاريه كما أسلفنا، لكنه رجل عنيد، واصل الحرب رغم هذه الظروف<sup>(١٨٣)</sup>، لأنه لم ييأس من النصر على خصمه وظن أنه لا زال قادراً على هزيمته بما بقي معه من خواص رجاله فقد صعد بهم على رهوة، كان يقدر عددهم بحوالي ثلاثة آلاف مقاتل من المشاة والفرسان، فهاجم بهم قوات تيمورلنك الذين يقدرون بسبعين (٧٠) ألف مقاتل، وبعد قتال شديد، أحاطه المعول بقوت كبيرة، فأخذ بلمطة كانت بيده وانقض بها على الجيش الذي أحاط به وقواته حتى يتمكن من الهرب فاستطاع فك الحصار الذي ضرب عليه من

قبل تيمورلنك وجنوده بقوة قليلة، وفقت هذه القوة من فك الحصار عن سلطانها وهرب هذه المرة بصعوبة بالغة من حلقة الحصار<sup>(١٨٤)</sup>.

وعندما علم تيمورلنك بخروج السلطان بايزيد الأول من الحصار المضروب عليه، أرسل إليه فرقة تتبعه للقبض عليه، ولما وصلت إليه تلك القوة انتقض عليها السلطان للقضاء عليها، فاستمر القتال بين الطرفين حوالي ثلاث ساعات حتى سقط آخر النهار، حين وقع به جواده قضاءً وقدرًا، وقبل أن يمتطيه مرة أخرى تم الإمساك به وأسرته، حيث نقل إلى تيمورلنك، وكان ذلك في ١٩ ذي الحجة سنة ٨٠٤هـ الموافق ٢٥ يوليو سنة ١٤٠٢م<sup>(١٨٥)</sup>، فقابلته باحترام وحاول تيمورلنك أن يروح عنه، فقال السلطان له أنت السبب في هذا الوضع، ثم ألبسه تيمورلنك عباءة تليق به، وأمر باتخاذ التدابير والإجراءات لعدم هروبه، وقد أسر معه إبنه موسى ومصطفى، وكذلك أمير الأمراء صاري دمردش باشا، وعلي بيك وغيرهم من خاصته وظلوا معه في الأسر<sup>(١٨٦)</sup>.

يقول الشاعر في شجاعة السلطان بايزيد الأول وإقدامه والغدر به حين انسحب من جنده فرق الأناضول للانضمام إلى عدوه تيمورلنك وقد سبق أن ذكرنا اتصال تيمورلنك بهم سرًا وعاهدوه على ذلك وقت الحرب بعد أن وعدهم بإعادة إماراتهم هذه الأبيات من القصيدة التالية :

ورابهم شمس العلا «بايزيد» هم لئن كان مع تيمور ما انتقد القضاء ولا عجب للأسد أن ظفرت بها فحره وحشي اسقطت حمزة الردا	موافقه في الحرب مرة مطعم فإن ارتكاب الغدر منشأ التشلم كلاب الأعادي من فصيح وأعجم وحنت علي من حسام ابن ملجم <sup>(١٨٧)</sup>
---	--

وبعد انتهاء الحرب بهذه النتيجة سيطر تيمورلنك على الموقف، فأرسل حفيده محمد ميرزا إلى بروسه (بورصة) بقوة تقدر بثلاثين (٣٠) ألف جندي للقبض على الأمير العثماني سليمان بن السلطان بايزيد الأول، ثم أرسل قوة أخرى من الجيش لتعقب القوات العثمانية التي انسحبت من المعركة.

لما تيمورلنك فظل على مشارف مدينة أنقرة لمدة ثمانية (٨) أيام، ثم غادرها إلى مدينة كوتاهية، وأعجبه المكان فمكث فيها شهرًا، وفك فيها أبناء علاء الدين القرماني (محمد علي) من السجن، ثم تقدم ليكنونوا تحت نظره في مدينة كوتاهية<sup>(١٨٨)</sup>، كما أعاد إلى أمراء الأناضول

مناطقهم التي سلبها منهم السلطان بايزيد الأول<sup>١٨٩١</sup> وزاد على ذلك تيمورلنك بأن أعطى أبت ، القرمات مناطق: قيسرى واشكى شهر وبنو دلقادر، وغيرها من المناطق الأخرى التي كانت في الأصل تتبع للعثمانيين.

وأرسل تيمورلنك خطاب إلى هنري الرابع ملك إنجلترا وشارل السادس ملك فرنسا، يخبرهم عن انتصاره في أنقرة، وأنه هزم السلطان العثماني بايزيد الأول، وأسر، الذي لم يمكنهما القضاء عليه في حربهم معه في نيكوبولي<sup>١٩٠١</sup>. ففرحت دول أوروبا بما وقع للسلطان بايزيد، وقبل أن ملك فرنسا بعث تهنئة إلى تيمورلنك بهذه المناسبة، فأجابه تيمورلنك على التهنة<sup>١٩٠٢</sup>.

والباحث يميل إلى أن أوروبا هي التي أرسلت بالتهنئة بعد أن أرسل لهم تيمورلنك فرحاً بشوة الانتصار، يخبرهم عن انتصاره على السلطان العثماني الذي لم تستطع أوروبا مجتمع الانتصار عليه.

### أسباب هزيمة السلطان العثماني أمام تيمورلنك :

إن أسباب هزيمة السلطان العثماني بايزيد لأول أمام تيمورلنك - هو أنهم لم يألفوا حرب الغلبة التي كانت تجيدها قوات المغول. كما كان انسحاب حدود وفرنسا إمارات الأناضول السلاجقة من جيش السلطان العثماني إلى تيمورلنك لوجود أمرائهم معه بعد أن أمطروا العثمانيين بوابل من السهام في ظهورهم، وبالتحديد على الجناح الأيسر مما أدى إلى خلخلة الجيش العثماني، إضافة إلى عدم انسحاب السلطان بايزيد من المعركة حسب رأي مستشاريه، لتغيير خطته الحربية حسب الأمر الواقع، كما فعل خصمه عدة مرات كما سبق ذكره، بل أصر على مواصلة الحرب، على الرغم من هذه الظروف القاسية، مفضلاً ذلك على الانهزام، تلك العوامل من الأسباب التي عجلت هزيمة الجيش العثماني وجعلته يطلب النجاة<sup>١٩٠٣</sup>، تاركه حلفاء سلطانها لمصيره لعدم استجابته لكبار جيشه ومستشاريه.

وكان علي حسون له رأى، ذكر أن جيوش النصارى التي كانت تحت قيادة السلطان بايزيد الأول لم تدخل المعركة إلا وهي مكروهة<sup>١٩٠٣</sup>، وقد خالفه المؤرخ العثماني إسماعيل حقي (Ismail Hkkt) بأن هؤلاء الصرب الذين كانوا تحت قيادة السلطان قد ثبتوا في القتال ضد تيمورلنك، وقد شهد لهم المغول أنفسهم ببطولتهم وسالتهم ضده، لكنهم هربوا بعدما انكسر الجيش العثماني وهرب العثمانيون طلباً للنجاة لعدم استجابة سلطانهم للرأي والمشورة كما سبق ذكره<sup>١٩٠٤</sup>.

ولكن لعل علي حسن على حق بأن بعضهم دخل هذه الحرب وهو مكروه، ولعلهم كانوا يعلمون مدى التحالف الصليبي بين أوروبا والمغول.

وعلى أية حال فقد سعى هؤلاء الصليبيون قبل تقدم المغول نحو العالم بأن يكون هجومهم معاً في آن واحد، مع العلم أن المغول في ذلك الوقت قد دخلوا الإسلام، إلا أن الصليبيين قد استغلوا الخلاف المذهبي بين العثمانيين السنة، وما كان عليه تيمورلنك من التشيع، فأقنعوه بوسانلهم التي تقدمت بغزو العثمانيين من الشرق، وهم يهجمون عليهم من الغرب للقضاء عليهم<sup>(١٩٥)</sup>

ولكننا لم نرى للصليبيين هجوم، كما اتفقوا مع المغول، لأن المصادر العثمانية والأوروبية لم تذكر عن ذلك شيئاً، بل ذكرت دورهم التحريضي للمغول لغزو الدولة العثمانية بالأساليب التي سبق ذكرها، للخوف الذي أوقعه العثمانيون في قلوبهم في معركة قوصوه ونيكوبولي التي لازالوا يتذكرونها، لذلك لم يتقدموا، ولم يحركوا ساكناً، بل أنهم تحرروا من الحاكم العثماني بعد المعركة.

ومن الأسباب الأخرى والمهمة في هزيمة السلطان بايزيد الأول، هي أنه عندما دخل تيمورلنك الأناضول في سنة ١٤٠٢م من شهر يوليو، وصل أنقرة، وتحول بها مدة طويلة للتعرف على جغرافيتها واختيار الموقع المناسبة للقتال، وأخذ السلطان بايزيد الأول يتعقبه من مكان إلى آخر، حتى أرق جيشه التعب، بحسب تيمورلنك الذي وصل ميكراً إلى الأناضول، فاستراح ونظم جيشه وهياهم للقتال<sup>(١٩٦)</sup>.

وكان على السلطان بايزيد الأول أن يستريح بعد عناء السفر الطويل من (بروسه إلى أنقرة) إلا أنه لم يتوقف، ليستعد لقتال تيمورلنك، ويبدو أن هدف تيمورلنك فيما تقدم من التحركات هو إرهاق خصمه، لما يعرفه عنه من تعجل وخفة عن طريق عيونه في المنطقة، وأيضاً تحاشي المواجهة معه في بعض المواقع التي يرى أن تيمورلنك ينسحب منها لعدم جدوى المعركة فيها، لذلك كان المعولي يسحبه للموقع الذي يناسب جيوشه وهي المواقع المكشوفة، وكان بإمكان السلطان العثماني أن يتنبه لخدايع خصمه ودعائه.

ومن لأسباب كذلك فقد كانت الغالبية في جيش السلطان بايزيد الأول من المشاة، أما تيمورلنك فكان أغلب جيشه من الحيلة، وهو أصلح للقتال في الميادين الفسيحة المكشوفة كموقع

هذه المعركة<sup>(١٢٧)</sup>، الذي اختاره المعولي، وقبل به السلطان العثماني دون أن يفكر في الانسحاب لموقع آخر يناسب رجاله المشاة.

وقد أخطأ كذلك خطأ كبيراً حينما قبل الحرب الميدانية، بدلاً من حرب العصابات مع حصصه تيمورلنك<sup>(١٢٨)</sup>، كما أن جهل السلطان في اختيار موقع جيشه للقتال ضد تيمورلنك وضعه في موقف حرج من الناحية التكتيكية العسكرية، فقد فيها توازنه القتالي أمام خصمه، إضافة إلى فارق العدد الكبير في الجيش المغولي، في الوقت الذي هرب فيه معظم الجيش العثماني إضافة إلى أبناء أمارات الأناضول وهو في أحلك الظروف، فتركوه لمصيره، والتحقوا بالجيش المعولي لتيمورلنك<sup>(١٢٩)</sup>.

كذلك من الأسباب دخول المعول الإسلام، لذلك كان الجيش الانكشاري تنقصه الحماسة الدينية لمحربه ضد إخوانه المسلمين، وقد كانت هذه من العوامل المهمة في انتصاراتهم ضد البيزنطيين، وتلك من أهم الأسباب في هزيمة السلطان العثماني بايزيد الأول أمام المعول<sup>(١٣٠)</sup>.

وقد كان العثمانيون قبل هذه الحرب ضد تيمورلنك، يتوسعون وسفلون عاصمتهم من مكان لآخر ليقتربوا بها إلى أرض العدو، أما في حربهم ضد تيمورلنك فوجدوا أنفسهم مضطرين للدفاع عن قصب دولتهم (غرب الأناضول)، لهذا أصبحت المعركة حتمية، وصعدت الدولة العثمانية في موقف حرج للغاية، بسبب عداوتها مع القوى البلقانية المسيحية، والإمارات السلجوقية المسلمة في الأناضول، وهذه من العوامل التي أدت إلى خسارة العثمانيين إضافة إلى ضخامة الجيوش التي كان يفوقها تيمورلنك، والذي لم يهزم من قبل<sup>(١٣١)</sup>، فكانت معركة أنقرة أكبر حرب ميدانية حدثت على وجه الأرض خلال القرون الوسطى (٤٧٦م - ١٤٥٣م)، وفي هذه الحرب التحم اثنان من أكبر الحكام العسكريين المسلمين في التاريخ، الكل منهما يريد النصر على الآخر، وكان يقتسمان الأقطار ما بين الصين وبحر الأدرياتيك، ومعهما أبناءهما، وقبل كانت خسائر تيمورلنك حوالي أربعين ألف مقاتل وهي خسارة لم يسبق له أن تكبدها، رغم انتصاره الساحق في المعركة<sup>(١٣٢)</sup>.

فموقعة أنقرة كانت ذات أهمية بالنسبة إلى التاريخ العثماني باعتبارها الهزيمة الساحقة الوحيدة التي حلت بالعثمانيين خلال الثلاثة القرون الأولى من تاريخ الدولة، والمرة الوحيدة التي شهدت أسر عاهل من آل عثمان، ولكنها لم تكن من المعارك التي غيرت مجرى التاريخ للمنتصر والمهزوم على حد سواء<sup>(١٣٣)</sup>.

فالدولة العثمانية كانت تفتقد إلى كل ما يجعل منها دولة في الوقت الذي لم يدرك فيه السلطان بايزيد الأول الاتجاه الحقيقي لإقامة الدولة، فهي دولة غزاه محارب الكفار، لذلك اتجهت منذ نشأتها الأولى نحو الغرب للفتح ونشر الإسلام، ولكن السلطان بايزيد الأول نراه أخطأ في الاتجاه الحقيقي للدولة، عندما ترك نهج أسلافه في الخط الذي رسموه للدولة واتجه إلى الشرق الإسلامي، لضم دول إسلامية - الإمارات السلجوقية في الأناضول - وكانت هذه الدول كثيرة العدد، وعلى جانب كبير من القوة، وغير راضين عن سياسة السلطان العثماني، وتدخله في شؤونهم، دون مراعاة ظروف المنطقة القائمة آنذاك، مخالفاً في ذلك سياسة أسلافه في الفتح، وكان عليه أن يكسبهم في صفه ضد البيزنطيين والمغول، ولكن السبب يعود إلى أن (مارياد سبين) والحزب المسيحي في البلاط السلطاني كان لهما الأثر الكبير في توجيه السلطان نحو الشرق الإسلامي لضم الدول الإسلامية وتوحيدها، وكان الهدف من ذلك هو صرف السلطان عن أوروبا وعن نهج أسلافه<sup>١٢</sup>، وقد نجحوا في ذلك عندما أدى ذلك الاتجاه إلى الاصطدام بتيمورلوك وكارثة أنقرة كما سبق<sup>١٣</sup>، وتعد هذه كذلك من العوامل المهمة في هزيمة السلطان العثماني أمام تيمورلوك، لتركه نهج أسلافه في الغزو نحو أوروبا كما أسلفنا من قبل والاتجاه نحو إخوانه المسلمين في العالم الإسلامي، وتلك الأعمال عجلت بسقوطه للأخذ بمشورة أعدائه.

على الرغم من أن السلطان بايزيد الأول قد تهيأ له ما كان مطمح أنظار العثمانيين منذ زمن الغازي عثمان بن أرطغرل مؤسس الدولة العثمانية، وهو فتح القسطنطينية<sup>١٤</sup>، إلا أن سياسة التسرع في الفتح التي اتخذها السلطان بايزيد الأول، مخالفاً فيها أسلافه الذين كان شأنهم شأن الفاتح الحكيم الذي لا يكتفي بفتح البلاد، وضرب الذلة على سكانها، بل كانوا يستريحون بضع سنين من عناء الفتح، ليعيدوا ترتيب جيوشهم، ويوطدوا أركان بلادهم المفتوحة مع البلاد السابقة للربط فيما بينهما لنشر العلم والعدل والسلام، ثم بعد ذلك يتطعمون إلى فتح جديد نحو أوروبا<sup>١٥</sup>، لذلك نرى هذا السلطان لم ينهج هذا النهج بل كان يتخطى في حروبه نحو الشرق والغرب<sup>١٦</sup>، ومن أجل ذلك كسب عداوة المسلمين قبل الصليبيين وهذه من الأسباب كذلك التي عجلت بهزيمته أمام المغول.

تيمورلوك ما كان يهدف إلى غزو المدن العثمانية، بل إن اتجاه السلطان بايزيد الأول نحو الشرق لتوحيد إمارات الأناضول، ودولة المماليك في مصر هي التي أثارت حفيظة تيمورلوك، ودفعته دفعا للغارة على السلطان العثماني<sup>١٧</sup>.

وفي الحقيقة كانت الضربة قاسية على الدولة العثمانية، ولكن ما خفف منها هو أن تيمورلنك لم يكن يرغب في الاستيلاء على الأناضول بقدر ما أُرهبه العارين إليه من أمراء الإمارات السلجوقية التي استولى عليها السلطان بايزيد الأول، لذلك أراد وقف الزحف العثماني نحو الشرق لحماية حدوده من العثمانيين، ثم بعد ذلك عاد إلى سمرقند للاستعداد لغزو الصين<sup>(١٢١)</sup>. وعلى الرغم من تدخل تيمورلنك في الأناضول لفترة قصيرة، فإن نتائج هذا التدخل قد حطمت قوة الدولة العثمانية، وأخر فتح القسطنطينية، وحماها من الانهيار لمدة نصف قرن<sup>(١٢٢)</sup>.

لذلك تعد معركة أنقرة في التاريخ العثماني إحدى الكوارث التي أصابت الدولة العثمانية في مقتل، وأطالت عمر البيزنطيين والقرون الوسطى خمسين (٥٠) سنة، بالإضافة إلى أنها أخرجت وحدة الأناضول حوالي سبعين (٧٠) سنة، حتى أن السلطان سليم الأول لم يتمكن من ضم بعض الأراضي التي كانت في عهد السلطان بايزيد الأول أراضي عثمانية إلا بعد مائة وخمسة عشر (١١٥) سنة من معركة أنقرة<sup>(١٢٣)</sup>.

وعلى كل حال فقد كنت نهاية السلطان بايزيد الأول نهاية حريته وغير سعيدة في نهاية الموقعة، ولكن تيمورلنك لم يقتل أسيره، بل استقبله استقبالاً يليق بمكانته كسلطان دولة، وفي رواية أخرى قيل أهانه بعد أن شرع في الهرب ثلاث مرات<sup>(١٢٤)</sup>. بعد أن كانت هناك بعض المحاولات التي قام الأمير محمد ابن السلطان بايزيد الأول، بتحريض والده من الأسر، إلا أنها باءت بالفشل، ولكن لا يعرف مدى صحة هذه الرواية، وكيفية تنفيذها، وإن كانت المصادر التاريخية البيزنطية والعثمانية لم توضح هذه المحاولات<sup>(١٢٥)</sup>.

وعلى الرغم مما قيل فقد عاش السلطان بايزيد الأول في الأسر مدة سبعة (٧) شهور واثني عشر (١٢) يوماً، وكانت هذه الهزيمة هي السبب في موته كمداً وهو في الأسر سنة ٨٠٥هـ / ١٤٠٣م، وصرح تيمورلنك لابنه موسى بأن يدفن في مقابر سلاطين آل عثمان في بروسه (بورصة)، وهذا يؤكد على حسن معاملة المغولي لأسيره<sup>(١٢٦)</sup>.

وقد دامت سلطنته حوالي ثلاثة عشر (١٣) سنة، وشهر واحد وثمانية (٨) أيام، وقد توفي وعمره ثلاثة وأربعون (٤٣) سنة<sup>(١٢٧)</sup>.

وبعد هذه المعركة نعمت أوروبا براحة وحاصة بعد نشوب الصراع بين أبناء بايزيد الأول، فقد تحررت من دفع الجزية التي كانت تدفعها للدولة العثمانية طوال فترة هذا الصراع<sup>(١٢٨)</sup>، وهذا ما سوف تناولته في بحث مستقل باسم « فترة فاصلة في الدولة العثمانية »

## الهوامش

- ١- عبد العزيز سليمان نوار : الشعوب الإسلامية، بيروت، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، ١٩٧٣م، ص ٣٤ - ٣٥.
- ٢- محمد فريد بك : تاريخ الدولة العلية العثمانية، تحقيق إحسان حقي، الطبعة الثانية، بيروت، دار النفائس، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م، ص ١٣٧، عبد العزيز سليمان نوار: المرجع السابق، ص ٣٥.
- ٣- مؤلف مجهول : سبيل الرشاد لمرلانا السلطان مراد، مخطوط، مركز البحث العلمي، جامعة أم القرى تحت رقم ٦٧٥ لوحة ١٦ - ١٧، أحمد عبد الرحيم مصطفى: في أصول التاريخ العثماني، الطبعة الأولى، بيروت، دار الشروق، ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م، ص ٥١، محمد أنيس: الدولة العثمانية والشرق العربي، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٨٥م، ص ٣٥.
- ٤- محمد فريد بك : تاريخ الدولة العلية العثمانية، تحقيق إحسان حقي، الطبعة الثانية، بيروت، دار النفائس، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م، ص ١٣٧.
- ٥- ربيدة عطا : بلاد الترك في العصور الوسطى، الناشر، دار الفكر العربي، ص ١٧٢.
- ٦- محمد فريد بك : المصدر السابق، ص ٣٧.
- ٧- إبراهيم بك حليم : التحفة الحليمية في تاريخ الدولة العلية، الطبعة الأولى، مطبعة عموم الأوقاف، ١٣٢٣هـ / ١٩٠٥م، ص ٤٧.
- ٨- وقيل « أونيفرا » وقيل اسمها « صريا » - انظر محمد فريد بك المصدر السابق، ص ١٣٧، أحمد عبد الرحيم مصطفى : المرجع السابق، ص ٥١.
- ٩- محمد أديب آل تقي الدين الحمصيني : منتخبات التواريخ لدمشق، تقديم كمال سليمان الصليبي، دار الأفاق الجديدة، بيروت، ج ١، ص ٢١٤، علي حسون : تاريخ الدولة العثمانية، الطبعة الثالثة، بيروت، المكتب الإسلامي، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م، ص ٢٠.
- ١٠- يوسف أصاف : تاريخ سلاطين آل عثمان، تحقيق بسام عبد الوهاب الحايي، الطبعة الثالثة، دمشق، دار الطباعة، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م، ج ٢، ص ٤١.
- ١١- ربيدة عطا : المرجع السابق، ص ١٧٢.
- ١٢- عبد العزيز سليمان نوار : المرجع السابق، ص ٣٥.
- ١٣- إسماعيل سرحد : حقائق لأخبار عن دول البحار، الطبعة الأولى، مصر، طبع بالمطبعة لأمرية بولاق، ١٣١٢هـ، ج ١، ص ١٣٧، إسماعيل باغي : الدولة العثمانية في التاريخ الإسلامي الحديث، الطبعة الأولى، الناشر مكتبة لعسكن، الرياض، ١٤١٦هـ / ١٩٩٦م، ص ٤٠، الحصني : منتخبات

التواريخ لدمشق، ج ١، ص ٢١٤.

١٤- إسماعيل ياغي : المرجع السابق، ص ٤٠.

١٥- الحصيني : منتخبات التواريخ لدمشق، ج ١، ص ٢١٤.

١٦- محمد أنيس : المرجع السابق، ص ٣٥.

١٧- زينة عطا : المرجع السابق، ص ٣٥. Moss Baynes : Byzantium, Ox Ford, 1962, p.

81 - 82

١٨- محمد أنيس المرجع السابق، ص ٣٥.

١٩- فيلادلفيا تقع غرب الأناضول إلى الشرق من مدينة أزمير الحالية بإسطنبول. انظر : محمد فريد بك : المصدر السابق، ص ١٣٧. حاشية رقم (١).

٢٠- إسماعيل مرهوك : المصدر السابق، ص ٤٩٥. الحصيني : منتخبات التواريخ لدمشق، ج ١، ص ٢١٤.

٢١- محمد أنيس : المرجع السابق، ص ٣٥.

٢٢- محمد حرب : العثمانيون في التاريخ والحضارة، الطبعة الأولى، الناشر دار القلم، دمشق، ١٤٠٩هـ / ١٩٨٩م، ص ٢١.

٢٣- محمد أنيس : المرجع السابق، ص ٣٥.

٢٤- محمد أنيس : المرجع السابق، ص ٣٥ - ٣٧.

٢٥- تقع في جنوب غرب تركيا جنوب فيلادلفيا. انظر : محمد فريد بك : المصدر السابق، ص ١٣٧. حاشية رقم (٢).

٢٦- جنوب أيدين على بحر إيجه. انظر : محمد فريد بك : المصدر السابق، ص ١٣٨. حاشية رقم (١).

٢٧- شمال أزمير على بحر إيجه. انظر : محمد فريد بك، المصدر السابق، ص ١٣٨. حاشية رقم (٣).

٢٨- أحمد عبد الرحيم مصطفى : المرجع السابق، ص ٥١.

٢٩- محمد أنيس : المرجع السابق، ص ٣٧.

٣٠- تقع في شمال الأناضول، على بعد نحو (١٠٠) كيلو متراً عن البحر الأسود انظر محمد فريد بك : المصدر السابق، ص ١٣٨. حاشية رقم (٣).

- ٣١- محمد فريد بك : المصدر السابق، ص ١٣٧ - ١٣٨، الحصري : المصدر السابق، ج ١، ص ٢١٤.
- ٣٢- يلماز أوز تونا : تاريخ الدولة العثمانية، ترجمة عدنان محمود سليمان، تركيا، استانبول، منشورات مؤسسة فيصل للتمويل، ١٩٨٨م، ج ١، ص ١٠٣.
- ٣٣- محمد أنيس : المرجع السابق، ص ٣٧.
- ٣٤- أحمد عبد الرحيم مصطفى : المرجع السابق، ص ٥١.
- ٣٥- محمد فريد بك : المصدر السابق، ص ١٢٩.
- ٣٦- محمد فريد بك : المصدر السابق، ص ١٣٩، أحمد عبد الرحيم مصطفى، المرجع السابق، ص ٥١، الحصري : المصدر السابق، ج ١، ص ٢١٥.
- ٣٧- يوسف آصاف : تاريخ سلاطين آل عثمان، ج ٢، ص ٤١ - ٤٢، الحصري : المصدر السابق، ج ١، ص ٢١٥.
- ٣٨- أحمد عبد الرحيم مصطفى : المرجع السابق، ص ٥١ - ٥٢.
- ٣٩- محمد أنيس : المرجع السابق، ص ٣٨.
- ٤٠- محمد فريد بك : المصدر السابق، ص ١٣٩، محمد أنيس : المرجع السابق، ص ١٣٨.
- ٤١- أحمد عبد الرحيم مصطفى : المرجع السابق، ص ٥٢.
- ٤٢- يلماز أوزتونا : المرجع السابق، ج ١، ص ١٠٤.
- ٤٣- يوسف آصاف : المصدر السابق، ج ٢، ص ٤٢، محمد أنيس : المرجع السابق، ص ٣٨.
- ٤٤- أحمد تشليبي القرمانلي : تاريخ سلاطين آل عثمان، تحقيق بشام عبد الوهاب الحايي، الطبعة الأولى، دمشق، دار البصائر، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م، ج ١، ص ١٨ - ١٩.
- ٤٥- أحمد عبد الرحيم مصطفى : المرجع السابق، ص ٥٣.
- ٤٦- سيواس وثوقات : مدينتان تقعان في شمال شرق تركيا حالياً. انظر : محمد فريد بك : المصدر السابق، ص ١٣٩، حاشية رقم (٤).
- ٤٧- محمد فريد بك : المصدر السابق، ص ١٣٩.
- ٤٨- الدولة العثمانية تاريخ وحضارة : إشراف وتقديم إكمال الدين إحسان أوغلي، ترجمة، صالح سعداوي الناشر مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية، استانبول، ١٩٩٩م، ج ١، ص ١٨.
- ٤٩- أحمد عبد الرحيم مصطفى : المرجع السابق، ص ٥٢.

- ٥٠- الدولة العثمانية تاريخ وحضارة : المصدر السابق، ج ١، ص ١٨، محمد فريد بك : المرجع السابق، ص ١٣٩ - ١٤٠.
- ٥١- أحمد عبد الرحيم مصطفى : المرجع السابق، ص ٥٢ - ٥٣.
- ٥٢- محمد فريد بك : المصدر السابق، ص ١٤٠.
- 53- Solomn, Modell, A history of the Western world, vol, 1 Newjersex, prentice hall, 1974, p 497 - 498
- أحمد عبد الرحيم مصطفى . المرجع السابق، ص ٥٣ - ٥٥.
- ٥٤- محمد فريد بك : المصدر السابق، ص ١٤٠.
- ٥٥- أحمد عبد الرحيم مصطفى : المرجع السابق، ص ٥٥.
- ٥٦- علي حسون : المرجع السابق، ص ٢٠.
- ٥٧- محمد أنيس : المرجع السابق، ص ٣٩، محمد فريد بك : المصدر السابق، ص ١٣٩.
- ٥٨- أحمد تشليبي القرماني : المصدر السابق، ج ١، ص ١٨ - ١٩.
- ٥٩- محمد فريد بك : المصدر السابق، ص ١٤٠.
- ٦٠- مدينة صغيرة شمال تركيا على ساحل لبحر الأسود . انظر : علي حسون، المرجع السابق، ص ٢٠، حاشية رقم (٥).
- ٦١- مدينة تقع في الأناضول وهي تعد عقدة مواصلات برية مهمة. انظر : علي حسون، المرجع السابق، ص ٢٠، حاشية رقم (٦).
- ٦٢- تقع إلى الجنوب الغربي من سامسون. انظر : محمد فريد بك، المصدر السابق، ص ١٢٠، حاشية رقم (١١).
- ٦٣- محمد فريد بك : المصدر السابق، ص ١٣٩ - ١٤٠.
- ٦٤- محمد أنيس : المرجع السابق، ص ٣٩.
- ٦٥- سالونيك : عاصمة مقدونية اليونانية وثاني كبرى مدن اليونان على خليج يعرف باسمها. انظر : يوسف أصف : المصدر السابق، ج ٢، ص ٤٣، حاشية رقم (١).
- ٦٦- يوسف أصف : المصدر السابق، ج ٢، ص ٤٣. الدولة العثمانية تاريخ وحضارة، ص ١٨.
- ٦٧- محمد فريد بك : المصدر السابق، ص ١٤٠.
- ٦٨- يوسف أصف : المصدر السابق، ج ٢، ص ٤٣.

٦٩- كارل بروكلمان : تاريخ الشعوب الإسلامية، ترجمة نبيه فارس منير البعلبكي، الطبعة السادسة، بيروت، دار العلم للملايين، ١٩٧٤م، ص ٤١٩

٧٠- أحمد شلبي : التاريخ والحضارة الإسلامية، الطبعة الأولى، الناشر مكتبة النهضة المصرية، ١٩٦٧م، ج ٥، ص ٤٨٦.

71- Norman, I. Ottoman Empire and Islamic Tradition, New York, Alrtd, A. Knop, 1972, p. 14 - 15.

٧٢- Norman, Ibid, p 15 محمد فريد بك : المصدر السابق، ص ١٤٠، يلماز أوزتونا : المصدر السابق، ص ١٠٧، أررخان محمد علي : السلطان عبد الحميد الثاني، حياته وأحداث عهده، الطبعة الأولى، الكويت، دار الوثائق، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٦م، ص ١٨ .

٧٣- عبد العزيز سليمان نوار : المرجع السابق، ص ٣٥.

٧٤- يلماز أوزتونا : المصدر السابق، ج ١، ص ١٠٦ - ١٠٧، عبد العزيز سليمان نوار : المرجع السابق، ص ٣٥.

٧٥- كارل بروكلمان : المرجع لسبق، ص ٤١٩، Norman, Ibid, p 15.

٧٦- أحمد عبد الرحيم مصطفى : المرجع السابق، ص ٥٤، الدولة العثمانية تاريخ وحضارة، ص ١٩.

٧٧- يوسف أصاف : المصدر السابق، ج ٢، ص ٤٤.

٧٨- هذا القائد كونت نيفر، هو ابن ملك بورغانيا والتي تقع حالياً في وسط فرنسا من الشرق : انظر : يوسف أصاف : المصدر السابق، ج ٢، ص ٤٤، حاشية رقم (١).

٧٩- بورغونيا : كانت ولاية عظيمة في شرق فرنسا، مستقلة لم يكن للوك فرنسا عليها سوى السيادة، وحق طلب الجنود عند الضرورة منها. انظر : محمد فريد بك : المصدر السابق، ص ١٤١، حاشية رقم (١).

٨٠- محمد فريد بك : المصدر السابق، ص ١٤٣ - ١٤٤، أحمد عبد الرحيم مصطفى : المرجع السابق، ص ٥٤.

٨١- بسام العسلي - الأيام الحاسمة في الحروب الصليبية، الطبعة الأولى، بيروت، دار النقا، ١٣٩٨هـ / ١٩٧٨م، ص ٢٤٨ - ٢٥٠.

٨٢- أحمد عبد الرحيم مصطفى : المرجع السابق، ص ٥٤، Rosetla, The Battle, Ofnicoplus, p, 619.

83- Recueil des Historiens des Croisades publ, Academicsdes, Inscriptions etbellesletters, paris, 1841 - 1905, p. 609. ١٧٥، ربيعة عطا : المرجع السابق، ص ١٧٥.

٨٤- يلماز أوزتونا : المصدر السابق، ج ١، ص ١٠٧.

- ٨٥- يوسف آصاف : المصدر السابق، ص ٤٤، علي حسن : المرجع السابق، ص ٢٠.
- ٨٦- يلماز أوزتونا : المصدر السابق، ص ١٠٧.
- ٨٧- أحمد عبد الرحيم مصطفى : المرجع السابق، ص ٥٤.
- ٨٨- نيكولاي : نيكوبول [ Nikopol ] مدينة تقع في شمال بلغاريا على الحدود الرومانية. انظر : يوسف آصاف : المصدر السابق، ج ٢، ص ٤٥، حاشية رقم (١).
- ٨٩- محمد فريد بك : المصدر السابق، ص ١٤٤.
- ٩٠- بسام العميلي : المصدر السابق، ص ٥٠.
- ٩١- هذه الحركة : اشتهر بها الجيش العثماني منذ تأسيسه.
- ٩٢- يلماز أوزتونا : المصدر السابق، ج ١، ص ١٠٧. بسام العميلي : المصدر السابق، ص ٥١ - ٥٢.
- 93- George Ostrogorsky , History of The Byzantine state Translated to English by Joan Hussey, Oxford, Basil, Black Well, 1968, p 546. ٤١٩ ص : المرجع السابق، ص ٤٤٤ يوسف آصاف : المصدر السابق، ص ٤٥.
- 94- George : Ibid. ٤٥ ص : المصدر السابق، ج ١، ص ٤٥.
- ٩٥- يلماز أوزتونا : المصدر السابق، ج ١، ص ١٠٧ - ١٠٨.
- 96- The Cambridge, History, of Islam, vol, 1, Cambridge, 1970, p. 285  
إبراهيم بك حليم : المصدر السابق، ص ٤٨، زبيدة عطا : المرجع السابق، ص ١٧٥.
- ٩٧- الدولة العثمانية تاريخ وحضارة، ج ١، ص ١٩.
- ٩٨- يلماز أوزتونا : المصدر السابق، ج ١، ص ١٠٨.
- ٩٩- قيل إن السلطان بايزيد الأول لما أطلق سراح الكونت دي نفر، كان قد ألزمه بالقسم أن لا يعود لمحارسته مرة أخرى، ولكن السلطان قال له : « إنني أجزى لك أن لا تحتفظ هنا اليمين، فأنت في حل من الرجوع لمحاربتني، إذ لا شيء أحب إلي من محاربة جميع مسيحي أوروبا والانتصار عليهم »، انظر : محمد فريد بك : المصدر السابق، ص ١٤٤.
- ١٠٠- يوسف آصاف : المصدر السابق، ج ٢، ص ٤٥، محمد فريد بك : المصدر السابق، ص ١٤٤.
- ١٠١- يلماز أوزتونا : المصدر السابق، ج ١، ص ١٠٨.
- ١٠٢- زبيدة عطا : المرجع السابق، ص ١٧٥. George Ostrogorsky op, cit, p 493.
- ١٠٣- الدولة العثمانية تاريخ وحضارة، ج ١، ص ١٩.

١٠٤- سالم الرشيدى . محمد الفاتح، الطبعة الثالثة، الناشر دار الإرشاد، جدة، ١٤١٠هـ / ١٩٨٩م، ص ٣٣.

١٠٥- زبيدة عطا : المرجع السابق، ص ١٧٦. George Ostrogorsky Ibid, p 493.

106- Hussey, J The Byzantine World, Now, York 1957, p. 282 - 283  
زبيدة عطا : المرجع السابق، ص ١٧٦ - ١٧٩.

١٠٧- سالم الرشيدى : محمد الفاتح، المرجع السابق، ص ٣٣.

١٠٨- أحمد عبد الرحيم مصطفى : المرجع السابق، ص ٥٢.

١٠٩- إسمايل باغى : المرجع السابق، ص ٤٢ - ٤٣.

١١٠- ستانلي بول : الدولة الإسلامية، القسم الثاني، ترجمة محمد صبحى فرزات، مطبعة الملاح، دمشق، ١٣٩٤هـ / ١٩٧٤م، ص ٤٧٤ - ٤٧٦.

١١١- أحمد فؤاد متولى : الفتح العثماني لشده ومقدماته، القاهرة، دار النهضة العربية، ١٩٧٦م، ص ٤.

١١٢- كارل بروكلمان : المرجع السابق، ص ٤٢.

١١٣- إبراهيم بك حليم : المصدر السابق، ص ٤٩.

١١٤- أحمد فؤاد متولى : المرجع السابق، ص ٤٢.

١١٥- محمد حرب : المرجع السابق، ص ٢١.

١١٦- أحمد مصطفى عبد الرحيم : المرجع السابق، ص ٥٥.

١١٧- محمد بن أحمد بن إياس : بدائع الزهور في وقائع الدهور، الطبعة الثالثة، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م، ج ١، ص ٥٥٢ - ٥٥٣. İsmail Hakkı Uzunc Osmanlı  
Arsili; Tarihi, 5 Baskı, 1 Gilt, Istanbul, 1988, s, 300

١١٨- يلماز أوزتونا : المصادر السابق، ج ١، ص ١٠٦، ابن إياس : المصدر السابق، ج ١، ص ٥٥٢.

119- İsmail Hakkı : a. g. e, s. 300

120- İsmail Hakkı, a. g. e, s, 300

١٢١- يلماز أوزتونا : المصدر السابق، ج ١، ص ١٠٦.

١٢٢- ابن إياس : المصدر السابق، ج ١، ص ٥٥٢.

١٢٣- الدولة العثمانية تاريخ وحضرة، ص ١٨.

124- İsmail Hakkı, a. g. e, s, 304 - 305.

- 125- Mehemet Zeki Pakalın . Osmanlı Tarih Deyimleri, s, 443 – 444.
- ١٢٦- أحمد فؤاد متولي : المرجع السابق، ص ٩٠، ٩٤، عبد العزيز سليمان نوار . المرجع السابق، ص ٣٦، synieser, s, 444
- ١٢٧- محمد حرب : المرجع السابق، ص ٢٩.
- 128- Ismail Hakki a. g. e, s, 304, 305، ص ٣٦، عبد العزيز نوار : المرجع السابق، ص ٣٦
- ١٢٩- إن لإشاعات التي تقول بأن السلطان بايزيد الأول كن يشرب الخمر والعريضة غير صحيحة، بل كلها لا ترقى إلى الصحة، ولا تروق لأذهان الشعب على أية حال، وقد نعت بذلك من قبل أعدائه، بل الرجل كن لديه حفة وشجاعة - انظر : Mufasssal Osmanli Tarihi, s, 214.
- ١٣٠- يوسف آصاف : المصدر السابق، ج ٢، ص ٤٥.
- 131- Ismail Hakki, a. g. e, s, 305.
- ١٣٢- إبراهيم بك حليم : المصدر السابق، ص ٤٩.
- 133- John Hearssy City of Constantine, Britan, 1880, p, 283
- محمد فريدك : المصدر السابق، ص ١٤٤، يوسف آصاف : المصدر السابق، ج ٢، ص ٤٦.
- ١٣٤- زبدة عطا : المرجع السابق، ص ١٧٨
- ١٣٥- الدولة العثمانية تاريخ وحضارة، ج ١، ص ١٩.
- ١٣٦- المرجع السابق، ج ١، ص ١٩.
- ١٣٧- الدولة العثمانية تاريخ وحضارة، محمد حرب . المرجع السابق، ص ٢٢.
- ١٣٨- يوسف آصاف : المصدر السابق، ج ٢، ص ٤٦. Solomon Modell, A History of The Weastern World, 2 vollumes, Newjersey, Prentice hall, 1974, p, 497
- ١٣٩- أحمد عبد الرحيم مصطفى : المرجع السابق، ص ٥٥.
- ١٤٠- أحمد عبد الرحيم مصطفى : المرجع السابق، ص ٥٦، زبدة عطا : المرجع السابق، ص ١٧٧
- ١٤١- أحمد عبد الرحيم مصطفى : المرجع السابق، ص ٥٦ - ٥٧.
- ١٤٢- أحمد الجلاري . هو آخر الجلاريين في بغداد. وهو الذي استعاد مدينة بغداد من تيمورلوك عام ٧٩٧هـ، وولي عليها الوالي فرح، ثم عاد تيمورلوك واستعاد بغداد في شهر ذي الحجة سنة ٨٠٣هـ، بعد مذبحه عامة، ثم جعل أحمد جلاري بلحا إلى السلطان بايزيد الأول كما أسلفنا. انظر . يوسف آصاف: المصدر السابق، ج ٢، ص ٤٧.

١٤٣- القرماني : المصدر السابق، ج ١، ص ١٩.

144- Ismail Hakki, a. g e, s, 306

١٤٤- القرماني : المصدر السابق، ج ١، ص ١٩.

146- Ismail Hakki, aymieser, s, 306

١٤٧- أحمد عبد الرحيم مصطفى : المرجع السابق، ص ٥٧، علي حسن : المرجع السابق، ص ٢٣.

١٤٨- علي حسن : المرجع السابق، ص ٢١.

١٤٩- عبد العزيز سليمان نوار : الشعوب الإسلامية، بيروت، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، ١٩٧٣م، ص ٢٦ - ٢٧.

١٥٠- محمد فريد بك : المصدر السابق، ص ١٤٦.

١٥١- محمد فريد بك : المصدر السابق، ص ١٤٦.

١٥٢- أحمد عبد الرحيم مصطفى : المرجع السابق، ص ٥٧ - ٥٨.

١٥٣- كارل بروكلمان : المرجع السابق، ص ١٤٦.

١٥٤- أحمد عبد الرحيم مصطفى : المرجع السابق، ص ٥٨.

١٥٥- أحمد عبد الرحيم مصطفى : المرجع السابق، ص ٥٨.

١٥٦- يلماز تونا : المصدر السابق، ج ١، ص ١٠٩.

١٥٧- يلماز أوزتونا : المصدر السابق، ص ١٠٩.

١٥٨- القرماني : المصدر السابق، ج ١، ص ١٩.

١٥٩- محمد فريد بك : المصدر السابق، ص ١٤٦.

160- Runciman S History of the Crusades, 3 vols, Cambride, 1954, p, 55 - 56 ,

يلماز أوزتونا : المرجع السابق، ج ١، ص ١٠٩ - ١١٠.

161- Ismail Hakki a g e s, 306 ١١ ص ١، المصدر السابق، ج ١، ص ١١٠.

١٦٢- يلماز أوزتونا : المصدر السابق، ج ١، ص ١١٠، أحمد عبد الرحيم مصطفى : المرجع السابق، ص ٥٧.

163- Ismail Hakki : a. g e. s, 306 - 308

A Rmarriott Dictatorsh.p, and Democracy, p 68 - 89 , يوسف أصاب

164-

المصدر السابق، ج ٢، ص ٤٧، علي حسن : المرجع السابق، ص ٢٢، Ismail Hikki : aynieser, p,

306

١٦٥- محمد فريد بك : المصدر السابق، ص ١٤٦.

١٦٦- فمن معاملته السيئة لأسراء أنه عندما فتح (سيزاوار) بنى فيها برجاً من أجساد محاربيه وأنه أحد أفئدة من الرجال الأحياء. ثم وضع بعضهم فوق بعض نظير الحجارة، وبناهم بالطين واحداً فوق الآخر، وفي واقعة سيواس أخذ فرسان الأرمن وأحصى رؤوسهم بين أرجلهم وألقاهم في خنادق واسعة وردعهم بالشراب. انظر . يوسف آصاف : المصدر السابق، ج ٢، ص ٤٦، وإذا كان لي تعليق على هذه المعلومات فأعتقد أن هذا الكلام مبالغ فيه لا يصدقه العقل.

١٦٧- يوسف آصاف : المصدر السابق، ج ٢، ص ٤٦، Ismail Hikki, a g e, s, 309.

168- Ismail Hikki, op, cit, s, 309 aynieser, s, 309 .

169- Ismail Hikki, aynieser, s, 309 – 310

170- Ismail Hikki, Ibid, s, 310. aynieser, s, 310

١٧١- إبراهيم بك حليم : المصدر السابق، ص ٥٠، Ismail Hikki, aynieser, s, 311.

١٧٢- إبراهيم بك حليم : المصدر السابق، ص ٥٠.

173- Ismail Hikki, a. g. e, s, 311

١٧٤- يلماز أورتونا : المصدر السابق، ج ١، ص ١١٠.

175- Modell solomon . Ahistory of the Western World, vol, 1, p, 497.

إسماعيل سرهنگ : المصدر السابق، ج ١، ص ٤٩٦.

176- Modell Solomon : I, p, 497, Ismail Hikki, a. g. e, s, 313

إبراهيم بك حليم : ٥٠، إسماعيل سرهنگ : المصدر السابق، ج ١، ص ٤٩٦.

١٧٧- محمد حرب : المرجع السابق، ص ١٣١.

178- Modell Solomon, Ibid, 494 – 497. ٥٠. المصدر السابق، ص ٥٠.

179- Osmanlia Nsıkloped Disi, Tarih, Medeniyet, Kultur, p, 174, Turkiye Diyanet Vakfi  
İslm, Ansıklope Dedası, Cilt, İstanbul, 1995, p, 480.

180- Osmanlia Nsık lopedisi, Tarih, Medeniyet, Kultur, p, 174

181- Ismail Haki, a. g e, s, 314.

- 182- محمد حرب المرجع السابق، ص ١٣١. Ismail Hkiki, aynieser, s, 314.
- 183- محمد حرب : المرجع السابق، ص ١٣١.
- 184- إبراهيم بك حليم Ismail Hkiki, aynieser, s, 314, Modell Solomon, op, cit, p. 497.
- : المصدر السابق، ص ٥٠.
- 185- Osmanlia Nsiklopedists, Tarih, Medeniyet, Kultyr, p, 174
- إبراهيم حليم بك : المصدر السابق، ص ٥٠. Modeli Solomon, op, cit, p, 497-498.
- Ismail Hakki, a. g e, s, 315.
- 186- Osmanlin Nsiklopedisis, Ibid, p, 174, Türkiye Diyanet Vakfı İslm, op, cit, 480.
- 187- محمد بيرم خامس لتونسي صهوة الاعتبار بمستودع الأمصار والأقطار، الطبعة الأولى، الناشر مطبعة المقتطف، مصر، ١٣١١هـ، ج ٥، ص ٤٧.
- 188- Ismail Hakki, a. g. e, s, 315.
- 189- Osmanlia Nsiklopedisi, Medeniyet, Kultur p, 174
- 190- Ismail Hakki, aynieser, s, 315
- 191- أحمد جودت : المصدر السابق ح ١، ص ٤. Normn. I Ottoman Empire and Islamic tRadition, Newyork, 1972, p, 25 - 26.
- 192- محمد حرب : المصدر السابق.
- 193- تاريخ الدولة العثمانية، ص ٢٣.
- 194- Osmanli Taihi, op, cit, p, 313.
- 195- علي حسن : المرجع السابق، ص ٢٣.
- 196- يلماز أوزتونا : المصدر السابق، ج ١، ص ١١٠.
- 197- زبيدة عطا : المرجع السابق، ص ١٧٨. Runicman S , op, cit, p, 56.
- 198- يلماز أوزتونا : المصدر السابق، ج ١، ص ١١٠.
- 199- زبيدة عطا : المرجع السابق، ص ١٧٨.
- ٢٠٠- أحمد شبي : المرجع السابق، ج ٥، ص ٤٨٧.
- ٢٠١- عبد العزيز سليمان نوار : المرجع السابق، ص ٣٧.

- ٢٠٢- يلماز أورتونا : المصدر السابق، ج ١، ص ١١٠.
- ٢٠٣- أحمد عبد الرحيم مصطفى : المرجع السابق، ص ٥٨.
- ٢٠٤- أحمد عبد الرحيم مصطفى : المرجع السابق، ص ٥٨.
- ٢٠٥- أحمد جودت : المصدر السابق، ج ١، ص ٤٠، أحمد عبد الرحيم مصطفى : المرجع السابق، ص ٥٨-٥٩.
- ٢٠٦- أحمد جودت : المصدر السابق، ج ١، ص ٤٠.
- ٢٠٧- محمد فريد بك : المصدر السابق، ص ١٣١.
- ٢٠٨- علي حسن : المرجع السابق، ص ٢٤، Norman, I, op, cit, p, 25.
- ٢٠٩- أحمد عبد الرحيم مصطفى : المرجع السابق، ص ٥٨.
- ٢١٠- عبد العزيز سبجان نوار : المرجع السابق، ص ٣٨.
- ٢١١- زبيدة عطف : المرجع السابق، ص ٧٩ يلماز أورتونا - المرجع السابق، ج ١، ص ١١١، The Cambridge, History, of Islam, vol, I, p, 279.
- ٢١٢- يلماز أورتونا : المصدر السابق، ج ١، ص ١١٢.
- ٢١٣- سبيل الرشاد لولاء السلطان مراد : المصدر السابق، ورقة ١٧، إسماعيل سرهك - المصدر السابق، ج ١، ص ١٩٩، أورهان محمد علي : المرجع السابق، ص ١٨.
- 214- Ismail Hakki, a. g. s, 315.
- ٢١٥- محمد فريد بك : المصدر السابق، ص ١٤٧.
- ٢١٦- يلماز أورتونا : المصدر السابق، ج ١، ص ٥٨.
- 217- George Ostrogor Sky, op, cit, 496.

# المطرفية الزيدية في اليمن

ظهورها في القرن الخامس الهجري ومعتقداتها

وقضاء الإمام عبد الله بن حمزة عليها

ARCHIVE

أهم عناصر البحث:

أولاً: نشأة الفرقة المطرفية وإلى من تنسب

ثانياً: جهود المطرفية لإقامة هجرهم ونشر أفكارهم:

ثالثاً: صراع المطرفية مع الزيدية المخترعة (التقارب والاختلاف):

رابعاً: صراع المطرفية مع الإمام أحمد بن سليمان واستخدام المظاهرات للحسم:

خامساً: خلاف المطرفية مع الإمام عبد الله بن حمزة واستخدام السيف للحسم:

سادساً: أهم معتقدات المطرفية:

سابعاً: القضاء على المطرفية نهائياً من قبل الإمام عبد الله بن حمزة:

## أولاً: نشأة الفرقة المطرفية وإلى من تنسب:

استمر زيدية اليمن فرقة واحدة تتبع الهادي في الأصول والفروع، حتى ظهر الخلاف والشقاق بين علمائها<sup>(١)</sup>، فانقسمت الزيدية<sup>(٢)</sup> نتيجة لذلك إلى ثلاث فرق هي: لمطرفية، المخترعة، الحسينية، وقد اختلفت المصادر في تحديد زمن ظهور هذه الفرق، فذهب البعض إلى تحديد زمن انقسام الزيدية إلى مطرفية ومخترعة<sup>(٣)</sup>، إلى عهد الإمام القاسم بن علي العياني (٣٨٨-٣٩٣هـ/٩٩٨-١٠٠٢م)<sup>(٤)</sup>، وإذا كانت اليمن قد استقبلت العديد من المذاهب الوافدة، ومزجت بعضها بطابعها الإقليمي الخاص، ومنحته السمة والشخصية المتمايزتين، فإنها أفرزت بعض المذاهب ذات الطابع المحلي، مثل: الحسينية والمطرفية، وهما فرقتان انشقتا عن المذهب الزيدي، ومن ثم فقد ولدا في اليمن وتلاشيا على مسرحها دون أن يفتن أحد في العالم الإسلامي إلى وجودهما، ولما كانت هاتان الفرقتان تتميزان بالطابع المحلي الخالص في المصادر عهما ظنت محصورة داخل المصادر اليمنية<sup>(٥)</sup>، ولعل قول يحيى بن الحسين هو الأرجح، إذ أن مطرف بن شهاب الذي تنسب إليه المطرفية كان قد بايع الحسين بن القاسم العياني بالإمامة الذي تولاهما سنة ٣٩٣هـ/١٠٠٢م، واستمر إماماً حتى مقتله سنة ٤٠٤هـ/١٠١٣م. بل إن مطرف سيشارك في الحروب التي خاضها الإمام الحسين بن القاسم ضد أعدائه<sup>(٦)</sup>، لكنه رجع عن القول بإمامة الحسين بن القاسم<sup>(٧)</sup>، عندما صدر عنه الآراء والأقوال التي عارضها المطرفية.

وبما يؤيد هذا الرأي ظهور العديد من العلماء المخترعة الذين تصدوا للمطرفية زمن الإمام الحسين بن القاسم أو بعد مقتله، فمن علماء المخترعة الذين ترجم لهم ابن أبي الرجال في النصف الأول من القرن الخامس الهجري، واشتهروا بالرد على المطرفية: الفقيه إسماعيل بن عُلّا الذي عاصر الإمام القاسم العياني، وتصدى للمطرفية، وألف العديد من الرسائل ردّاً عليهم<sup>(٨)</sup>، أما الحسينية فقد ظهرت في عهد الإمام الحسين بن القاسم، واستمرت بعد وفاته وأخذت بآرائه.

مؤسس فرقة المطرفية<sup>(٩)</sup> علي بن حرب، أحد كبار علماء الزيدية في ريدة<sup>(١٠)</sup>، وعنه أخذ علماء المطرفية، وفي مقدمتهم مطرف بن شهاب<sup>(١١)</sup>، الذي تنسب إليه هذه الفرقة<sup>(١٢)</sup>، وقد تباينت الآراء حول نشأة المذهب المطرفي حيث يذكر عبد الله العنسي عن زمن ومكان ظهور المطرفية قائلاً: "إن الزيدية قد طبقت الآن شرقاً وغرباً، وهذا المذهب مذهب المطرفية لا يُستع إلا في هذه البلاد من حدود بلاد بني شريف إلى نقيب صيد طولاً، ومن بلاد بني جر إلى عنس عرضاً، وما عدا

ذلك لا يعرف فيه اسم المطرفية . . دُونَ الوقت الأول الذي هاج فيه مذهبهم . . وقد روي أن القوم إنما أتوا من قبل الباطنية، وإلا فقد كانوا زيدية، وكان حدوث مذهب المطرفية بعد الخمسين وأربعمئة سنة لتاريخ المبارك، وكان . . إذا أُخْضِرَ الواحد منهم بين يدي الشيخ يحيى بن عمار وناظره قال: لا تناظرني على مذهب أنا أكبر منه سناً<sup>(١٢٣)</sup>، كما تباينت الآراء أيضاً عن مؤسس المذهب المطرفي فقال البعض أن المؤسس الحقيقي لهذا المذهب هو أحد مفكري الباطنية، بإحاطة الأهنوم، وكان قد تظاهر باعتناق المذهب الزيدي، واستطاع بحيله البارة أن يستغل بساطة العامة في التأثير عليهم واقتناعهم بأرائه ومعتقداته، ويقال أنه رأى يوماً حبة شعير نبتت في جانب مسجدهم داخل الجدار، فسألهم هل يجوز لأحد أن يחדش المسجد؟ فقالوا: لا يجوز ذلك، قال وَلَمْ؟ قالوا: لأن هذا قبيح، لو زاد الخدش لخرَّب المسجد، وخرابه قبيح، فتركهم أياها ثم سألهم ما تقولون في هذه الحبة؟ ألم تחדش جدار المسجد؟ قالوا: نعم، قال: أهذا قبيح أم حسن؟ قالوا: هذا حسن-بناءً على ما كنت عليه الزيدية من المذهب الصحيح- قال: ألم تقولوا بالأمس إن خدش المسجد قبيح؟ وما زال يعاودهم ويناوهم، وكثُرَت المداثرات، وأن الله تعالى لا يفعل القبيح، ثم وصل بهم إلى النتيجة التي يريدونها، وهي أن هذا البات ليس موافقاً لله، وإنما هو حاصل من المواد والطبائع<sup>(١٢٤)</sup>.

كانت بداية افتراق المطرفية عن الزيدية المخترعة ما حدث من المناظرات بين رجلين من الزيدية الأول علي بن شهر، والآخر علي بن حرب<sup>(١٢٥)</sup>.

ولما اشتدت المناظرات بين الرجلين كان لكل واحد منهما أتباعه ومؤيدوه، "قصاروا فرقتين، فتعصب أولئك على شهتهم، واستندوا إلى زهادهم ولم يجدوا أزهـد من مطرف، فتبعوه وتسموا بالمطرفية بأنفسهم، وبقي المسلمون على بصيرتهم يقولون نحن زيدية التزاماً بمذهب العترة الطاهرة الزكية، الذين هم بعد المصوص عليه زيد بن علي"<sup>(١٢٦)</sup>، ولم يزل مطرف ينشر آراءه بين أتباعه إلى أن اكتملت لديهم الصورة الكاملة عن القول بالأصول والإحالة والفترة والتدبير والظرد والعكس وغير ذلك من الأمور التي صارت تدل على هذا المعتقد الجديد<sup>(١٢٧)</sup>.

من الصعوبة تحديد زمن دقيق لبداية انتشار المطرفية وإن كان المرجح ظهوره زمن الإمام الحسين بن القاسم العبسي، أو بعد وفاته - كما سبق القول - فعند الله بن حمزة يذكر أن أول من تصدى للمطرفية هو لشريف زيد بن علي بن الحسين<sup>(١٢٨)</sup>، ويصف مسلم اللحجي بأن زيد بن علي بن الحسين هذا كان من متكلمي المخترعة، ومعلوم أن اسم المخترعة لم يُطلق على الزيدية إلا بعد

الخلاف بين علي بن حرب وعلي بن شهر، وهما من معاصري مطرف بن شهاب، كما يذكر أحد علماء الزيدية ودعائها أن الشريف زيد بن علي بن الحسين رَدَّ على مطرف بن شهاب.<sup>(١٧١)</sup>

كان مطرف بن شهاب يسكن في بيت حُثَيْص<sup>(١٧٢)</sup>، ثم انتقل إلى سِنَاع<sup>(١٧٣)</sup>، فابتنى بها هِجْرَةَ<sup>(١٧٤)</sup>، ومسجداً ومطاهراً<sup>(١٧٥)</sup>، واتخذها مركزاً لجميع أصحابه، ونشر معتقداته، فأظهر العبادة والطهارة، والزهد، واستدعوا الناس إلى الدراسة، فأقبل إليها كثير من الدارسين والعلماء<sup>(١٧٦)</sup>، فأقيمت المناظرات فيها، بين المخترعة والمطرفية من الزيدية، فيذكر مسلم اللححي أن علي بن حرب أقنع عليان بن سعد بالتوجه معه إلى سِنَاع، فلما وصلها قال: "فأتينا سِنَاع وبها المشايخ الذين من الطراز الأول فلم أحتج مع النظر إليهم وإلى ما هم عليه من الديانة، وإلى حسن ترتيبهم فيها إلى دليل على فضلهم، وتيقنت أنهم الناس، ثم طالبتهم على ما يعلمون، وتعلمون من الاعتقاد بالأدلة، فأثروا بما لا مزيد عليه من البرهان، ولا شك معه في البيان، فانقطعت إليهم بعد ذلك، ورفضت أهلي ووطي إلا من الزيارة في الحين والحين"<sup>(١٧٧)</sup>، ومن سِنَاع انتقل الفكر المطرفي إلى أماكن أخرى في اليمن.<sup>(١٧٨)</sup>

وعن زهد المطرفية وما وصلوا إليه من العبادة يقول عبد الله بن زيد العنسي: "...وهم أعني المطرفية أكثر من رَجَعَ إلى الحق على يدي من الفرق البدعية.. وأعدائي على ذلك ما كانوا عليه من الخوف لباري البرية، وكثرة الخضوع له في الجهر والخفية.. إلا أن ما حملهم على التعصب على مذاهبهم.. ما هم عليه من التشدد والحمية والتقليد لمشائخهم البدعية، وتحسين الظن بهم لـ يرون عليهم من آثار التزهيدات الجليلة والخيرة منهم، لمخافتهم له في السر والعلانية".<sup>(١٧٩)</sup>

أم الحسن بن زيد ومحمد بن حميد اليرسمي فقد دخلا سِنَاع "وكانا يومئذ يعتقدان بالاختراع، قال: فكانا يأتيان أشياخ الزيدية في سِنَاع، ويتعرفان على ما هما عليه، وفي يوم امتد بهما الكلام.. في مسجد سِنَاع حتى غرَّبت الشمس، فقال الحسن لا أروح حتى أفرغ من هذه المسألة.. وعادوا إلى الكلام، فانقطع الحسن وسلم للمشايخ.. ثم انتقل إلى سِنَاع، وانتقل معه ابن حميد، وأتقن الحسن التدريس ورسومه"<sup>(١٨٠)</sup>، أما نهد بن الصباح فظل يناظر مطرف بن شهاب رعين يوماً في فنون العلم ومسائل الدين<sup>(١٨١)</sup>.

ونتيجة لهذه المناظرات بين المطرفية والمخترعة أخذت سِنَاع شهرة علمية واسعة نتيجة لتوجه العلماء والطلاب إليها، حتى قال مسلم اللححي: "فكان ذلك مما ازدادت به شهرة الموضع عند الناس بالعلم والعبادة، والتعليم، فقصَّص من كل جهة وحي"<sup>(١٨٢)</sup>.

## ثانياً: جهود المطرفية لإقامة هجرهم ونشر أفكارهم:

أدى هذا النجاح للمطرفية إلى تفكير علمائها بالمحاولة لنشر فكرهم في مناطق أخرى خارج سباع، فما أن عرض نهد بن الصباح على مطرف فكرة الخروج من سناع لدعوة الناس بقوله: "أبها الشيخ إنك ها هنا خامل ضايع مضيع لعباد الله، قال: فما ترى أن أصنع؟ قال: تسير بنا إلى أرض عنس"<sup>(٣١)</sup>، حتى نُحِبِّي بها من دين الله ما أمكن، قال: فَعَلِمَ أن هذا من صواب الرأي، فسارا معاً إلى ذمار، وكان أهلها مختصرة، فلما نزلوا بها أتيا مسجدها، وسمع بهما الناس، فاجتمعوا إليهما... فافترق المجلس على موافقة من الجمهور لمطرف.. وغلب على أكثر الناس اعتقاد مذهبه"<sup>(٣٢)</sup>، ثم توجه مطرف إلى بلح التراخم، واستطاع أن يَصُم إلى صفه شيخها أبا عبد الله محمد أحمد الترخمي بعد مشقة وعسر"<sup>(٣٣)</sup>.

غير أن هذا الدور الذي قامت به سناع لم يستمر بسبب ما تعرضت له من هجوم من قِبل الصليحيين في عهد الداعي سبأ بن أحمد الصليحي، والذي سبّزع السيدة أروى بنت أحمد الصليحي شئون الدولة في الفترة ٤٧٨-٤٩٢هـ/١٠٨٥-١١٠١م<sup>(٣٤)</sup>، حيث سيستجيب لبعض خصوم المطرفية، فيعمل على تخريب سناع، وتخريف أهلها"<sup>(٣٥)</sup>، بما دفع المطرفية للبحث عن مكان آخر، يقول مسلم اللحجي: "فما اضطرت الريدة إلى الخروج عن سناع إلى بعض البلدان.. قالوا: نخشى أن غوت في شعب الأرض، ويطون الأودية.. فكثرت تردددهم وإحجامهم عن ذلك.. (ف) جعل إبراهيم بن الهيثم بعد ذلك يحول في البلاد ويطلب المساكن.. فأصاب وادي وقش خالياً من السكان"<sup>(٣٦)</sup>.

عندما وجد المطرفية أن القبائل المجاورة لوقش"<sup>(٣٧)</sup> يرجون بنزول المطرفية بينهم، وبعد أن عُقد الجوار بذلك، انتقل المطرفية إلى وقش، وأقاموا بها "هجرة تقام فيها الصلاة وتؤدى الفرائض ويُعبد الله فلا يُعصى، وتُتعلم العلم ويُحيى فيها الدين، حتى قامت بالحجة لله على أهل العصر، فقام الإمام الداعي إلى ربه، المشهر سيفه"<sup>(٣٨)</sup>، وقد قَبِلُوا عدداً من الشروط منها أن يكون ابن الهيثم المطرفي حاكماً لا محكوم عليه، فَعَقِدُوا له ذلك،<sup>(٣٩)</sup>، وأعطت القبائل الحق للمطرفية في أن لا يُدْخَلُوا إلى هجرتهم من لا برعون فيه، قل مسلم اللحجي: "وكان (الهم) شروط.. على من يحاورهم، وذهب على من يتغلب عليهم في دارهم ممن يكرهون حواراً"<sup>(٤٠)</sup>، وقد كان للهجرة كثير من الحقوق التي تتمتع بها، مثل: "أن يحب على جميع القبائل الكف عن الاعتداء عليها،

وأن يلتزموا بحقوقها، كما أن لهذه الهجرة عدم الالتزام بالعدوات القبلية، وبالتالي يجب عليها الابتعاد عن المازعات القبلية. كما يجب عليها أن تتمسك بأحكام الشريعة الإسلامية، وتعمل على تطبيقها. لذلك كانت الهجرة تزجر بالعلماء - سواء القضاة أم التعليم، لكل ذلك كانت الهجرة آمنة مُؤمَّنة لكل من ورد إليها في ليل أو نهار - سواء كان ظالماً أو مظلوماً حتى يؤخذ الحق منه أو له.<sup>١٤٦</sup>

وإلى جانب ما كانت تقوم به هجرة وقش من مهام الفرائض والتعليم، فقد كانت ملاذاً لمن "خشي على نفسه من ظالم غاشم، هرب إليها للأمن ومن أهمه أمر معده ومعاشه، أتى متوكلاً على الله"<sup>١٤٧</sup>، ونتيجة لهذه الوظائف الهامة التي كانت تقوم بها هذه الهجرة، فقد "تسمع بها الناس. نحو ما كانت السمعة بسناع، فانتهى ذكرها إلى أطراف الآفاق، ففُتِرَتْ إليها آباط الإبل، وطُوتْ إليها المراحل وتَنَقَّعَ الله بها من أراد من خلقه"<sup>١٤٨</sup>.

وصل المطرفية في هذه المرحلة إلى الاعتقاد بوجوب حجر الظالمين واعتزالهم، ورأوا أنه يجب على الإنسان أن يَهْرُبَ بنفسه وولده وجرمه من مجمع لباس، وقرهم ومدنهم، لظهور فساد الناس والمدن والقرى في ديمهم وديباهم، «وجوب المهجرة للظالمين والاعتزال للفاسقين وذلك فرض من رب العالمين في كل وقت وحين»<sup>١٤٩</sup>، ومن هذا المعتقد قاموا بإنشاء «العديد من الهجر»<sup>١٥٠</sup> وبانتشار المطرفية في هذه الهجر دون القرى والمدن اليمنية الأخرى يتبين أن هذه الهجر كانت بالنسبة للمطرفية ملاذاً آمناً يضمنون فيه التمتع بالحرية الفكرية المطلقة في عرض أفكارهم، بل وفي إقامة مدارسهم التي يلتقون فيها مذهبهم لتلاميذهم<sup>١٥١</sup>، وهكذا كَوَّنُوا مجتمعاً خاصاً بهم له تعليمه وتقاليده.<sup>١٥٢</sup>

### ثالثاً: صراع المطرفية مع الزيدية المخترعة (التقارب والاختلاف):

حرص لمطرفية على إقناع معاصريهم بأنهم لم يأتوا ببدعة جديدة، ولكنهم متمسكون بالتعاليم الصحيحة المنسوبة إلى الإمام الهادي، مؤسس الدولة الزيدية باليمن، لذلك قالوا بأن مطرف بن شهاب أخذ المذهب عن علي بن محفوظ بريدة، وابن محفوظ أخذ العلم ومذهب الهادي عن طريقتين أحدهما عن أبي الحسين أحمد بن موسى الطبري، عن المرتضى محمد بن الهادي، والأخرى: عن إبراهيم بن بالغ الوزيري، عن أبيه عن الهادي<sup>١٥٣</sup>.

لهذا عندما سأل مسمد اللححي شيعه إبراهيم بن علي عما إذا كان قد أخذ الاعتقاد من علماء

سناح ووقش، أو أنه التقى بمطرف أو نهدي بن الصباح، فإنه غضب من هذه الأسئلة وقال: "أخذته من شيعة الهادي: أو مذهب الهادي قد خفي حتى لا يوجد إلا عند أولئك؟". أخذت عن عامر بن صعتر عن عامر بن نعيم عن أبيه عن جده عن الهادي إلى الحق<sup>(١٤١)</sup>.

وهو ما يذكره مطرف بقوله: "لأحسبوا أننا أخذنا... واعتقدنا هذا العلم من الأوراق. أخذنا من بين شوارب الرجال، يريد الإسناد إلى الهادي"<sup>(١٤٢)</sup>، واستشهد المطرفية على صحة آرائهم في منظراتهم مع خصومهم على كتب المرتضى محمد بن الهادي، وهو ما يذكره مسلم اللحجي عندما ناظر المطرفية قوم من آل عمار من المخترعة من مشرق حاشد: "منهم يحيى بن عمار المتكلم في الاختراع، فطالبوهم بالمناظرة، حتى دار بينهم الكلام في ذلك.. فطالبوهم [أي المخترعة] على ذلك شهادة سماعية من كتب آل رسول الله صلى الله عليه.. فاستشهدوا [أي المطرفية] بمسألة العدل من كلام المرتضى لدين الله محمد بن يحيى"<sup>(١٤٣)</sup>.

خالف المطرفية فرقة المخترعة عندما تناظر علي بن حرب وعلي بن شهر<sup>(١٤٤)</sup>، وأخذ كل واحد منهما برأيه<sup>(١٤٥)</sup> - كما سبق لقول - أدى إلى ظهور فرقتي لرديّة (المخترعة)<sup>(١٤٦)</sup>، والمطرفية)، ودخلا في مناظرات بعد أن اجتمع المطرفية في حجرة سِنَاع، واتحدوا مسجداً وحرّة ومطاهر.

اتخذ المطرفية طريقاً مستقلاً بعد أن تراجعت عن مبايعة الإمام الحسين بن القاسم العياني بالإمامة لم يَدْر منه من آراء، ثم استمروا في التجمع في هجرهم للعبادة والذكر، حتى ظهر الإمام أبو الفتح الديلمي فدخلوا معه في خلاف، لكن هذا الخلاف ظل في هذه المرحلة خلافاً في الجانب الفكري فقط، فيذكر العنسي أن الإمام أبو الفتح الديلمي ردّ على المطرفية برسالة سماها "الرسالة المبهجة في الردّ على لفرقة الصالة المتجلجلة"<sup>(١٤٧)</sup>، مما يؤكد اختلافهم معه على الإمامة

كما ظل المطرفية على اختلاف مع الشريف حمزة بن أبي هاشم، وابنه الحسين بن حمزة، الذي ألّف رسالتين في الردّ على المطرفية، والتي يقول عنها عبد الله بن زيد العسّي في حديثه عن العلماء الزيدية الذين تعرضوا للتأليف في الرد على المطرفية: "وكذلك.. السد العالم الحسين بن حمزة.. رأيت له قطعتين من الكلام عليهم [أي المطرفية]"<sup>(١٤٨)</sup>.

استند المطرفية في هذه الفترة من عدم ظهور منافس قوي لهم، سواءً عند الحسينية، أم المخترعة. فرد نشاطهم، وتعددت هجرهم، وكثر أنصارهم، مستغلين للظرف المحيط بهم. بعد وفاة الإمام الحسين بن القاسم العياني في سنة ٤٠٤ هـ/ ١٣٠١ م، تعطلت الإمامة بعدد ما يقدر

العشرين عاماً، حتى ظهور الإمام أبو هاشم الحسن بن عبد الرحمن سنة ٤٢٦هـ/٤٣٣هـ/١٠٣٤م. وقد يرجع سبب ذلك لاعتقاد اتباع الإمام الحسين بن القاسم في عودته، لدرجة أن أخاه جعفر بن القاسم لم يفكر في القيام بأمر الإمامة، على الرغم من تأييد بعض القبائل له، ورغم أن الظروف تهيأت له باستدعاء أهل صنعاء له لدخولها، ويرجع ذلك لاعتقاده بعودة أخيه.

استعمل المظرفية ذلك الفراغ السياسي لنشر أفكارهم، إذ لم يكن هناك أي شكل من أشكال الدولة في المناطق الشمالية، والتي كانت تسمى اليمن الأعلى، حيث كانت صنعاء مقسمة بين ثلاث قوى قبلية هي اليعفرين وآل الضحاك، وإبني أبي الفتح- كما مر سابقاً.

وحتى عند ظهور الإمام أبي الفتح الديلمي دخل في صراع مع المحتسبين الحسينيين، فلم يتم أي تعاون بينه وبين جعفر بن القاسم العياني، وبوفاة الإمام أبي الفتح تعطلت الإمامة ما يقارب من ثمانية وثمانين عاماً، نشط خلالها المظرفية وعقدوا المظرت مع المخترعة<sup>(١٧٧)</sup>، فقد كان أبو السعود محمد بن وصح العنسي (ت ٤٨٠هـ/١٠٨٧م) من علماء المظرفية المناظرين، وكان في بداية حياته من المخترعة، ثم اعتنق التطرف، وتصدى للدفع عنه، والرد على المخترعة، وله قصيدة يرثي فيها على علماء المخترعة يقول فيها:

والله يخترع لمعاني عندهم كالطعم والحركات والألسان

وكذا التكرم والسماحة عندهم فعل الإله وفطرة الأبدان<sup>(١٧٨)</sup>

كما أن العالم المظرفي القاضي شريح بن أسعد الشهابي (ت ٥٠٠هـ/١١٠٦م) تصدى لعلماء المخترعة مثل عبد الله البشاري، وكان بينهما مساحلات شعراً ونثراً<sup>(١٧٩)</sup>، وحين هاجم محمد بن حميد الزيدي المخترعي عقائد المظرفية<sup>(١٨٠)</sup>، قام العالم المظرفي أبو السعود بن زيد بالرد عليه في أرجوزة شعرية منها:

نحن قلنا السار مثل الماء والقار مثل القصة البيضاء<sup>(١٨١)</sup>

لجدير بالذكر أن المظرفية لم تقتصر في مناظراتها مع الفرق الزيدية من الحسبية والمخترعة، بل ناظرت الفرق الأخرى في اليمن، سواء من أهل السنة أم الأباضية والإسماعيلية<sup>(١٨٢)</sup>، فقد نظر مطرف بن شهاب لقاضي الشافعي سليمان بن عبد الله البقوي أكبر قصاة الشافعية في صنعاء، فأقنعه مطرف بمذهبه وحكم بمذهب مطرف وأصبح من أنصاره، بل ناظر المظرفية

الفرقة الإسماعيلية، وقد اتسعت العلاقة بين المطرفية والإسماعيلية بالعلاقة السلمية حيث كان الصليحيون يرغبون في انخراط المطرفية في جيوشهم لذلك اعترفت بمذهبهم في أول الأمر، إلا أن المطرفية تجنبوا سياستها، بل نجد منهم من يسفه مذهب الصليحيين ويرد عليه مثل أبي السعود بن زيد بن الحسن، الأمر الذي سيدفع بالدولة الصليحية إلى إرسال ابن أحمد الهليجي ليقتل أبو السعود بن زيد وهو يغسل ثيابه.<sup>(٧٣)</sup>

رابعاً: صراع المطرفية مع الإمام أحمد بن سليمان واستخدام المناظرات للحسم؛

بظهور الإمام أحمد بن سليمان، وإعلان خروجه بالإمامة سنة ٥٣٢هـ/١١٣٧م<sup>(٧٤)</sup>، انتهى الفراغ السياسي الذي طال نعم به المطرفية، ووظفوه لصالحهم، وفي بداية الأمر لم يعلن المطرفية معارضتهم لإمامة أحمد بن سليمان، كما لم يرحبوا بقيامه<sup>(٧٥)</sup>، غير أن قتل حاتم بن أحمد الباسي للشيخ محمد بن عليان<sup>(٧٦)</sup>، كان سبباً لجمع فرقتي الزيدية المطرفية والمخترة على البيعة للإمام أحمد بن سليمان، طالبين منه الثأر لمقتل ابن عليان<sup>(٧٧)</sup>.

غير أن هذا الولاة من المطرفية للإمام لم يدم طويلاً، إذ سرعان ما تقاعسوا عن نصرته يقول سليمان الثقفي: "قَسَدَ أَكْثَرُ أَهْلِ الْهَجَرِ بِالْمُطَرَفِيَّةِ، وَقَعَدُوا عَنِ الْإِمَامِ، وَأَقْعَدُوا النَّاسَ، وَاسْتَمَالَتْهُمْ الدُّنْيَا وَحُطَامُهَا"<sup>(٧٨)</sup>، وكانت بداية الخلاف بين الإمام والمطرفية أن قوماً من المطرفية في أشيخ والجاهلي<sup>(٧٩)</sup>، خالفوا الإمام ولم يَقْرُوا له بالطاعة فخرج لتأديبهم فاستولى على الجاهلي، وألهم، وكاد أن يسيطر على أشيخ لولا توجهه إلى مخالف جعفر بعد أن عين على هذه المناطق ولاية من قَبَلِهِ وطرده المطرفية منها<sup>(٨٠)</sup>.

لم يحتدم الخلاف بين المطرفية والإمام أحمد بن سليمان، حتى حدث الخلاف بين القاضي جعفر ابن أحمد بن عبد السلام<sup>(٨١)</sup>، وبين المطرفية في سِاع، حيث كان القاضي جعفر قد ذهب إلى العراق وعاد بكتب كثيرة من كتب المعتزلة<sup>(٨٢)</sup>، وقد تأثر الزيدية في اليمن بشكل كبير بكتب المعتزلة التي أدخلها إلى اليمن القاضي جعفر بن عبد السلام، حيث أقلل السواد الأعظم من الزيدية على قراءة كتب المعتزلة هذه، وتركوا كتب قدامى الزيدية، بل وصل بهم الأمر إلى حد رفضها، ومزقوها وجلدوا بها الكتب الجديدة التي تتضمن أفكار المعتزلة، وهو الأمر الذي سيؤدي إلى ظهور طائفة من علماء الزيدية تمتد بهذا التحول وتعمل على إحياء المذهب الزيدي في صورته القديمة، وأطلقوا عليه (مذهب العترة عليهم السلام)، تمييزاً له عن أفكار الزيدية الأخرى المعزوجة

بالاعتزال. وأطلقوا على هؤلاء الذين قاموا بعملية المزج- التي أخفت معالم المذهب الزيدي في صورته القديمة النقية- اسم الشيعة المعتزلة.<sup>(١٧٢)</sup>

وعده الإمام أحمد بن سليمان النصرة للقاضي إن وقف في وجه المطرفية وأنكر بدعتهم<sup>(١٧١)</sup>، يقول صاحب سيرة الإمام أنه لما وصل القاضي جعفر من العراق، قال له الإمام أحمد بن سليمان: "هل علمت يا قاضي أحداً ممن قابلته في العراق يقول بشيء لما تقوله المطرفية أو تعتقده أو تعمل به، أو وجدت في كتاب أو سمعت بأحد يقول بقولهم فقال: لا، قال له: فإنه يحب عليك أن تردهم عن جهلهم وتذكر بدعتهم... فقل له القاضي: قد عرفت ما تقول ولكن القوم كثير، وقد صاروا ملء بيننا هذا، ولو أبيت أنكر عليهم لرموني بقوس واحدة، وأنت يا مولانا تقرب وتبعد، وأنا أخاف القوم ولا طاقة لي بهم، فوقع كلام الإمام في أذن القاضي فعمل به"<sup>(١٧٣)</sup>.. فنأظرهم في سماع ثم في وقش<sup>(١٧٤)</sup> ولا لم يسمعو! منه وآدوه وقاموا في وجهه"<sup>(١٧٥)</sup>، عاد إلى سماع مع مجموعة من أنصاره وكان له مدرسة في مسجد سماع فعاد منه المطرفية بمدرسة أخرى في جانب المسجد، فقام أحد أنصار القاضي جعفر فأطعن سراحهم، فعادوا فأطقتوا مصباح القاضي وأصحابه، ووقع بينهم كلام<sup>(١٧٦)</sup>.

لما علم الإمام بذلك قال: "قد وجبت عليّ فريضة القاضي ونصرة من قد نصره"<sup>(١٧٧)</sup>، فهُمَّ بالخروج إلى المطرفية، ومحاربتهم، فتراجعوا وأقرؤا له بالإمامة وطلبوا الصفح، فقبل منهم، ودخل وقش، وأحل بها القاضي جعفر، وأقام هناك وكتب كتاباً ألفه وسماه كتاب الرد على من طعن في إمامته<sup>(١٧٨)</sup>.

ويرجع سبب تنكر المطرفية للإمام أحمد بن سليمان إلى تشدهم في أمر الإمامة، والشروط الواجب توافرها في الإمام<sup>(١٧٩)</sup>، فذهبوا إلى عدم الاعتراف بإمامة أحد بعد الإمام الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين، سوى المرتضى ابنه، وأكروا على الريدية حصر الإمامة في قریش<sup>(١٨٠)</sup>، يقول صاحب تاريخ بني الوزير "وقد كانت المطرفية لسعة علومهم وصلابة تدبهم وصبرهم على العبادة والقيام والصيام يحتقرون معارف غيرهم، ويقع من بعضهم إعجاب بالتبحر في العلوم، وللعلم طغيان كطغيان المال، فكان من ذلك أنهم لا يذكرون الإمام أحمد بن سليمان بالإمامة، إنما يسمونه الأمير"<sup>(١٨١)</sup>.

خامساً: خلاف المطرفية مع الإمام عبد الله بن حمزة واستخدام السيف للحسم:

خفت حجة العدا للمطرفية بعد وفاة الإمام أحمد بن سليمان سنة ٥٦٦هـ/ ١١٧٠م، والقاضي جعفر بن عبد السلام سنة ٥٧٣هـ/ ١١٧٧م، مما أعطى الفرصة من جديد لاردهار مذهب المطرفية وانتشاره خاصة في عهد الأيوبيين الأوائل في اليمن<sup>(١٨٤)</sup>.

مثل طول الفترة بين موت الإمام أحمد بن سليمان ٥٦٦هـ/ ١١٧١م، وقيام عبد الله بن حمزة<sup>(١٨٥)</sup> لأول مرة محتسباً في سنة ٥٨٣هـ/ ١١٨٧م<sup>(١٨٦)</sup>، فرصة أمام المطرفية كي تمارس نشاطها وتنتشر معتقداتها دون أن تصطدم بصعوبات كبيرة تضعها أمام أزمة سواء من الناحية النظرية حيث لم تصل مع الإمامة الزيدية المخترعة إلى حد القطيعة، ومن الناحية العملية لم تدخل في صراع وحرب معها حتى هذا الوقت<sup>(١٨٧)</sup>، على الرغم من خلو اليمن من حكم الأئمة بعد أحمد بن سليمان لفترة تقارب سبعة عشر عاماً، إلا أن الإمام أحمد بن سليمان كان قد حكم على المطرفية بحكم الكفار، فلا تحمل مناكرتهم ولا ذبائحهم ولا تقبل شهادتهم، وهذا الحكم ترك صدئاً كبيراً بعده في الأوساط العلمية والسياسية، وجرى الخوض حول هذه المسألة من قبل جماعة من العلماء الذين سبقوا الإمام عبد الله بن حمزة بفترة طويلة<sup>(١٨٨)</sup>.

بقيام عبد الله بن حمزة سنة ٥٩٣هـ/ ١١٩٦م، بالإمامة<sup>(١٨٩)</sup>، تبعه المطرفية بالإمامة بعد أن اجتمع مشايخهم بالإمام وأعلنوا اعترافهم باستحقاقه لها، فرحب بهم الإمام وعينهم ولاية على الأقاليم، يقول ابن دعثم: "توجه كل منهم عن أمر الإمام لفساد الأوامر الإمامية والتأهل لوقت الحاجة، وإقامة الجمعة في هجرهم، والقيام بالمعروف والنهي عن المنكر، وتجييش الجيوش إلى ثغور الجهاد"<sup>(١٩٠)</sup>، وقد ظلت العلاقة بين الإمام عبد الله بن حمزة والمطرفية حسنة فترة غير قصيرة<sup>(١٩١)</sup>، إلا أن المطرفية أخفقوا في تنفيذ المهام التي أوكلهم بها الإمام لأنهم لم يتعدوا على العمل بالسياسة، وحماية الأموال وأعداد الجيوش، وانصرفوا إلى ما اعتادوا عليه من عقد المجمع العلمية<sup>(١٩٢)</sup>، مثل المجلس العام الذي يعقد في وقش مرة كل عام للدراسة والمناظرة<sup>(١٩٣)</sup>.

بدأ الخلاف بين الإمام والمطرفية عندما قام الإمام بعزلهم عن الولاية، ومنع عنهم أموال الزكاة، لما رآه منهم من ضعف وتواهي في القيام بالمهام التي أوكلها إليهم<sup>(١٩٤)</sup>، فضاعت عليهم الأحوال. وتشاوروا، واتفقوا على إقامة الأمر المنتصر بالله محمد بن مفضل<sup>(١٩٥)</sup>، محتسباً ليدافع عنهم ويابعوه على ذلك<sup>(١٩٦)</sup>.

استمرت العلاقة حسنة والصلة مستمرة بين الطرفين الإمام عبد الله بن حمزة والمطرفية، فعند انتصار الإمام على الأيوبيين، أرسل العقيه يحيى بن الحسين البحيري زعيم المطرفية في دقش في عصره رسالة تهنئة للإمام بهذا الانتصار على الأيوبيين في صنعاء<sup>(١٧)</sup>، إلا أن عودة الأيوبيين إلى صنعاء سنة ٥٩٩هـ/١٢٠٢م، وعقد الإمام الصلح معهم جعلت الخلافات بين الإمام والمطرفية تعود من جديد، الرؤية الأخيرين بضرورة مقاتلة الأيوبيين، وعدم عقد الصلح معهم، فأرسل المطرفية مختلاً عنهم إلى الإمام ليحثوه على قتال الأيوبيين، لكنه تمسك بالصلح الذي عقده، واستمر في تقدمه إلى صعدة<sup>(١٨)</sup>، كما عارض المطرفية الإمام في تولية تهامة للمؤيد السليمانى من قبل الإمام، والتي رأت المطرفية في ذلك إغانة له على جباة رسوم الحوز التي حرى عليها الأمراء من بني سليمان، ووصلت المعارضة من المطرفية للإمام إلى حدّ قال ممثلهم للإمام: "إن حُدِّثَ له الولاية بغير دليل ولا حجة، فأب متأخر عن هذا الأمر"<sup>(١٩)</sup>، يقصد أي عدم اعترافه بإمامته، إلا أن الإمام لم يبال بذلك بقوله: "أنا لا أسألي عن تأخر عني، مهما كُنْتُ على بصيرة من أمري"<sup>(٢٠)</sup>.

ظل الأمير المنتصر يدافع عن المطرفية وراحع لإمام بشأنهم، وكان الإمام يسمح منه لمكانته عنده، ولم تنوتر العلاقة بين الطرفين حتى وفاة الأمير المنتصر في صفر سنة ستمائة هجرية<sup>(٢١)</sup>، ويتبين ذلك من خلال ما أبداه الإمام من حزن عيبه في قصيدة رثاء، وأوفد أخاه الأمير عماد الدين يحيى بن حمزة مع جماعة من أنصاره إلى وفش للمعركة<sup>(٢٢)</sup>.

لم تلبث العلاقة بين الإمام عبد الله بن حمزة والمطرفية أن سادها التوتر من خلال الجهود التي بذلها بعض من أنصار الإمام لإفساد هذه العلاقة، يقول صاحب تاريخ بني الوزير: "ثم أن شبيعة الإمام أكثروا في المطرفية إلى الإمام، ورووا عنهم أموراً جمة في المعتقدات على صفة شبيعة صريحة، وتكثر النقل إلى الإمام في ذلك"<sup>(٢٣)</sup>، يضاف لذلك أن الأميرين يحيى بن مصور ومحمد بن مصور ابني أخي الأمير المنتصر، واللذين كانا متولين الدفاع عن المطرفية، بعد وفاة الأمير المنتصر، لم يكن لهم من المودة والألفة مع الإمام مثل التي كانت لعمهما، فتعبير الإمام تجاه المطرفية ولم يعد يقبل وساطة الأميرين، ودفاعهما عن أمور المطرفية والمعاينة عنهما<sup>(٢٤)</sup>.

لقد كانت معارضة المطرفية للإمام تشعله لأنها تتميز عن أي معارضة أخرى كونه صادرة من داخل الزيدية التي هو إمامها، خاصة إذ كانت المعارضة في مسألة الإمامة ذاتها، فقد اشترطت لمطرفية أن يكون الإمام في العاية من العلم، وهو مستوى من المعرفة بكاد يكون من المستحيل

تحديده، وهذا في حد ذاته مشروع معارضة مستمرة لأي إمام، فالعلم في نظر كل جماعة ما تعتقده صحيحاً، وليس من السهل إقناع أي مدّعي للإمامة بأنه أقلّ علماً من غيره، وكل من يتمتع بقدر من المعرفة يرى نفسه أقدر من غيره على فهم أمور الدنيا والدين<sup>(١١٠)</sup>.

يقول الحنسي: "ومن الظاهر المشهور أنهم لا يقولون بإمامة أحد بعد الهادي سوى المرتضى ولا يقولون بإمامة الناصر الأطروش، ولا بإمامة الناصر بن الهادي ولا من بعده من الأئمة، ويبطلون القتال معهم، منذ ظهر مذهبهم، ولم يبق إمام إلا وهم أعداؤه، وهو عدوهم.. ولا يرون تقديمهم في الرئاسة، بل يوجبون تقديم شيوخهم"<sup>(١١١)</sup>.

زاد من حدة الخلاف بين المطرفية والإمام ما نقله رجل من المطرفية يسمى عمار بن ناصر الشهابي، حضر اجتماع المدرسة المنصورية في ذي مرمر، فتم فيها الحديث عن المطرفية، وتم التعريض بمذهبهم، فقام هذا الرجل بقتل ذلك لأهل مذهبه من المطرفية في وقش، وبث شكواه إليهم، فجرت مكاتبة بين الفقيه المطرفي **علي بن يحيى** البحري والإمام، فيها مديح وعتاب، ودعوة للمناظرة والمناقشة<sup>(١١٢)</sup>، وقد أبدى الإمام استعداداً لذلك، وطلب منهم القدوم بجماعة من أهل العقل والعلم لإجراء ذلك<sup>(١١٣)</sup>. وكان مما قاله الإمام في جوابه على شيخ المطرفية البحري: "فإن رأيت أن تأتي بجماعة من أهل العلم والعقل والإنصاف. فإن كانوا على بصيرة في تأخرهم ازدادوا يقيناً، وإن كانوا على غير بصيرة فأهل التدين أولى من رجح إلى الصواب، لأن غرضهم طلب النجاة.. فلا بأس في ذلك بل هو عين الصواب"<sup>(١١٤)</sup>.

تردد المطرفية في بادئ الأمر في القدوم لمناظرة الإمام لخوفهم على أنفسهم ف كانوا يظهرهم أنهم يخافون على أنفسهم، وأن ذلك هو العائق لهم عن الوصول إلى الإمام لمناظرتهم..<sup>(١١٥)</sup> ثم أظهروا العزم على القدوم جميعاً إلى الإمام لإجراء تلك المناظرة، وحددوا اللقاء إلى ذي مرمر، أو إلى ثلثا، ولكن الإمام اشترط إن أرادوا ذلك أن يكون وصولهم إلى صعدة<sup>(١١٦)</sup>، وهكذا أخذ الفريقان يتخاذلان ويتباطأن عن المناظرة، واتهم كل منهما الآخر بالتهرب والخوف<sup>(١١٧)</sup>.

لما كثر التباغض والمراسلات بالسب والشتم، وتبارى شعراء الفريقين في هجاء وتفنيده معتقدات كل فريق وسب مذهبه<sup>(١١٨)</sup>، زاد الموقف تأزماً وإشعالاً لنار الفرقة بين الطرفين<sup>(١١٩)</sup>، مما دفع الإمام لنحكم بكفرهم، وجعل كفرهم قسمين: إحداه في ذات الله والحد في فعله، فالحادهم في ذاته أنهم

أثبتوا لله صفات قديمة، فجعلوه أكثر من واحد، وجعلوا وحدانيته خمسة، وأما إلخادهم في فعله فلأنهم نفوا عنه أعماله مثل الأمراض والمصائب، والبلايا والمضار، وأضافوا إليه أفعال البرية، فقالوا: بأنه تعالى لم يقصد فعل شيء بعد الأصول وهي عندهم الماء والهواء والريح والنار، وقالوا: بأن تحصل هذه الحوادث بإحالات الأجسام واستحالتها، يأخذ عليهم عجزهم عن تحديد هذه الإحالات وتصريفها<sup>(١١٤٤)</sup>، يسما يذهب عبد الله بن زيد العنسي إلى أن كفر المطرفية على أربعة أوجه: كفرهم في الله، وكفرهم في أفعاله، وكفرهم في رسله، وكفرهم في الوعد والوعد<sup>(١١٤٥)</sup>.

### سادساً: أهم معتقدات المطرفية:

وعن معتقدات المطرفية وجه أئمة الزيدية المخترعة التهم العدة للمطرفية، وأنهموها بالخروج عن الدين، فالإمام أحمد بن سليمان وجه لهم أكثر من نيف وأربعين تهمة، قال بأن المطرفية جمعتها من شتى فرق الصلال، حيث ذكر أنها أخذت عشر حصال من الطبيعية الملهدة، وأربع حصال من المجوس والشوية، وسبع حصال من اليهود، وحصلتين من النصارى، وخمس حصال من عبدة الأوثان، وأربع من الباطنية، وخصلتين من المشبهة، وثمان من القدرية، وثلاث من الخوارج<sup>(١١٤٦)</sup>، لذلك أخذوا من كل مذهب أحبه، فحرقوا من جلة المسلمين، وفارقوا أهل الملة<sup>(١١٤٧)</sup>.

وللتحقق من هذه التهم لابد من عرضها على الفكر المطرفي، الذي لم يبق منه سوى كتاب واحد، وهو "البرهان الرائق المخلص من ورط المضايق"، الذي يذكر أن "للعالم أصولاً أربعة هي الماء والهواء والرياح والنار، وهي أصل ما خلق الله... والعالم على كماله محدث مخلوق، والله تعالى خالقه، سواء خلق ما خلق من ذلك جملةً وتدرجاً، فالذي حصل على معنى التدرج كالحیوان من الماء المهيئ، والأشجار من الماء، والطين والمطر من السحاب، وكثير منه يزيد بعد النقصان كالإنسان وغير الإنسان من جماد وحيوان، فتبين أن من الأشياء فرعاً ومنها أصلاً<sup>(١١٤٨)</sup>".

وقالوا بأن الله تعالى خلق العالم يحيل ويستحيل<sup>(١١٤٩)</sup>، ومعنى ذلك يؤثر وينفع إذا استعمله الإنسان على ما علم الله سبحانه، ومضراً إذا خالف تعاليم الله، كل ذلك جبراً، لا اختياراً، فما حصل منه من تأثير في الوحيين جميعاً هو من فعل الله، لا فعل له غيره، ولا موجد له سواه<sup>(١١٥٠)</sup>، ومعنى قولنا يستحيل هو يتغير.. وذلك كما يقول القائل النار تحرق الماء يروي، والطعام يشبع،.. والدواء ينفع، والسقم يفسد، كل ذلك يخبر الله تعالى له، وكذلك يستحيل أيضاً جبراً من الله سبحانه

لا اختياراً<sup>(١٢٦)</sup>، لهذا يهتمهم خصومهم بأنهم نفوا جميع الحوادث عن الله تعالى وأضافوها إلى الإحالة والاستحالة<sup>(١٢٧)</sup>.

كما يعتقد المظرفية بأن الأعراض تسمح سماع العلم ولا تسمح سماع الحس، لأن الخواس لا تقع على الأجسام سواء كان الشيء مسموعاً أم ملموساً أم مشموماً<sup>(١٢٨)</sup>، لذلك فنزول القرآن يكون بمعنى نزل ووصل لا بمعنى انحدر وانفصل، فسماعه بهذا المعنى يعنى العلم وليس النزول والانتقال<sup>(١٢٩)</sup>، ولهذا تم توجيه الاتهام إلى المظرفية بأنهم يقولون بأن الله تعالى لم ينزل على البشر كتاباً من السماء، وأن كتب الله صفة ضرورة لقلب الملك الأعلى لا تغارقه، فيجدون كتب الله وآياته<sup>(١٣٠)</sup>، وهو ما يذكره صاحب البرهان الرائق بقوله: "فإن قلتم في قلب الملك فكيف تقولون بنزوله.. جواب: قلنا أن الله سبحانه خلقه في قلب الملك الأعلى"، ويستدل بحديث: بأن النبي صلى الله عليه وسلم سأل جبريل كيف تأخذ هذا الوحي، قال: من ملك قوتي، قال: كيف يأخذه ذلك الملك، قال: يلقيه الله في قلبه...<sup>(١٣١)</sup>

ويعتقد المظرفية أن جميع أفعال العباد كلها حسنة وقبيحة فعلهم، لا فعل الله سبحانه، لم يشاركه فيها مشارك، ولم يخلقهم فيهم ولا جبرهم عليها، وإنما أقدرهم على فعلها، ومكهم من إحداثها، وعرفهم خيرها وشرها<sup>(١٣٢)</sup>، وأن أفعال العباد لو كانت خلقاً لله تعالى لما جاز أن يأمر ببعضها وينهى عن بعض، لأن أمر الإنسان بما لا يقدر عليه ونهيه عما يعجز عن الامتناع عنه قبيح، وهو تعالى لا يفعل القبيح<sup>(١٣٣)</sup>، يقول المحلي: "من قال أنه تعالى خلق لأفعال العباد ولم يفرق بين الحسن منها والقبيح، ومن قال أنه غير خالق لها لم يفرق أيضاً بين الحسن والقبيح منها، وأيضاً فإنه لو كان خالقاً لما هو حسن من فعل العبد، لبطل الأمر كما يبطل إلهي، أو كان خالقاً لما هو قبيح من فعله لبطل الثواب كما يبطل العقاب، ولبطل المدح كما يبطل الذم"<sup>(١٣٤)</sup>.

وتقول المظرفية أن الله سبحانه لا يكلف أحداً من خلقه ما ليس في وسعه لأن تكليف ما لا يطيق قبيح، وهو تعالى لا يقبل القبيح<sup>(١٣٥)</sup>، وأنه تعالى لا يعذب من لا ذنب له ولا يريد الظلم ولا يرضى الكفر ولا يحب الفساد، لأنه تعالى لا يفعل شيئاً من القبائح<sup>(١٣٦)</sup>، وإنما على ذلك فلن يسأل ما عدى الله إلا بطاعته، أو بالتفضل، ولا يتفضل أهل التكليف عدى الله سبحانه إلا على حسب تفاضلهم في الأعمال<sup>(١٣٧)</sup>، لا في الأعراض، ويقولون بأن كل ما استحقه العبد المؤمن من ثواب أو عقاب لا يكون إلا بالعمل وبالتالي ينفي ذلك الأعراض عما يصيب المؤمن من أمراض

وأفات<sup>(١٢٤)</sup>، فالعوض عندهم ثلاثة أوجه: "إما أن يكون مساوياً للثواب أو ناقصاً عنه، أو زائداً عليه، فإن زاد عليه فهو أفضل منه، والقليل أفضل من العامل الصحيح، وذلك مخالف لقوله تعالى "وقضل الله المجاهدين على القاعدين أجراً عظيماً"<sup>(١٢٥)</sup>... وإن كان مثله فقد كان ينال ذلك بعمله، فأين ما في مقابل الأثم. وإن كان العوض دون الثواب فما وجه الحكمة في إيصال النزول إلى العبد مع أنه كان يصل بعمله إلى أفضل من عوضه..."<sup>(١٢٦)</sup>، وقد وجه خصوم المطرفية الاتهام إليهم بنفيهم للعوض على ما أصاب المؤمنين بأن ذلك إضافة الظلم إلى الله، تعالى الله عنه علواً كبيراً<sup>(١٢٧)</sup>.

وقال المطرفية بأن الله ساوى بين الخلق بسنة أمور هي: الخلق والرزق، والموت، والحياة، والتعبد، والمجازاة، وحالف بينهم في ثلاثة هي: الصور، والألوان، واللغات<sup>(١٢٨)</sup>.

والأرزاق عند المطرفية على ثلاثة أوجه: الأول: المساواة في الرزق بين جميع العباد، فيفقر بعضاً ويغني آخرين بدون سبب، قال تعالى: "الله الذي خلقكم ثم رزقكم ثم يميتكم ثم يحييكم"<sup>(١٢٩)</sup>.. والضرب الثاني: التفضيل في الأرزاق قال تعالى: "والله فضل بعضكم على بعض في الرزق"<sup>(١٣٠)</sup>، والضرب الثالث: وهو أن الله يقلل الرزق بالمعصية ويكثره بالطاعة، قال تعالى: "إن شكرتم لأزيدنكم ولأن كفرتم إن عذابي لشديد" فأخبر أنه يزيد في الرزق بالشكر، ويعذب على الكفر بسلب الرزق وغيره<sup>(١٣١)</sup>.

كما ذهب المطرفية بأن الأرزاق لا تتم إلا بالاكتساب "ولو لم يكسبه لم يكن معهم، فمن يَكُنْهُ الكسب وتَرَكْهُ كان فقره من نفسه لا من ربه"<sup>(١٣٢)</sup>، وقد تقل الأرزاق بأسباب من العباد كترك العناية بزرابهم وأراضيهم... وقد تقل الأرزاق بتدخل من المخلوقين، نحو أن يُهَبَّ له مالاً فيُغْنَى به، أو يَأْخُذْ له الظالم مالاً فيفتقر<sup>(١٣٣)</sup>.

واعتبر المطرفية المال الحرام ليس رزقاً<sup>(١٣٤)</sup>، وقد نسب إليهم خصومهم القول بأن الأرزاق ليست من الله، ولكنها تحصل بالاكْتِسَاب والضرب في الأرض، والتحايل وسائر الأسباب، ونفوها عن الله، وبأنه سبحانه لا يرزق العصاة<sup>(١٣٥)</sup>.

أما في الموت فذهبوا إلى أن الأعمار تختلف باختلاف البنية والأوطان والأزمان. "فمن صحت بنيته، واعتدلت مادته وطابت محلته، وبرت من معاصيه ساحتها، حتى طالت مدته، واستوفى

عمره، ما لم يظلمه غيره بقتل يقطع به أجله<sup>(١٤٦)</sup>، والأجل هو الوقت الذي عَلِمَهُ الله أن الإنسان يموت فيه، أما أنواع الآجال فثلاثة: الأول: أجل ضربه الله سبحانه لعباده إذا سَلَكُوا الهواري، قال تعالى: "وبلغنا أجلنا الذي أجلت لنا"<sup>(١٤٧)</sup>، والأجل الثاني: أجل النعمة قال تعالى: "إن أجل الله إذا جاء لا بأخر"<sup>(١٤٨)</sup>، الأجل الثالث: أجل محتوم وهو الذي يقطع نَسَب من العبد إما عمداً أو خطأ<sup>(١٤٩)</sup>.

أما عن موت الأطفال فيقول المحلي: "وأما الأطفال فإن الله خلقهم للعبادة، فإذا ماتوا قبل البلوغ قلنا أنهم ماتوا في ذلك الوقت لجناية الغير عليهم، وهو تعالى تُمَيِّتُهُمْ وفاعل موتهم، ومن أنكر أن يكون الموت فعلاً لله سبحانه أنكر خلق السماوات والأرض وذلك الغير الجاني عليهم يسمى لهم مُمَيِّتاً حقيقة بالجناية الواقعة منه"<sup>(١٥٠)</sup>.

وقد نُسب للمطرفية القول بأن الأعمار والآجال والموت والحياة، تقع بحسب الطباع والمواد، وأن موت الطفل ليس من رب العباد، كما نسبوا إليهم أن الإنسان يقصر على تأخير عمره إلى مائة وعشرين سنة، بإصلاح معيشتة وغذائه، ومعرفة دائه من دوائه<sup>(١٥١)</sup>، وتُتَمَّه المطرفية بأنها كفرت بأربع مائة وثلاث وسبعين آية صريحة لا تحتمل التوويل، ولا خلاف من الأمة بكفر من ردَّ آية واحدة، فكيف من ردَّ كل هذه الآيات<sup>(١٥٢)</sup>.

سابعاً: القضاء على المطرفية نهائياً من قبل الإمام عبد الله بن حمزة:

استقر رأي الإمام عبد الله بن حمزة على ضرورة مواجهة المطرفية بما أصبحوا يشكلونه من تهديد خطير له، وقد تناما شعور الإمام عبد الله بن حمزة بالخطر من جانب المطرفية لما يروونه من عدم اشتراط العلوية في الإمامة، ونفي شرط العلوية يعني عدم شرعية الإمام عبد الله بن حمزة على حساب مقتضى القواعد الزيدية، خاصة إذا علمنا أن الإمام عبد الله بن حمزة شخصية طموحة، فقد كان يفكر بأن تصل دولته إلى الحجاز والشام<sup>(١٥٣)</sup>، حيث يذكر يحيى بن الحسين بأنه فرض المكوس على أمراء الحجاز وكانوا يدفعونها على مضض<sup>(١٥٤)</sup>.

فعزم على التحول من سياسة المهادنة والمساطرة إلى سياسة استخدام القوة، وقد ساعدته الظروف في ذلك، إذ استغل عقد الهدنة بينه وبين الأيوبيين في أواخر سنة ٦٠٢هـ/١٢٠٥م<sup>(١٥٥)</sup>، للقضاء على خصومه من المطرفية، فقد قام الإمام بقتل رجل لشهادة الشهود بأنه مطرفي بعد أن رفض التعرُّض من المطرفية<sup>(١٥٦)</sup>، فلما بلغ ذلك المطرفية اشتد حرجهم

عليه، وعظم عندهم الخطب فيه، وأيقنوا بالهلاك، فأنشئوا الأشعار، وشوا الكتب في الأقطار، وبعثوا الرسل إلى الآفاق بالرسائل<sup>(١١٧٧)</sup>، ويظهر من خلال بعض الإشارات في السيرة المنصورية أن الإمام كن قد أصدر حكمه في المطرفية خلال هذه الفترة باعتبار دارهم دار حرب، فحكّم الإمام على المطرفية بأحكام أهل الحرب، وأن مكانتهم التي سموها هجراً حكماً حكمها حكم دار الحرب، فتحرم مناعتهم وموارثتهم، وأكل ذبائحهم، وقبّروهم في مقابر الإسلام والمسلمين، إلى غير ذلك من أحكام المشركين<sup>(١١٧٨)</sup>، فالمطرفية في نظرهم أكفر من النصارى واليهود بما لا يرتاب فيه منصف<sup>(١١٧٩)</sup>، بل أجازوا قتلهم غيلة، وغزوهم ليلاً ونهاراً، وتحريقهم<sup>(١١٨٠)</sup>.

وقد سعى الإمام عبد الله بن حمزة إلى التنكيل بمذهب المطرفية واعتبار أتباعه كفره ضالين ويجب عليهم التبرؤ من مذهبهم إن هم أرادوا العيش بأمان في مناطقهم، حيث يذكر ابن دعشم أنه قُتل قتل الرجل المطرفي كان قد تم القبض على مجموعة من المطرفية، تبرؤوا من مذهبهم، وبايعوا الإمام. وأعطوه العهد على الخروج من مذهب المطرفية عندها "كتب (الإمام) لهم كتاباً فيه أسماؤهم، وصفاتهم، وشيائهم، مخافة أن يُطلبوا بصعدة، أو غيرها فيجري عليهم حكم المطرفية"<sup>(١١٨١)</sup>.

عندما تكررت حوادث قتل الإمام للمطرفية اجتمعوا للتشاور لاتخاذ القرار الذي سيشكل حتمية الصراع بين الفرقتين دون تراجع، ذلك القرار الذي تمثل في إسقاطهم لإمامة عبد الله بن حمزة، وتعيينهم إماماً خاصاً بهم، فاخترأوا الشريف يحيى بن منصور بن مفضل، في اجتماعهم في ذي مرمر، وأعلن السلطان بشر بن حاتم تأييده لهم<sup>(١١٨٢)</sup>، وأعلنوا قدومهم لمناظرة الإمام في ثلا في الموعد الذي حدده، وإن لم يحضر سقطت إمامته، غير أن الإمام اعتذر عن الحضور<sup>(١١٨٣)</sup>، فحاول المطرفية أن يستقلوا ذلك لمصلحتهم، ف"أشعروا الناس أنهم جاؤوا لمناظرة الإمام وأنه وعدمه لذلك إلى ثلا ليوم عيئوه، وأنه إن لم يلقيهم لذلك اليوم سقطت الإمامة، واعترف لهم بأنهم على الحق... وأشعروا الناس خلافهما عليه.. وحضوهم على جمع أهل البلاد والحديث في الأسواق"<sup>(١١٨٤)</sup>.

دفع ذلك الإمام إلى كتابة رسالة عامة لكافة الناس بصرح فيها بكفر المطرفية، وردتهم، ويقرر حكمه فيها إن أظفره الله عليهم "فإن ظهرنا عليهم بنصر الله قتلنا المقاتلة، وسببت الذرية، وبعا النساء والعبد، كما يفعل بالمشركين، ولم يكن عندنا لكل حالم إلا السيف"<sup>(١١٨٥)</sup>.

فعلت هذه الرسالة بالمطرفية فعلها بين القبائل وفي المجتمع، إذ تأثر وضعهم، وبظر الناس

إليهم كفرة مرتدة، قصار الرجل إذا سب صاحبه قال: يامطرفي، وصار الواحد من المطرفية إذا أراد دخول بعض الأسواق لا يدخلها إلا متكتماً أو في ذمة أو جوار<sup>(١٧٦)</sup>.

ويعود أول خبر عن ابتداء قتل الإمام للمطرفية إلى سنة ٦٠٣هـ/١٢٠٦م، عندما أمر أخاه عماد الدين يحيى بن حمزة بمضايقة أهل هجرة قاعة، وقتل من أمكنه منهم، فقطع الأمير موادهم، وأخافهم في طرقاتهم<sup>(١٧٧)</sup>، فلما ضاقت أحوالهم بقاعة بحثوا صريحاً إلى وقش فأتى إلى مسجدهم وهم على اجتماعهم، فكسر عصاه، وفرق جرابه، وقال: أدركوا إخوانكم وإلا فهم هالكون، وحكى لهم ما انتهى إليه أمرهم، وأن الأمير فرض عليهم الزنار علامة لهم، فلما بلغهم ما حل بأصحابهم من الخزي والنكال تكاثبوا، وأجمعوا رأيهم على الغارة إلى أصحابهم<sup>(١٧٨)</sup>.

تقدم الإمام في ثلاث خلت من جمادى الآخرة سنة ٦٠٣هـ/١٢٠٦م، إلى قرية مُدَع من مصانع حمير فحط بجانب البلد من شريقه، وجمع الناس وأبان لهم أمور المطرفية واتضح ردتهم وكفرهم، فعظم ذلك على الناس لما كانوا يُجِلُّون المطرفية ومعتقداتهم<sup>(١٧٩)</sup>، وقد حاجج جماعة من الناس من أهل البلد عن المطرفية وسألوا الإمام عن السب الذي استحققت به المطرفية اسم الردة؟ فألزمهم إحضار علماء أهل هجرة قاعة إن أرادوا ذلك، وإن لم يفتتروا من مذهب المطرفية، وأهلهم حتى صباح اليوم التالي، فلما حضروا دانوا للإمام وسلموا له، ثم أرسل الإمام رجل من قبله إلى قاعة يعرض على أهلها من المطرفية العودة عن مذهبهم، وأهلهم ثلاثة أيام، فecedوا مناظرة في مسجد قاعة، أقر المطرفية خلالها للإمام بكل مسائل الخلاف، ما عدا مسألة واحدة وهي قولهم بأن فعل العبد لا يعدوه، ولا يوجد في غيره لظنهم أنهم لا يكفرون بالالتزام بهذه المسألة<sup>(١٨٠)</sup>.

دخل الإمام هجرة قاعة وعرض على أهلها البراءة من مذهب المطرفية ولعن كبارها، والدخول في الإسلام باللفظ، وقبضت دور وأملاك الذين أجّلوا عنها لبيت المسلمين، واعتبر مسجد قاعة مسجد ضار، ثم قبضه ووجه الإمام للفقهاء الدين علي بن أحمد الأموي، وأقيمت المدرسة المصورية بها لتدريس علوم المخترة، وكلف للتدريس بها من قبل الإمام الفقيه أحمد بن محمد المحلي<sup>(١٨١)</sup>.

لما قبض الإمام على هجرة قاعة وأخرج المطرفية عنها، أقبلت الهجرة التي حولها بالطاعة والمبايعة للإمام<sup>(١٨٢)</sup>، وقمت ملاحقة المطرفية في بيت عالمان<sup>(١٨٣)</sup>، وحسن بكر<sup>(١٨٤)</sup>، الذي كان فيه شيخ مطرفي أعمى كان يعمل على نشر أفكار المطرفية بقوة، وصدق وعزيمة، ومنتقل من هجرة إلى

أخرى، فطلبه أنصار الإمام، مما دفع البعض للتقدم إلى الإمام يطلبون منه الأمن لهذا الشيخ، فرفض الإمام وطلب الشيخ المطرفي وقبض عليه، وأمر بضرب عنقه<sup>(١٧٦)</sup>، فأقبلت المطرفية من هجره من جهة المغرب أفراداً وأزواجاً، ودخلوا في طاعة الإمام، واعتنقوا مذهب الاختراع<sup>(١٧٧)</sup>.

ومن الغريب أن يتهدى علماء المطرفية في المناظرات التي عقدها مع الإمام بتلك السرعة، وذلك أن تخليهم عن معتقدات مذهبهم وهم المشهور عنهم السعة والتبحر في العلوم أمر يشير الحيرة، ومن ثم فإننا أمام أحد احتمالين:

الأول: أن تكون هذه المناظرات قد تمت تحت تهديد السلاح.

والثاني: أن يكون أبو فراس بن دعشم قد بالغ في وصف انتصار الإمام عبد الله بن حمزة، وغلبته في هذه المناظرات<sup>(١٧٨)</sup>، وما يُرجَّح مبالغات ابن دعشم في انتصارات الإمام ما يذكره في السيرة من أن لانتقام الإلهي كان يحل بالمطرفية كلما حاولوا التعرض للإمام بالشتم والنسب، فأحد المطرفية سب الإمام فهاجم عليه أحد الكلاب واستخرج لسانه من بين الأضراس وشذخها<sup>(١٧٩)</sup>، والمشرقي (محمد بن منصور بن مفضل) شتم الإمام، قرئت به رجله فعضها وخر مغشياً عليه<sup>(١٨٠)</sup>، وأهل ذي مرمر بهجرة رومح بواوي السر، استقبلوا المطرفية واستصافوهم فاستدارت عليهم سحابة فأصابتهم ببرد دون سائر البلاد التي حولهم، لم تدع شيئاً من الزروع والأعشاب، فرحل المطرفية إلى موضع يسمى القدر، فحدث لأهل هذا الموضع ما حدث لسابقه، ولما نزل المطرفية هجرة الظهراوين بشظب، وأطلقوا ألسنتهم بالنسب والأذى رماهم الله تعالى في موقعهم ذلك ببرد، فاجتاح أعنابهم وزروعهم خاصة دون أهل شظب<sup>(١٨١)</sup>.

هذه الأمور نسباً بين الإمام والمطرفية حتى سنة ٦١٠هـ/١٢١٢م، عندما خرج محمد بن منصور بن مفضل وكان يُدعى "المشرقي" لتردده بين وقش وممتلكاته في خولان العالية (المشرق)، فجمع المطرفية في وقش وغيرها، وتوجه بهم إلى مسور، وأنكر على الإمام ما وقع من تكفيرهم<sup>(١٨٢)</sup>، ولعل سلطان مسور كان قد وعدهم النصرة بالمقتل، حيث يتوجه المشرقي ومن معه من المطرفية ومن ناصره من رجال القبائل لمحاصر قوات الإمام في حصني عران والمصنعة<sup>(١٨٣)</sup>.

عمل الإمام على منع هذا التحالف والمتاصرة من القبائل للمشرقي أو المطرفية، فكفر المشرقي ومن تبعه، كما جعل موالاته كفر، ومن شك بكفر المطرفية فهو كفر أيضاً، يقول: "...الشقي المشرقي رأسهم وسانهم وسيفهم ولسانهم... المعلوم من حال الشقي أنه بنى أمره على الكذب... وذلك أنه ادعى الإمامة، وهو غير مستحق لها، وذكر أنه وحد كور دقيانوس (دقلد يانوس) وهي

ودائع آل قنبر.. فطوقته العار طوق الحمامة لما استوعب من الوديعة وادعاء من الإمامة<sup>(١١٨٢)</sup>، ثم يقول في تكفير من ناصر المشرقي: "...إن حكم من بايع المشرقي كافراً شقي وتصويبه كفر، وكذلك جبه والحرب زايد على ذلك، لأنه يتضمن النصرة والولاية.. وحكم تابعه حكمه"<sup>(١١٨٣)</sup>.

قرر الإمام أن يحسم أمر المطرفية بالقتال، فوجه أحاه يحيى بن حمزة إلى بني الفُليجي غربي مُدَع "فقتلهم وسباهم، وأرعب قلوب أهل تلك الجهة"<sup>(١١٨٤)</sup>، كان أمر السبي للنساء في هذه المعركة هو الأول من نوعه عند زيدية اليمن منذ عهد الهادي، حيث سُمِّي نساء المطرفية باعتبار دارهم دار حرب، وعلى أنهم كفار في نظر الإمام، وهناك العديد من النصوص الزيدية التي أباحت سبي النساء، وحرضت القبائل عليه منها: "...فلأحل ما قلناه جاز قتلهم، وسبي ذرائعهم، وغنم أموالهم، لأن هذا حكم المرتدين إذا تغلبوا في دار.. وإنما يُنكر سبي الكفار من لا يعرف الأثار فكيف يرتاب ذو عرقان في حواز قتل المطرفية وسبي ذرائعهم وتغنم أموالهم، وتنزيلهم منزلة الحربيين، مع عقنهم الكفرية التي زادوا في كثير منها على اليهود والنصارى، وغيرهم من الضلال الحيارى"<sup>(١١٨٥)</sup>، ويقول: "أنزل (الإمام) بهم أنواع لسكال من الفتنك والسبي وتغنم المال، وجعلهم بمنزلة الكفار الحربيين لأنهم كفروا وصارت لهم شوكة"<sup>(١١٨٦)</sup>، كما انطبقت بقية أحكام دار الحرب والدار الكفرية على المطرفية، فمساعدتهم صرية، وإذا باع المطرفي ما ورثه من قريبه المطرفي بعد إسلام البائع كان بيعه محتلاً إلا أن تكون لدار دار إسلام وينقل المطرفي إلى دار الإسلام، فأما في دار الكفر فلا يصح بيع المسلم، وإن أسلم أحد أزواج المطرفية دون الآخر انفسخ النكاح<sup>(١١٨٧)</sup>، وعن قوة النكاح بالمطرفية قال حميد المحلي: "وقد احتهد (الإمام عبد الله بن حمزة) في تدمير المطرفية وصب عليهم كل محنة وبلية، حتى صاروا بين قتيل وطريد، وأجرى فيهم الأحكام من القتل وسبي الذرية في البلاد الحميرية وغيرها من النواحي المغربية"<sup>(١١٨٨)</sup>.

كما أمر الإمام بهدم مسجد المطرفية في سناح، وهدم هجرة وقش دورها ومسجدها، وخرج أهلها إلى بلاد آنس وخولان، وذهبوا كل مذهباً<sup>(١١٨٩)</sup>.

كتب أحد المطرفية ويدعى ابن السناخ<sup>(١١٩٠)</sup> رسالة وجهها إلى الخليفة العباسي الناصر أحمد بن المستضيئ<sup>(١١٩١)</sup>، يحرص فيها على حرب الإمام<sup>(١١٩٢)</sup>، لكن هذا الخليفة كان من الصغف، بحيث لا يمكنه فعل أي شيء في حالة افتراض أن هذه الرسالة قد وصلت<sup>(١١٩٣)</sup>، إلا أن ما يلفت النظر استمرار الإنكار على السبي والقتل للمطرفية، واعتبار دارهم دار حرب، وهو الأمر الذي دفع الإمام إلى كتابة العديد من الرسائل للدفاع عن رأيه في المطرفية، منها: رسالة أسماها "أجوبة تتضمن ذكر

المطرفية"، وهي عبارة عن إجابات عن كثير من الانتقادات والتساؤلات، التي وصلت الإمام عبد الله بن حمزة بسبب قتله المطرفية، وسيبه لأبنائهم، ومصادرة ممتلكاتهم<sup>(١٩٨)</sup>.

ثم ألف "الرسالة الهادية بالأدلة البادية في بيان أحكام أهل الردة"<sup>(١٩٩)</sup>، لإقناع المنكرين بسلامة قراراته، وأنه بنى حكمه فيهم على أدلة لا تقبل الشك، لكن موجة الإنكار تواصلت مما دفع الإمام إلى تأليف رسالة أخرى بعنوان: "الرسالة الموسومة بالدرة اليتيمة في تبين أحكام السبا والغنيمة"<sup>(٢٠٠)</sup>، حيث يقول في سبب تأليفها: "... فلما تكرّر السؤال من الأصحاب وحق كل محب أن يجاب، أنشأنا هذه الرسالة وسميتها الدرة اليتيمة في تبين أحكام السبا والغنيمة..."<sup>(٢٠١)</sup>.

انحسر الفكر المطرفي وضعف أنصاره نتيجة لتلك الضربات الموجعة، وهو الأمر الذي دفع كثيرا منهم إلى الرجوع عن معتقداتهم، واعتناقهم مذهب الإمام، الذي ارتضاه لهم، وبوفاة الإمام عبد الله بن حمزة سنة ١٢١٤هـ/١٢١٧م، انحسرت موجة الصراع التي ميزت فترة حكمه، وأفسحت المجال أمام المناقشة والمجادلة التي تبناها بعض علماء المخترعة دون أن يكون ذلك بتكليف من السلطة الإمامية، ويبدو أن جهود هؤلاء العلماء قد حققت نتائج إيجابية<sup>(٢٠٢)</sup>، يقول أحد دعاة المخترعة -في منتصف القرن السابع- أنه قد صنف تصانيف كثيرة في أصول الدين، ثم قام بكتابة رسائل إلى المخالفين، فرجع كثير منهم، وجماعة وأقرباء من رؤساء المطرفية، والمطرفية أكثر من رجع إلى الحق، وذلك لما كانوا عليه من الحرف لله<sup>(٢٠٣)</sup>، وهذا يعني أن مذهب المطرفية قد خرج من صراعه مع الإمام عبد الله بن حمزة في حالة من الضعف، فبدأ في الذبول، فلم يأت منتصف القرن الثامن الهجري إلا وكان المذهب المطرفي قد تلاشى تماما<sup>(٢٠٤)</sup>، وقد ذهب البعض بأن الفكر المطرفي استمر في بلاد اليمن نحو ثلاث مائة سنة<sup>(٢٠٥)</sup>.

## الهوامش

١- عيد الفتح فؤاد: الإمام الزيدي أحمد بن سليمان وآراءه الكلامية، دار الدعوة، الاسكندرية، ط١، ١٩٨٦م، ص١٤٨.

٢- يذهب الأستاذ الدكتور محمد الحريري إلى تقسيم تاريخ زيدية اليمن إلى ثلاثة مراحل: المرحلة الأولى تبدأ من عهد الإمام الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين حتى انهيار دولة الأئمة الزيدية في سنة ٤٤٤هـ، وخلال هذه المرحلة نجح الإمام الهادي في نقل المذهب الزيدي من مرحلة العكر النظري إلى مرحلة التطبيق العملي، فأزدهر المذهب الزيدي وتعددت المؤلفات فيه حيث كان على رأس المؤلفين في هذه الفترة الأئمة الزيدية أنفسهم وأتباعهم، والمرحلة الثانية: تبدأ بانشقاق مطرف بن شهاب عن الزيدية، ونشوء فرقته التي تنسب إليه فرقة المطرفية، ودخولها في صراع مع أئمة الزيدية، ومنهم الإمام أحمد بن سليمان، والفاضل جعفر بن عبد السلام، الذي جلب كتب المعتزلة من العراق، وناظر بها المطرفية، وبذلك تأثر زيدية اليمن في هذه المرحلة كثيراً بكتب المعتزلة، المرحلة الثالثة: تتميز بظهور جيل جديد من علماء الزيدية معارضين للتأثر الزيدي بالمعتزلي، وقاموا بحركة كبرى لأحد المذهب الزيدي في صورته التي كان عليها زمن قدامى الزيدية، وكانت بداية ذلك في مطلع القرن السادس الهجري، ومن أمثلة هؤلاء العلماء: حميدان بن حميدان، وعبد الله بن زيد المسمي، انظر: (د محمد عيسى الحريري، تطور المذهب الزيدي في اليمن قطعة مختصرة من كتاب شعاع صبور الناس لأحمد بن محمد بن صلاح الشرقي، صفحات (٤٤-٧٥)، المحلة العربية للمصوم الإنسانية، جامعة الكويت، العدد السادس والعشرون، المجلد السابع، ربيع ١٩٨٧م، ص٥٣-٥٨).

٣- سُئِنَتْ المختصرة بهذا الاسم لقولها باحتراع الله الأعراض في الأجسام، انظر: (علي بن الحسن بن القاسم، ذوب الذهب في محاسن أهل الأدب، مخطوط معهد المخطوطات العربية، القاهرة، رقم ١٠٥٦، تاريخ، ورقة ١٤٠، ابن جمال الدين بن الهادي بن إبراهيم بن علي بن المرتضى، تاريخ السادة العلماء الفضلاء الأئمة (بني الوزير) علماء الزيدية، مخطوط معهد المخطوطات العربية، القاهرة، رقم ٩٥٦، تاريخ، ج١، ورقة ١٣٤، ج٢، ورقة ٢٠١، أمين فؤاد سيد: مصادر تاريخ اليمن في العصر الإسلامي، المعهد الفرنسي للأثار الشرقية، القاهرة، ١٩٧٤م، ص٩١)، ويستمد دليل الاختراع فحواء من الآيات القرآنية المثيرة لدفنان العقول، في الوقوف على معرفة مرجع هذا الكون، وهذه الآيات كثيرة منها: "إن في خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار" إلى قوله تعالى: "الآيات لقوم يعقلون" (البقرة/ ١٦٤) وقوله تعالى: "آية لهم الأرض لميتة أحْيَيْناها وأخرجنا منها حَبًّا قَمَته يَأْكُلُونَ" (يس/ ١٦٤)، وكما يقول ابن رشد أن هذا الدليل من أدلة الشرع على الصانع، وبحرره بقوله: "إن هذه الطريقة تستفي على أصليين موحدين بالثقة في قطر الناس، أحدهما: أن هذه الموجدات مخسرة، وهذا معروف بنفسه في الحسبان والبيان، وكما قال تعالى: "إن الذين يدعون من دون الله لى يخلقوا دهباً ولو اجتمعوا له" (الحج/ ٧٣).

فإننا نرى أجساماً جسادية تحدث فيها الحياة، فتعلم قطعاً أن هاهنا موجد للحياة وصعباً بها. أما الأصل الثاني: فهو أن كل مُخْتَرَعٍ هله مُخْتَرَعٌ، فيصح من هذين الأصلين أن للموجودين فاعلاً محترعاً له. وفي هذا الجس دلائل كثيرة على عدد المخترعات كان واجباً على من أراد معرفة الله أن يعرف جواهر الأشياء. . . ليقف على حقيقة الاختراع الحقيقي في جميع الموجودات (أحمد عارف: أصول الاتفاق في القضايا الكلامية، رسالة ماجستير، كلية دار العلوم، جامعة القاهرة، ١٩٨٢م، ص ١٤٧، ١٤٨)، ويذهب المخترعة إلى أن أفعال الله تعالى قسمين: قسم مخترع ابتداءً وقسم مخترع متولد عن سببه، ولو شاء الله لأبطل سبب السبب، فلم يحصل عنه السبب، وهو ما يذكره الإمام عبد الله بن حمزة إذ يقول في الشافي: "لأنه سبحانه يفعل أفعاله اختراعاً سواء كانت مبتدأة أو متولدة فإن المتولد في حكم المبتدأ". انظر: (بدر الدين الحوثي) حوار حول المطرفية تعليق على مقال: "الجماعات - المساجد في شمال اليمن، مجلة المسار، مركز التراث والبحوث اليمني، صنعاء، المجلد الثاني، العدد الثاني، ٢٠٠١م، ص ٧٠).

٤- يحيى بن الحسين: طبقات الزيدية الصغرى، نسخة مصورة لدى الباحث عن نسخة لدى الدكتور عبد الرحمن الشجاع، ورقة ٧٣، ٧٤، أحمد عارف: المرجع السابق، ص ٣، "يؤيد فؤاد سيد: مصدر تاريخ اليمن، ص ٩٠،

٥- انظر: عبد الله الحبشي المطرفية مذهب مجهول في اليمن، مجلة السنين الجديدة، صفحات (٤٧-٥١)، العدد الثالث، السنة السادسة، نوفمبر ديسمبر ١٩٧٧م، ص ٤٧.

٦- يحيى بن الحسين: أنباء الزمن، مخطوط بالمكتبة العربية بالجامع الكبير بصعفا، رقم (٤٤٧)، ورقة ٣٧، عبد الله الحبشي. المطرفية مذهب مجهول في اليمن، ص ٤٧، ويذكر مدلولونج أن مطرف بن شهاب عاصر الإمام الحسين بن القاسم العياني. انظر: Wilferd Medelung Islam in Yemen, Yemen 3000 Years of Art and Civilisation in Arabia Felix, at The Staatliches Museum für Völkerkunde München (25 April 1987 to 5 April 1988), Published by Pinguin-verlag, Innsbruck. Umschau-Verlag, Frankfurt/Main, PP. 174-177. P 178.

٧- يحيى بن الحسين: طبقات الزيدية، ورقة ٨٢. القاضي إسماعيل الأكوخ: هجر العلم ومعاقله في اليمن، دار الفكر، بيروت، ط ١، ١٩٩٥م، ج ١، ص ١٦٦، ١٦٧.

٨- ابن أبي الرجال: مطلع البدر، مخطوط مصور لدى الباحث عن نسخة الدكتور عبد الرحمن الشجاع، ر. ج ١، ص ١٦٥.

٩- بينما ذهب آخرون إلى أن مؤسس المطرفية هو مطرف بن شهاب. انظر: (ويلفرد مدلولونج أصول الهجرة اليمنية، ص ٢٠، إسماعيل الأكوخ: الزيدية نشأتها ومعتقداتها، دار الفكر المعاصر، بيروت، ط ٢، ١٩٩٣م، ص ٥٥)

١٠- رتد. يفتح أوله، مدينة باليمن على مسيرة يوم من صنعاء، ذات عيون وكروم. (يحيى بن الحسين، عناية الأمانى في أحيار القطر اليمني، تحقيق: سعيد عبد الفتاح عاشور، دار الكتاب العربي، القاهرة، ١٩٦٨م، ج١، ص ١٧٧، هامش ٢)، وهي على بعد ٧٠ كيلو مترا من صنعاء. (إسماعيل الأكوخ، البلدان اليمنية عند ياقوت الحموي، الجبل الجيد، صنعاء، ط٢، ١٩٨٨م، ص ١٣٥، هامش ١).

١١- هو مطرف بن شهاب بن عمرو بن عباد الشهابي، (إبراهيم بن القاسم، طبقات الزيدية الكبرى، ويسمى بلوغ المراد إلى معرفة الأساس، تحقيق: عبد السلام عباس الوجه، مؤسسة الإمام زيد بن علي الثقافية، عمان، الأردن، الطبعة الأولى، ٢٠٠١م، القسم الثالث، المجلد الثاني، ص ١١٢٥، الأكوخ: هجر العلم، ج١، ص ١٦٥)، كان يعمل حرثاً، ثم كره العمل واتجه إلى طلب العلم، فترك بيت حصص غربي صنعاء، واستعان بما معه من أموال على الدراسة في صنعاء. وريدة على شيخ عصره (يحيى بن الحسين، طبقات الزيدية، ورقة ٨٢، الأكوخ: هجر العلم، ج١، ص ١٦٥، ١٦٦)، لذلك ذهب البعض أن من أبرز مهام المطرفية نشر أفكارها في أوساط القبائل والمزارعين، فشرعت التعليم في أوساط شعبية لم تكن تاريخياً من الأسر والسوت التي تهتم بتحصيل العلمي (علي محمد زيد: تيارات معتزلة اليمن، في القرن السادس الهجري، المركز الفرنسي، صنعاء، ط١، ١٩٩٧م، ص ٩، وكان مطرف منقطع النظر في المجادلة وإغحام الخصوم بالحجة والدليل. من ذلك مسطرته لعلي بن محمد الصليحي، الذي حاول إخراجهم عن مذهبه، فابتدأ أصليحي مسطرة مطرف بقوله: بن النبي صلى الله عليه وسلم- قال: "ستختلف أمتي على ثلاث وسبعين فرقة كلها هلكة إلا واحدة، فقال مطرف نعم قال صلى الله عليه وسلم، الحق ما اجتمعت عليه الأمة والباطل ما اختلف فيه، ولن تجتمع أمتي على ضلالة، وقد اجتمعت أنا وأنت على إمامي، -يعني علي- واختلعا عند إمامك، يعني إمامة المهدي العبيدي، فأعرض الصليحي عنه. (أحمد عارف، مقدمة في دراسة الاتجاهات الفكرية في اليعنيد بين القرن لثالث والخامس الهجري، المؤسسة الجامعية، بيروت، ط١، ١٩٩١م، ص ١٧٨).

٢١- علي بن الحسين بن القاسم بن أحمد بن المصور، دوت الذهب في محاسن أهل الأدب، ورقة ١٤، ابن حمال الدين ابن الهادي بن المرتضى: تاريخ السادة العلماء الفضلاء الأئمة (ابن الوزير) علم، الزيدية، ج١، ورقة ١٣٣، ج٢، ورقة ١٩٩ يحيى بن الحسين، طبقات الزيدية، ورقة ٨٢، أحمد عارف، لمرجع السابق، ص ١٧٨، د. محمد الحبري: تطور المذهب الزيدي في اليمن، قطعة مترعة من كتاب شد، صدور الباس للشرقي، المجلة العربية للعلوم الانسانية، جامعة الكويت، العدد ٢٦، المجلد السابع، ١٩٨٧م، صفحات (٤٤- ٧٥) ص ٥٥. Al-Qadi Isma'il Bin Ali al-Akwa', Nashwa'n. Ibn Sa'd al-Himyari' and the Spiritual, Religious and Political Conflicts of his Era. Yemen 3000 Years of Art and Civilisation in Arabia Felix, at= "The Staatliches Museum Fur Volkerkunde Munchen (25 April 1987 to 5 April 1988), published by Pinguin-verlag, Innsbruck Umschau-Verlag, Frankfurt/main, PP.212-231 P 215

- ١٣- عبد الله العسّي: التمييز بين الإسلام والمطرقية الطعام، مخطوط مصور لدى الباحث، عن صورة لدى محمد جعفر الباحث في جامعة أمسيوط، ورقة ٦، لوحق.
- ١٤- عبد الله زيد العسّي: التمييز بين الإسلام والمطرقية الطعام، ورقة ٥٧، لوحق، ٥٨، لوحقاً.
- ١٥- علي بن الحسين بن القاسم: ديب الذهب، ورقة ١٤٠، يحيى بن الحسين: طبقات الزيدية، ورقة ٨٧.
- ١٦- عبد الله العسّي: التمييز بين الإسلام والمطرقية، ورقة ٥٨، لوحق، عبد الغني عبد العاطي المرجع السابق، ص ١١، ١٢.
- ١٧- د. عبد الغني عبد العاطي المرجع السابق، ص ١٢.
- ٨١- (عبد الله بن حمزة: أجوبة تضمن ذكر مطرقية وأحكامها، ص ١٤٣، ضمن كتاب الصراع الفكري في اليمن للدكتور عبد الغني عبد العاطي، صفحات ١٤٢-١٧٤) عن الدراسات، القاهرة، ط ١، ٢٠٠٢ م.
- ١٩- د. عبد الغني عبد العاطي: الصراع الفكري في اليمن، ص ١٤.
- ٢٠- بيت حُتْبَص: قرية في لعرب الجسوبي من صنعاء. (المحققي معجم المدن ولقبائل البسيمة، دار الكلمة، صنعاء، طبعة ١٩٨٥ م، ص ١٦١)، وهي قرية عامرة من محلات بني شهاب الأعلى، وكانت قديماً من محلات المُعْتَل من بني مطر وأعمال صنعاء، وهي في العرب الجسوبي صه، كانت من القرى المشهورة بالعلم والعلماء، وكانت من مراكز المطرقية. (الأكرع: هجر العلم ومعاقله في اليمن، ج ١، ص ١٦٣، ١٦٤).
- ٢١- سِنَاع: قرية على بعد ٨ كيلو مترا من صنعاء، كانت مقراً للمطرقية. (المحققي: المرجع السابق، ص ٢١٤)، وقيل تبعد عن صنعاء ١٠ كيلو متراً. (د. الحبري: تطور المذهب الريدي في اليمن، ص ٥٥).
- ٢٢- هِجْرَة: هي مفرد هِجْرَات، وهو موضع يسكنه العُباد وأهل العلم. (محمد رضا الدجيلي: الحية الفكرية في اليمن في القرن السادس لهجري، المكتبة الوطنية، بغداد، ١٩٨٥ م، ص ٦٠).
- ٢٣- يحيى بن الحسين: طبقات الزيدية، ورقة ٨٠.
- ٤٢- د. عبد الغني عبد العاطي: الصراع الفكري، ص ١٧، ١٦.
- ٢٥- مسلم اللحجي. أخبار الأئمة من أهل البيت وشيعتهم باليمن، مخطوط مصور لدى الباحث عن صورة لدى الدكتور / عبد الرحمن الشجاع، ج ٤، ورقة ٩٩.
- ٢٦- عبد الله الحبشي: المطرقية مذهب مجهول في اليمن، ص ٤٨.

٢٧- عبد الله بن زيد العنسي: التعبير بين الإسلام والمطرقية الطعام، ورقة ١، لوحة أ.ب.

٢٨- اللنجي: المصدر السابق، ج٤، ورقة ٥٢.

٢٩- المصدر السابق، ج٤، ورقة ١٢.

٣٠- المصدر السابق، ج٤، ورقة ٥٢.

٣١- عَمْس: يفتح أوله وسكون ثانيه، وآخره سين مهملة، محلال كان يُطلق على كثير من مخاليف ذمار المعروفه اليوم، ولكنه اليوم يطلق على مخالف عمس السلامة، ويقع في مشرق ذمار، على مسافة خمسة عشر كيلو متر أو أكثر، وينسب إليه العلماء بنو العنسي الساكنون في ذمار وغيرها. (الأكوع، البلدان اليمنية، ص ٢١٣، هامش ٣).

٣٢- اللنجي: أخبار الأئمة، ج٤، ورقة ١٢، يحيى بن الحسين: طبقات الزيدية، ورقة ٩٢.

٣٣- المصدر السابق، ج٤، ورقة ١٣.

٣٤- حول ذلك أنظر: (عمدة السمي تاريخ سمر، تحقيق محمد ريسهم، دار الحبل، بيروت، ط١، ١٩٩٢م، ص ٥١، عبد الرحمن بن الديبع قرة العيون في أخبار اليمن لليمون، تحقيق: محمد علي الأكوع، المكتبة السلفية، القاهرة، ١٩٥٤م، ص ٢٦٧، عبد الرحمن الوصفي تاريخ وصاب المسمى الاعتبار في التواريخ والأخبار، تحقيق عبد الله الحشني، مركز الدراسات والبحوث اليمني، صنعاء، ١٩٨٣م، ص ٤٠. يحيى بن الحسين: غاية الأمان في أخبار القطر اليمني، تحقيق: سعيد عبد الفتاح عاشور، دار الكتاب العربي، القاهرة، ١٩٦٨م، ج١، ص ٢٦٧، د. عصام الدين الفقي: اليمن في ظل الإسلام دار الفكر العربي، القاهرة، ط١، ١٩٨٢م، ص ١٧٠، أمين فؤاد سيد: المذاهب الدينية في بلاد اليمن حتى نهاية القرن السادس الهجري، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ط١، ١٩٨٨م، ص ١٥١، عرف تامر: أروى ملكة اليمن، دار الأصوات، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٨م، ص ٧٣، السجلات المستنصرية، سجل رقم ٣٧، صفحات (١٢٦، ١٢٧)، وسجل رقم ٣٨، صفحات (١٢٨، ١٢٩)، وسجل رقم ٢٢، صفحات (٨٠-٨٢).

٣٥- د. عبد الفتحي عبد العاطي: الصراع الفكري في اليمن، ص ١٨، ورغم ذكر ذلك فإنه من غير الواضح أن سباً الصليحي قام بالهجوم على سناح، وإنما قام بتهديد المطرقية فيها، وما ذكره مسلم النجدي يؤكد ذلك، حيث يشير إلى أن المطرقية هم من قرر ترك سناح، فيقول: "لما فسد على الزيدية أمر سناح، وأنجمو على الخروج عنها" (النجدي: المصدر السابق، ج٤، ورقة ٨٩)، ويقول: "لما اضطرت الزيدية إلى الخروج عن سناح" (النجدي: المصدر السابق، ج٤، ورقة ٧٧)، ولكن التساؤل من الذي أفسد عليهم مدينتهم؟ أو من صطّهم للخروج عنها والإجماع على تركها؟ خاصة أنه من المستبعد أن يكون من أفسدها من داجنها.

إذا علمت أنها كانت هجرة للمطرقية وحدهم، ومن تبعهم، أو من قدم لمناظرتهم ثم يرحل عنهم بعد ذلك، إلا أن خروجهم عنها قد يكون لتأكدهم من هجوم محتمل من قبل سبأ الصليحي عليها، حيث كان قد عزم على ذلك بعد أن استطاع أحد المقربين إليه ويدعى محمد بن حميد التأثير على سبأ وتغييره تجاه المطرقية. (اللاحجي: المصدر السابق، ج٤، ورقة ١٤٢) وبالتالي فليس هناك ما يؤكد تقدم سبأ الصليحي إلى سناح وتدميرها.

٣٦-اللاحجي أخبار الأئمة، ج٤، ورقة ٧٧، ٧٨، عبد الله الحبشي. المطرقية مذهب مجهول، ص ٤٨.

٣٧-القبائل التي استشارها إبراهيم ابن الهيثم هي قبائل: بني شهاب، وحمير البدوية، وحضور، وسبأ، قضاعة. وحدثن نهد (وليفرد مادلونج. أصول الهجرة اليمنية، ص ٢١، ٢٢).

٣٨-اللاحجي: المصدر السابق، ج٤، ورقة ٧٨.

٣٩-انظر:اللاحجي: المصدر السابق، ج٤، ورقة ٧٨.

٤٠-اللاحجي:المصدر السابق، ج٤، ورقة ٥٩.

٤١-انظر:د.سيد مصطفى سالم: وثائق مهمة دراسة وثائق نابغة، طبعة دار لكتب المصرية، القاهرة، ١٩٨٢م، ص ٢٢٠-٢٢١.

٤٢-المصدر السابق، ج٤، ورقة ٧٨.

٤٣-المصدر السابق، ج٤، ورقة ٧٨، وقد ازدهرت هجرة وقش بالعلم والعلماء حتى بلغ مجموع من فيها من العلماء والمفتين نحو خمسمائة عالماً وقاضياً. وكان أكثر اجتماعهم في خلوة الحديث بمسجد وقش. (عبد الله الحبشي: المرجع السابق، ص ٤٩).

٤٤-سليمان المحلي: البرهان الرائق، ورقة ٢٣٧ لوحة أ.

٤٥-مثل هجرة الروعة بالطرف من حضور الأحبوب، وهجرة جنب، التي تعرف بعين. (اللاحجي: أخبار الأئمة، ج٤، ورقة ٩٨، ١٠٤)، ويظهر من الموضع التي انتشر فيها المطرقية أنها في معظمها كانت (هجرة) تقع في مناطق قريبة من صنعاء، وفي تهامة، وفي أرض بكيل على الجانب الشرقي للخط الممتد بين صنعاء وصعدة (د.الحري: المرجع السابق، ص ٥٥).

٤٦-د. محمد الحريزي: تطور المذهب الزيدي في اليمن، ص ٥٧.

٤٧-د محمود إسماعيل: الفرق الإسلامية في طور الانحطاط، صفحات (١٤٨-١٥٨)، مجلة العصور الجديدة، القاهرة، السنة الأولى، العدد العاشر، يونيو ٢٠٠٠م، ص ١٥٣.

٤٨- إبراهيم بن القاسم بن المؤيد بالله: طبقات الزيدية الكبرى، القسم الثالث، المجلد الثاني، ص ١١٢٥، الأكرع: هجر العلم ومعاقله، ج١، ص ١٦٦، عبد الغني عبد العاطي: الصراع الفكري في اليمن، ١٣، ١٤.

٤٩- د. عبد الغني عبد العاطي: الصراع الفكري في اليمن، ص ١٤، غير أن يحيى بن الحسين يذكر: "إن كانت الأصول التي أحدثها المطرفية من أقوال الهادي بعده قبيحا يستدلون به على الإمامة والاستحالة، فإن أقوال الهادي مجملة لا تصرح فيها بما يذهب إليه القوم، وإنما أحدث هذا الرأي مطرف بن شهاب بفكره ونظرته، وتوهم أنه يوافق أصول الهادي وهي موافقة بعيدة" انظر: (يحيى بن الحسين: طبقات الزيدية، ورقة ١٠٨).

٥٠- يحيى بن الحسين: المصدر السابق، ورقة ٨٤، الأكرع: هجر العلم، ج١، ص ١٦٦.

٥١- مسلم اللحجي: أخبار الأئمة، ج٤، ورقة ٣، ٤، وهو ما يؤكد صاحب البرهان الرائق من أنه سبكتب مصغه هذا، وينتزع ما يستخصه من كتب العلماء مما يوافق مذهب الهادي يحيى بن الحسين، (سليمان بن محمد بن أحمد المحلي: البرهان الرائق المخلص من روط المضائق، مخطوط مصور لدى الباحث عن صورة لدى الدكتور/عبد الرحمن الشجاع، ورقة ٢)، ويستشهد بكلام المرتضى بن الهادي ووالده الإمام الهادي، وخاصة كتاب المسترشد للهادي (المحلي الحدائق الوردية، ورقة ٧٨، لرحيق).

٥٢- علي بن شهر: هو رأس فرقة المخترعة من الزيدية، وكان إماماً واسع المعرفة في علوم الزيدية، وكان مقيماً في "بيت أكلب" من نواحي جبال عيال يريد، شمال صنعاء (ابن المرتضى: تاريخ السادة، (بني الوزير)، ج٢، ورقة ١٩٩، يحيى بن الحسين: طبقات الزيدية، ورقة ٧٤).

٥٣- المجبوري: روضة الأخبار، مخطوط بمعهد المخطوطات العربية، القاهرة، رقم (٤٣٦) تاريخ بين شمالي، ج٤، ورقة ١٠٤، لوحة ب.

٥٤- سبق القول بأن فرقة المخترعة سميت بهذا الاسم لقولها باختراع الأعراض في الأجسام، إلا أن المطرفية ترى في الاختراع أن الأعراض متفرعة من الأجسام وينسبون هذا القول للإمام الهادي. فإذا كانت الأعراض فرعاً للجسم فالقول باختراعها باطل، لأن القائل باختراع الأعراض في الجسم يلزمه أن يُخَوِّرَ تعري الجسم منه لا سيما إن أنكر أن له علة. (سليمان المحلي: البرهان الرائق، ورقة ٧٨، لوحة أ، ب).

٥٥- عبد الله بن زيد العنسي: الرسالة الناطقة بصلال المطرفية الزنادقة، ص ٢٨٨، رسالة ضمن كتاب الصراع الفكري في اليمن، للدكتور: عبد القسي عبد العاطي، صفحات (٢٧٤-٢٨٩).

٥٦- المصدر السابق، ص ٢٨٨، كما دخل الزيدية في جدال ومناظرة مع العديد من علماء المخترعة، مثل محمد بن حميد الريدي، والعلامة سبيد بن بريه، (عبد الله بن حميد الدين: الزيدية قراءة في لمشروع وبحث في المكونات، مركز الرائد، صنعاء، ط ١، ٤، ٢٠٠٤، ص ١١١).

٥٧- كما قام المطرانية بعقد مناظرات مع الإباضية فقد حدث أن رجل رزام بن أحمد من علماء المطرانية إلى شطب قاعدة الأباضية فصلى بأصحابه في جماعة متعصبة عن جماعة الأباضية، ولما استنكر عليه أحد علمائهم ذلك قال لهم- رزام إنما صَدُّنا عنكم ما نرى من تهرج سناكم وإباحتم دخولهن الأسواق، ومزاحمة الرجال، ثم جرت بينهم مناظرة فلم يستطعوا إجابته. (عبد الله الحبشي: المطرانية مذهب مجهول، ص: ٥٠).

٥٨- يحيى بن الحسين: طبقات الزيدية، ورقة ١٠٦.

٥٩- ابن أبي الرجال: مطلع البدر، ج٣، ص ٨٤، ٨٥، ٨٦، يحيى بن الحسين: المصدر السابق، ورقة ١٠، ١٠١.

٦٠- من أشعاره ضد المطرانية: يا قوم إِنَّا مِنْ هُمْ نَرَاهُمْ هم واليهود عندنا سواء وفي قصيدة أخرى قال: ومرجف يرفج في سوق سُدْر ما بين ذبيان وما بين عدر. (ابن أبي الرجال: مطلع البدر، ج٤، ورقة ٦٠٢).

٦١- يحيى بن الحسين: طبقات الزيدية، ورقة ٩١.

٦٢- الحريري: تطور المذهب الزيدي في اليمن، ص ٥٦.

٦٣- أنظر: عبد الله الحبشي: المطرانية مذهب مجهول، ص ٥٩.

٦٤- بيع للإمام أحمد بن سليمان بالإمامة في صفر سنة ٥٣٢هـ/ ١١٣٧م. (الثقفي: سيرة الإمام أحمد بن سليمان، عين للرسائل، القاهرة، ط ١، ٢٠٠٢م، ص ١٨، أحمد بن صلاح الشرفي: اللائق المضية في أخبار أئمة الزيدية، محفوظ بمعهد المخطوطات العربية، بالقاهرة، رقم (١٩٤٠)، تاريخ، ج ٢، ورقة ١٥٨، لوحة ب، ترتيب من قبل الباحث، د. محمد الحريري: تطور المذهب الزيدي في اليمن، ص ٥٦)، وإن كان البعض يذهب إلى أن خروجه كان في سنة ٥٣٣هـ/ ١١٣٨م. انظر: H A R. Gibb And J.H Kramerst, Shorter Encyclopaedia of Islam, P.652

٦٥- ينصح ذلك من قول شيخ المطرانية عيسى بن محمد الكرندي عندما سُئِلَ عن الإمام أحمد بن سليمان والثناء عليه. فقال "إبكم إذا ذكرتم مثل هنا بلعة قطع فيما لا يحل له ولا لكم. فهلك وهلكتم، فلا يسمعنكم هذا الكلام". (الحبشي: المطرانية مذهب مجهول، مجلة اليمن الجديد، العدد الأول، ١٩٧٨م، ص ٣٨).

٦٦- محمد بن عتيان هو وائد الشيعة في اليمن بوقش، يابغ مع حوالة للإمام أحمد بن سليمان (الثقفي: المصدر السابق، ص ١٣٢، ١٣٣).

٦٧- ابن المرتضى: تاريخ السادة (بني الوزير)، ج ٢، ورقة ٢٢٢.

٦٨- سليمان الثقفي: المصدر السابق، ص ١٦٩.

٦٩- الجماهلي: قرية من عرلة محلاف صوران، ناحية خوران فصاء آنس محافظة ذمار. (المصدر السابق، ص ٢٤٧، هامش ٢ للمحقق).

٧٠- الثقفي: سيرة الإمام أحمد بن سليمان، ص ٢٤٧، ٢٤٨.

٧١- هو القاضي جعفر بن أحمد بن عبد السلام، كان في مرحلة مبكرة من حياته يتبع المذهب المظفرى، ثم لم يلبث أن خرج منه والتحق بالفرقة المعتزلة، وناصر الإمام أحمد بن سليمان، تلميذ على يد الشيخ ريد بن الحسب البيهقي الذي قَدِمَ من خراسان، ثم عزم على التوجه معه إلى العراق لإكمال تعلمه عن يديه، فمات شيخه في الطريق، ولم يشه ذلك عن إقدام الرحلة، فعزل وظل في العراق يطلب العلم حتى قبل ذهب إلى العراق وهو أعلم أهل اليمن وعاد وهو أعلم أهل العراق، كان أبوه باطنياً إسماعيلياً، حيث كان قاضي الدولة الصديقية في عهد لسدة أروى بنت أحمد. وعاد القاضي جعفر من العراق بالعلوم التي لم يصل بها سواه من الأصول والفروع والمفول والمسموع، وعموم القرآن، وتوفي بسامح حدة جنوبي صنعاء سنة ٥٧٣هـ. (إبراهيم بن القاسم: طبقات الزيدية الكبرى، القسم الثالث، المجلد الأول، ص ٢٧٦-٢٧٨، يحيى بن حسين: طبقات الزيدية، ورقة ١٢٦، عبد السلام عباس الوجيه: أعلام المؤلفين الزيدية، مؤسسة الإمام زيد الثقافية، الأردن، ط ١، ١٩٩٩م، ص ٢٧٩-٢٧٩ ابن المرتضى تاريخ السادة (بني الوزير)، ج ٢، ورقة ٢١١، ٢٢٣، ٢٢٤. عني بن الحسب بن القاسم: دواب الذهب في معاني أهل الأدب، ورقة ١٣٩، أحمد صحي: في علم الكلام، (١) لمعتزلة، النهضة العربية، بيروت، ط ٥، ١٩٨٥م، ص ٣٥٣، لريدية، الزهرة، القاهرة، ط ١، ١٩٨٥م، ص ٢٢٦).

٧٢- وقد ذهب البعض إلى اعتبار القاضي جعفر بن عبد السلام أول من أدخل كتب المعتزلة إلى اليمن وقالوا بأن اليمن لم تعرف كتب المعتزلة قبل ذلك التاريخ، الذي حدده بسنة ٥٥٤هـ انظر: (د صحي، المرجع السابق، ص ٣٥٣، الزيدية، ص ٢٢٦)، وقد اعتمد هذا القول على ما ذكره يحيى بن الحسين في غاية الأمان. "من أن كتب المذهب المعتزلة ظهرت في عهد الإمام أحمد ابن سليمان بعناية القاضي جعفر بن عبد السلام، ولم تكن قد ظهر قبلاً". (غاية الأمان، ج ١، ص ٣١٨). وكان استجلاب الكتب من قبل الإمام أحمد بن سليمان والإمام عبد الله بن حمزة، من أجل الدفاع عن دولتهم، أمام الفرق المشقة عنهم مثل المظفرية، فعلاّت عزّزتهم بالمعارف المختلفة، والمخرون الثمين من تراث معتزلة. (أحمد عارف: أصول الاتفاق، ص ٥٨-٥٩).

٧٣- د. محمد الحريري: تطور المذهب الزيدي في اليمن، ص ٥٦، ٥٧.

٧٤- عبد الله الحبشي: المظفرية مذهب مجهول في اليمن، مجلة اليمن الجديد، العدد الأول، ١٩٧٨م، ص ٤٠.

٧٥- سليمان الثقفي: سيرة الإمام أحمد بن سليمان، ص ٢٨١-٢٨٢.

٧٦- ثم تقتصر مناظرة جعفر بن عبد السلام للمطرقية بل ناظر أهل السنة، أو كما يسميهم بالجزيرة والمشبهة، وهو الأمر الذي دعا العالم السني يحيى بن أبي الخير العمراني الحنبلي أن يتصدى لهذا القاضي، وقد وضع كل واحد منهما مؤلفاً يرد فيه على الاتهامات التي أوردتها كل منهما على معتقدات الآخر. (أحمد عارف: مقدمة في دراسة الاتجاهات الفكرية في اليمن، ص ١٨٦).

٧٧- الثقفي: سيرة الإمام أحمد بن سليمان، ص ٢٨٣.

٧٨- المصدر السابق، ص ٢٤٨، ٢٨٣، عبد الله الحبشي: المطرقية مذهب مجهول، ص ٤١، الرحيف: اللوائح المدنية، ج ٢، ص ٧٧٣.

٧٩- المصدر السابق، ص ٢٨٤.

٨٠- المصدر السابق، ص ٢٩٧، ٢٩٨.

٨١- يرى المطرقية في الإمام أن يكون 'علم الناس وأفضلهم'. (أحمد شوقي: الزيدية في اليمن ودورهم السياسي، مجلة كلية الآداب سوهاج، جامعة أسيوط، العدد ١٥، ١٩٩٤م، ص ١١٨)، كما ذهبوا إلى عدم حصر الإمامة في أولاد لحاطة، (فؤاد عيد الفتاح: الإمام أحمد بن سليمان وآراؤه الكلامية، ص ١٥١).

٨٢- د. محمد الحريري: تطور المذهب الزيدي في اليمن، ص ٥٥. بل إن بعض علماء المطرقية ك شيخ محمد بن علي الأنومى كان يسكر قيام أحد من أئمة الزيدية بالإمامة في اليمن إلى يوم القيامة. (المرجع السابق، ص ٥٥).

٨٣- ابن المرتضى: تاريخ السادة (بني الوزير)، ج ٢، ورقة ٢١٧، إسماعيل الكعوك: هجر العلم ومعاقله، ج ١، ص ٥٣٩.

٨٤- د. عبد الغني محمود عيد العاطي: الصراع الفكري في اليمن، ص ٣٥.

٨٥- هو الإمام المصور بالله عبد الله بن حمزة بن سليمان بن حمزة بن علي بن حمزة بن أبي هاشم الحسن بن عبد الرحمن بن يحيى بن عبد الله بن الحسين بن القاسم بن إبراهيم بن إسماعيل بن إبراهيم بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب. (الرحيف: اللوائح المدنية، ج ٢، ص ٧٩٩-٨٠٠)، ولد سنة ٥٦١هـ/١١٦٥م، ويرجع له بالإمامة سنة ٥٩٣هـ/١١٩٦م، وتوفي سنة ٦١٤هـ/١٢١٦م. (العرشي: بلوغ المرام، ص ٤٠٩، الواسعي: تاريخ اليمن، ص ١٩١، ١٩٢).

٨٦- يحيى بن الحسين: أباء الزمى، ورقة ٥٥، عتبة الأمانى، ج ١، ص ٣٢٩، ٣٣٠، حيث تقدر هذه الفترة

بحوالي ١٧ عاماً، ثم ترك عبد الله بن حمزة الاحتساب بعدها وقام بالإمامة سنة ٥٩٣هـ/١١٩٦م، فكان الانقطاع للمرة الثانية بقدر بحوالي عشر سنوات، مما بين احتساب عبد الله بن حمزة وقيامه بالإمامة. أنظر (يحيى بن الحسين: غاية الأمانى، ج١، ص ٣٢٩، ٣٤١).

٨٧- على محمد زيد: تيارات معتزلة اليمن، ص ١٥٩.

٨٨- عبد الله الحيشي: المطرانية مذهب مجهول في اليمن، مجلة اليمن الجديد، العدد الأول، ١٩٧٨م، ص ٣٩.

٨٩- يحيى بن الحسين: أنباء الزمن، ورقة ٥٧، غاية الأمانى، ج١، ص ٣٤١.

٩٠- أبو فراس بن دعثم: السيرة الشريفة المصورية، در الفكر المعاصر، بيروت، ط ١، ١٩٩٣م، ج ٢، ص ٨٩. حيث ولى الإمام عبد الله بن حمزة على وقش ويلاه بني مطر ويلاه بني شهاب السلطان محمد بن إسماعيل، (المصدر السابق، ج ٢، ص ٨٨).

٩١- على محمد زيد: تيارات معتزلة اليمن، ص ١٦٠.

٩٢- د. عبد الغني محمود عبد العاطي: الصراع الفكري في اليمن، ص ٣٥.

٩٣- ابن دعثم: المصدر السابق، ج ٢، ص ٨٩. د. عبد العلي محمود عبد العاطي: المرجع السابق، ص ٣٥.

٩٤- د. عبد الغني عبد العاطي: المرجع السابق، ص ٣٥.

٩٥- هو الأمير المنتصر محمد بن مفصل، أحد الأعلام وسادات أهل البيت الكرام. كان يرى بعدم كفر المطرانية، وإنما هم أقاضل شيعة لهادي، والقاسم وأتباعهم، ولا مصلحة في حربهم واعتقاد كفرهم (ابن المرتضى: تاريخ السادة العلما، الفصل: الأئمة (بني الوزير) علما، الزيدية، ج١، ورقة ١٣٢).

٩٦- ابن دعثم: المصدر السابق، ص ١٦٩، يحيى بن الحسين: غاية الأمانى، ج١، ص ٣٧١-٣٧٢، د. عبد الغني عبد العاطي: المرجع السابق، ص ٣٥، ٣٦.

٩٧- يحيى بن الحسين: غاية الأمانى، ج١، ص ٣٦٢.

٩٨- المصدر السابق، ج١، ص ٣٧٢.

٩٩- يحيى بن الحسين: غاية الأمانى، ج١، ص ٣٧٩.

١٠٠- المصدر السابق، ج١، ص ٣٧٩.

١٠١- د. عبد العلي عبد العاطي: الصراع الفكري في اليمن، ص ٣٦.

١٠٢- ابن المرتضى. تاريخ السادة العلماء الفضلاء الأئمة (بي الورير)، ج٢، ورقة ٢٠٢.

١٠٣- المصدر السابق، ج٢، ورقة ٢٠٢، ٢٠٣.

١٠٤- المصدر السابق، ج٢، ورقة ٢٠٣.

١٠٥- علي محمد زيد: تيارات معتزلة اليمن، ص ١٧٥.

١٠٦- عبد الله الحبشي: المظرفية مذهب مجهول في اليمن، مجلة اليمن الجديد، العدد الأول، ١٩٧٨م، ص ٣٦.

١٠٧- ابن دعثم السيرة المنصورة، ج٣، ص ٥٣٦، عبد الله الحبشي: المرجع السابق، ص ٤٣، وانظر الملحق رقم (١) ص (٣ - ٣١) عن المراسلات بين المظرفية والإمام عبد الله بن حمزة.

١٠٨- ابن دعثم: المصدر السابق، ج٣، ص (٥٤١).

١٠٩- المصدر السابق، ج٣، ص ٥٤٣.

١١٠- المصدر السابق، ج٣، ص ٥٥٠.

١١١- ابن دعثم: السيرة المنصورة، ج٣، ص ٥٥٠.

١١٢- د. عبد العلي عبد العاطي: الصراع العسكري في اليمن، ص ٣٧.

٣١١- ابن دعثم: المصدر السابق، ج٣، صفحات ٨٢٦-٨٣٧.

١١٤- د. عبد الفتي عبد العاطي: المرجع السابق، ص ٣٧.

١١٥- عبد الله بن حمزة: العقيدة النبوية، ص ١٣٥، ضمن كتاب: الصراع العسكري في اليمن، للدكتور عبد العلي عبد العاطي، صفحات ١٣-١٤٢، علي محمد زيد: تيارات معتزلة اليمن، ص ١٧٨.

١١٦- عبد الله بن زيد العنسي: الرسالة الناطقة بصلال المظرفية لزنادقة، ص ٢٧٧، ضمن كتاب: الصراع العسكري في اليمن، للدكتور عبد العلي عبد العاطي، صفحات ٢٧٤-٢٨٩.

١١٧- أحمد بن سليمان: الهاشمة لأنف الصلال من مذاهب المظرفية الجاهل، تحقيق: د. عبد العلي عبد العاطي، مجلة كلية لأداب، جامعة المنصورة، العدد الثاني والثلاثون، يناير ٢٠٠٣م، ص (٥٠ - ٧١)، عبد الله بن حمزة: العقيدة النبوية، ص ١٣٨-١٤٠، ضمن كتاب: الصراع العسكري في اليمن، صفحات (١٢٩-١٤٢).

١١٨- أحمد بن سليمان المصدر السابق، ص ١١٢، الجدير بالذكر أن حصوم المطرفية يحملونهم حتى مسؤولية دخول القوى الأيوبية لليمن يقول عبد الله العسي "وكانوا الظلمة من خلفاء بني العباس . في زمن الإمام المنصور بالله عبد الله بن حمزة .. وحملوهم على تصدير العساكر إلى هذه الديار ديار اليمن، وهو سبب وصل الغر البلاد.." (عبد الله بن زيد العسي: التمييز بين الإسلام والمطرفية الطغام، ورقة ١٣٣، لوحة أ).

١١٩- سليمان المحلي: البرهان الرائق المختص من ورط المصابق، ورقة ٦٣، لوحة ب، ٦٤، لوحة أ، عبد الله العسي المصدر السابق، ورقة ٤، لوحة د، عبد الغني عبد العاطي: المرجع السابق، ص ٢٣.

٢١ - "ومضى يحيل يغير، ومضى يستحيل يتغير، وما أخذ منهم على اختلاف مذاهبهم إلا وهو يقول بالإحالة والاستحالة" (عبد الله بن زيد العسي: المصدر السابق، ورقة ٤، لوحة أ).

١٢١- سليمان المحلي: البرهان الرائق، ورقة ٦٨، لوحة ب.

١٢٢- المصدر السابق، ورقة ٦٨، لوحة ب

١٢٣- د. عبد الغني عبد العاطي: الصراع الفكري في اليمن، ص ٢٤

١٢٤- سليمان المحلي: البرهان الرائق، ورقة ٢-٣، لوحة ب.

١٢٥- د. عبد العسي عبد العاطي: الصراع الفكري في اليمن، ص ٢٥

١٢٦- المرجع السابق، نفس الصفحة، عبد الله العسي: التمييز بين الإسلام والمطرفية الطغام، ورقة ١٢، لوحه ب، ورقة ٩٩، لوحة أ، أحمد بن سليمان: حقائق المعرفة، ورقة ٤٦٣.

١٢٧- سليمان المحلي: المصدر السابق، ورقة ١٨٤، لوحة أ.

١٢٨- المصدر السابق، ورقة ١٣٧، لوحة أ.

١٢٩- د. عبد الغني عبد العاطي: المرجع السابق، ص ٢٧، ٢٨.

١٣٠- سليمان المحلي: المصدر السابق، ورقة ١٣٧، لوحة ب، ١٣٨، لوحة أ.

١٣١- سليمان المحلي: البرهان الرائق، ورقة ١٤٩، لوحة ب.

١٣٢- المصدر السابق، ورقة ١٥٢، لوحة أ.

١٣٣- المصدر السابق، ورقة ١٦٦، لوحة ب

- ١٣٤- المصدر السابق، ورقة ١٦٧، لوحة أ، ب، ١٦٨، لوحة أ، وانظر: عبد الله العسسي، التمييز بين الإسلام والمطرقية، الطغام، ورقة ٧٩، لوحة ب.
- ١٣٥- سورة (الساء) من الآية (٩٥).
- ١٣٦- سليمان المحلي، المصدر السابق، ورقة ١٦٧، لوحة ب.
- ١٣٧- د. عبد الغني عبد العاطي، الصراع الفكري في اليمن، ص ٢٩.
- ١٣٨- سليمان المحلي، المصدر السابق، ورقة ١١٩، لوحة أ، د. عبد الغني عبد العاطي، المرجع السابق، ص ٣٠.
- ١٣٩- سورة (الروم) من الآية (٤٠)
- ١٤٠- سورة (النحل) من الآية (٧١)
- ١٤١- سليمان المحلي، البرهان الرائق، أوراق ١٢٠، لوحة أ، ب، ١٣١، لوحة أ
- ١٤٢- المصدر السابق، ورقة ١٢١، لوحة أ، وانظر: عبد الله العسسي، التمييز بين الإسلام والمطرقية، الطغام، ورقة ١٢٢، لوحة أ.
- ١٤٣- سليمان المحلي، المصدر السابق، ورقة ١٢٢، لوحة أ.
- ١٤٤- المصدر السابق، ورقة ١٢٣، لوحة أ، ب.
- ١٤٥- د. عبد الغني عبد العاطي، الصراع الفكري في اليمن، ص ٣٩.
- ١٤٦- سليمان المحلي، المصدر السابق، ورقة ١٢٤، لوحة ب.
- ١٤٧- سورة، الأنعام من الآية (١٢٨).
- ١٤٨- سورة (نوح) من الآية (٤)
- ١٤٩- المحلي، المصدر السابق، ورقة ١٢٤، لوحة أ، ١٢٥، لوحة ب.
- ١٥٠- سليمان المحلي، البرهان الرائق، ورقة ١٢٥، لوحة ب.
- ١٥١- د. عبد الغني عبد العاطي، الصراع الفكري، ص ٣٢.
- ١٥٢- عبد الله بن زيد العسسي، الرسالة الموسومة بالتوقف على توبة أهل التطريف، ص ٣٣، ص ٣٤ كتاب.

الصراع الفكري في اليمن، صفحات (٢٩٩-٣٠٣)، عبد الله العسي: كتاب الفتاوى النبوية المحصنة عن أحكام المطرفية، ص ٣١٩، ضمن كتاب: الصراع الفكري في اليمن، صفحات (٣١٤-٣٣٩)، ابن دعثم، السيرة الشريفة المنصورة، ج ٣، ص ٨٢٤، ويذكر أنه ألف كتاب يأمر من الإمام عبد الله بن حمزة بين مخالفة المطرفية لكل هذه الآيات وساءه المجموع من آيات القرآن الشريف المبطله مذهب الطبيعبة أهل التطريف". (ابن دعثم، المصدر السابق، ج ٣، ص ٨٦٥، ٨٢٥).

١٥٣- أحمد عبد الله عارف: مقدمة في دراسة الاتجاهات الفكرية والسياسية في اليمن، ص ١٨٣.

١٥٤- يحيى بن الحسين: غاية الأمانى، ج ١، ص ٣٦٢.

١٥٥- يذكر ابن دعثم في السيرة عدداً من الحوادث الفردية التي كانت البدايات الأولى لقتل الإمام لأأس يتسببوا للمطرفية في أواخر سنة ٢ هـ، فقد ظهر أحد أنصار الإمام رجلاً من المطرفية في قرية ثوبن من 'وطان سفيان في لغاضة، فأنهض الأمر إلى أن قاتل المخطرفي واسمه على بن موسى العتلاتي، إن الله تعالى ساوى بين النبي صلى الله عليه وسلم، واليهودي، وما احتصن اسمه بفضيل ولا اجتباء لرسالة، فلما خيكن ذلك للإمام أمر بصرب عقه (ابن دعثم المصدر السابق، ج ٣، ص ٨٢٥).

١٥٦- ابن دعثم: السيرة المنصورة، ج ٣، ص ٣٨٣.

١٥٧- المصدر السابق، نفس الجزء، والصفحة

١٥٨- عبد الله بن حمزة: أحوية مسائل تنصص ذكر المطرفية وأحكامها، ص ١٤٤، ضمن كتاب الصراع الفكري في اليمن، صفحات ١٤٢-١٧٤، 'حمد بن سليمان: الهاشمة لأئف الصلال من مذاهب المطرفية الجهال، ص ١١٢، ضمن كتاب الصراع الفكري في اليمن، صفحات (٩٥-١١٢)، عبد الله بن حمزة: الرسالة الهدية بالأدلة البادية في بيان أحكام أهل الردة، ص ١٧٦، ١٨٩، ١٩٠، ١٩٨، ضمن كتاب الصراع الفكري في اليمن، صفحات (١٧٥-٢٠٢).

١٥٩- عبد الله بن زيد العسي: الرسالة الناطقة بصلال المطرفية الرناذقة، ص ٢٨٧، ضمن كتاب الصراع الفكري في اليمن، صفحات (٢٧٤-٢٨٩)، عبد الله بن زيد العسي: الرسالة الموسومة بالتوقيف على توبة أهل التطريف، ص ٢٣، ضمن كتاب لصراع الفكري في اليمن، صفحات (٢٩٩-٣٠٣).

١٦٠- عبد الله بن زيد العسي: الفتاوى النبوية لمفصحة عن أحكام لمطرفية، ص ٣١٨، ٣١٩، ضمن كتاب الصراع الفكري في اليمن، صفحات (٣١٤-٣٣٤).

١٦١- ابن دعثم، المصدر السابق، ج ٣، ص ٨٣٧.

١٦٢- المصدر السابق، ج ٣، ص ٨٤٨، ٨٤٩.

- ١٦٣- المصدر السابق، ج٣، ص٨٥٠.
- ١٦٤- ابن دعثم: السيرة المنصورية، نفس الجزء والصفحة.
- ١٦٥- المصدر السابق، ج٣، ص٨٦٥، وانظر الملحق رقم (٤٣) ص(٦١٦-٦١٨) عن السيرة المنصورية، ج٣، ص٨٦٣-٨٧١).
- ١٦٦- المصدر السابق، ج٣، ص٨٨٧.
- ١٦٧- المصدر السابق، ج٣، ص٨٩١، ٨٩٠.
- ١٦٨- المصدر السابق، ج٣، ص٨٩٨، ٨٩٧.
- ١٦٩- المصدر السابق، ج٣، ص٩٦٢.
- ١٧٠- ابن دعثم: السيرة المنصورية، ج٣، ص٩٦٢، ٩٦٣، ٩٦٤.
- ١٧١- المصدر السابق، ج٣، ص٩٦٥.
- ١٧٢- المصدر السابق، ج٣، ص٩٦٨.
- ١٧٣- بيت غُفَّان: قرية من عرلة المصارع الخراجية ناحية تلا (د عبد المهي عبد العاطي: الصراع الفكري في اليمن، ص٤١، هامش ٥).
- ١٧٤- حصن بَكْر: يقع على بعد ١٢ كيلو متر جنوب قرية فدعه (المرجع السابق، ص٤١، هامش ٧).
- ١٧٥- ابن دعثم: المصدر السابق، ج٣، ص٩٦٨، ٩٦٩، ٩٧٠.
- ١٧٦- المصدر السابق، ج٣، ص٩٧٠.
- ١٧٧- د عبد الغني عبد العاطي: الصراع الفكري في اليمن، ص٤٣).
- ١٧٨- ابن دعثم: السيرة المنصورية، (ج٣، ص٨٢٦).
- ١٧٩- المصدر السابق، (ج٣، ص٨٢٦).
- ١٨٠- المصدر السابق، (ج٣، ص٨٥١).
- ١٨١- يحيى بن الحسين: عناية الأمانبي، ج١، ص٣٩٧.
- ١٨٢- المصدر السابق، ج١، ص٣٩٧.
- ١٨٣- عبد الله بن حمزة: أحوية مسائل تتضمن ذكر المطرقة وأحكامها، ص١٤٧، ١٤٨، صص كتاب الصراع الفكري في اليمن، صفحات (١٤٢-١٧٤).

١٨٤- المصدر السابق، ص ١٤٩.

١٨٥- يحيى بن الحسين: غاية الأمان، ج ١، ص ٣٩٧، ٣٩٨.

١٨٦- عبد الله بن زيد العنسي: الرسالة الناطقة بصلال المطرقة الرنادقة، ص ٢٨٦، ضمن كتاب الصراع الفكري في اليمن، صفحات (٢٧٤-٢٨٩).

١٨٧- عبد الله بن زيد العنسي: الرسالة الموسومة بالتوقيف على توبة أهل التطريف، ص ٣٠١، ضمن كتاب: الصراع الفكري في اليمن، صفحات (٢٩٩-٣٠٣).

١٨٨- عبد الله بن زيد العنسي: الفتاوى السيوية المفصلة عن أحكام المطرقة، ص ٣٢٦، ٣٢٧، ضمن كتاب الصراع الفكري في اليمن، صفحات (٣١٤-٣٣٤).

١٨٩- المحلى الحدائق الوردية، ج ٢، ص ١٧١، ويقصد بالنواحي المغربية المناطق الغربية من اليمن (أحمد عارف، مقدمة في دراسة الاتجاهات الفكرية والسياسية في اليمن، ص ١٨، هامش ٤٦).

١٩٠- يحيى بن الحسين: غاية الأمان، ج ١، ص ٤٠٤، عبد النبي عبد لطفي: الصراع الفكري في اليمن، ص ٤٣، ذكر القاضي الشماحي أن جثة من قتلهم الإمام عبد الله بن حمزة من المطرقة بيع أكثر من مائة ألف، إلا أنه لا يذكر المصدر الذي استقى منه هذه المعلومة. انظر (القاضي عبد الله الشماحي: اليمن الإنسان والحضارة، دار الكعبة، صنعاء، ١٩٨٤م، ص ٨٧).

١٩١- ابن النسخ، هو الحسن بن محمد النسخ، أحد فقهاء المطرقة في قاعة، ويبدو من نسبة أنه من أسرة عملت بسح الكتب، وهو أحد رجال المطرقة الذين لجؤا من مقتل المطرقة في قاعة، ولجأ إلى مسورة وقش، وبعد خرابها هرب إلى آس، وهناك ألف رسالته إلى الخليفة العباسي. (علي محمد زيد، تيارات معتزلة اليمن في القرن السادس الهجري، ص ١٩٢).

١٩٢- هو: الخليفة العباسي ناصر لدين لله أحمد أبو العباس المستضيئ بأمر الله، ولد يوم الاثنين عاشر رجب سنة ٥٥٣هـ/١١٥٨م، ويوج بالخلافة في دي القعدة سنة ٥٧٥هـ/١١٧٩م، ولم يَلِ الخلافة أطول منه، فإنه أقام فيها سبعة وأربعين سنة. (السيوطي: تاريخ الخلفاء، بتحقيق: عبد الله المشاوي، مكتبة الإيمن، المصورة، ط ١، ٢٠٠٣، ص ٤٣٨). غير أن وقت إرسال الرسالة من قبل ابن النسخ للخليفة العباسي وصلت في مرحلة كان الخليفة في حال من الضعف لا يستطيع أن يعمل معها شئ، حتى أن السيوطي يذكر في حوادث سنة ٦٠٣هـ/١٢٠٣ هجوم الفرنج على البيل من رشيد، ودخلهم إلى بلدة (لوة) فيسبونها ويستبيحونها، ثم يرجعوا سالمين في عهد هذا الخليفة. (السيوطي: المصدر السابق، ص ٤٤٤)، هذا في افتراض أن الرسالة قد وصلت للخليفة، إذ لا يبدو أنها قد لاقت أي اهتمام يذكر في بغداد. (علي محمد زيد: المرجع السابق، ص ١٩٢).

١٩٣- يحيى بن الحسين: المصدر السابق، ج ١، ص ١٠٤، ١٠٥، أحمد عبد الله عارف: المرجع السابق، ص ١٨٠-١٨١.

١٩٤- علي محمد زيد: المرجع السابق، ص ١٩٢.

١٩٥- انظر: كتاب الصراع الفكري في اليمن، صفحات (١٤٢-١٧٤).

١٩٦- انظر: كتاب الصراع الفكري في اليمن، صفحات (١٧٥-٢٠٦).

١٩٧- انظر: كتاب الصراع الفكري في اليمن، صفحات (٢٠٦-٢٥٣).

١٩٨- عبد الله بن حمزة: الدرر البتيمية، ص ٢٥٣، ضمن كتاب الصراع الفكري في اليمن، صفحات (٢٠٦-٢٥٣)، كان التكفير المطرفية بالإلزام محل خلاف بين العلماء، فيذكر يحيى بن الحسين: "أن الأمير المستصر بن محمد الفصل العفيف وهو من المعاصرين للإمام عبد الله بن حمزة لم يرى بتكفير المطرفية. وبناء على ذلك رأى من لم يكفر بالإلزام ولتأويل كالمؤيد أحمد بن الحسين الهاروني، ورواه عن الجميع من أهل البيت، وقال في (الرياءات)، لا أرى أحداً يكفر بالإلزام، وقال مثل ذلك القاضي عبد الله الدواري في (شرح الزيادات)" وقال "هو لدي بصحة أصحابنا وهو المعلوم عليه". وفي يؤيد القول بعدم التكفير بالإلزام ما ذهب إليه جماعة من العلماء القاهرين كالعلامة ابن الوزير صاحب كتاب "قضايا علماء" بن الوزير" يقول أنه لو صبح التكفير بالإلزام لزم كفر كثير من أهل المذاهب وتصفيتهم، والكفر والفسق إنما يكون بما يدين المكلف قولاً وعملًا، لا بما يكفر وينكره، وقد الإمام يحيى بن حمزة: الإلزام هو ظني لا يكفر به، وقد نقل أصحابنا عن الهادي والقاسم بن إبراهيم القول بكفر المتأول، فلم أحد لها نصاً ولا وجدت ما يخرج عليه ذلك من مذهبهم، ويقول يحيى بن الحسين وهو يشرح هذه المسألة: "والتكفير بالإلزام اختلف علمائنا فيه، فالجمهور على أنه لا يكفر به، ولا يفسق"، وقد قال بعدم التكفير من المتأخرين جماعة كالإمام شرف الدين ولقته، المعاصرين له، والإمام عز الدين بن الحسن، والعلامة محمد بن إبراهيم الوزير وغيره. انظر: (عبد الله الحبشي: المطرفية مذهب مجهول، ص ٤٣- ٤٤)، والإلزام. (هو أن تلزم الغير على ما يقول به ما لا يقول به)، انظر: ١ إسماعيل الأكوخ: الزيدية نشأتها ومعتقداتها، ص ٥٧، هجر العلم ومعتقداته، ج ١، ص ١٦٧). فالإلزام طريقة خطيرة لا تبقى وأياً سليماً، إذ في وسع كل خصم أن يلزم صاحبه ما يريد (زيد بن علي الوزير تحقيق على مقال العلامة بدر الدين الهاروني: سحور حول المطرفية- مجلة المسار، مركز التراث والبحوث اليمني، ص ٥٥، المجلد الثاني، العدد الثاني، ٢٠٠١، ص ٧٩).

١٩٩- د. عبد العلي عبد العاطي: الصراع الفكري في اليمن، ص ٤٤. وعن ذلك يقول محمد سالم عزان: "إبه لا تلازم بين تبرئه اخطربة والطعن في الإمام عبد الله بن حمزة على كل حال، لأنه يمكن أن يقال إن الإمام حكم على أدى إليه نظره، وهو مجتهد، ومعنى بالأمر أكثر من غيره، فقد سعى بعده تجاه المطرفية على أمور

لا نعلم جميعها بالتفصيل، وهنا يجب له الحمل على السلامة، وشأنه في ذلك شأن الأئمة الذين وقعت  
بيهم حروب، قُتِل فيها كثير من الناس، ومع ذلك لم يجرم أحد من الزيدية بهلاك فريق معين منهم وتُرك  
أمر الجميع إلى الله تعالى. ومع ذلك فلا يصح الحكم سلعاً على مخالفيه بأنهم مخطئون خطأً يوجب  
لهم القتل والتشريد، وسي الأهل والذرية، اللهم إلا إذا كان معصوماً وخُوفٌ تشريع يوجب هذا النوع  
من التكيل، والإمام عبد الله بن حمزة وسائر أئمة الزيدية لا يدعون العصمة لأنفسهم ولا يقطعون بعدم  
وقوعهم في الخطأ، يقول الإمام زيد بن علي: "بما يحسن مثل الناس، ما المعطى؟ وما المصيب، فساتلوا  
ولا تقبلوا ما إلا ما وافق كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم." (محمد سالم عرار، "مطرفة بين  
الحقائقي والإشاعت، مجلة مُسار، مركز التراث والبحوث اليمني، صنعاء، المجلد الثاني، العدد الثاني،  
١٩٧١، ص ٧١، ٧٢).

٢٠٠-٤. عبد العني عبد العاطي: لصراع الفكري في اليمن، ص ٤٤.

٢٠١- المرجع السابق، ص ٤٤. يذكر صاحب دُوب يذهب الذي عاش في القرن الثاني عشر، أن المذهب  
المطرفي مكث في اليمن ثلاثمائة سنة، وانتشر في بلاد الريدية. ولم يبق منهم أحد في زمنه. (على بن  
الحسن بن القاسم: دُوب يذهب في محاسن أهل الأدب، ورقة ١٤، لوحة ١، وربما كان يقصد بهذه الفترة  
من بداية إظهار المطرفية لحلاف لمحتقرة، لأنهم عاشوا أكثر من ذلك، "وقد بقي من المطرفية جماعة  
حتى زمن الإمام المهدي عبي بن محمد في القرن الثامن الهجري، ثم تلاشى أمرهم ودخل اتباع هذا المذهب  
في زمرة الناس فاعتقوا مذهب لزيد. فكان في هذا الرجوع فائدة وطيبة، حيث ضمن لنا وحدة البلاد  
وعزم تفرقها". (عبد الله الحبشي: المطرفية مذهب مجهول، ص ٤٤)

٢٠٢- الأكوع: هجر العلم، ج ١، ص ١٦٧.

## المصادر والمراجع

أولاً: المخطوطات :

الحجوري، محمد بن يحيى بن يوسف (ت ٦٣٦هـ / ١٢٣٨م).

- روضة الأحيار، مخطوط بمعهد المخطوطات العربية، القاهرة، رقم (٤٣٦) تاريخ، من شمالي، جزء.

ابن أبي الرجال، أحمد بن صالح بن محمد (ت ١٠٩٢هـ / ١٦٨١م).

- مطلع البدور ومجمع البحور، مخطوط مصور لدى الباحث عن مخطوط مصور لدى الدكتور/ عبد الرحمن الشجاع.

الشرقي، أحمد بن محمد بن صلاح (ت ١٠٥٥هـ / ١٦٤٥م).

- الأئمة المضية في أخبار أئمة الزيدية. مخطوط بمعهد المخطوطات العربية، القاهرة، رقم (١٩٤٠) تاريخ، جزء مخطوط غير مرقم. (ترقيم من قبل الباحث).

علي بن الحسن بن القاسم بن أحمد بن المنصور (ت ١٢هـ / ١٧م) :

- ذوب الذهب في محاسن أهل الأدب. مخطوط بمعهد المخطوطات العربية، القاهرة، رقم (١٠٥٦) تاريخ.

العنسي، عبد الله بن زيد العنسي.

- لتمييز بين الإسلام والمطرفية الطغام، مخطوط مصور عن مخطوط لدى الباحث/ محمد جعفر الباحث بجامعة أسيوط.

اللحجي، مسلم بن محمد بن جعفر (ت ٥٤٥هـ / ١١٥٠م).

- أخبار الأئمة من أهل البيت وشيعتهم باليمن، جزء الرابع، مخطوط مصور لدى الباحث عن صورة لدى الدكتور/ عبد الرحمن الشجاع.

المحلي، حسام الدين حميد أحمد المحلي (ت ٦٥٢هـ / ١٢٥٤م).

- الهدائق الوردية في مناقب أئمة الزيدية، مخطوط مصور لدى الباحث عن مخطوط مصور لدى الدكتور/ عبد الرحمن الشجاع، مخطوط مصور بالأوفست.

المحلي، سليمان بن محمد بن أحمد المحلي (ت ٦٥٢هـ / ١٢٥٤م)

- البرهان لرائق لمخلص من ورط المضائق، مخطوط مصور لدى الباحث عن صورة لدى الدكتور/ عبد الرحمن الشجاع، ورقة (٢)،

ابن المرتضى، ابن جمال الدين بن الهادي بن إبراهيم بن علي المرتضى (ت ٩٨٥هـ / ١٥٧٧م).

- تاريخ السادة العلماء الفضلاء والأئمة (بني الوزير) علماء الزيدية، مخطوط بمعهد المخطوطات العربية، القاهرة، رقم (٩٥٦) تاريخ.

يحيى بن الحسين بن الإمام المنصور بالله القاسم بن محمد الحسني (ت ١١٠٠هـ / ١٦٨٩م).

- أنباء الزمن، مخطوط بالمكتبة الغربية بالجامع الكبير بصنعاء، رقم (٤٤٧).

- طبقات الزيدية الصغرى، مخطوط مصور لدى الباحث عن مخطوط مصور لدى الدكتور/ عبد الرحمن الشجاع.

ثانياً؛ المصادر المطبوعة :

إبراهيم بن القاسم بن الإمام المؤيد بالله (ت ١١٥٢هـ / ١٧٣٩م).

- طبقات الزيدية الكبرى، القسم الثالث، ويسمى بلوغ المراد إلى معرفة الإسناد، تحقيق: عبد السلام بن عباس الوحيه، مؤسسة الإمام زيد بن علي الثقافية، عمان، الأردن، الطبعة الأولى، ٢٠٠١م.

- الثقفي، سليمان بن يحيى؛

- سيرة الإمام أحمد بن سليمان، تحقيق: د. عبد العلي عبد العاطي، عين للدراسات، القاهرة، الطبعة الأولى، ٢٠٠٢م.

ابن الدبيع، عبد الرحمن بن علي بن عمر الشيباني (ت ٩٢٤هـ / ١٥١٨م).

- قرة العيون في أخبار اليمن الميسمون، تحقيق: محمد بن علي الأكسوع، المطبعة السلفية، القاهرة، ١٣٧٤هـ / ١٩٥٤م.

السبوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (ت ٩١١هـ / ١٥٠٥م).

- تاريخ الخلفاء، تحقيق: عبد الله المنشاوي، مكتبة الإيمان، المنصورة، الطبعة الأولى، ٢٠٠٣م.

أبي فراس ابن دعثم.

- السيرة الشريفة المنصورية، سيرة الإمام عبد الله بن حمزة (٥٩٣-٦١٤هـ)، تحقيق: عبد الغني عبد العاطي، دار الفكر المعاصر، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٣م.

الوصابي، يوحى الدين عبد الرحمن (ت ٧٨٢هـ / ١٣٨٠م).

- تاريخ وصاب المسمى الاعتبار في التواريخ والآثار، تحقيق: عبد الله محمد الحشني، مركز الدراسات والبحوث اليمني، صنعاء، ١٩٨٣م.

يحيى بن الحسين بن القاسم (ت. ١١٠هـ/١٦٨٩م):

- طبقات الزيدية الصغرى، مخطوط مصور لدى الباحث عن مخطوط مصور لدى الدكتور/ عبد الرحمن الشجاع

- غاية الأماني في أخبار القطر اليمني، تحقيق: سعيد عبد الفتاح عشور، دار الكتاب العربي، القاهرة، ١٩٦٨م، القسم الأول.

اليمني، عمارة بن أبي الحسن الحكمي (ت. ٥٦٩هـ/١١٧٤م).

- تاريخ اليمن، تحقيق: محمد زينهم محمد عزب، دار الجيل، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٢م.

### ثالثاً: المراجع العربية الحديثة:

إبراهيم المقهي - معجم المدن والقائل اليمنية، دار الكلمة، صنعاء، طبعة ١٩٨٥م

د. أحمد صبحي - الزيدية، الرهراء للإعلام العربي، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٩٨٥م.

- في علم الكلام (دراسات فلسفية لأراء الفرق الإسلامية في أصول الدين)، النهضة العربية، بيروت، ط ٥، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.

- لأبحاث الفكرية في اليمن بين القرن الثالث والقرن الخامس الهجري، المؤسسة الجامعية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩١م.

إسماعيل بن علي الأكوخ (جمع وتحقيق) - البلدان اليمنية عند ياقوت الحموي، مؤسسة الرسالة، بيروت، مكتبة الجيل الجديد، صنعاء، الطبعة الثانية، ١٩٨٨م.

..... - الزيدية نشأتها ومعتقداتها، دار الفكر المعاصر، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٩٣م.

..... - هجر العلم ومعاقله في اليمن، دار الفكر، بيروت، ط ٥، الطبعة الأولى، ١٩٩٥م.

أمين فؤاد سيد (الدكتور) - مصادر تاريخ اليمن في العصر الإسلامي، المعهد الفرنسي للآثار الشرقية، القاهرة، ١٩٧٤م.

بلال الدين الجوثي - المذاهب الدينية في بلاد اليمن حتى نهاية القرن السادس الهجري، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ط ١، ١٩٨٨م.

- حوار حول المطرقة تعلق على مقال: "الجامعات - المساحد في شمال اليمن"، مجلة المسار، مركز التراث والبحوث اليمني، صنعاء، المجلد الثاني، العدد الثاني، ٢٠٠١م.

- زيد بن علي الوزير:  
سيد مصطفى سالم  
عارف تامر  
عبد السلام عباس  
الوجيه
- تحقيق على مقال العلامة بدر الدين الحوثي -حوار حول المطرفية-،  
مجلة المسار، مركز التراث والبحوث اليمني، صنعاء، المجلد الثاني،  
العدد الثاني، ٢٠٠١م  
وثائق يمنية، دراسة وثائق تاريخية، طبعة دار لكتب انصرية، القاهرة،  
١٩٨٢م  
-أروى ملكة اليمن، دار الأضواء، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٨٨م.  
أعلام المؤلفين الزيدية، مؤسسة الإمام زيد الثقافية، الأردن، ١٤٠٠م.  
١٩٩٩م.
- الإمام الزيدي أحمد بن سليمان وآراءه الكلامية، دار  
الدعوة، الإسكندرية، الطبعة الأولى، ١٩٨٩م.  
-الريذة قراءة في المشروع وبحث في المكونات، مركز التراث، صنعاء،  
الطبعة الأولى، ٢٠٠٤م.
- النصراع الفكري في اليمن بين الزيدية والمطرفية، دراسة ونصوص،  
عين للدراسات، القاهرة، الطبعة الأولى، ٢٠٠٢م.  
-اليمن: الإنسان والحضارة، دار الكلمة، صنعاء،  
١٩٨٤م.
- عصام الدين  
الفقي (الدكتور)
- علي محمد زيد
- اليمن في ظل الإسلام، دار الفكر العربي، القاهرة، الطبعة  
الأولى، ١٩٨٢م.
- تيارات معتزلة اليمن في القرن السادس الهجري، المركز  
الفرنسي، صنعاء، الطبعة الأولى، 1997م.
- محمد رضا الدجيلي  
محمد سالم عزان
- الحياة الفكرية في اليمن، في القرن السادس الهجري، المكتبة  
الوطنية، بغداد، ١٩٨٥م.
- المطرفية بين الحقائق والإشاعات، مجلة المسار، مركز التراث والبحوث  
اليمني، صنعاء، المجلد الثاني، العدد الثاني، ٢٠٠١م.

محمد عيسى الحريري - تطور المذهب الزيدي في اليمن قطعة منتزعة من كتاب شفاء صدور الناس لأحمد بن محمد بن صلاح الشرفي، المجلة العربية للعلوم الإنسانية، جامعة الكويت، العدد السادس والعشرون، المجلد السابع، ربيع ١٩٨٧م، صفحات (٤٤-٧٥).

رابعاً: المقالات العربية  
أحمد بن سليمان  
أحمد شوقي العمرجي  
عبد الله الحبشي  
-الهاشمة لأنف الضلال من مذاهب المظرفية الجهال، تحقيق: د. عبد الفتي عبد العاطي، مجلة كلية الآداب، جامعة المنصورة، العدد الثاني والثلاثون، يناير ٢٠٠٣م

-الزيدية في اليمن ودورهم السياسي، مجلة كلية آداب سوهاج، جامعة أسيوط، العدد ١٥، إبريل ١٩٩٤م.

-المظرفية مذهب مجهول في اليمن، مجلة اليمن الجديد، العدد الثالث، السنة السادسة، نوفمبر ديسمبر ١٩٧٧م، صفحات (٤٧-٥١).

محمد عيسى الحريري -تطور المذهب الزيدي في اليمن قطعة منتزعة من كتاب شفاء صدور الناس لأحمد بن محمد بن صلاح الشرفي، المجلة العربية للعلوم الإنسانية، جامعة الكويت، العدد السادس والعشرون، المجلد السابع، ربيع ١٩٨٧م، صفحات (٤٤-٧٥).

الفرق الإسلامية في طور الانحطاط، صفحات (١٤٨-١٥٨)، مجلة العصور الجديدة، القاهرة، السنة الأولى، العدد العاشر، يونيو ٢٠٠٠م

محمود إسماعيل

سابعاً: الرسائل

العلمية:

أحمد عبد الله عارف -أصول الاتفاق في القضايا الكلامية بين الزيدية والمعتزلة، رسالة ماجستير، قسم فلسفة، كلية دار العلوم، جامعة القاهرة، ١٩٨٢.

-Al-Qadi Isma'il Bin Ali al-Akwa, Nashwa n Ibn Sa'k al-Himyari and The Spiritual, Religious and Political Conflicts of his Era, Yemen 3000 Years of Art and Civilisation in Arabia Felix, at The Staatilches Musesm Fur Volkerkunde Munchen (25 April 1987 to 5 April 1988), Published By Pinguin-VerlalnnsbruckUmschau-Verlag, Frankfurt/Main, PP.212-231.

-Wilferd Madelung, Islam in Yemen, Yemen 3000 Years of Art and Civilisation in Arabia Felix, at The Staatilches Musesm Fur Volkerkunde Munchen(25 April 1987 to 5 April 1988), Published by Pinguin-verlag, Innsbruch Umschau-Verlag, Frankfurt/Main,PP.174-177.



## الملاحق

المراسلات بين المطرفية والإمام عبد الله بن حمزة

في بداية الخلاف بين الطرفين. (١\*)

قدم رجل من المطرفية يقال له عمار بن ناصر الشهابي إلى ذي مرمر فحضر المدرسة المصورية هناك، وجرى فيها الحديث عن مذاهب الخصوم ومن بينهم المطرفية، ولما رجع الرجل المطرفي إلى هجرة وقش بث شكواه وحكى غير ما شاهده وسمعته أذنه وذكر ما دار في المدرسة المصورية من السب للمطرفية فشق ذلك عليهم وزادهم نفارا، وكتب إليهم الإمام يدعوهم فلم يزداهم دعاؤه إلا فرار، وجاء كتاب الفقيه علي بن يحيى البحريري معرضا بذلك وعتابا فيما جرى من السب والأذى، وم خص به ذلك الرجل من الاستخفاف والبداء، وجعل في صدر كتابه أبياتاً قال فيها:

مقام أمير المؤمنين بن حمزة      أحل وأعلى أن يحيط به وصلي  
رفعتُ إليه الطرف فارتد حاسنا      ولا غرو أن يرتد من حبل طرفي  
وأبقت أن الصيد ما ضمه الفرا      فقلتُ لكمي عن كتابته كفي  
على أنني في القرب والبعد عنده      مولاته حصي المنيع ولا أخفي

ومما جاء في كتابه: ... ولعل العوطف الإمامية، والآراء الموقفة المنصورية، أن تؤس لمطلوب يكف أهل تلك الأذية، والخيار إليه سلام الله عليه من قبل أن تزيغ قلوب فريق ما، فلا تسن خلق هلو، فقد كان في أول الأمر أصبح الناس رحما بينهم. لا تسمع إلا سلاما سلاما، وكل شي على منتهى أمله من سكون الدهماء وحسن الحال، وتقام النعماء والدعاء. وأمير المؤمنين بطول البقاء لم ساق الله إلى الجميع بسببه، وأجره من الصلاح على لسانه وبده، بالرفق الذي لا ضعف معه، والشدة التي لا يشوبها عنف، وعلو الهمة وقلة الغفلة، وأحكام السياسة وصوب التدبير، فأشد الناس بعداً عنه كالقريب، وأقربهم منه في حق الله كالقريب، فما أحد يعدو قدره ولا يتجاوز حده، ولا يتكلم إلا فيما يعنيه.

ومع ذلك تزداد الأمور إلحاحاً، ولا عقود الدولة المسموية إلا تنظماً حتى انطلقت الألسن المعقودة، وانبسخت الأيدي، المعقولة بعدل أمير المؤمنين، ولم يكن يسفي لصاحبه في العموم فما

\* - نقلنا عن: أبي فراس بن دغثم، السيرة الشريفة للمصورية، ج ٢، ص ٥٣٦-٥٥٥

شأن الخصوص وأمير المؤمنين يعلم ما الوافر كالمقصود، فإن رأى الإنصاف ممن تولى كبره، ولكل امرئ منا ما اكتسب من الإثم، وليت أنا بقدر الحب نبسم.

... وفي هذه الدلالة صفة العلة ولعل جوابها أن يروى من العلة وقد تضمنت فصولاً كثيرة هيح دقيقتها وصول الشيخ عمار بن ناصر الشهابي، وما انقلب به من تشريف الإخوان. فانه يبقيه والسلام.

وقد رد عليه الإمام عبد الله بن حمزة كتابها نسخته:

بسم الله الرحمن الرحيم، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم سلام عليك... أما بعد. فإن كتابك وصل إلينا بتحقيق الموجب لما تقدم وتأخر من المراجعة، فيما يقطع المشاحنة والمنازعة، ويؤدي إلى الألفة، ويمنع الخلفة، وتلك سبيل الصالحين، وشعائر أهل الدين، وقد كان ذلك كما ذكرت أولى، وحررت به السنين أولاً ثم لحج بعد ذلك ناجم الخلاف بالطعن والتخلف لغير حدث أوجب ذلك، ولا رأي يقبل، بل على منهاج السلف الصالح. وأهم الأمور علينا ما يعود على الزيدية أصلها الله بلم الشمل وطرد دواعي الجهل وقد كن فيما تقدم لهم عذر، فإن كن غير واضح في الاختلاف فما العذر بعد قيام قائم من آل محمد صلوات الله عليه وعليهم، إنما الخلاف قبله، وعنده يرجع الجميع إلى رأيه، وتقطع دواعي الفتنة بميمون بظه... هذه مابره آل محمد صلوات الله عليهم معطلة من ذكرهم منذ دهر طويل، وببئس مأخوذ، وحققهم مفصوب، وتأوهم مطلول، والفرقان فيما اختلفوا فيه موجود، ولو رده إلى الرسول وإلى أولي الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم، فأما إذا لم تبق إلا المغالبة فما أحد يخشى عن نفسه ما يحده كما قال ضرار بن الخطيب: وعن أي نفس بعد نفسي أقاتل، وكان صاحب الأمر إذا اضطرت الأمر هادن، وإن قام عمودها فأتى، فأى الفريقين كان أو متى وصل الأرض قبل صاحبه لنظر في ذلك بما يوفقك الله سبحانه ويعينك عليه، فصاحب هذا الأمر على وجهين إما أن يظهر، فأقبح الأمور على من ينتسب إلى الدين أن يظهر وليس معه لسان صدق، وإما أن لا يظهر ونه حق له استحقاقه، كانت حسرة، فأكثر الأئمة لم يطبق على إمامته إلا بعد موته، وإن لم تظهر له حجة على استحقاقه كان شبهة يجب أن يكون في حلها على يقين، ولم يرتكبها على الخطر ويتمسك بحبل الغرور وهو متمكن الاستبصار بالوصول إليه، والمراجع له في أموره، والسلام، وصلى الله على محمد وآله وسلم.



## المسلمون وأهل الذمة في بلاد الشام في عصر الخلافة الراشدة

يعد الدين الإسلامي ديناً عالمياً لكل البشر، ولذلك نجده يتجاوز حدود البلدان والأقاليم، لأنه ليس ديناً قومياً خاصاً بالعرب، وإنما لكافة الناس في الأرض، يقول الله عز وجل (وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين)<sup>(١)</sup>.

وما أن الإسلام خاتم الرسالات السماوية فلا بد على أتباعه من إقبال دعوته إلى كل الناس من فيهم أصحاب الديانات ذات الأصل السماوي وأتباع العقائد الوضعية، والدعوة تقوم على أساس البلاغ فقط لقوله عز وجل (وما على الرسول إلا البلاغ المبين)<sup>(٢)</sup>. وكذلك عدم إكراه الناس على اعتناق الإسلام، لأنه لا يجوز شرعاً لقول الله تبارك وتعالى (لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي)<sup>(٣)</sup>، وإنما الدعوة تقوم على أساس التوجيه الإلهي القائل في محكم كتابه (ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة)<sup>(٤)</sup>.

فقام النبي صلى الله عليه وسلم، بناءً على هذا التوجيه الرباني بدعوة اليهود في يثرب إلى الإسلام، لكنهم رفضوا وفضلوا الاحتفاظ بدينهم مقابل دفع الجزية، وعرض الإسلام أيضاً على نصارى نجران، لكنهم فضلوا البقاء على دينهم مقابل تسليم الجزية، ولم يحدث أن تعرض اليهود أو النصارى إلى مضايقات أو اعتداءات بسبب عدم إسلامهم، لأنه لا يجوز طالما وقد أقرروا بالجزية ودفعها للمسلمين، كما أمر الله تعالى (يا أيها الذين آمنوا قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرّمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون)<sup>(٥)</sup>.

وبناءً على هذا فقد صار على المسلمين حمايتهم، وعدم التعرض لهم بسوء، وحذر النبي صلى الله عليه وسلم المسلمين من ذلك بقوله (( من ظلم معاهداً أو كلفه فوق طاقته أو أخذ شيئاً منه بغير طيب نفس فأنا حبيبته يوم القيامة ))<sup>(١)</sup>، وأمام هذه النصوص وغيرها، لا بد أن يتم التعامل مع أهل الذمة على ضوءها .

وهنا لا بد علينا أن نتعرف على سلوكيات المسلمين مع أهل الشام أثناء الفتح وبعده، سواء كانوا خلفاء أم قادة أم أفراداً، هل وجد تطابق بين النصوص والعهود وتعامل المسلمين مع أهل الذمة؟ أم كانت النصوص والعهود في وادٍ والتعامل في وادٍ آخر؟ وماذا عن ردة فعل سكان بلاد الشام تجاه المسلمين أثناء الفتح، هل كانت عدائية أم حيادية أم مناصرة للروم، أم مؤيدة للمسلمين؟

وهل تغيرت أحوال سكان بلاد الشام بعد أن أصبحوا من رعايا الخلافة الإسلامية؟ أم ظلت على ما كانت عليه في عهد الروم؟ وإذا حدثت تغيرت فما هي وهل كانت سلبية أم إيجابية؟ ولمعرفة ذلك تم تقسيم البحث إلى محورين رئيسيين :

المحور الأول: المسلمون وأهل الشام بعد الفتح من خلال وصايا الخلفاء الراشدين تجاه سكان البلاد المفتوحة، وتعامل المسلمين مع سكان بلاد الشام أثناء الفتح، وكذلك موقف سكان الشام من المسلمين .

أما المحور الثاني فهو : حقوق أهل الذمة من سكان بلاد الشام بعد الفتح، ويتناول الحقوق التي صارت لسكان بلاد الشام بعد أن أصبحوا من رعايا المسلمين، مثل : حرية الاعتقاد، الحرية السياسية، حماية الملكيات، حرية التجارة والكسب، حرية التقاضي والعدل، كما يتناول أيضاً واجبات أهل الذمة .

### المحور الأول : المسلمون وأهل الشام أثناء الفتح :

تحقيقاً للتكليف الرباني بعد أن انتشر الإسلام واستقرت أركانه في أنحاء الجزيرة العربية كان على المسلمين أن يستكملوا ما كان قد بدأه الرسول صلى الله عليه وسلم في نشر الإسلام خارج الجزيرة بدءاً بأقربها داراً وهي بلاد الشام .

فقد تولّى الخلافة أبو بكر الصديق رضي الله عنه، وكان أول عمل بعد قصائه على حركة الردة، إعداد الجيوش الإسلامية، وإرسالها للقيام بالفتوحات الإسلامية ومنها بلاد الشام، وحرص

على تقديم الوصايا والتعليمات لقادة الجيش الإسلامي، تتضمن الإحسان إلى سكان بلاد الشام، وعدم التعرض لهم بسوء.

إن إقامة العدل بين الناس من الأمور المطلوبة والأساسية، وما أنزل الله سبحانه وتعالى الشرائع إلا للتوحيد وإقامة العدل ورفع الظلم عن المظلومين، وردع الجبارين .

والشريعة الإسلامية اهتمت بهذا الجانب، ولم يحد عن هذا الخلفاء والمسلمون، لأنهم ملزمون ومكلفون من رب العالمين لقوله تعالى : {إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى} <sup>(١٧)</sup>، ويقول سبحانه وتعالى {إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها، وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل} <sup>(١٨)</sup>.

وأمام هذه النصوص وغيرها، لا بد على المسلمين أن يوفوا بها ويسبروا عليها، فكانت رعاية الخلفاء لهم كبيرة، والاهتمام بأحوالهم واجبة، فمن توصية الخليفة أبي بكر الصديق ليزيد بن أبي سفيان رضي الله عنهما لمحتج نحو بلاد الشام قوله: "يا يزيد، إني أوصيك بتقوى الله وطاعته، والإيثار له، والخوف منه، وإذا لقيت العدو فأظهرهم الله بهم، فلا تغل ولا قتل، ولا تغدر، ولا تحبن، ولا تقتلوا وليداً ولا شيخاً كبيراً ولا امرأة، ولا تحرقوا نخلاً، ولا تعرقوه، ولا تقطعوا شجرة مشعة ولا تعقروا بهيمة، لا لمأكده، وستمرون بقرم في الصوامع يرعمون أنهم حبسوا أنفسهم لله، فدعوه وما حبسوا أنفسهم" <sup>(١٩)</sup>.

هذه الوصية من خليفة رسول الله أمراً صريحاً بأن على المسلمين المشتركين في عملية الفتح (قادة أم أفراد) أن يتجنبوا بعد انتصارهم على القوى المانعة لوصول الإسلام إلى السكان، الغلل أي الحقد والضعينة، وكذلك عدم التمثيل بجثث أعدائهم بعد النصر لأنه لا يجوز، وعدم الغدر، وعدم قتل الأطفال والنساء والشيوخ، وعدم حرق الأشجار وتقطيعها لأن الإنسان المسلم وغير المسلم، يستفيد منها، ولأن الإسلام يبني ولا يهدم، لقول الله تعالى {وإذا قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة} <sup>(٢٠)</sup>.

وفسر العلماء هذه الآية بأن المقصود هو التعصير <sup>(٢١)</sup>.

وتتزم وصية الخليفة السابقة المسلمين، عدم التعرض ليهتهم سكان البلاد التي يتم فتحها إلا بالحق، والأهم من هذا عدم التعرض لرجال الدين، والمتعبدین في دور عبادتهم من الصاری

ويبدو أن الخليفة أبا بكر رضي الله عنه، لم يكتف بتلك الوصايا، بل كانت توجد لديه عيون لمراقبة أعمال المسلمين في بلاد الشام، وكيفية تعاملهم مع سكانها، والرفع إليه في حالة المخالفة بصورة مباشرة دون علم القادة، فعندما قرأ أهالي قرى الدارين من قراهم خوفاً على أنفسهم من القتل ظلماً منهم أن المسلمين لن يتركوهم وشأنهم كما صور لهم، وصاحب هروهم ترك دورهم وأراضيهم، وربما وجد بعض المسلمين من ذهب طمعه بأنه أحق بها، فلما وصل الخبر بفساد المسلمين إلى الخليفة كتب إلى أبي عبيدة بن الجراح رسالة قال فيها: "بسم الله الرحمن الرحيم. من أبي بكر الصديق إلى أبي عبيدة بن الجراح، سلام عليك، فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو أما بعد: "امنع من كان يؤمن بالله واليوم الآخر من الفساد في قرى الدارين، وإن كان أهلها قد جلوا عنها، وأراد الداريون أن يزعموها، فإذا رجع أهلها إليها فهي لهم، وأحق بهم والسلام عليك"<sup>(١٢١)</sup>.

ولم يكتف بذلك بل أرسل رسالة إلى الدارين أصحاب تلك البلاد يطمنهم على أراضيهم وحمايتهم من العاشقين، ويكلف عمرو بن العاص بحراستها والدفاع عنها من كل طامع، جاء فيها "هذا كتاب من أبي بكر أمير رسول الله الذي استخلف في الأرض بعده، كتبه للدارين ألا يفسد عليهم ما أثرتهم قرية خيبر<sup>(١٢٢)</sup> وبيث عيثون<sup>(١٢٣)</sup>، فمن كان يسمع ويطيع فلا يفسد منها شيئاً، وليقم عمرو بن العاص عليهما فيسمعهم من المفسدين"<sup>(١٢٤)</sup>.

وهذا الكتاب يمثل اهتمام قيادة الدولة الإسلامية بسكان البلاد أثناء الفتح وحرصها على المحافظة على كافة ممتلكاتهم المالية والعينية، فلم يكن دافع الفتح بالنسبة للمسلمين الحصول على الغنائم بأي صورة من الصور، كما يصوره البعض، ولكن قد يوجد منهم من له رغبة في الغنائم، غير أنه يواجه بالشدة والمنع والمعاقبة.

وبما أن المنع المستثنى منه واحد فلم يختلف عمر بن الخطاب عن سلفه، أبي بكر رضي الله عنهما في توصية الجيش الإسلامي المتجه نحو الأمصار ومنها بلاد الشام التي لم يكن قد استكمل فتحها في عهد أبي بكر رضي الله عنه ويتمثل ذلك في قوله "بسم الله وعلى عون الله، امضوا بتأييد الله، والنصر، ولزوم الحق، والنصر، قتلوا في سبيل الله من كفر بالله، ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين، ثم لا تحبونا عند اللقاء، ولا تمثلوا عند القدرة، ولا تسرفوا عند الظهور، ولا تتكلموا عند الجهاد ولا تقتلوا امرأة، ولا هرباً، ولا وليداً، وتوقوا قتلهم إذا التقى الجمعان، وعند حمة النهضات، وفي شن الغارات..."<sup>(١٢٥)</sup>.

ونجد هنا أن وصية عمر رضي الله عنه لم تخرج عن وصية أبي بكر رضي الله عنه، فالرقب واحدة نجاء سكان البلاد المفتوحة من أهل الذمة، ونلاحظ هنا تأكيداً على تجنب قتل الأطفال والشيوخ والنساء. مع تفصيل ما أجملته وصية أبي بكر في هذا الجانب من حيث طلب عمر في وصيته أن يتجنبوا قتل الفئات السابقة، حتى وإن كانوا يوجدون في ميدان القتال. وفي مختلف مراحل المعركة، ولم يرد في الأمر إلا من ناحية وصيته في لزوم الحق، وأن يتجنبوا الاعتداء على كل شيء مملوك للسكان.

ويبلغ حرص الخليفة عمر رضي الله عنه بشئون أهل الذمة، أنه في مرضه الذي مات فيه أوصى بهم من سبخله على المسلمين بهم بقوله "أوصي الخليفة من بعدي بأهل الذمة خيراً أن يوف لهم بعهدهم، وأن يقاتل من ورائهم، وأن لا يكلفوا فوق طاقتهم" (١٧١).

وهذا دليل على الحرص على الإيفاء بعهد به المسلمون أهل الذمة، بل والدفاع عنهم من أي اعتداء قد يتعرضون له، وأن لا يكلفوا فوق طاقتهم سواءً أكان ذلك بالجزية أم الحراج، وهذا من الناحية المادية أو تكفيفهم بأعمال لا يستطيعون القيام بها. فالواجب الرفق بهم.

أما في عهد الخليفة عثمان رضي الله عنه، فقد صارت البلاد المفتوحة تحت حكم المسلمين، ولذا كانت وصيته إلى الولاة على الأقاليم ومنها بلاد الشام، أن يستوصوا بأهل الذمة خيراً فقال: "... ألا وإن أعدل السيرة أن تظروا في أمور المسلمين فيما عليهم، فتعطوهم ما لهم، وتأخذوهم بما عليهم، ثم تشروا بأهل الذمة فتعطوهم الذي لهم، وتأخذوهم بالذي عليهم" (١٨١).

وبما أن أهل الذمة صاروا من رعايا الخلافة الإسلامية، فكانت وصية الخليفة عثمان رضي الله عنه بالتعامل معهم وفقاً بما أوجبه الشرع الإسلامي بإعطائهم حقوقهم، وإلزامهم بما عليهم من واجبات.

وبذلك نجد أن وصايا الخلفاء الراشدين نفسها، لم تخرج عن الوصايا التي وردت في كتاب الله عز وجل وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم.

### تعامل المسلمين مع سكان بلاد الشام أثناء الفتح:

كان المسلمون أثناء الفتوحات الإسلامية يتمثلون تعاليم كتاب الله عز وجل وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم، والتي تمثلت خلاصتها في وصايا الخلفاء الراشدين التي سبق الإشارة إليها.

فالتأمل في العهود التي منحها المسلمون لأهالي المدن الشامية، يجد أن مضمونها وأهدافها واحدة، لم تختلف منذ فتح أول مدينة وحتى اكتمال الفتح للشام، فهذه بَصْرَى أول مدينة فتحت وعقد أهلها صلحاً مع المسلمين بموجبه يتم منحهم الأمان على دمانهم وأموالهم وأولادهم مقابل دفع الجزية<sup>(١٩٩)</sup>.

وسار المسلمون بالأسلوب نفسه الذي ساروا عليه مع سكان بَصْرَى، حيث أعطى أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه عهد الأمان لأهل لُد ونصه: "بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما أعطى عبد الله عمر أمير المؤمنين أهل لُد، ومن دخل معهم من أهل فلسطين أجمعين، أعطاهم أماناً لأنفسهم وأموالهم، ولكنائسهم وصلبهم وسقيمهم ويرينهم وسائر ملتهم أن لا تسكن كنائسهم ولا تهدم، ولا ينتقص منها ولا من حيزها ولا ملكها، ولا من صلبهم ولا من أموالهم، ولا يكرهون على دينهم، ولا يضار أحد منهم، وعلى أهل لُد، ومن دخل معهم من أهل فلسطين أن يعطوا الجزية كما يعطي أهل مدائن الشام"<sup>(٢٠٠)</sup>.

ولم تخرج العهود التي أعطاهها أبو عبيدة رضي الله عنه لمدين الشام، من حيث المضمون والالتزام مع العهد الذي أعطاه أمير المؤمنين عمر لأهل لُد وسائر أهل فلسطين، فقد أعطى أبو عبيدة عهد الأمان لأهل بعلبك على الحرية الدينية، وعدم الاعتداء على كنائسهم وأموالهم: "بسم الله الرحمن الرحيم، هذا كتاب أمان لفلان بن فلان وأهل بعلبك رومها وفارسها وعربها على أموالهم وكنائسهم ودورهم داخل المدينة وخارجها، وعلى أرحانهم، وللروم أن يرفعوا سرحهم ما بينهم وبين خمسة عشر ميلاً ولا ينزلوا قرية عامرة، فإذا مضى شهر ربيع وحصادي الأولى، ساروا إلى حيث شاؤوا، ومن أسلم منهم فله مالنا وعليه ما علينا، ولتجارهم أن يسافروا إلى حيث أرادوا من البلاد التي صالحنا عليها، وعلى من أقام منهم الجزية والخراج، شهد الله وكفى بالله شهيداً"<sup>(٢٠١)</sup>.

إن العهود التي أوردناها سابقاً على سبيل المثال، لم تختلف عن العهود التي عقدت مع بقية المدن الشامية، فقد تضمنت الآتي:-

- الحرية الدينية فلا يكرهون على اعتناق الإسلام، ولا ينزل المسلمون كنائسهم بغرض السكن أو تهدم أو ينتقص من أجزائها.

- إعطائهم الأمان على أموالهم ودورهم، فلا يجوز التعرض لأموالهم بالمصادرة أو النهب، أو فرض إتاوات بغير حق تتجاوز ما هو مقرر عليهم من الجزية والخراج.

- منح أهل الذمة الأمان على أنفسهم، فلا يجوز التعرض لهم بالأذى الجسدي أو النفسي بالضرب أو الحبس أو السب أو القتل لمجرد الاختلاف في العقيدة، وكذلك عدم التمييز بينهم.

- المساواة بينهم في دفع الجزية، فلا يوجد تمييز بين شخص وآخر، أو مدينة وأخرى، بل الجميع متساوون في تسليمها ومقدارها.

- وعلى الرغم من أن الجنود الروم يعدون أعداء للمسلمين كونهم هم الذين يعدون العدة ويحاربون المسلمين، ومع ذلك نجد أن المسلمين لا يخرجونهم عن عهود الأمان، فأعطوهم مساحات لرعي مواشيهم، ومنحوهم مهلة شهرين للتفكير إما في دخول الإسلام أو البقاء على دينهم، وعليهم الجزية، وإما الخروج إلى حيث يشاءون، وهذا يمثل قمة العدل والتسامح مع أعدائهم.

ويبلغ من حسن تعامل المسلمين مع سكان البلاد التي تم فتحها، احترام رغباتهم فيما يريدون، فقد طلب أهل إيليا من أبي عبيدة الأمان والصلح مثل ما صولح عليه أهل مدن الشام، وشرطوا عليه أن يكون المتولي لعقد الصلح معهم أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فوافق أبو عبيدة وأرسل إلى أمير المؤمنين بالخبر، الذي وافق على ذلك وقدم الشام، واتعد الصلح معهم<sup>١٣٣</sup>.

ولو كانت المسألة غالب ومغلوب لرفض المسلمون طلبهم وأصرروا على فتحها، ولكن احترام رأي الأهالي وسماع ما يقولونه مطلوب، حتى يكتمل الخير وتعم الفائدة الجميع.

وقد التزم المسلمون أثناء الفتح الإسلامي بوصايا الخلفاء، وطبقت على أرض الواقع فيما يخص عدم قتل النساء والأطفال والشيوخ سواءً عند المعارك أو شن الغارات على المدن التي لم تدخل في صلح مع المسلمين. ففي معركة من المعارك حمل صفوان بن المعطل على رومي وقتله ويجواره زوجته عليها سلاح، فلما رأت زوجها قتل، حملت على صفوان الذي لم يتعرض لها<sup>١٣٤</sup> فأومأ إليها بالسيف ولم يضرها، لكنه حمل عليها فولت المرأة من بين يديه<sup>١٣٥</sup>. وكان بإمكان صفوان أن يأخذها سبية له أو أن يستمر في ملاحقاتها حتى يبيت الرعب في قلبها ويخيفها، لكنه فضل تركها.

ومثال آخر يؤكد مدى التزام المسلمين بوصايا الخلفاء ، وعدم مخالفتها أنه أثناء إغارة المسلمين على المعرة<sup>(٢٤)</sup> وبلدة العواصم<sup>(٢٥)</sup> وقنسرين<sup>(٢٦)</sup> وكفر طاب<sup>(٢٧)</sup>، وقع في الأسر نساء وأطفال ورجال، وأصطحبهم الجيش الإسلامي إلى مركز القيادة، فلم يتلذذ عياض بن عتم بمنظر النساء والأطفال وهم يبكون، فأمر بإطلاق سراح الجميع بعد أن أقر الرجال بدفع الجزية<sup>(٢٨)</sup>. ولم تذكر المصادر التاريخية بأن رجلاً من المسلمين انتهك عرض امرأة سواء كانت أسيرة أم غير ذلك.

وبما يحسب أيضاً للمسلمين أثناء الفتح عدم ترويع سكان البلاد المفتوحة بعدم مهاجمتها مباشرة وإثارة الفزع والخوف بين سكانها، وكانوا يعسكرون خارج المدن، وهذا ما حصل في بعلبك، فلم يدخلها المسلمون بل عسكروا خارجها، ولم يسمح لأي فرد من المسلمين بدخولها<sup>(٢٩)</sup>.

والأمر ذاته حدث مع أهالي حمص، فقد عسكر المسلمون خارجها، ونتيجة لأخلاق المسلمين وحسن تعاملهم مع المدن الأخرى، مجد أهل حمص بعرضون على أبي عبيدة الدخول إلى مدينتهم ليقبضهم بصدق المسلمين ولتزامهم بمهودهم في عدم التعرض لأموالهم وممتلكاتهم، ولكنه رفض عرضهم واستقر مع جيشه خارج المدينة، وظل المسلمون في معسكرهم ولم يدخلوا حمص إلا بعد معركة اليرموك ١٥هـ / ٦٣٦م<sup>(٣٠)</sup>.

إن عدم دخول المسلمين المدن وبقائهم خارجها، لا يعني عدم الاختلاط مع سكان بلاد الشام أثناء الفتح، فقد كانت العلاقات بين الجانبين تقوم على الاحترام المتبادل، وازدهرت المدن الشامية تجارياً بوجود المسلمين .

ف نجد حدوث رواج تجاري في بعلبك لأن المسلمين كانوا يغيرون على المناطق الساحلية التي فيها الروم والعرب الذين لم يدخلوا في صلح معهم، فيعودون محملين بالقائم فيبيعونها لأهل بعلبك الذين يفرحون ببيع المسلمين وشراهم. "وربوا في تلك المدة البسيرة مالاً عظيماً"<sup>(٣١)</sup>.

ولو كان المسلمون شرهين ومحبين للأموال وجمعهم، لجعل ذلك أهل بعلبك ينفرون منهم وبقايتهم. ولكن الأموال الطائلة التي جنوها من وراء وجود المسلمين كن بالنسبة إليهم نعمة، حلت عليهم من السماء .

غير أن فرحتهم بما ربحوه من تلك التجارة لم تكتمل ، لأن تلك الأرباح التي جوسه قنحت شهة بطريق بعلبك الروماني للأموال، فطالبهم بالعشر من أرباحهم فوافقوا لكثرة أرباحهم، فطمع

بهم أكثر وطالبهم ببيع أموالهم، وما قاله لهم: "أنا أعلم أن هذه المدينة في كسب عظيم وتجارة رابحة، ما رأى أهل بعلبك مثل هذا أبداً" (١٣٦).

إن ما قام به بطريق بعلبك، يعد شهادة للمسلمين على تعاملهم الراقي مع سكان بلاد الشام أثناء الفتح القائم على إعطاء كل ذي حق حقه، والبعد عن الجشع والطمع في أموال الآخرين، وأن خروجهم كان للدعوة، وما يحصلون على غنائم يتم بيعها برخص للسكان كونهم لا يريدون إلا متطلبات احتياجاتهم فقط دون تكديس الأموال وجمعها، ولأن هذا يتعارض مع النصوص الشرعية، وأهداف خروجهم.

ونتيجة للفارق الشاسع بين تعامل البطريق وتعامل المسلمين مع السكان، ثار الأهالي ضد البطريق وقتلوه مع غلمانهم، وطلبوا من المسلمين دخول المدينة (١٣٧).

إن التجارة لا يستقيم أمرها في حالة عدم الاستقرار وغياب الأمن والأمان، وشيوع الحروب أو وجود إدارة فاسدة، تعبت بالأموال والممتلكات.

ومع وجود الجيوش الإسلامية في بلاد الشام، كان تحار المدن يسعون إلى عقد صلح مع المسلمين الذين كانوا يتمتعون بروية صائبة تجاه التجارة التي يستقيم حال السكان بها، ويطمنون لتوفر احتياجاتهم وسهولة الحصول عليها ببسر وأمان. فعندما ذهب أهل حلب من التجار والعاملين بالسوق وغيرهم إلى أبي عبيدة يطلبون منه عقد الصلح معهم حفاظاً على مصالحهم، قال: "إن هؤلاء أهل متجر وسوق وصناع وهم مستضعفون، وقد رأينا أن نحسن إليهم ونصالحهم ونطيب قلوبهم" (١٣٨).

أما تجار وسوق حمص فكانوا يخرجون إلى معسكر المسلمين، بعد عقد صلح معهم فيبيعون ويشتررون، ويربحون الأموال الكثيرة، وسهل لهم الأمر ساحة المسلمين في بيعهم وشراهم (١٣٩).

والمعروف أن التجار لا يمكن أن يخرجوا للبيع والشراء في معسكر للعدو، لا يأمنوا فيه على تجارتهم وأموالهم، ولكن لما زال الخوف من الجيش الإسلامي، ولعرفتهم من شواهد سابقة لسوها أن هؤلاء لا يتعرضون لحقوق الآخرين مهما كانت.

موقف سكان بلاد الشام من المسلمين أثناء الفتح:-

لم تكن الانتصارات العسكرية التي حققها المسلمون هي السبب في ضم بلاد الشام إلى دار الإسلام، بل كان هلاك ما هو أعظم منها تأثيراً على السكان، ألا وهو الجانب الأخلاقي، فقد كان له تأثير عظيم على هؤلاء السكان، حيث كان المسلمون يتمتعون بأخلاق عالية وإن شذ عنهم القليل، فلم يقدروا أو يخافوا ما عقده مع السكان من عهد الصلح، أو يعترضوا الطرق بهدف السلب والنهب، فكانت أخلاقهم النابعة عن الدين الإسلامي، تؤثر في السكان وتجعل أهل البلاد التي لم تفتح بعد يسهون بأنفسهم لعقد الصلح مع المسلمين، ليس خوفاً منهم، وإنما لما سمعوه عن سلوكهم وأخلاقهم.

فهذا أمير " قدمه " يجمع رعيته عند سماعه بقدوم المسلمين، ويقول عنهم لقومه "إن قومنا يتحدثون بعدلهم وحسن سيرتهم، وإنهم لا يطلبون الفساد"<sup>(٣٦)</sup>. ولما عرض عليهم عقد صلح مع المسلمين فرحوا واعدوا مستلزمات الضيافة لهم دون تكليف أو إكراه من أحد<sup>(٣٧)</sup>.

وأما أهل حماء فخرجوا ومعهم الإيجيل يعرضون الصلح على بني عبيدة، ويقولون له "نريد أن نكون في صلحكم وذماكم فنتم أحب إنبت"<sup>(٣٨)</sup>.

والواضح من ذلك أن سمعة المسلمين الطيبة وحسن أخلاقهم في التعامل مع الأهالي، وكذلك عدلهم ذاع في أنحاء بلاد الشام، حيث صار الأهالي يتحدثون عن سماتهم ويشنون عليهم، فأثناء قدوم الجيش الرومي لقتال المسلمين قبل معركة اليرموك، وكان معهم أحد نصارى العرب والذي روى ذلك بقوله "وأقبلت مع الروم فجعلنا لا نمر بأحد من أهل البلد، إلا وجدناهم أحسن شيء ثناء على العرب في كل شيء من أمرهم وفي سيرتهم"<sup>(٣٩)</sup>.

إن ما ذكره هذا العربي النصراني صحيح فلو كان الأمر خلاف ذلك لذكره، وما يؤكد صدق كلامه أن أهل الذمة في بعض المدن صاروا عيوناً للمسلمين، فنجد أهل شيزر<sup>(٤٠)</sup> بعد استقبالهم لأبي عبيدة وعقد الصلح معه، يخبرونه بأن هرقل قد بعث جيشاً بقيادة جبلة بن الأيهم الغساني ومعه العرب المنتصرة والروم عشرة آلاف فارس بعد استنجد صاحب قنسرين، ونزلهم بجسر الحديد، وطُلب منه أن يكون على حذر منهم<sup>(٤١)</sup> فكان ينبغي على أهل شيزر أن يبقوا مع الروم إخوانهم في العقيدة ضد المسلمين، ولكن حدث العكس، فقد صاروا عيوناً للمسلمين يراقبون تحركات الروم. وينقلون الأخبار إليهم بدون إكراه أو إلزام، لقناعتهم بعدل المسلمين وإحسانهم، فصاروا أحب إليهم من إخوانهم في العقيدة.

وفي حلب حدث انقسام بين والي المدينة الرومي الذي استعد بجيشه وخرج لقتال المسلمين، وبين الأهالي المرحبين بقدومهم، حيث خرج ممثلو الأهالي سراً ويدون إذن البطريق إلى أبي عبيدة يطلبون الصلح "جئنا نطلب منكم الصلح"<sup>(١١١)</sup>. بما يشير إلى رفضهم مبدأ القتال. ولولا حسن تعامل المسلمين مع السكان، لما فعل أهالي حلب ما فعلوه، ولو رافق دخول المسلمين للمدن والقرى القتل، والسلب والنهب والاعتداء على الأعراس لصعد الأهالي مع الجيش الرومي، وقاتلوا معه وسينتصرون في النهاية، لأن من يقاتلونهم عبدة عن لصوص وقتله لا هم لهم إلا أنفسهم وتحقيق مصالحهم.

أما سكان حمص فقد يادروا إلى طلب صلح المسلمين قبل وصولهم وكذا طلب الأمان لهم، فأمنهم المسلمون، فرحبوا بهم عند وصولهم وأخرجوا لهم الطعام ولبهاهم العلف<sup>(١١٢)</sup>.

ووجد من أهل الشام أفراد يتعاونون مع المسلمين، لأنهم لم يروا منهم إلا كل خير، ومن هؤلاء شخص حمل رسالة من المسلمين إلى بطريق حمص، ويسو أنه كان شخصية لها مكانتها ومعروفة في المجتمع الشامي، حتى إن البطريق استعرب من تصرفه، وسأله: "أرجعت عن دينك إلى دين العرب؟ قال: لا، ولكن في ذمتهم وعهدهم أنا وأولادي وأهلي وأهلي، وما رأينا من القوم إلا خيراً..."<sup>(١١٣)</sup>.

ولم يقتصر الأمر على ذلك بل إن أهالي حمص استعدوا لقتال الروم إلى جانب المسلمين بعد انسحاب المسلمين منها، وتعاهدوا على قتال جيش هرقل إذا حاول اقتحام المدينة، وأقسم اليهود: "والتوراة لا يدخل عامل هرقل مدينة حمص إلا أن تغلب ونجهد"<sup>(١١٤)</sup>. وأغلق الأهالي الأبواب، وتناوبوا الحراسة عليها، ولما علم أهل الذمة الذين صالحوا المسلمين في مدن الشام الأخرى، بذلك استعدوا لقتال الروم إلى جانب المسلمين، خوفاً من عودتهم إلى العبودية الرومية، بعد أن حررهم الإسلام منها ورفع عنهم الظلم.

ولو سار المسلمون على نهج الروم لوقف أهل الذمة على الحيد، لأنهم لا يريدون الجميع، وربما وقفوا إلى جانب الروم بحكم الرابطة الديني، ولكنهم رُؤوا مصلحتهم أن يكونوا تحت حكم المسلمين، لأنهم أرحم بهم، وقالوا: "إن ظهر الروم وأتباعهم على المسلمين صرنا إلى ما كنا عليه"<sup>(١١٥)</sup>.

وبعد انتصار المسلمين في معركة اليرموك فتح أهل الذمة مدنهم للمسلمين، وعادت العلاقة بينهم بموجب العهود السابقة.

وبرغم ترحيب الغالبية العظمى من أهل الذمة بالمسلمين، إلا أنه وجد من بينهم من يُكن للفاتحين الكراهية ويرغب في القضاء عليهم، مثل أهل بيت المقدس، الذين سعوا في البداية إلى الصلح واشتروا عقده مع الخليفة عمر رضي الله عنه، وعلى الرغم من مجيئه وعقد الصلح معه، إلا أنهم حاولوا بعد ذلك الغدر بالمسلمين وقتلهم وهم في الصلاة بدون سلاح، غير أن بعضهم نصح بعدم الإقدام على هذا العمل، حتى لا ينقضوا الصلح، وطلب منهم بدلاً عن ذلك بإغرائهم بما يملكون من الأموال والمتاع، يعرضها في طريقهم، فإذا اعتدوا عليها كان لهم الحق في قتالهم<sup>(١٧)</sup>.

فعمل الأهالي بهذه النصيحة وأخرجوا كل ما لديهم من مال ومتاع ووضعوه في الطريق، فكان المسلمون ينظرون إلى ذلك في دخولهم وخروجهم، وهم يعجبون من ذلك الأمر، ويقولون: "الحمد لله الذي أورثنا ديار قوم لهم مثل هذا"<sup>(١٨)</sup>.

ومن ثم فقد حدث عكس ما كان يخطط له، فلم يلتفت أحد من المسلمين لما تم عرضه بل مجدهم يستفرون من تصرفات سكان بيت المقدس، وري أصاب أهل الذمة الحيرة والدهشة من تصرفات المسلمين، وتغيرت نظرتهم تجاه المسلمين بعد تأكدهم من رقي سلوكهم بعد هذا الاختبار العملي، إذا لم تذكر المصادر التاريخية التي أطلعنا عليها، وحسب عدم تكرار مثل هذه الحادثة أو غيرها خلال الفترة الزمنية لهذا البحث.

وقد لفت سلوك المسلمين الراقي انتباه بطريق دمشق ومعه قادته، وأعجبوا بهم، فعندما كانوا يغربون على أطراف دمشق وأصابوا نغلاً أتوا به في المقسم فلم يستحل أحد أن يغزل شيئاً حتى أن الرجل من المسلمين، كان رعا أني بكبة من غزل وبكبة من الصوف والشعر والإبرة و المسلة، وما فوق ذلك فيسلمه إلى صاحب المقسم<sup>(١٩)</sup>.

والمطلع على كتب التاريخ لا يجد مثلاً مشابهاً لما قام به أهالي بلاد الشام مع المسلمين، ولولا الرعاية لهم والمحافظة على العهد من قبل المسلمين لما حدث من الأهالي هذا التأييد والترحيب وتذليل كافة الصعوبات التي تعترض طريقهم.

المحور الثاني : حقوق أهل الذمة من سكان الشام بعد الفتح :

تغير وضع سكان بلاد الشام بعد أن صاروا من رعايا الخلافة الإسلامية، وأصبح وضعهم

أفضل ما كانوا عليه في عهد حكم الروم، الذي استمر سبعة قرون<sup>١٥</sup>. حيث أصبح لهم حقوق عديدة لم يكونوا يتمتعون بها مثل : حرية الاعتقاد والحرية السياسية، وحماية ممتلكاتهم، وحرية التقاضي والعدل، وحرية المتاجرة والكسب، وغيرها من الحقوق، وأصبحوا في الوقت نفسه ملزمين بتأدية واجبات تجاه الخلافة الإسلامية.

فقد كفل الإسلام لهم هذه الحريات ورعاها وحافظ عليها، ولم تكن هبة منحها المسلمون - قادة وأفراد - إذ لو كان الأمر كذلك لتغيرت السياسة من قائد إلى آخر وفقاً لأهوائهم .

### حرية الاعتقاد :

الحرية بالنسبة للإنسان من ضروريات حياته، فلا يمكن أن يستغنى عنها بأي حال من الأحوال، والحرية تشمل نواح عدة من بينها حرية الديانة وممارسة شعائرها بدون تدخل من أحد، والإسلام لا يدعو أتباع الديانات الأخرى مثل النصرانية واليهودية وغيرها إلى اعتناق الإسلام بالإكراه، وإنما ترك لهم حرية الاختيار وهذا ليس اجتهد من المسلمين، وإنما أمر ملزم من رب العالمين (لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي، فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر)<sup>١٦</sup>. وبالتالي فما على المسلمين سوى التنفيذ، والالتزام بما ورد .

فقد انتشر الإسلام بالدعوة القائمة على الكلمة الطيبة والموعظة الحسنة، وسار المسلمون في بلاد الشام على هذا النحو، فقد عرض أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه أثناء وجوده في بلاد الشام الإسلام على امرأة نصرانية عجوز، لكنها رفضت وفضلت الاحتفاظ بدينها حيث قال لها: "أسلمي تسلمي، بعث الله محمداً بالحق، فكشفت عن رأسها فإذا مثل الشفامة"<sup>١٧</sup>، فقالت: عجوز كبيرة، وإنما أموت الآن، قال عمر: اللهم اشهد"<sup>١٨</sup>.

وهذا جيلة بن الأيهم الفسائي يعرض عليه عمر بن الخطاب رضي الله عنه الإسلام "فأبى ذلك وقال: أقيم على ديني"<sup>١٩</sup>.

وفهم من النصين السابقين أن التبليغ والتعريف بالإسلام من مهام المسلمين ولا فهم محاسبون على التقصير أمام الله ، وأن الدعوة قد بلغت وبرت ذمة الخليفة أمام ربه في تبليغ رسالته، ولم يمارس الخليفة أي ضغط لتغيير دين من دعاهم إلى الإسلام، وفي المقابل لم يخافوا أو يعتنقوا الإسلام إرضاء للخليفة.

وكذلك كان الحال بالنسبة لقادة الفتح الإسلامي لبلاد الشام، فكان واجهم الإبلاغ دون الإكراه، فقد عرض خالد بن الوليد الإسلام على البطريق الرومي على الرستن الذي وقع في أسر المسلمين، فكان رده: "لا أريد بديسي بدلا"<sup>(٥٥)</sup>. فلم يعامل معاملة سيئة لأنه رفض الإسلام، بل أطلق سراحه وخرج مع أفراد أسرته إلى حمص، ولم تكن قد فتحت بعد<sup>(٥٦)</sup>.

وحدث الموقف نفسه مع القائد البيزنطي ماهان، فقد عرض عليه خالد بن الوليد الإسلام، فرد بقوله: "أما أن ندخل في دينكم، فما أبعد من ترى من الناس من يترك دينه، ويدخل في دينكم"<sup>(٥٧)</sup>.

أما بالنسبة لسكان بلاد الشام بشكل عام فقد منحوا حرية الاعتقاد بموجب العهد التي منحت لهم من قبل قادة الفتح الإسلامي<sup>(٥٨)</sup>. ولم يجبر إنسان أو جماعة على اعتناق الإسلام، فقد منح خالد بن الوليد أهل الرستن حرية الاعتقاد "فأسلم منهم كثير وبقي الأكثر يؤدون الجزية"<sup>(٥٩)</sup>.

أما حاضر<sup>(٦٠)</sup> قسرين التي تسكنها بعض القبائل العربية، ومنها تنوخ، فقد دعاهم أبو عبيدة ابن الجراح إلى الإسلام "فأسلم بعضهم وأقام على النصرانية بنو سليح"<sup>(٦١)</sup>. ولم يسلموا إلا في عهد الخليفة العباسي المهدي<sup>(٦٢)</sup>.

وهؤلاء أهل طرابلس يُعرض عليهم الإسلام "فأسلم البعض بينما بقي البعض الآخر على دينه مع دفع الجزية"<sup>(٦٣)</sup>.

إن إكراه الناس على اعتناق الإسلام غير حائز شرعاً، ولا يجدي نفعاً لأنه يولد العداوة والتمسك بعقيدتهم، والدفاع عنها حتى الموت، والتاريخ يثبت ذلك، فقد حدث في بلاد الشام صراع شديد بين أهل الشام المعتنقين للمذهب المونوفيزي، الذي يؤمن أتباعه بأن للمسيح طبيعة لاهوتية واحدة، وبين المذهب الملكاني الذي يؤمن أتباعه ومنهم الروم (البيزنطيون) بأن للمسيح طبيعتين بشريه وإلهية، ونتيجة لهذا الاختلاف المذهبي، استخدمت الدولة الرومية وسائل عدة لإجبار أهل الشام على اعتناق المذهب الملكاني منها القتل والتعذيب بأشنع صورته<sup>(٦٤)</sup>. فهل نفع القتل وخوف الشاميون منها وتحولوا عن مذهبهم؟ وهل نجحت وسائل التعذيب في تحقيق ذلك الهدف؟ ولجوب على ذلك أن الدولة الرومسة فشلت في تحويلهم إلى مذهبها.

وتجدد هذا الصراع المذهبي لم يزد الشاميين إلا قسكاً بمذهبهم ومقاومة أساليب القتل والتعذيب بالصبر.

إن الانتقال من دين إلى دين آخر لا يمكن أن يتم إلا عن قناعة وإيمان عميق بالدين الجديد.

لقد مُنح أهل الذمة حرية الاعتقاد وممارسة طقوسهم الدينية، وحفظت أماكن عبادتهم من كنائس وأديرة، ومثلما كان الأذان يرفع من المآذن للإعلان بدخول وقت الصلاة، فقد كانت تضرب نواقيس الكنائس فيسمع أجراسها حتى إن بعض المسلمين قد تذمر منها، لأنها طقت على أصوات المؤذنين فتمنع سماعهم، وهذا يعلم وموافقة الوالي<sup>(١٧١)</sup>، الذي لا يتدخل لتوقيفها أو منعها لأنها مرتبطة بالناحية العقدية لأهل الذمة، وهذا يؤكد على الحرية الدينية التي قنعوا بها في بلاد الشام.

إن حرية الاعتقاد لأهل الذمة التي منحت لهم من المسلمين تشهد بها المصادر التاريخية، ويشهد بها الكثير من المؤرخين الغربيين فيقول سيدو<sup>(١٧٢)</sup> عن المسلمين أنهم "أبدوا من الإيفاء بالعهود ما أبدوا مبتعدين عن كل جور".

أما جرجي زيدان<sup>(١٧٣)</sup> فيشهد بعدم تدخل المسلمين في شؤون أهل الذمة في كافة نواحي حياتهم، فيقول: "كان العرب إذا فتحوا بلداً أقروا أهله على ما كانوا عليه من قبل، لا يتعرضون لهم في شيء من دينهم أو معاملاتهم أو أحكامهم المدنية أو القضائية أو سائر أحوالهم".

ولا يشذ عن هذا الرأي عوستاف لويون<sup>(١٧٤)</sup> الذي يؤكد أن المسلمين عرفوا : " كيف يحجمون عن حمل أحد بالقوة على ترك دينه، وعرفوا كيف يبعدون عن أعمال السيف فيمن لم يسلم، وأعلنوا في كل مكان أنهم يحترمون عقائد الشعوب وأعراقها وعاداتها مكتفين بأخذهم في مقابل حمايتها جزية زهيدة".

بينما نجد ساليان<sup>(١٧٥)</sup> يقول عن علاقة المسلمين بأهل الذمة من الناحية العقدية أنهم: "سحوا لهؤلاء الرعايا بممارسة طقوسهم الدينية المحلية... وعلى عكس ما هو معروف لم يحاول المسلمون إجبار رعاياهم على اعتناق الإسلام".

كما يذكر لوثروب<sup>(١٧٦)</sup> بأن الخليفة عمر رضي الله عنه "يرعي حرمة الأماكن المقدسة النصرانية أيم رعاية، وقد سار خلفاؤه من بعده على أثره، فلا ضيقوا على النصارى ولا نالوا بمساة طوائف الحجاج الوافدين كل عام إلى بيت المقدس من كل فج من أفجاج العالم الإسلامي".

هذه الشهادات وغيرها تؤكد بأن المسلمين منحوا أهل الذمة الحرية العقدية في ممارسة طقوسهم

الدينية والمحافظة على أماكن عبادتهم مثل الكنائس والأديرة والمعابد من الهدم والمصادرة.

### الحرية السياسية :

عند الفتح الإسلامي لبلاد الشام أبقت الخلافة الإسلامية الولاة الروم في المدن التي كانوا يحكمونها ، وذلك بعد عقد الصلح معهم ، وأبقت النظم الإدارية المعمول بها دون تغيير ، فظل الولاة والموظفون في مناصبهم.

فقد ظل صاحب بيت المقدس والياً عليها بعد انعقاد الصلح مع عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، وحاول هذا الوالي عمل وليمة طعام لأمر المؤمنين ، لكنه رفض حتى لا يرهقه ويحملة ما لا طاقة له<sup>(١٧١)</sup>.

وعند فتح الره لم يتم عزل واليها الروماني ميظولس الذي عمل طعاماً كثيراً ودعا عياض بن غنم ومن شاء من المسلمين لنبأه ، لكنه اعتذر اقتداء بأمر المؤمنين عمر ، فصار البطريق معرجاً بين أصحابه وقادته ، فطلب من عيص أن يأمر أصحابه بتلبية دعوته ، فقال : " ما كنت بالذي أمرهم ولا أنهارهم<sup>(١٧٢)</sup> ".

فازداد أمير الره حرجاً ، وربما ظهرت عليه علامات الخوف حتى أن عيص طعنه وقال له : " أيها البطريق إنما أنت تفعل بنا ذلك خوفاً على أرضك ، وإنما يجب عليك أن تفعل هذا بمن يأتيك بعدنا ، فأما نحن فقد وفينا لك بالصلح فلا تخف منا ظمناً ، ولا أن نحملك ما لا تطيق<sup>(١٧٣)</sup> . ويحمل هذا الجواب تحسن تعامل المسلمين مع أهل الذمة ووفائهم بالعهود وعدم نكثها مهما كانت الظروف ، وعدم تحميل أهل الذمة ما لا يطيقون ، وهذا منهج سار عليه جميع المسلمين .

وعلى الرغم من أن بلاد الشام قد صارت تابعة للخلافة الإسلامية إلا أنها لم تتدخل في شؤون أهل الذمة الداخلية ، فالولاة كانوا يعيّنون من قبل الدولة الرومية ، ولا يحدث اعتراض من قبل المسلمين ، لأنهم يعتبرون هذا شأن داخلي خاص بأهل الذمة ، طمأ وأمر دعوتهم قائمة.

فبعد وفاة بطريق شيزر الذي عقد صلح مع المسلمين ، أرسل هرقل امبراطور الروم بطريقاً على شيزر اسمه نكس ، وكان عاتياً جباراً ، وكان أول عمل قام به هو إلغاء الصلح مع المسلمين ، ثم أساء السيرة مع أهل شيزر بالاعتداء عليهم والاستيلاء على أموالهم ، ومصادرة ممتلكاتهم ، ولما

علم أبا عبيدة بالغاء ( نكس ) الصلح مع المسلمين ، أعد جيشاً لمقاتلته ، وقدر للمسلمين عدم الدخول في قتال معه لأن أهل شيزر ثاروا عليه وعلى أتباعه وقتلوه جميعاً ، ثم خرجوا إلى أبي عبيدة الذي كان معسكراً خارج المدينة وقالوا له : " أيها الأمير إنا قتلنا بطريقنا في محبتكم ، فقال : يا أهل شيزر بيض الله وجوهكم وأدرر رزقكم ... " (٧٤) .

ونجد هنا أن المسلمين لم يتدخلوا في شئون أهل الذمة الداخلية مهما كان الصراع بينهم حاكماً ومحكوماً وأنهم لم يتهيأوا للتحرك ضد والي شيزر الروماني إلا لكونه نقض صلحهم فقط وليس لقيامه بظلم أهالي المدينة الذين قاموا بهذه المهمة وتحلصوا من نكس وأتباعه بدون تحريض من المسلمين أو دعم مادي ومعنوي قديم لهم . فكل ما قاموا به هو كراهيتهم لبطريقهم الذي أساء السيرة فيهم ، ومحبة في المسلمين لما لمسوه من الصدق والوفاء عندهم .

وتكرر الحدث نفسه في بعلبك ، حيث عقد المسلمون صلحاً مع بطريقها الروماني ، وظلوا في معسكرهم خارج المدينة ، ولكن التعامل بين المسلمين وسكان المدينة كان قائماً وخاصة في الناحية التجارية ، ولم كسب تاجر المدينة الأموال الطائلة من تجارتهم مع المسلمين ابتزهم البطريق وفرض عليهم تسليم عُشر أرباحهم ، ورغم استحسانهم لمطلبه فقد زادت أطاعه وفرض عليهم تسليم ربع أموالهم ، فثاروا عليه وتم قتله مع أتباعه ، وبعد هذا الحدث طلب أهل بعلبك من المسلمين دخول مدينتهم ، لكنهم فضّلوا التشاور مع أبي عبيدة بن الجراح الذي وافق على دخولهم بناءً على طلب أهلها ، وهذا ليس مخالفاً للعهد معهم (٧٥) .

إن الدولة - أي دولة - عندما تستولي على بلاد تسعى بكل ما تستطيع إلى ربطها بملكها عن طريق تعيين ولاية من قبلها ، وبواسطتهم تفرض القوانين والأعراف والتقاليد حتى تضمن ولائهم ، لكن الخلافة الإسلامية أبقت الولاية والنظم السائدة في بلاد الشام كما هي دون تغيير ، لأن هدف المسلمين ليس سياسياً أو مالياً وإنما دينياً يقوم على الدعوة إلى الإسلام .

يقول ساليقان (٧٦) بأن المسلمين أبقوا " النظم الحكومية كما هي في البلاد التي فتحوها " . كما يقول جرجي زيدان (٧٧) عن المهج الذي سار عليه المسلمون : " كان العرب إذا فتحوا بلداً أقروا أهله على ما كانوا عليه من قبل لا يتعرضون لهم في شيء " .

## احترام عادات وتقاليد أهل الذمة :

مع إن العهود التي منحها المسلمون لأهل الذمة لا تتضمن بنداً صريحاً يلزم المسلمين باحترام عادات وتقاليد أهل الذمة من سكان بلاد الشام إلا أن حرص الولاة على الإيفاء بتلك العهود جعلهم يعدون تلك الأمور من بين الأسباب التي يمكن أن يؤدي الاختلاف فيها إلى نقض تلك العهود وبالتالي اعتبروها من خصوصيات أهل الذمة التي ينبغي احترامها عند التعامل معهم، وما يذكر أنه لما قدم الخليفة عمر بن الخطاب رضى الله عنه بلاد الشام استقبله جمع من أهل الذمة بالسيف والرياحن ، فاستنكر الأمر وأمر بردهم ومنعهم " فقال أبو عبيدة : يا أمير المؤمنين هذه سنة العجم أو كلمة نحوها وإنا إن سمعهم منها يروا في ذلك نقضاً لعهدهم فقال عمر : دعوهم " (٧٨) .

واستقبال هؤلاء الخليفة عمر بن الخطاب رضى الله عنه بالسيف والرياحن كان لعبة ترحيبية تقوم بها فئة من أهل الشام تعرف بـ ( المقلسين ) بين أيدي الأمراء الذين يقدمون إلى بلادهم (٧٩) ، وبالتالي فعندما عرف الخليفة أنها من عاداتهم وتقاليدهم المتوارثة فقد أقرها رغم كراهيته لها . ولم يستخدم سلطته في إجبار أهل الذمة على تركها

## حماية ملكيات أهل الذمة:

كان لأهل الذمة ممتلكات مختلفة مادية وعينية كالببوت والأراضي وما أن حماية تلك الملكيات حقاً من حقوق أهل الذمة فقد حفظها المسلمون لهم وسَلَّمت من النهب والمصادرة بموجب النصوص الشرعية الإسلامية ووصايا الخلفاء والعهود التي عقدت معهم ..

فبالنسبة لببوت أهل الذمة فقد كانت محرمة على المسلمين دخولها إلا بإذن أصحابها ، فعندما عقد المسلمون صلحاً مع أهل الرها نادى عياض بن غنم في جنده : " ألا إن أهل الرها في ذمتنا وعهدنا ، فلا تؤذوهم ، ولا تدخلوا عليهم في منازلهم إلا بإذن ... " (٨٠) .

ونجد في هذه الرواية أن الأوامر لجند المسلمين لم تقتصر على عدم دخول المسلمين الببوت إلا بإذن أصحابها ، وإنما عدم إيذائهم في مدينتهم بشكل عام ، سواء كان ذلك بالجلوس في الطرقات ومزاولة المارة أم التصنت على السكان في بيوتهم ومراقبتهم ، أو كشف عوراتهم ، وهذا يعني الحفاظ على حرية العيش لأهل الذمة .

ووجدت بيوت خالية من سكانها أثناء الفتوحات تركها أصحابها وقروا منها خوفاً من المسلمين ، وما قد يتعرضون له بحسب رأيهم ، ورغم هذا نجد المسلمين هنا لا يحلون لأنفسهم هذه البيوت الخالية من سكانها وما فيها من محتلكات ، وإنما تركت حتى يعود أصحابها إليها<sup>(٨٦)</sup> ، وصار لزاماً على المسلمين حمايتها من أي طامع أو معتد ، وكان هذا هو تعامل المسلمين مع بيوت أهل الذمة في معظم بلاد الشام .

أما بيوت دمشق فستتوقف عندها قليلاً ، ونتناول الخلاف بين المؤرخين حولها ، فنجد الطبري<sup>(٨٧)</sup> يورد رواية عن سيف بن عمر التميمي دون إيراد بنود الصلح أو العهد ، لكنه يذكر بأن الصلح مع أهل دمشق " كان على المقاسمة ، الدينار والعقار " وأخذ بهذه الرواية العديد من المؤرخين<sup>(٨٨)</sup> .

أما البلاذري<sup>(٨٩)</sup> فقد أورد رواية انعرد بها ، تضمنت العهد الذي أعطاه خالد بن الوليد رضي الله عنه لأهل دمشق " بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا ما أعطى خالد بن الوليد أهل دمشق إذا دخلها وأعطاهم أماناً على أنفسهم ، وأموالهم ، وكنائسهم ، وسور مدينتهم لا يهدم ، ولا يسكن شيء من دورهم ، لهم بذلك عهد الله وذمة رسوله صلى الله عليه وسلم ، والخلفاء والمؤمنين ، لا يعرض لهم إلا بخير إذا أعطوا الجزية " ، ولم يقتصر الأمر على ذلك بل إننا نجد ينفى مسألة المصافاة المذكورة وقتل ذلك في قوله : " وزعم الهيثم بن عدي أن أهل دمشق صولحوا على أنصاف منازلهم وكنائسهم ، وقال محمد بن سعد قال أبو عبيد الله الواقدي : قرأت كتاب خالد بن الوليد لأهل دمشق فلم أر فيه أنصاف المنازل والكنائس ، وقد روى ذلك ولا أدري من أين جاء به من رواه ، ولكن دمشق لما فتحت لحق بشر كثير من أهلها بهرقل وهو بأنطاكية ، فكثرت فضول منازلها فنزلها المسلمون<sup>(٩٠)</sup> .

وأمام هذا التباين بين ما ورد عند المؤرخين حول هذا الأمر ، فإننا نميل إلى ما ذكره البلاذري باعتبار عدة هي :

- إن هذا العهد لا يخلف عن العهود التي منحت لأهل الذمة في مدن الشام كافة
- لماذا يتم تقسيم دور أهل دمشق دون غيرهم من أهل الذمة في مدن الشام ؟ وما هو الجرم الذي قاموا به حتى يتم تقسيم أموالهم ودورهم ؟

- إذا أقر أهل الذمة بالجزية وسُلمت للمسلمين بعد الفتح ، صار لهم حقوق كما نص العهد وبحسب الشرع بأن أهل الذمة الذين يعطون الجزية " لم يؤخذ منهم شيء من ثمارهم ولا تجارهم ولا زروعهم " <sup>(٨٦)</sup> فكيف للمسلمين أن ينتهكوا العهد ويقاسموا أهل الذمة في دمشق أموالهم وبيوتهم ، وهذا يُعد مخالفة للشرع الإسلامي ولأهداف الفتوحات .
- إن كتب الفتوح لم تشر إلى المناصفة <sup>(٨٧)</sup> .

ويبدو أنه حدث خلط بين الرواة حول هذا الأمر ، فالبيوت التي نزل فيها المسلمون كانت خالية من سكانها كما ذكرنا سابقاً ، ولو كانت عامرة بأصحابها لما نزلها المسلمون على الإطلاق ، فلم تذكر المصادر التاريخية بأن المسلمين أخرجوا أصحاب تلك البيوت عنها بالقوة ، وقت مصادرتها ، ولو حدث مثل هذا لذكرت ذلك .

وبالنسبة لحمص فقد أورد الطبري <sup>(٨٨)</sup> أيضاً أن المسلمين صالحوا أهل حمص " على انصاف دورهم ، وعلى أن يترك المسلمون أموال الروم وبيوتهم لا يزلونهم عليهم ، فتركوه لهم " . ونجد أن هذا تكرار لما ذكره عن صلح دمشق ، والشيء الجديد فيه أنه أورد عدم المناصفة في أموالهم ، وترك أموال الروم وبيوتهم لأهل حمص .

ونحن لا نميل إلى ما أورد الطبري لأنه يتناقض مع ما ورد في بقية المصادر <sup>(٨٩)</sup> ومنها فتوح البلدان <sup>٩</sup> ، الذي ذكر أن أبا عبيدة عندما صالح أهل حمص " أمنهم على أنفسهم وأموالهم وسور مدينتهم وكنائسهم ، واستثنى عليهم ربع كنيسة يوحنا للمسيح " . أما الأزدي <sup>(٩٠)</sup> فذكر أن أبا عبيدة كتب لهم " كتاباً بالأمان على أنفسهم وأموالهم وكنائسهم ... " .

إن عهود الصلح التي عقدها المسلمون مع أهالي مدن الشام لا اختلاف بينها من حيث المضمون والذي منه الأمان لبيوتهم وعدم نزولها ومصادرتها ، وإن اختلف منحها .

وفي بعض الأحيان وظروف خاصة تستدعي ذلك يضطر المسلمون إلى إخلاء السكان من دورهم إذا اقتضى الأمر مثلما حدث مع سكان مدينة عرب سوس ، والسبب الذي جعل عمير بن سعد يقوم بهذا العمل أنها كانت عبارة عن مركز محصن للروم على المسلمين مما ألحق الأذى بهم ، وقبل قيام عمير بذلك استأذن الخليفة ، " يا أمير المؤمنين بينما وبين عدونا مدينة يقال لها عرب سوس يُطْلَعُ عدونا على عوراتنا ويقعلون ويقعلون ، فقال عمر : خيرهم بين أن ينتقلوا من مدينتهم وتعطيهم مكان كل شاه شاتين ، ومكان كل بقرة بقرتين ، ومكان كل شيء شيتين ، فإن فعلوا فاعطهم ذلك ، وإن أبوا فأنه إليهم على سواء ثم أجلهم سنة " <sup>(٩١)</sup> .

ولما عرض عمير أمر الخليفة على سكان عرب سوس رفضوا ، فاضطر إلى إخراجهم بالقوة وصاحب إخراجهم حدوث أضرار في دورهم ، فوصلت الأخبار إلى أمير المؤمنين فلم يسامحه وضربه بالدرّة<sup>(١٣٦)</sup> . وما قام به عمير شيء طبيعي أن يصاحب عمله ضرر سواء للسكان أو البيوت نتيجة لرفضهم ، ومع ذلك لم يغفر له الخليفة للأذى الذي لحق بأهل الذمة ، وهذا يمثل قعة الأخلاق في التعامل والمحافظة على شعور أهل الذمة.

والإجلاء لم يكن دائماً وإنما كان مؤقتاً ومحدداً بمدة زمنية ( لمدة عام ) ، ثم يسمح لهم بالعودة ، ولم يذكر بأن المسلمين قد نزلوا هذه البيوت خلال مدة الإجلاء ، وإنما ظلت خالية ، ورى كلف من المسلمين من يحرسها حتى عودة أصحابها .

وقد كفلت العهود أيضاً حماية أراضي أهل الذمة فلا يجوز الاستيلاء عليها أو مصادرتها أو الاعتداء عليها ، وأولاه الخلفاء حل «تسامهم من خلال المتابعة لما يجري في بلاد الشام ، وقد ذكرنا سابقاً رسالة أبي بكر الصديق رضى الله عنه لأبي عبيدة بن الجراح يطلب منه منع أي فساد قد يلحق بأراضي الدارين ، ويعلمه أن أهل أحق بزيارتها ، وأنه بعث أيضاً برسالة إلى الدارين بطمئنتهم على أراضيهم بمع المفسدين عنها

ولم يكتف المسلمون بذلك ، بل سجدتهم يحافظون على أشجارها من الاعتداء عليها . فعندما كان أبو عبيدة بن الجراح في شيزر كانت عبيد المسلمين تأتي بالأحطاب من أشجار الزيتون والرمان وغيرها من الأشجار ، فلما علم أنكروا عليهم ذلك وقال : " ما هذا الفساد ، فقالوا : أيها الأمير إن الأحطاب متباعدة منه ، وهذه الأشجار قريبة ، فقال الأمير أبو عبيدة : عزمة مني على كل حر وعبد قطع شجرة لها طعام وثمار لأجازينه ولأتكلن به ، فلما سمع العبيد ذلك النكال جعلوا يأتون بالأحطاب من أقصى الديار<sup>(١٣٧)</sup> .

ومثال آخر يؤيد ذلك نلسمه فيما ذكر عن الخليفة عمر بن الخطاب رضى الله عنه . فأثناء وجوده في الجابية جاء إليه رجل من أهل الذمة يشكو إليه قيام بعض المسلمين بالتعرض لعنينة ، فسارع الخليفة عندها إلى مزرعة ذلك الذمي ولما تأكد بنفسه من ذلك الأمر بعد رؤيته أحد المسلمين يحمل عنبا أمر " لصاحب الكرّم بقيمة عنبة<sup>(١٣٨)</sup> .

ولم يقتصر الأمر على ذلك بل إن الخليفة " تبرأ إلى أهل الذمة من معرة الجيش<sup>(١٣٩)</sup> واستخدام الخليفة كلمة معرة يعني أنه نظر إلى ذلك الفعل أنه من الأفعال المستقبحة والمكرهة لدى المسلمين لأن ذلك هو مدلول تلك الكلمة كما يذكر ابن منظور<sup>(١٤٠)</sup> .

والأمثلة السابقة توضح دور الجانب الرسمي في المحافظة على أراضي أهل الذمة وما تحويه من أشجار وثمار ، أما على المستوى الشخصي فيتضح ذلك فيما قام به أبو الدرداء رضى الله عنه حيث كان ينزل في قرية لأهل الذمة ولا يزيد أثناء جلوسه فيها عن شرب مائهم والاستظلال بأشجارهم وعندما ترعى دابته في كلاتهم كان يعطيهم مالاً مقابل ذلك<sup>(١٨٨)</sup> .

وبما يذكر أيضاً أن أبا هريرة قال لرجل يريد الغزو : " لا تطأ حرفاً وتطلع شرقاً إلا بإذن إمامك ، وإياك والمخلاة ... من أموال أهل الذمة ثم تقول : أنا غازٍ .. ثم لقي الرجل ابن عباس ، فقال له مثل ذلك " (١٨٩) .

وهنا نلاحظ التزام المسلمين على المستويين الرسمي والفردى لحماية أراضي أهل الذمة واحترام ملكيتهم لها بما تحويه من ثمار وكلاء ، وأن العلماء كان لهم دور كبير في التزام بقية المسلمين بتلك الأمور وأن الأمر لم يقتصر على ما ورد في العهد فقط

ومثلما كانت هناك أراضي مملوكة لأهل الذمة ، كانت هناك أراضي غير مملوكة من قبلهم أو غيرهم ، وأيضاً كانت توجد أراضي تعود ملكيتها إلى الروم قادة وأفراداً ، وأثناء الفتوحات الإسلامية تركوها فصارت ملكيتها للمسلمين ، فتم توزيعها على المسلمين لبناء مساكن لهم ، بعد تخطيطها وتقسيمها فيما بينهم ، كما حدث في حمص<sup>(١٩٠)</sup> .

وبالنسبة للأراضي التي كانت تعود ملكيتها للدولة الرومانية فقد كان لها وضع خاص ، حيث تم إقطاعها للجنود المسلمين على سبيل المفعة ، وليس على سبيل التملك ، والسبب الذي جعل القيادة في بلاد الشام تتجه نحو هذا أن القوات الرومانية كانت تُغير على سواحل بلاد الشام من تلك المناطق ، فاضطر المسلمون إلى مهاجمتها ، وعندما هزم الروم منها تم إقطاعها للمسلمين وذلك أواخر خلافة عمر وبداية خلافة عثمان رضى الله عنهما<sup>(١٩١)</sup> .

والإقطاع ( من أقطع ) يعني إعطاء المسلمين أراضي غير مملوكة لأهل الذمة ، وقد يقول البعض أن هذا مخالف للعهد ، وحتى لا يلتبس الأمر نحب أن نوضح أمرين حتى تتضح الصورة عن أراضي بلاد الشام :

الأول : أن الأراضي التي فتحت عنوة هي ملك المسلمين الفاتحين ، يتم تقسيمها بينهم ، ولكن هذا لم يتم لأن أمير المؤمنين عمر رضى الله عنه رفض تقسيمها ، لأنه كان يرى أن ذلك يؤدي إلى

حرمان من يأتي بعدهم من المسلمين حيث بحث برسالة إلى سعد بن أبي وقاص رضى الله عنه الذي طالبه المسلمون بتقسيم الغنائم ومنها الأراضي عند فتح العراق : " .. ما أجلب الناس عليك من كراع أو مال فاقسمه بين من حضر من المسلمين ، و اترك الأرضين والأثوار لعمال ليكون ذلك في أعطيات المسلمين ، فإنك إن قسمتها فيمن حضر لم يكن لمن يجي بعدهم شيء " (١٠٢) .

الثاني : إن الأراضي التي فتحت صلحاً تكون لأهلها وللمسلمين الخراج فقط " (١٠٣) .

### حرية المتاجرة والكسب :

ومن الحقوق التي كانت لأهل الذمة والتي تمتعوا بها في عهد حكم المسلمين حرية المتاجرة والكسب مهما بلغت ثرواتهم فلا يتم التعرض لتجارتهن سواء تلك التي مع المسلمين أو تلك التي تخصهن في نوعها والمتاجرة فيما بينهم .

فسبق وذكرنا أن أهل يثربك ربحوا أموالاً كثيرة من البيع والشراء مع المسلمين ، فلم يتدخل المسلمون في شئونهم بعد ربحهم تلك الأموال أو أظهرها الرقة في المقاسمة ، لأن ذلك رزقهم لا يجوز مشاركتهم فيه طام . وهم ملتزمون بتأدية الواجبات المالية التي عليهم " (١٠٤) .

وهو ما افتقدوا وجوده لدى حاكم المدينة الروماني المسححي الذي سعى إلى مقاسمتهم تلك الأرباح مما جعلهم يشعرون عليه ، ويقومون بقتله مع جنده " (١٠٥) .

ومما يندرج أيضاً ضمن حرية المتاجرة لأهل الذمة بعد الفتح حرية بيع وشراء الخمر ، رغم أنها تُعد من المحرمات عند المسلمين ، فقد وجدت محلات تجارية لبيع الخمر لأهل الذمة .

ومما يذكر عن ذلك أن عبادة بن الصامت رضى الله عنه ثقب قطارة تحمل خمرأ لأحد تجار أهل الذمة ، ولما علم والي الشام معاوية بن أبي سفيان رضى الله عنه بذلك شكاه إلى الصحابي الجليل أبي هريرة وطلب منه أن يمنع عبادة من تكرار ذلك الفعل لأنه : " يقدو إلى السوق فيفسد على أهل الذمة متاجرهم " (١٠٦) .

وفهم من هذه الرواية أن أمير الشام رأى بحكم ولايته حواز متاجرة أهل الذمة للخمر فيما بينهم لإدراكه في الغالب أنها من خصوصيتهم وتدخل في حرياتهم الشخصية من دون أن يعي ذلك علاقة الأمر بتوجيهات أو وصايا الخليفة عثمان رضى الله عنه .

## حرية التقاضي والعدل :

لم يتدخل المسلمون في شئون أهل الذمة فيما يخص المنازعات بينهم ، احتراماً لخصوصياتهم الدينية المرتبطة بذلك الأمر وتركوا لهم حرية القرار ، كما التزموا بإفناذ العدل في الحالات التي يكون فيها التنازع بين مسلم ودمي . ففيما يخص حرية التقاضي بذكر ابن أعثم<sup>(١)</sup> بأن امرأة نصرانية اختلفت مع ابن عمها فاحتكما إلى عياض بن غنم في شيء كان بينهما فقضى عياض على المرأة بالحق . ويبدو أنها قبلت حكمه ولم يذكر المصدر خلاف ذلك مما يرجح أنها قبلت حكمه ولم تعترض عليه لأنه أحق الحق وأبطل الباطل وهذا يؤكد على عدل المسلمين في أحكامهم ، ولو لم يكونوا كذلك لما احتكما إليهم وكان بإمكانهما أن يذهبا إلى كبار أهل ملتهم للتقاضي أمامهم .

أما فيما يخص التزامهم العدل عندما يكون الراع بين مسلم ودمي فتتمثل أولى شواهد ذلك في شكوى تقدم بها رجل يهودي لأمر المؤمنين عمر رضي الله عنه عندما قدم الشتم ضد أحد المسلمين فقال : " يا أمير المؤمنين إن رجلاً من المسلمين صنع بي ما ترى . وهو مشجوج مضروب . فغضب عمر غضباً شديداً ثم قال لصهيب : اطلق فاطر من صاحبه . فأتني به ، قال : فانطلق صهيب فإذا هو عوف بن مالك الأشجعي ... فقال له عمر : مالك ولهذ ؟ قال : يا أمير المؤمنين رأيت هذا يسوق بامرأة مسلمة على حمار فنخس بها لتصرع ، فلم تصرع فدفعها فصرعت . فغشيها . أو أكب عليها ، قال : أتتني بالمرأة فلتصدق ما قلت ، فأتاها عوف بن مالك ، فقال أبوها وزوجها : ما أردت إلى صاحبتنا ؟ قد فضحتنا ، فقالت : والله لأذهبن معه . فقل أبوها وزوجها : نحن نذهب فتبلغ عنك ، فأتيا عمر فأخبراه بمثل قول عوف فأمر باليهودي وصلب . وقال : ما على هذا صالحتكم<sup>(١٠٨)</sup> .

لقد غضب أمير المؤمنين من الصحابي عوف بن مالك لما رأى ما وقع لليهودي ، ومثل هذا الغضب مطلوب عندما يرى الظلم يقع على إنسان ، فأراد إنصافه عن اعتدى عليه مهما كانت مكانته لأنه مسئول عن إقامة العدل ، ولما اتضحت الحقيقة أمر الخليفة بقتل اليهودي وصلبه لأنه انتهك حرمة المرأة المسلمة ، وهذا مخالف لما صولحوا عليه .

وماذا لو ارتكب عوف عمله هذا ظلاً وعدواناً ، هل يمكن لأمر المؤمنين أن يسامحه ويتجاوز عن جرمه ؟ وللإجابة نقول : لا ، لأنه في هذه الحالة يُعد ظالماً ومخالفاً لكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم في عدم إقامة العدل بين الناس .

وعندما تثبت القرائن على مخالفة أي إنسان يجب القصاص منه بحسب جرمه وإن كان صحابياً مثل عبادة بن الصامت رضى الله عنه الذي " دعا نبطياً يمسك له دابته عند بيت المقدس ، فأبى فضربه فشجه ، فاستعدى عليه عمر بن الخطاب ، فقال له : ما دعاك إلى ما صنعت بهذا ؟ فقال : يا أمير المؤمنين أمرته أن يمسك دابتي فأبى ، وأنا رجل في حدة فضربت ، فقال : اجلس للقصاص ، فقال زيد بن ثابت : أتقيد عبدك من أخيك ؟ فترك عمر القود وقضى عليه بالدية <sup>(١١٠)</sup> .

فعلى الرغم من مكانة عبادة إلا أن الخليفة لم يتركه بدون عقاب إحقاقاً للحق وإنصافاً للمظلوم .

ومثلما وجد من المسلمين من تكون طباعهم حادة تؤذي الناس بغير حق ، فقد وجد منهم من يحرص على عدم إيذاء أهل الذمة حتى بالكلمة ، حفاظاً على مشاعرهم ، والرفق بهم واللين معهم ، فقد رفض عمير بن سعد أن يحدد له العهد بولاية حمص ، وكان رده لعمر رضى الله عنه : " إن ذلك شيء لا أعمله لك ولا لأحد بعدك ، والله ما سلمت بل لم أسلم . لقد قلت لنصراني أخزاك الله ، فهذا ما عرضتني له يا عمر <sup>(١١١)</sup> " .

لقد عدَّ عمير كلمة أخزاك الله للنصراني بمثابة حرمة ارتكبه ، وأراد أن يحمي آثارها بعدم الموافقة على تهديد ولايته ، وهذا يدل على المستوى الأخلاقي الرفيع في المحافظة على شعور رعاياهم ، وإذا كان الإحساس بالذنب من كلمة فهل من المعقول أن يعتدى على حقوق أهل الذمة في ظل أمثال هؤلاء الولاة .

ولم يقتصر الأمر على الخلفاء والولاة في إقامة العدل بين رعاياهم من أهل الذمة ، بل شاركهم العلماء ، لأن رفع الظلم مسئولية الجميع ، فقد مرَّ قس فلعبه بعض المسلمين ، فسمع أبو الدرداء فقال : " من هذا الذي لعنتم أنفأ ؟ فقالوا قس مرُّ بنا فأعجبنا سمه ، قال : فلا تفعلوا ، فإنه لا ينبغي للعنان أن يكون عند الله صديقاً <sup>(١١٢)</sup> " .

وإذا وجد من يجهل بما أمر الله به ، فقد وجد من يرددهم إلى الصواب ، لأن الإسلام يأمرهم بهذا وينبغي العمل به وعدم مخالفته .

ومن عدل المسلمين لرعاياهم من أهل الذمة احترام رغباتهم الشخصية كونها من حقوقهم التي

يجب أن تصار ويحافظ عليها ، فقد رأى عياض بن غنم في الرها امرأة نصرانية تتمتع بالحسن والجمال ، فلم يعط لنفسه الحق في التعرض لها بل عرض عليها الزواج ، فوافقت بشرط الاحتفاظ بدينها ، فأعرض عنها وتركها ، وهذا السلوك الحسن جعل تلك المرأة تحبه وتوده ، حتى أنها رفقت من تقدم لخطبتها بعده ، وظلت توده حتى أنها كانت تصنع له الطعام وترسله إليه ، فيقبل منها ويبادلها نفس الود حتى أنه وهب لها حارية لتكون خادمة لها<sup>(١١٢)</sup> .

ومن عدل المسلمين ووفائهم وأمانتهم في الإيفاء بالعهد أن جعلت موقف سكن بلاد الشام يتغيرون في موقفهم من العدا ، والحقد ، لفرط ضد المسلمين إلى إظهار المودة لهم وإبداء استعدادهم لمشاركتهم حرب الروم ، فتجد أن أهل حمص قبل دخول المسلمين إليها يحملون في قلوبهم الحقد والكراهة الشديد لهم ، لدرجة أنهم هموا برمي الرسول الذي يحمل إليهم رسالة أبو عبيدة بالسهم والحجارة وهو نصراني على دسهم<sup>(١١٣)</sup> ، فما الذي جعلهم يتغيرون بهذه الصورة ويصيرون قلباً واحداً مع المسلمين ، ومثلث كانوا منحمسين لقتال المسلمين ، صاروا بنفس الحماسة والشدة مدافعين عنهم ويعملون معهم ، أليس العدل والأمن وصون ممتلكاتهم والحرية التي جودها مع الإسلام والمسلمين واقتقدوها مع أبناء جدتهم وعقبتهن

ولذلك تحمل أهل الدمة لواء المعارضة ضد الروم ، فقد تعهد أهل حمص بعد انسحاب المسلمين منها على مقاتلة جيش هرقل إذا حاول اقتحام المدينة ، وأقسم اليهود بأن لا يدخل الروم المدينة " والتوراة لا يدخل عمل هرقل مدينة حمص إلا أن تغلب ونجهد ، فأغلقوا الأبواب وحرسوها ، وكذلك فعل أهل المدن التي صولحت من المصارى واليهود<sup>(١١٤)</sup> .

والذي جعلهم يفعلون هذا ويقفون إلى جانب المسلمين ، الخوف من الرجوع إلى عهد الظلم والتعسف الرومي بعد أن عاشوا في جو يسوده العدل والحرية في عهد المسلمين .

#### واجبات أهل الذمة :

تحدثنا عن الحقوق ( الحريات ) التي تمتع بها أهل الذمة في بلاد الشام بعد الفتح ، ولابد أن نتعرف على الواجبات التي كانت عليهم فقد كان من الواجب عليهم الالتزام بواجبات مالية وغير مالية أما فيما يخص المالية فتتمثل في الآتي :

## الجزية :

هي موضوعة على رؤوس أهل الذمة ، وتحجب على الرجال الأحرار العقلاء ، وتسقط الجزية عنهم بالإسلام<sup>(١١٦)</sup> . وأموال الجزية هي مقابل الحماية والدفع عنهم<sup>(١١٧)</sup> .

وعندما لا يفي المسلمون بما تم في الصلح مع أهل الذمة ، مثل حمايتهم والدفاع عنهم تسقط الجزية عنهم ولا يجوز أخذها ، وطبق هذا المبدأ أبو عبيدة بن الجراح رضى الله عنه الذي أمر سويد بن كلتوم القرشي أن يرد على أهل الذمة في دمشق ما كان اجتبى منهم ، فرد عليهم ما كان أخذ منهم وقال لهم : " نحن على العهد الذي كن بيننا وبينكم ونحن معيدون لكم أماناً ومتممون لكم ما كننا صالحناكم عليه "<sup>(١١٨)</sup> .

ولم يقتصر الأمر على دمشق عندما انسحب المسلمون منها إلى البرموك لمواجهة الروم ، بل أمر أبو عبيدة بن الجراح عند الانسحاب أيضاً من حصص لفلس السب جيب بن مسلمة المتولي لخراج حصص يرد أموال أهل الذمة الذين كانوا قد صالحوا المسلمين . " رد على القوم الذين كن قد صالحناهم من أهل البلد ما كننا أخذنا منهم ، فإنه لا ينبغي له إذ لم تمنعهم أن نأخذ منهم شيئاً وقل لهم : نحن على ما كنا عليه فيما يسبق وبينكم من الصلح ، لا نرجع عنه ، وإنما رددنا عليكم أموالكم أنا كرهنا أن نأخذ أموالكم ولا نضع يداكم "<sup>(١١٩)</sup> . فدفع جيب الناس ورد عليهم ما أخذ منهم من مال وأخبرهم بما قاله أبو عبيدة .

وأمام الوفاء عند المسلمين في المحافظة على عهودهم ، ونتيجة لهذا الموقف النبيل والأخلاق الفاضلة ، كان رد فعل أهل حصص أن قابلوا الإحسان بالإحسان والوفاء بالوفاء ، فقالوا للمسلمين : " ردكم الله إلينا ونحن الله الذين كننا نكوننا من الروم ، ولكن والله لو كننا هم ما ردوا علينا ، لا بل غصبونا وأخذوا مع هذا ما قدرنا عليه من أموال "<sup>(١٢٠)</sup> . وفي رواية أخرى قالوا : " لولايتكم وعدلكم أحب إلينا مما كننا فيه من الظلم والغش "<sup>(١٢١)</sup> .

واختلف الفقهاء في قدر الجزية فكان يؤخذ في البداية على كل رجل من أهل الذمة ديناراً وجريباً<sup>(١٢٢)</sup> ( من الحنطة )<sup>(١٢٣)</sup> ، ثم وضعها عمر رضى الله عنه أربعة دنانير على أهل الذهب ، وأربعين درهماً على أهل الورق<sup>(١٢٤)</sup> ، وجعلهم طبقات ، ليفى الفسى ، وإقلال المقل ، وتوسط المتوسط<sup>(١٢٥)</sup> ، وتسلم الجزية آخر السنة ولا يجوز مطالبتهم بها قبل ذلك ، وفي حالة عدم القدرة على دفعها للمسلمين لا يجوز تعذيبهم ولا حبسهم ولا ضربهم على إيدانها<sup>(١٢٦)</sup> .

ويستثنى من دفع الجزية النساء والصبيان<sup>(١٢٦)</sup> ، وكذلك المسكين الذي يتصدق عليه ، والأعمى الذي لا حرفة له ولا عمل ، والفقير ، والمترهبون المساكين ، والشيخ الذي لا يستطيع العمل ، وكذلك المجنون<sup>(١٢٧)</sup> .

إن من عدالة الإسلام مراعاة ظروف أهل الزمة المادية ، فلم يجبر المساكين والفقراء منهم على دفع الجزية ، واستثنى أيضاً النساء والصبيان والمجانين من دفعها . ومع ذلك تهتم الخلافة الإسلامية بهؤلاء وغيرهم إذا اقتضت الحاجة ذلك ، فعندما مر أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه بقوم مجذومين من النصارى في بلاد الشام " أمر أن يعطوا من الصدقات وأن يجري عليهم القوت " <sup>(١٢٨)</sup> .

فقدمت لهم مساعدة عاجلة لتدبير معيشتهم ، إضافة إلى تقديم الأرزاق لهم طوال حياتهم وهذا يمثل قمة العدل في تقديم ما يحتاجه رعايا الدولة من أهل الزمة ، فلم يكن هم المسلمين جمع الأموال دون مراعاة لظروف رعاياهم لأن الإسلام لا يأمر بذلك لأن الهدف هو الدعوة وليس الجلبية .

### الخراج :

هو ما وضع على رقاب الأرض من حقوق تؤدى عنها<sup>(١٢٩)</sup>

وأراضي الخراج نوعان :

الأول : أراض فتحت عنوة فهي فيئ المسلمين ، يؤدى أهلها الخراج إلى الدولة ( الإمام ) .

الثاني : أراض افتتحت صلحاً على حراج معلوم<sup>(١٣٠)</sup> .

أما الواجبات الأخرى غير المالية فتتمثل في الآتي :

ألا يذكروا كتاب الله تعالى بطعن فيه ولا تحريف له ، وألا يذكروا رسول الله صلى الله عليه وسلم بتكذيب له ولا ازدراء ، وألا يتعرضوا لدين الإسلام بدم له ولا قدح فيه ، وألا يزنوا بمسلمة ، وألا يفتنوا مسلماً عن دينه ولا يتعرضوا لماله ، وألا يعينوا العدو ومن يناصره على المسلمين<sup>(١٣١)</sup> .

ونخصص في نهاية البحث إلى الآتي :

أن الإسلام حفظ لأهل الذمة حقوقهم ، وبين طريقة التعامل معهم من خلال النصوص الشرعية ، ووصايا الخلفاء لقادة الفتح في كيفية التعامل مع سكان بلاد الشام ، وتعامل المسلمين أثناء الفتوحات مع سكان بلاد الشام لم يخرج عن النصوص الشرعية ووصايا الخلفاء ، فكانت عهود الصلح التي عقدها المسلمون معهم بمثابة تطبيق عملي لما ورد في تلك النصوص والوصايا ، وكان تعامل أهل الشام مع المسلمين حسن ، فقد وجد تعاون وثيق بين الجانبين مبني على الاحترام ، ففتحت الكثير من المدن أبوابها للمسلمين ، وأحسن استقبالهم ، وبعد الفتح وجدت الألفة بين المسلمين وأهل الذمة ، لأن التعامل كان مبنياً على عقود صلح التزم فيها الطرفان ، وصار بموجبها لأهل الذمة حريات وحقوق يتمتعون بها مثل حرية الاعتقاد ، والحرية السياسية ، وحرية المتاجرة والكسب ، وحرية التقاضي والعدل ، وكانت عليهم واجبات مالية مثل الجزية والخراج وواجبات أخرى تجاه الإسلام والمسلمين .



## الهوامش

- ١- الأنبياء ، آية ٧-١٠ .
- ٢- النور ، آية ٥٤ .
- ٣- البقرة ، آية ٢٥٦ .
- ٤- النحل ، آية ١٢٥ .
- ٥- التوبة ، آية ٢٩ .
- ٦- أبو داود ، سليمان بن الأشعث بن إسحاق الأردني السجستاني ( ت ٢٧٥هـ / ٨٨٨ م ) : السنن ، ٣ ، ص ٤٣٧ ، باب الإمارة ، حديث رقم ٣٠٥٢ ، إعداد وتعليق / عزت عبيد الدعاس ، ط ١ ، ١٣٩١هـ / ١٩٧١م ، دار الحديث ، حمص ، سورية . انظر أيضاً القرطبي ، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري ( ت ٦٧١هـ / ١٢٧٢م ) . الجامع لأحكام القرآن ، ٨ ، ص ١١٥ . صححه أحمد عبد العليم اليردوني ، ط ٢ ، ١٣٧٢-١٩٥٢م .
- ٧- النحل ، آية ٩٠ .
- ٨- النساء ، آية ٥٨ .
- ٩- الأزدي ، محمد بن عبد الله ( ت ٢٣١هـ / ٨٤٥ م ) . فتح الشام ، ص ١٢ ، تحقيق عبد المحم عبد الله عامر ، مؤسسة سجل العرب ، ١٩٧٠م . انظر أيضاً : ابن أعثم الكوفي ، أبو محمد أحمد ( ت ٣١٤هـ / ٩٢٦م ) : كتاب الفتوح ، ٦ ، ص ٨٢ ، تحقيق علي شيري ، ط ١ / ١٤١١هـ / ١٩٩١م . دار الأضواء ، بيروت .
- ١٠- البقرة ، آية ٣٠ .
- ١١- الطبري ، محمد بن جرير ( ت ٣١٠هـ / ٩٢٢م ) : جامع البيان في تأويل القرآن المسمى تفسير الطبري ، ١ ، ص ٢٣٧ ، ط ١ / ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان .
- ١٢- ابن عساکر ، أبو القاسم علي بن هبة الله الحسن ( ت ٥٧١هـ / ١١٧٥م ) تاريخ مدينة دمشق ، ١١ ، ص ٦٦ ، تحقيق محب الدين أبو سعيد عمر بن غرامة العمري ، ط ١ ، ١٤١٨هـ / ١٩٩٨م ، دار الفكر ، بيروت ، لبنان .
- ١٣- اسم القرية التي فيها قبر إبراهيم الخليل عليه السلام ببنت المقدس [ ياقوت الحموي ، ياقوت بن عبد الله ( ت ٦٢٩هـ / ١٢٢٨م ) معجم البلدان ، ج ٢ ، ص ٢١٢ ، دار صادر ، بيروت ١٣٧٦هـ / ١٩٥٧م ] .

- ١٤- من قرى بيت المقدس ياقوت الحموي : معجم البلدان ، ج ٤ ، ص ١٨٠ .
- ١٥- ابن عساكر : تاريخ دمشق، ج ١١، ص ٦٦.
- ١٦- ابن الجوزي ، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي ( ت ٥٩٧هـ / ١٢٠٤م ) : سيرة ومناقب عمر بن الخطاب، ص ٦٧، تحقيق محمد عبد القادر عطا، ط ١، ١٤٢٠هـ / ٢٠٠٠م، دار التقوى، شبرا الخيمة، منشأة الحرية، القاهرة.
- ١٧- القرشي، يحيى بن آدم ( ت ٢٠٣هـ / ٨١٨م ) : الحراج، ص ٤٦٤، صححه أحمد محمد شاكر، دار الحفائفة، بيروت، لبنان.
- ١٨- الطبري: تاريخ الأمم والملوك المعروف بتاريخ الطبري، ج ٥، ص ٢٤٤، دار الفكر ، بيروت ، لبنان .
- ١٩- الأزدی: فتوح الشام، ص ٨٢، خليفة بن خياط ( ت ٢٤٠هـ / ٨٥٤م ) : تاريخ خليفة بن خياط، ص ١١٩، تحقيق د. أكرم ضياء المصري، ط ٢، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م، دار طبعة، الرياض. البلاذري، أبو العباس أحمد بن يحيى بن حابر ( ت ٢٩٠هـ / ٩٠٣م ) فتوح البلدان، ص ١٥٥، تحقيق عبد الله أنيس الطباع وعمر أنيس الطباع، مؤسسة المعارف، بيروت، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م. ابن الأثير، أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد ( ت ٦٣٠هـ / ١٢٣٢م ) الكامل في التاريخ، ج ٢، ص ٢٦٥، تحقيق أبو الفداء عبد الله القاضي، ط ١، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م، دار الكتب العلمية، بيروت.
- ٢٠- الطبري: تاريخ الطبري، ج ٤، ص ٤٣٧.
- ٢١- البلاذري: فتوح البلدان، ص ١٧٧. انظر أيضاً: ابن عساكر: تاريخ مدينة دمشق، ج ٢٨، ص ١٣٥-١٣٦.
- ٢٢- البلاذري: فتوح البلدان، ص ١٨٨.
- ٢٣- ابن أعثم: كتاب الفتوح، ج ١، ص ١٢٦.
- ٢٤- مدينة كبيرة من أعمال حمص ياقوت الحموي : معجم البلدان ، ج ٥ ، ص ١٥٦ .
- ٢٥- ولاية بين حلب وأنطاكية ياقوت الحموي : معجم البلدان ، ج ٤ ، ص ١٦٥ .
- ٢٦- مدينة بينها وبين حلب مرحلة من جهة حمص بقرب العواصم ياقوت الحموي : معجم البلدان ، ج ٤ ، ص ٤٠٤ .
- ٢٧- بلدة بين المرة ومدينة حلب ياقوت الحموي . معجم البلدان ، ج ٤ ، ص ٤٧ .
- ٢٨- الواقدی: فتوح الشام، ج ١، ص ٧١-٧٢.
- ٢٩- الواقدی. محمد بن عمر ( ت ٢٧٢هـ / ٨٢٢م ) فتوح الشام، ج ١، ص ٩٣، ط ٤، ١٣٨٥هـ / ١٩٦٦م، شركة ومكتبة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر.

- ٣٠- المصدر نفسه ، ج ١ ، ص ١٠٥ .
- ٣١- المصدر نفسه ، ج ١ ، ص ٩٣ .
- ٣٢- المصدر نفسه والصيغة .
- ٣٣- الواقدي: فتح الشام ، ج ١ ، ص ٩٣ - ٩٤ .
- ٣٤- المصدر نفسه ، ج ١ ، ص ١٧٤ .
- ٣٥- المصدر نفسه ، ج ١ ، ص ٧١ .
- ٣٦- الواقدي : فتح الشام ، ج ١ ، ص ١٥ .
- ٣٧- المصدر نفسه ، ج ١ ، ص ١٥ .
- ٣٨- المصدر نفسه ، ج ١ ، ص ٧٥ .
- ٣٩- الأزدی: فتح الشام، ص ١٧٥ .
- ٤٠- قلعة تشغل على كورة بالشام قرب لعة بينها وبين حماء يوم باقوت الحموي : معجم البلدان ، ج ٣ ، ص ٣٨٣ .
- ٤١- الواقدي: فتح الشام، ج ١ ، ص ١٧٣ .
- ٤٢- المصدر نفسه ، ج ١ ، ص ١٧٣ .
- ٤٣- البلاذري: فتوح البلدان، ص ١٧٨ .
- ٤٤- الواقدي: فتح الشام، ج ١ ، ص ٩٥ .
- ٤٥- البلاذري: فتح البلدان، ص ١٨٧ .
- ٤٦- المصدر نفسه ، ص ١٨٧ .
- ٤٧- الواقدي: فتح الشام، ج ١ ، ص ١٦٨ .
- ٤٨- المصدر نفسه ، ج ١ ، ص ١٦٨ .
- ٤٩- ابن أعثم: كتاب الفتح، ج ١ ، ص ١٩٩ .
- ٥٠- غوستاف لوبون حصرة العرب، ص ١٤١ . نقله إلى العربية عادل زعتر، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه.
- ٥١- البقرة آية ٢٥٦ .

٥٢- الثغامة . الثغام حلي الحبل يكون أبيض ، فإذا ببس أبيض أبيضاضاً شديداً فشيبه الشيب به [ ابن منظور ، محمد بن مكرم ( ت ٧١١هـ / ١٣١١م ) : لسان العرب ، ج ١ ، ص ٣٦١ ، مادة ثغم ، قدّم له الشيخ / عبد الله العلايلي ، إعداد وتصانيف / يوسف الحقباط ، دار لسان العرب ، بيروت ] .

٥٣- ابن عساکر: تاريخ دمشق، ج ٨، ص ٢٨٩.

٥٤- البلاذري: فتوح البلدان، ص ١٨٥.

٥٥- الواقدي: فتوح الشام، ج ١، ص ٩٩.

٥٦- المصدر نفسه والصفحة .

٥٧- البلاذري: فتوح البلدان، ص ٢٠٧.

٥٨- البلاذري: فتوح البلدان، ص ١٧٧، الطبري. تاريخ الطبري، ج ٤، ص ٤٢٧. ابن عساکر: تاريخ دمشق، ج ٢٨، ص ١٣٥ - ١٣٦.

٥٩- الواقدي: فتوح الشام، ج ١، ص ٩٩.

٦٠- المحاضر في الأصل خلاف البادي والحد صر الحي العظيم ياقوت ، حم البلدان ، ج ٢ ، ص ٢٠٦.

٦١- البلاذري: فتوح البلدان، ص ١٩٢.

٦٢- المصدر نفسه، ص ١٩٧.

٦٣- الواقدي: فتوح الشام، ج ١، ص ١٩٠.

٦٤- لوثرروب ستودارد: حاضر العالم الإسلامي، ص ٨، نقله إلى العربية / عجاج نويهض ، ط ٣، ١٣٩١هـ / ١٩٧١م، دار الفكر. فليب حتى وآخرون: تاريخ العرب المخطوط، ج ١، ص ٢٠٦، ط ٤ / ١٩٦٥م، دار الكشاف، بيروت.

٦٥- ابن عساکر: تاريخ دمشق، ص ٢٦، ص ٢٨.

٦٦- ل.أ. سيدور. تاريخ العرب العام، ص ١١٦، نقله إلى العربية عادل زعير، ط ٢ / ١٣٨٩هـ / ١٩٦٩م، عيسى البابي الحلبي وشركاه.

٦٧- جرجي زيدان: تاريخ التمدن العربي، ج ١، ص ٨١، دار الهلال، القاهرة، ١٩٥٨م.

٦٨- حضارة العرب، ص ١٣٤.

٦٩- ريتشارد.أ. ساليمان: وراثت الإمبراطورية الرومانية، ص ٧٣، ترجمة د جوريغ نعيم، ط ١، ١٩٨٥م، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية

- ٧٠- لوثروب: حاضر العالم الإسلامي، ج١، ص ١٣-١٤. وانظر أيضاً، لوبون: حضارة العرب، ص ١٣٥.
- ٧١- ابن أعثم: كتاب الفتوح، ج١، ص ٢٥٣.
- ٧٢- المصدر نفسه، ج١، ص ٢٥٢-٢٥٣.
- ٧٣- ابن أعثم: كتاب الفتوح، ج١، ص ٢٥٣.
- ٧٤- الواقدي: فتوح الشام، ج١، ص ٩٩-١٠٠.
- ٧٥- المصدر نفسه، ج١، ص ٩٣-٩٤.
- ٧٦- ورثة الإمبراطورية الرومانية، ص ٧٣.
- ٧٧- تاريخ الثمدن الإسلامي، ج١، ص ٨١.
- ٧٨- ابن سلام، أبو عبيد القاسم (ت ٨٢٨/هـ ٨٢٨ م): الأموال، ص ٧٢، تحقيق مؤسسة ناصر للثقافة، ط١ / ١٩٨١ م، بيروت. لبنان.
- ٧٩- المصدر نفسه والصفحة.
- ٨٠- ابن أعثم: كتاب الفتوح، ج١، ص ٢٥٣.
- ٨١- الطبري: تاريخ الطبري، ج٤، ص ٢٦٠. ابن عساكر: تاريخ دمشق، ج ٢، ص ١٢٩. ابن الأثير: الكامل، ج ٢، ص ٢٨١. الذهبي: محمد بن أحمد (ت ٧٤٨/هـ ١٣٧٤ م): سير أعلام النبلاء، ج ٤، ص ٤٢٩، تحقيق / شعيب الأرنؤوط، ط ٣، ١٤٠٥/هـ ١٩٨٥ م، مؤسسة الرسالة، بيروت.
- ٨٢- تاريخ الطبري، ج ٤، ص ٢٦٠.
- ٨٣- ابن عساكر: تاريخ دمشق، ج ٢٠، ص ١٢٦. ابن الأثير: الكامل، ج ٢، ص ٢٨١. الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج ١، ص ٢٢. ابن كثير: إسماعيل بن عمر (ت ٧٧٤/هـ ١٣٧٢ م): البداية والنهاية، ج ٤، ص ٢٠-٢١، تحقيق / أحمد عبد الوهاب فتحي، دار الحديث، القاهرة، ١٤١٤/هـ ١٩٩٣ م.
- ٨٤- فتوح البلدان، ص ١٦٦.
- ٨٥- البلاذري: فتوح البلدان، ص ١٦٨.
- ٨٦- القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، ج ٨، ص ١١٢.
- ٨٧- الأزدي: فتوح لشم، ص ١٠٩. الواقدي: فتوح لشم، ج ١، ص ١٠٩. ابن أعثم: كتاب الفتوح، ج ١، ص ١٦١.
- ٨٨- الطبري: تاريخ الطبري، ج ٤، ص ٤٢٦.

٨٩- الواقدي : فتوح الشام ، ج ١ ، ص ١٤٣ . ابن أعثم : كتاب الفتوح ، ج ١ ، ص ٢١٦ . ابن الأثير : الكامل ، ج ١ ، ص ٢٨١ .

٩٠- البلاذري : فتوح البلدان ، ص ١٧٩ .

٩١- فتوح الشام ، ص ١٤٦ .

٩٢- الذهبي : سير أعلام النبلاء ، ج ٢ ، ص ٥٦٠ .

٩٣- المصدر نفسه والجزء والصفحة .

٩٤- الواقدي : فتوح الشام ، ج ١ ، ص ٧٥-٧٦ .

٩٥- ابن سلام : الأموال ، ص ٧٢ .

٩٦- المصدر نفسه والصفحة .

٩٧- لسان العرب ، ج ٢ ، ص ٥ ، مادة : ( قح )

٩٨- ابن سلام : الأموال ، ص ٧٢ .

٩٩- المصدر نفسه والصفحة .

١٠٠- البلاذري : فتوح البلدان ، ص ١٧٩ .

١٠١- المصدر نفسه ، ص ١٧٣ ، ٢٠٢ .

١٠٢- ابن قيم الجوزية، شمس لدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب البرقي الدمشقي (ت ٧٥١هـ / ١٣٥٠م). أحكام أهل

لذمة ، ج ٣ ، ص ٢١٢ ، تحقيق / أبو براهم يوسف بن أحمد البكري أبو أحمد شاكِر بن توفيق الهاروني ، ط ١

/ ١٤١٨هـ / ١٩٩٧م . ردودي للنشر . لدمام ، السعودية ، توزيع دار ابن حزم ، بيروت .

١٠٣- البلاذري : فتوح البلدان ، ص ٢٠١ .

١٠٤- الواقدي : فتوح الشام ، ج ١ ، ص ٩٣ .

١٠٥- المصدر نفسه ، ج ١ ، ص ٩٣-٩٤ .

١٠٦- ابن عساکر : تاريخ دمشق ، ج ٢٦ ، ص ١٩٧-١٩٨ .

١٠٧- ابن أعثم : كتاب الفتوح ، ج ١ ، ص ٢٥٣ .

١٠٨- ابن أعثم : كتاب الفتوح ، ج ٢٤ ، ص ٢١٢ .

١٠٩- السهقي، أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي (ت ٤٥٨هـ / ١٠٦٦م) السبكي، ج ٨، ص ٣٢. دار الفكر. ط

د . ت . ابن عساکر : تاريخ دمشق ، ج ١٩ ، ص ٢٩٧ .

- ١١٠- ابن الجوزي ، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي ( ت ٥٩٧هـ / ١٢٠٤م ) : صفة الصلوة ، ج ١ ، ص ٢٩٩ ، ط ١ / ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م ، دار الجليل ، بيروت .
- ١١١- ابن عساكر : تاريخ دمشق ، ج ٤٧ ، ص ١٨٧ .
- ١١٢- المصدر نفسه ، ج ١ ، ص ٢٥٣ .
- ١١٣- الواقدي : فتوح الشام ، ج ١ ، ص ٩٥ .
- ١١٤- البلاذري : فتوح البلدان ، ج ١ ، ص ٩٥ .
- ١١٥- الماوردي ، علي بن محمد بن حبيب ( ت ٤٥٠هـ / ١٠٥٨م ) : الأحكام السلطانية وأوليات المدينة ، ص ١٨١-١٨٤ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان .
- ١١٦- القرطبي : الجامع لأحكام القرآن ، ج ٨ ، ص ١٣ .
- ١١٧- الأزدي : فتوح الشام ، ص ١٦٠ .
- ١١٨- المصدر نفسه ، ص ١٥٥-١٥٦ .
- ١١٩- المصدر نفسه ، ص ١٥٦ .
- ١٢٠- البلاذري : فتوح البلدان ، ص ١٨٧ .
- ١٢١- الجريب : مكيال قدره أربعة أعمدة ابن منظور : لسان العرب ، ج ١ ، ص ٤٢٩ ، مادة حرب .
- ١٢٢- البلاذري : فتوح البلدان ، ص ١٧٠ . الطبري : تاريخ الطبري ، ج ٤ ، ص ٤٢٦ . ابن أعمش كتاب الفتوح ، ج ١ ، ص ١٧٠ .
- ١٢٣- الفضة ابن منظور : لسان العرب ، ج ٢ ، ص ٩١٢ ، مادة ورق .
- ١٢٤- البلاذري : فتوح البلدان ، ص ١٧٠ . انظر أيضاً : ابن الأخوة ، محمد بن محمد بن أحمد القرشي المعروف بابن الأخوة ( ت ٧٢٩هـ / ١٣٢٨م ) . معالم القرية في أحكام الحسبة . ص ٧٤ دار الحديث ، بيروت ، لبنان .
- ١٢٥- ابن قيم الجوزية : أحكام أهل الذمة ، ج ١ ، ص ١٣٥ .
- ١٢٦- ابن ادم : كتاب الخراج ، ص ٤٦٣ . انظر أيضاً : ابن قيم الجوزية : أحكام أهل الذمة ، ج ١ ، ص ١٣٧ .
- ١٢٧- أبو يوسف ، يعقوب بن إبراهيم ( ت ٢٨١هـ / ٨٩٧م ) كتاب الخراج ، ص ٥٢-١٥٢ ، ط ١ / ٩٩١م ، دار الحديث ، بيروت ، لبنان .

- ١٢٨- البلاذري : فتوح البلدان ، ص ١٧٧ .
- ١٢٩- الماوردي : الأحكام السلطانية ، ص ١٨٦ .
- ١٣٠- ابن سلام : الأمثال ، ص ٣١ ، ٣٨ .
- ١٣١- الماوردي : الأحكام السلطانية ، ص ١٨٤-١٨٥ .
- ١٣٢- ابن قيم الجوزية : أحكام أهل الذمة ، ج ٣ ، ص ١٣٦٦ .



## المصادر والمراجع

القرآن الكريم .

ابن الأثير ، أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد ( ت ٦٣٠هـ / ١٢٣٢م ) .

- الكامل في التاريخ ، تحقيق / أبو الفداء عبد الله القاضي ، ط ١ / ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م ، دار الكتب العلمية ، بيروت .

أحمد عادل كمال .

- الطريق إلى دمشق ، ط ٢ ، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م ، دار النفائس ، بيروت ، لبنان .

ابن الأخوة ، محمد بن محمد بن أحمد القرشي المعروف بابن الأخوة ( ت ٧٢٩هـ / ١٣٢٨م ) .

- معالم القرية في أحكام الحسنة ، دار الحديث ، بيروت .

ابن آدم ، يحيى بن آدم القرشي ( ت ٢٠٣هـ / ٨١٨م ) .

- كتاب الحراج ، صححه / أحمد محمد شاكر ، دار الحديث ، بيروت ، لبنان .

الأزدي ، محمد بن عبد الله ( ت ١٢٨هـ / ٧٩٤م ) .

- تاريخ فتوح الشام ، تحقيق / عبد المنعم عبد الله عامر ، مؤسسة سجل العرب ، ١٩٧٠م .

ابن أعمش الكوفي ، أبو محمد أحمد ( ت ٣١٤هـ / ٩٢٦م ) .

- كتاب الفتوح ، تحقيق / علي شيري ، ط ١ / ١٤١١هـ / ١٩٩١م ، دار الأضواء ،

بيروت .

البلاذري ، أبو العباس أحمد بن يحيى بن جبر ( ت ٢٩٠هـ / ٩٠٣م ) .

- فتوح البلدان ، تحقيق / عبد الله أنيس الطباع وعمر أنيس الطباع ، مؤسسة المعارف ، بيروت ، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م .

البیهقي ، أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي ( ت ٤٥٨هـ / ١٠٦٦م )

- السنن الكبرى ، دار الفكر ، ( ط ٥ ) ( د ت ) .

جرجي زيدان .

- تاريخ التمدن العربي ، دار الهلال ، القاهرة ، ١٩٥٨م .

ابن الجوزي ، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي ( ت ٥٩٧هـ / ١٢٠٤م )

- سيرة ومناقب عمر بن الخطاب / تحقيق / محمد عبد القادر عطا ، ط ١ / ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م ، دار التقوى ، شبرا الخيمة ، منشية الحرية ، القاهرة .

- صفة الصفوة ، ط ١ / ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م ، دار الجيل ، بيروت .

خليفة بن خياط ( ت ٢٤٠هـ / ٨٥٤م ) .

- تاريخ خليفة بن خياط ، تحقيق / د . أكرم ضياء العمري ، ط ٢ / ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م ، دار طبية ، الرياض .

أبو داود ، سليمان بن الأشعث بن إسحاق الأزدي السجستاني ( ت ٢٧٥هـ / ٨٨٨م ) .

- السنن ( سنن أبي داود ) ، إعداد وتعليق / عزت عبيد الدعاس ، ط ١ / ١٣٩١هـ / ١٩٧١م ، دار الحديث ، حمص ، سورية .

الذهبي ، محمد بن أحمد بن عثمان ( ت ٧٤٨هـ / ١٣٧٤م ) .

- سير أعلام النبلاء ، تحقيق / شعيب الأرنؤوط ، ط ٣ / ١٤٠٩هـ / ١٩٨٥م ، مؤسسة الرسالة ، بيروت . لبنان .

ريتشارد . أ . سايفان .

- ورثة الإمبراطورية الرومانية ، ترجمة جوزيف نسيم ، ط ١ / ١٩٨٥م ، مؤسسة شباب الجامعة ، الإسكندرية .

ابن سلام ، أبو عبيد القاسم ( ت ٢٢٤هـ / ٨٣٨م ) .

- الأموال ، ط ١ / ١٩٨١م ، بيروت . لبنان .

الطبري ، محمد بن جرير ( ت ٣١٠هـ / ٩٢٢م ) .

- تاريخ الأمم والملوك المعروف بتاريخ الطبري ، دار الفكر ، بيروت . لبنان .

- جامع البيان في تأويل القرآن المسمى تفسير الطبري : ، ط ١ / ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م ، دار الكتب العلمية ، بيروت . لبنان .

ابن عساكر ، أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله ( ت ٥٧١هـ / ١١٧٥م )

- تاريخ مدينة دمشق ، تحقيق / محب الدين أبو سعيد عمر بن عرامة العمري ، ط ١ / ١٤١٨هـ / ١٩٩٨م ، دار الفكر ، بيروت . لبنان .

غوستاف لوبون .

- حضارة العرب ، نقله إلى العربية / عادل زعيتر ، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه.

فيليب حتى . ادوارد جورجى - جبرائيل جبور .

- تاريخ العرب ( مطول ) ، ط ٤ / ١٩٦٥ م ، دار الكشف ، بيروت .

القرطبي ، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري ( ت ٦٧١ هـ / ١٢٧٢ م ) .

- الجامع لأحكام القرآن ، صححه / أحمد عبد العليم البردوني ، ط ٢ / ١٣٧٢ هـ / ١٩٥٢ م .

ابن قيم الجوزية ، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر ( ت ٧٥١ هـ / ١٣٥٠ م ) .

- أحكام أهل الذمة تحقيق / أبو برا - يوسف بن أحمد البكري . أبو أحمد شاکر بن توفيق الهاروري ، ط ١ / ١٤١٨ هـ / ١٩٩٧ م ، ردماوى للنشر ، الدمام ، السعودية ، توزيع دار ابن حزم ، بيروت .

ابن كثير ، إسماعيل بن عمر ( ت ٧٧٤ هـ / ١٣٧٢ م ) .

- البداية والنهاية ، تحقيق / أحمد عبد الوهاب فتیح ، دار الحديث ، القاهرة ، ط ١ / ١٤١٤ هـ / ١٩٩٣ م .

ل . م . سيديو .

- تاريخ العرب العام ، نقله إلى العربية / عادل زعيتر ، ط ٢ / ١٣٨٩ هـ / ١٩٦٩ م ، عيسى البابي الحلبي وشركاه .

لوثرروب ستودارد .

- حاضر العالم الإسلامي ، نقله إلى العربية / عجاج نويهض ، ط ٣ / ١٣٩١ هـ / ١٩٧١ م ، دار الفكر .

الماوردي ، علي بن محمد بن حبيب ( ت ٤٥٠ هـ / ١٠٥٨ م ) .

- الأحكام السلطانية والولايات الدينية ، دار الكتب العلمية ، بيروت . لبنان

ابن منظور ، محمد بن مكرم ( ت ٧١١ هـ / ١٣١١ م ) .

- لسان العرب ، قدّم له الشيخ / عبد الله العلايلي ، إعداد وتصانيف / يوسف الخياط ، دار لسان العرب ، بيروت .
- الواقدي ، محمد بن عمر ( ت ٢٠٧هـ / ٨٢٢م ) .
- فتوح الشام ، ط ٤ / ١٣٨٥هـ / ١٩٦٦م ، شركة ومكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر .
- ياقوت الحموي ، ياقوت بن عبد الله ( ت ٦٢٦هـ / ١٢٢٨م ) .
- معجم البلدان ، دار صادر ، بيروت ، ١٣٧٦هـ / ١٩٥٧م .
- أبو يوسف ، يعقوب بن إبراهيم ( ت ١٨٢هـ / ٧٩٨م ) .
- كتاب الخراج ، ط ١ / ١٩٩٠م ، دار الحديث ، بيروت .





## الشيخ محمد خير الدين وجهوده في مجال التربية والتعليم في الجزائر ( ١٩٢٨ - ١٩٥٤م )

لقد كانت جمعية العلماء المسلمين الجزائريين تؤمن بدور التربية والتعليم في خدمة الشعب الجزائري وإيقاظه من سباته ، وحفظ تراثه ، منذ تأسيسها سنة ١٩٣١م وهي تشيّد المدارس الحرة لتعليم وتربية النشء فيتعلمون اللغة العربية والدين الإسلامي ، كما أنّهم يتلقون معارف أخرى كال تاريخ والجغرافيا والحساب ، وقامت الجمعية ببناء المساجد الحرة البعيدة عن السيطرة الفرنسية ليتفقه أبناء الجزائر و ليعرفوا جيّدًا تاريخ بلادهم لأنّ الاستعمار الفرنسي كان هدفه القضاء على دين و لغة وتاريخ هذه الأمة.

في ظل تلك الظروف وجد الشيخ خير الدين<sup>(٢)</sup> نفسه أمام مسؤولية كبيرة خاصة بعد أن نال قسطا وافرا من العلوم والمعارف ، كانت نهايتها نيل شهادة التطويع العالمية من جامع الزيتونة ، لذلك عزم على منح أبناء بلاده ما تعلّمه ، وأصبحت الظروف ملائمة عندما تأسست جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ، وانضم إلى عضويتها إلى جانب علماء أجلاء كالإمام عبد الحميد بن باديس و الشيخ البشير الإبراهيمي و الشيخ الطيب العقبي وغيرهم ، و كلّهم عزم و إصرار للدفاع عن كنان وشخصية هذه الأمة العربية الإسلامية.

و الحق أَنَّ الشيخ خير الدين قد بدأ نشاطه التربوي منذ أن عقد اجتماع الرواد سنة ١٩٢٨م حيث كُلِّفَه الإمام ابن باديس بالوعظ و الإرشاد بمسجد قرفار<sup>(١)</sup>، والقرى المجاورة له، فكان يعلم أبناء المنطقة مبادئ الدين و اللغة وبعدها يتوجهون نحو قسنطينة أو إلى تونس أو الجامع الأزهر لمواصلة تعليمهم في مختلف العلوم و المعارف و قد أدى هذا النشاط التعليمي إلى تنسيق العمل الإصلاحي مع جماعة من الرواد في بسكرة أمثال الشيخ الطيب العقبي، والشيخ علي بن عمارة البرجي، والشيخ محمد العيد آل خليفة، و الأستاذ الأمين العمودي.

لقد ساهم مترجما في تكوين "جمعية الإخاء" وتأسيس مدرسة الإخاء للتربية التعليم ببسكرة سنة ١٩٣١م واقترح أن يكون مجلس الإدارة من أعضاء لهم علاقة بالسلطة الفرنسية كي لا تقوم بعرقلتها، أما الشيخ خير الدين فقد عين ككاتب عام فقط وهذا لضمان السير الحسن للمدرسة ونشر الثقافة العربية الإسلامية<sup>(٢)</sup>

ومن النشاطات التي قام بها الشيخ خير الدين في بسكرة توحيد صلاة العيدين التي كانت تؤدي في عدد من المساحد الموزعة بين المدينة القديمة و الجديدة فأصبحت تقام لجميع المصلين ببطحاء المدينة القديمة وقد وقع اختيار الشيخ خير الدين إماما لصلاة العيدين لمدة أربع سنوات<sup>(٣)</sup>.

لقد انطلق شيخنا في عمله الإصلاحي من قرفار ثم بسكرة و كان يؤمن إيمانا راسخا بدور التربية و التعليم في الحفاظ على كيان و تراث الأمة، خاصة أَنَّ منطقة الجنوب كانت تعاني من نشاط المرابطين، و حسبما ذكر «شارل أندري جوليان» فإن تقديرات سنة ١٩٣٩م أحصت ٤٠٠ ألف منخرط في الزوايا، نصفهم بأراضي الجنوب و قد وضعت الحكومة يدها عليها<sup>(٤)</sup>، و عندما أرست الحركة الإصلاحية أسسها ببسكرة وضواحيها، كان العلماء الآخرون ينشطون في مناطق أخرى من الوطن و أصبح العمل أكثر تنظيما بعدما وزع الإمام ابن باديس المهام على رجال الجمعية وفق مبادئها وأهدافها.

ويبدو أن الجمعية كانت مهتمة بالتعليم العربي و الديني، لأنَّ التعليم العربي الحر كان محصورا في دائرة ضيقة بالنظر إلى أساليبه و كتبه، ولذلك فقد قامت الجمعية بجهود كبيرة لتوسيع ذلك التعليم عن طريق إنشاء مكاتب حرة للتعليم

المكتبي للصغار، وتنظيم دروس في الوعظ والإرشاد الديني في مساجد وتنظيم محاضرات في النوادي غايتها التهذيب وشؤون الحياة العامة<sup>(٤٦)</sup>.

والحق أنّ نشاط الشيخ خير الدين كان ينبع من صميم القلب، ومن جروح ومعاناة أبناء أمته، وفي إطار أهداف الجمعية ونشاطاتها تم تأسيس جمعية خيرية لإعانة الفقراء والمساكين وتعليم البنين والبنات، مقرها بسكرة كان رئيسها أصيعة عبد القادر، أما نائبه فهو الشيخ خير الدين وقد تعهد مترجنا أن لا يكون الرئيس لتفادي الصدام مع السلطة الفرنسية، وكي تصادق على قانون الجمعية وهو ما تم فعلاً<sup>(٤٧)</sup>، كما أن تنقلات الشيخ في بسكرة وضواحيها لم تتوقف خاصة إذا تعلق الأمر بوفد لجمعية العلماء وعلى رأسها الإمام ابن باديس، ففي جانفي ١٩٣٨م، زار وفد الجمعية قرية القنطرة في ضواحي بسكرة، وكان الوفد يتكون من الإمام الرئيس والشيخ مبارك الميلي والشيخ العربي التبسي، إضافة إلى مترجنا، وقد ألقى الوفد خطبا في الجامع، وعند الانتهاء خطب الشيخ خير الدين في الناس، وعرف بالجمعية وعلمائها ومبادئها وأهدافها<sup>(٤٨)</sup>.

لقد استمر نشاط الشيخ خير الدين مع وفد الجمعية في الجنوب، فقد زار الوفد وادي سوف وطولقة، ومهد إلى بلدة سيدي عقبة وذلك في سبيل التعريف بالجمعية وتنشيط الحركة الإصلاحية والتأكيد على أنها ليست خاصة بالشمال فقط، بل هي شاملة للمقطر الجزائري، وأن الجنوب من اهتمامات الجمعية، مما أدى إلى تحرك خصوم الجمعية من مرابطين ورجال الزوايا محاولين منع العلماء من أداء رسالتهم الإصلاحية التي كان من بين أهدافها محاربة هؤلاء الخصوم الذين كانوا يعيشون في جمود ويعيدون عن واقع الأمة ومعاناتها، كما أصبحوا أداة في يد السلطة الفرنسية<sup>(٤٩)</sup>.

كما أن السلطة الفرنسية فطنت إلى خطر العلماء، لأن أصحاب الزوايا والمرابطين كان لهم دور في تحذير الإدارة الفرنسية بما أن مكنتهم أصبحت في خطر لذلك حاربت مدارس الجمعية ونواديها وحتى المساجد، فقد قامت بغلق المدرسة الحرة دار الحديث بتلمسان بتاريخ ٣١ ديسمبر ١٩٣٧م وأعلن ذلك الإجراء رسميا يوم ٤ جانفي ١٩٣٨م. هذا الإغلاق أحدث انفعالا كبيرا، وهلل له أعداء الشيخ

البشير الإبراهيمي وأعداء الجمعية<sup>(٨)</sup>، حتى أن الجرائد في ذلك الوقت عندما أعلنت الخبر ذكرت اسم المكتب الخاص ولم تذكر المدرسة الحرة "دار الحديث"<sup>(٩)</sup>.

لقد ركزت السلطة الفرنسية على المدارس لكي تقيد نشاط العلماء، فأصدر وزير الداخلية "شوتان" قرارا رسميا في ٨ مارس ١٩٣٨م بمنع تعليم اللغة العربية في الجزائر ومما جاء في ذلك القرار : <<إن اللغة العربية تعتبر لغة أجنبية>><sup>(١٠)</sup>، وما كان لهذا القرار إلا أن زاد الشيخ خير الدين وزملاءه في الجمعية إصرارا على مواصلة جهودهم التربوية، وبناءً على إحصاء عامل عمالة قسنطينة في سنة ١٩٣٨م، كان عدد مدارس الجمعية في عمالة قسنطينة ٨٥ مدرسة تضم ٤٠٤٧ تلميذا مسجلا، ويسيرها معلمون مصلحون، أما في عمالة الجزائر فبلغ عدد مدارسها عام ١٩٣٨م ٦٨ مدرسة تضم ٩٠٦٣ تلميذا<sup>(١١)</sup>.

و الحق أن مرسوم الثامن من مارس المشؤوم قد عرقل التعليم العربي، كما أن ظروف الحرب العالمية الثانية قد أثرت في نشاط الجمعية التي أوقفت نشاطاتها كي لا تستغلها فرنسا في خدمة مصالحها، وعودة التعليم جاء بعد نهاية الحرب العالمية الثانية حيث خطت الجمعية خطوة كبيرة بإنشائها لأعظم معهد ثانوي في تاريخها وهو معهد عبد الحميد بن باديس سنة ١٩٤٧م.

ويقول الشيخ خير الدين<sup>(١٢)</sup> في ذلك : << وهنا تبلورت فكرة إنشاء معهد ابن باديس<sup>(١٣)</sup>، في قسنطينة ولم يكن من الممكن أن نعود إلى التعليم بالجامع الأخضر لأنه لم يكن لدينا رخصة للتعليم فيه كالتى كنت للإمام ابن باديس، فجمعنا التبرعات واشترينا دارا كبيرة كانت ملك أحد أفراد "إبن الفقون"، و أنشأنا هذه الدار وجعلناها بالطاولات والمقاعد والبسط، ووضعنا البرامج وعيننا المدرسين الأكفاء، وتولى إدارة المعهد الشيخ العربي التبسي تساعده لجنة من الأساتذة>>، وقد عين التبسي مديرا للمعهد أما النائب فكان الشيخ خير الدين، وقد حقق المعهد نجاحا كبيرا مما أجبر الجمعية على توسيع المكان والدخول إلى الجامع الأخضر، والجامع الكبير المنوع التدريس فبهما وفق قرار منع المساجد على الجمعية الذي صدر في ٢٧ فيفري ١٩٣٣م<sup>(١٤)</sup>، لكن الجمعية أصرت على فتحهما وكان مترجمنا على رأس طلبة الجامع الكبير، والشيخ العباس على رأس

طلبة الجامع الأخضر ،وقد تزايد عدد التلاميذ بشكل سريع بهدف الحصول على الشهادة النهائية من المعهد<sup>(١١١)</sup>، وهي تعادل الشهادة " الأهلية " بتونس ويحصل عليها التلاميذ بعد دراستهم في المعهد مدة ٤ سنوات<sup>(١١٢)</sup>.

لقد حاولت السلطة الفرنسية أن تقضي على المدارس الحرة وأن تجذب أبناء الجزائر للتعليم في مدارسها ،حيث نص المادة ٥٧ من قانون الجزائر الصادر سنة ١٩٤٧م على اعتبار اللغة العربية إحدى لغات الاتحاد الفرنسي كما أنها تدرس في مختلف مراحل التعليم،غير أن هذا النص لم يدخل حيّز التنفيذ إلاّ في سنة ١٩٥٤م<sup>(١١٣)</sup>.

لم يكن الشيخ خير الدين من الذين يضعون السلاح جانبا ويستسلمون للعدو، بل بالعكس فقد واصل نشاطه التربوي ،حيث قام برحلة علمية في ربيع ١٩٤٨م إلى عمالة وهران ودشن بها المدارس ونظم الشعب وألقى دروس الوعظ والإرشاد،وفي غليزان أستقبل مترجما بحماس كبير وقد كتبت جريدة البصائر : >> وما دقت الساعة الثانية حتى وقف القطار السريع يحمل إلينا شخصية بارزة من رجال العلماء الذين قاوموا الجهل والاستعباد ،والبذع والفضلال مدى عشرين عاما منذ تأسيس جمعية العلماء ،مع المرحوم الأستاذ عبد الحميد بن باديس ومع خلفائه من بعده ،فالشيخ خير الدين رجل مضغ بنفسه وبنفيسه ، و ما من مشروع خيري للمصالح العام إلاّ ويؤيده وعده وينصره...<<<sup>(١١٤)</sup>.

وبعد عودته إلى يسكرة رأى أنّ حركة التعليم تسير بشكل سريع وتعرف إقبالا كبيرا ممّا صوّب على مدرسة التربية والتعليم<sup>(١١٥)</sup> ، استقبال كل التلاميذ لذلك قرّر الشيخ خير الدين مع الأعضاء إنشاء مدرسة جديدة ، فشرع في البناء بنشاط مكثف وكانت المرحلة الأخيرة قد بدأت في ١٨ ديسمبر ١٩٤٩م عندما حلّ الشيخ البشير الإبراهيمي رئيس الجمعية بدعوة من الجمعية المحلية وتمّ توجيه الدعوة إلى سكان يسكرة والزيان ومن مختلف أنحاء القطر ،فحضر الحفل العلماء و النواب والأطباء والمحامون، وتمّ افتتاح المدرسة ،وألقي الرئيس خطابا بليغا كعادته، ثم جاء دور الشيخ خير الدين فألهب الجمهور بكلمات بين العامية والفصحى ومما قاله:>> إنكم ستسمعون منّي كلمات ليست من باب الحمد والشكر ولكنها من باب الحث والإزعاج ،وسأصل بها مبدأ هذا العمل بنهايته فقد بدأناه مجتمعين

... وما دمنّا في موقف استنهاض الهمم وشدّ العزائم وما دمت عارفا بأسرار لغتي وتاريخ أجدادي، فإنّني أؤثر أن يكون افتتاح هذا الحفل التاريخي بالشعر... فأنا أريد أن أرجع بكم إلى ذلك الماضي الجليل، ولئن قال لنا أقوام: إنكم تعيشون في الماضي القديم، قلنا إننا نعيش بالاستمداد من الماضي والعمل للحاضر والاستعداد للمستقبل...»<sup>(١٥)</sup>.

وهكذا توالى فتح المدارس و بناء المساجد في شتّى أنحاء القطر، ففي مدينة سطيف وفي يوم ٨ أكتوبر ١٩٥٠م، تمّ تدشين مدرسة الفتح الجديدة، وحضر حفل التدشين الشيخ البشير الإبراهيمي و الشيخ العربي التبسي و الشيخ خير الدين و الأستاذ فرحات عباس وكان حاضرا أيضا أحد علماء فاس الشيخ إبراهيم الككتاني، إضافة إلى أساتذة ومديرين آخرين من داخل البلدة وخارجها<sup>(١٦)</sup>، كما كان للشيخ تنقلات إلى مناطق أخرى، ففي عام ١٩٤٨م زار بلدة ندرومة، رفقة الشيخ السعيد الزموشي، وكانت هذه البلدة عامرة بالزوايا حيث كان بها سبع زوايا، ولم تنشأ بها شعبة لجمعية العلماء، ولم تفتح بها أية مدرسة لتعليم القرآن و اللغة العربية، واقترح الشيخ خير الدين بناء مسجد كبير وتعيين إمام لأداء الصلوات والقاء دروس الوعظ والإرشاد، وتم بناء المسجد وانتشرت الحركة الإصلاحية فيها بشكل سريع<sup>(١٧)</sup>، ثم زار الشيخان بلدة بريقو، وأسسا بها شعبة وألقى الشيخ خير الدين محاضرة في المسجد إلى جانب محاضرة سعيد الزموشي بين من خلالها مقاصد الجمعية و أعمالها وآمالها<sup>(١٨)</sup>.

وقد زار الشيخ خير الدين بلدة شاطودان، في السابع من أفريل سنة ١٩٥٤م وقام بتجديد هيئة المدرسة و الشعبة، وقدم التقرير المالي للجمعية وتمّ انتخاب الهيئة الجديدة بإعادة تجديد الثقة فيها<sup>(١٩)</sup>، كما حل الشيخ ببلدة سوق أهراس في صيف ١٩٥٤م وقام بوضع حجر الأساس لبناء المدرسة الجديدة، وقد أقبل سكانها على البناء و الترميم فرحا بالمشروع العظيم<sup>(٢٠)</sup>.

وفي خريف ١٩٥٤ تنقّل الشيخ خير الدين إلى أقصى الغرب الجزائري إلى بلدة بني صاف، حيث إفتتح بها مسجد بني صاف" ونما قاله الشيخ في خطبة الافتتاح: >> إن فتح المساجد معناه إحياء أمة وميثاق مع الله على العمل لشر الدين الصحيح والتعاليم والقيّة في هذا الوطن... أيها الإخوان إن الإنسان في

هذه الحياة يحيا ثم يموت ثم لا يرجع إلا بعد أن يقف بين يدي الله، و الأهم كذلك ولكن الأمة لا تقبر بل تموت موتا معنويا وحياتها لا بروح تدخل وتخرج إنما تحيا بالحياة الحققة وما الحياة الحققة إلا العزة والكرامة والقوة...»<sup>(٢١)</sup>.

لقد استمر شيخنا في خطبه البليغة، يختلف المساجد وفي مناسبات عديدة، وكان ذلك في عهد الإمام عبد الحميد بن باديس الرئيس الأول لجمعية العلماء، حيث ذكرنا سابقا أن النشاط الذي قام به الشيخ خير الدين هو الوعظ والإرشاد في بلدة فرفار وضواحيها، ونشر الحركة الإصلاحية بها، فكانت تلك البداية التي فتحت له الطريق ليكون ضمن أبرز الوفود التي عيّنها الإمام ابن باديس عام ١٩٣٣م للوعظ في شهر رمضان، فكان ضمن قائمة وعظ مدينة قسنطينة بالجامع الكبير، ثم عيّن في الوفد الأول من بين ثلاثة وفود كبيرة إلى جانب الإمام ابن باديس و الشيخ مبارك المليي حيث ركزوا نشاطهم بالشرق الجزائري<sup>(٢٢)</sup>.

وهكذا كان الشيخ خير الدين يقوم بالوعظ في كل شهر رمضان، ففي شهر ماي ١٩٥١م عيّن ببلدة العلمة<sup>(٢٣)</sup>، ثم عيّن بقسنطينة في ماي ١٩٥٢م<sup>(٢٤)</sup>، وتنقل بين مساجدها باعتباره النائب الثاني لرئيس الجمعية، ثم عيّن بالجامع الكبير بقسنطينة في أبريل ١٩٥٤م<sup>(٢٥)</sup>، كما تم تعيين شيوخ وأساتذة الجمعية في جميع مساجد القطر للوعظ والإرشاد والدعوة للممسك بالدين واللغة وكانت أسماء الشيوخ والمناطق التي عيّنوا فيها تنشر في جريدة البصائر، والحق أن مترجمنا كان حريصا على مدارس الجمعية دؤوب الحركة، فكان يشرف على نشر الإعلانات الخاصة بأعظم معهد ثانوي شيدته الجمعية "معهد ابن باديس"، وما يخص شروط قبول التلاميذ وضمان الالتحاق العادي والحسن بالمعهد، كما أن هذه الإعلانات التي تنشر في البصائر تساعد التلاميذ الجدد الراغبين في الالتحاق للدراسة بالمعهد بتحضير الوثائق اللازمة والشروط الأخرى التي تدون مع الإعلان، وبعد أربع سنوات من مسيرة المعهد، أصبح الشيخ خير الدين مديرا للمعهد نظرا للظروف الصحية التي كان يعاني منها الشيخ العربي التبسي لذلك طلب الاستعفاء من مهمته، كما أن الشيخ البشير الإبراهيمي طلب من مترجمنا تولي المهمة، كونه نائب المدير<sup>(٢٦)</sup>.

و كانت لجان الامتحانات تقوم بدور كبير لتعيين الناجحين بعد الامتحان،

وكان يشرف على اللجان الشيخ العربي التبسي والشيخ خير الدين وشاركهم الإمام البشير الإبراهيمي في التنظيم<sup>(٢٧)</sup>.

وقد ورد في إحدى خطابات الشيخ خير الدين<sup>(٢٨)</sup> في الاحتفال بالناجحين في الشهادة الأهلية بالمعهد: >> فَإِنَّ الْعِلْمَ أَشْرَفَ الْمَطَالِبِ وَأَسْمَى الْمَقَاصِدِ وَالرَّغَائِبِ فَهُوَ حَيَاةُ الْأُمَمِ وَهُوَ عِزُّهَا وَمَجْدُهَا... لَقَدْ فَهِمَ أَسْلَاقُنَا الْعِظَامُ هَذِهِ الْحَقَائِقَ فَأَقْبَلُوا عَلَى الْعِلْمِ بِجَمِيعِ فَنُونِهِ وَتَهَاوَتْهَا عَلَى مَنَاهِلِ الْعَذْبَةِ يَكْرَعُونَ مِنْهَا فَسَادُوا فِي الدُّنْيَا وَقَادُوا الْأُمَمَ وَفَتَحُوا - مَعَ الْبِلْدَانِ - الْقُلُوبَ وَالْعُقُولَ وَرَفَعُوا مِشْعَلَ الْحَضَارَةِ وَالْمَدِينَةِ...<<.

لقد كان الشيخ خير الدين حريصا على تلقين أبناء وطنه مختلف العلوم لأنه كان يعرف قيمة العلم في بناء الحضارات، لذلك لم يقتصر حرصه على تلاميذ المعهد والمدارس داخل الوطن بل امتد حرصه إلى خارج الوطن، ففي جامع الزيتونة كان الشيخ يقوم بزيارات مستمرة ليتفقد **طلبة الجزائر** وكان يلقي عليهم خطبا متنوعة، رغم أنه كان يتعرض في بعض الأحيان للمضايقات من بعض الطلبة كتلك التي تعرض لها في صيف ١٩٤٨م، لكن رغم ذلك فمترجمنا كان يعي ما يحدث ويعرف أن هناك محاولة للتبيل من الجمعية وسمعتها، لكن الطلبة استنكروا تلك الأفعال وأعلنوا تقديرهم واحترامهم لشيخهم وولاءهم لجمعية العلماء<sup>(٢٩)</sup>.

يمكن القول أن الشيخ خير الدين كان يخوض تنقلاته ويقوم بدوره التربوي بكل شجاعة شرق الجزائر إلى غربها، ومن الشمال إلى الجنوب تاركا وراءه تلك الخطب البليغة الحماسية المثيرة للنفوس وخلفه تلك القلاع الحصينة من مدارس ومساجد، التي وبدون شك قد منعت الاستعمار الفرنسي من تسلق أسوارها العالية المحصنة بالدين الإسلامي واللغة العربية، ووراءها جند من أبناء الجزائر، ويتلك الإنجازات التربوية التي قام بها شيخنا إلى جانب أقرانه العلماء، حافظت الجمعية على مقومات الشخصية الوطنية.

## الهوامش

(\*) الشيخ محمد خير الدين من مواليد ١٩٠٢ بمنطقة فرفار ولاية بسكرة . وفيها وفي كتابيها حفظ القرآن وعلى فقهائها وعلمائها أحد ميادى العلوم اللغوية وعلوم الشريعة الإسلامية ثم انتقل إلى مدينة قسنطينة وتعلم لمشتاها ومنهم الشيخ عبد الحميد بن باديس والشيخ الطاهر بن زقوتة . وفي سنة ١٩١٨ ارتحل إلى تونس ، وانتظم في سلك طلبة الجامع الأعظم ( الزيتونة ) ومنه تخرج سنة ١٩٢٥ عالما متطوعا وكان الثاني في الخمسين مترشعا في امتحان التخرج ، ثم ساهم مساهمة فعالة في تأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ٥ ماي ١٩٣١م . وتولى فيها عددا من المسؤوليات والمهام فكان أميناً لماليتها . ومراقبا عاما لها . ثم نائبا للرئيس ثم رئيسا . . . كما تولى في الجمعية - نائب مدير لمعهد عبد الحميد ابن باديس في قسنطينة مع هيئته الادارية ، ومختلف لجانه المختصة . وعين أعلنت الثورة أولى خطوات زحفها في أول نوفمبر ١٩٥٤م كان الشيخ محمد خير الدين سابقا إلى الانضمام إليها . حيث أسدت اليه مهام تشيكلها في المغرب الشقيق ، ثم عيّن عضوا في أول مجلس للثورة سنة ١٩٥٨م . وعند استقلال الوطن سنة ١٩٦٢م شغل الشيخ محمد خير الدين منصب نائب في أول مجلس نيابي تأسيسي . ساهم في استقرار الأمور واستعادة السيادة الوطنية بعد فقدانها لقرن وثلاثة ثم قرر اعتزال ميدان سياسة والتزام بيته إلى أن وافته المنية يوم ١٠ ديسمبر ١٩٩٣م.

(\*\*) من الذين درسوا على يد الشيخ خير الدين : فرحات بن الدراجي ، أحمد سحون ، علي بن العرافي المغربي ، الطاهر خوش ، المختار المغربي ، عبد الرحمن غريب ، الحسين أبو عبد الله وغيرهم . انظر محمد خير الدين ، مذكرات ، ج ١ ، ط ١ ، مؤسسة الضحى ، الجزائر ٢٠٠٢م ، ص ٧٤

١- محمد خير الدين : المصدر نفسه ، ص ٧٨ . انظر أيضا : محمد خير الدين : " اجتماع هام بدار المحترم الحاج الحفناوي دباشي النائب العمالي و تأسيس جمعية ( الايضا ) ببسكرة " ، جريدة المجاج ، العدد ١١٨٣ ، ٢٢ جويلية ١٩٣١ . انظر أيضا : مجلة الشهاب : مقال " في المجتمع الجزائري " ، دور محمود من أدوار الجزائر الحاضرة " ، مج ٧ ، ص ٨٦ ، أوت ١٩٣١ ، ص ص ٥٢٩ - ٥٣٠ .

٢- محمد خير الدين : مذكرات ، ج ١ ، المصدر السابق ، ص ص ٧٩-٨٢ .

٣- شارل أندري جولييان : إفريقيا الشمالية تسمى ، ترجمة المجي سليم وآخرون ، الدار التونسية للنشر ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، تونس ١٩٧٦م ، ص ١٢٦ .

٤- البشير الإبراهيمي : سجل جمعية العلماء المسلمين الجزائريين المعقد بمركزها العام بسادي التراقي الجزائر ، دار الكتب ، الجزائر ١٩٨٢م ، ص ٦٤ .

٥- جريدة البصائر : مقال " الجمعية الخيرية الإسلامية " العدد ٤ ، ٢٤ جاني ١٩٣٦ ، ص ٧

٦- عبد اللطيف بن علي . " وفد جمعية العلماء ، برور القنطرة " ، جريدة البصائر ، العدد ٩٥ ، ١٤ جاني ١٩٣٨ ، ص ٥ .

bulletin mensuel d'informations concernant la politique indigène dans le  
département d'Oran mois de janvier 1938, S L N A, archive historiques W. de  
Constantine

- ٨- بسمام العسلي: عبد الحميد بن باديس وبنّا - قاعدة الثورة الجزائرية - ط ٢، دار العائس، بيروت ١٩٨٣ م، ص ٥٢
- ٩- عبد الكريم بوصمصاف: جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وعلاقتها بالحركات الجزائرية الأخرى (١٩٣١-١٩٤٥ م) دراسة تاريخية وإيدولوجية مقارنة، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، المؤسسة الوطنية للإتصال والبشر والإشهار، ١٩٩٦ م، ص ص ١٣٧-١٣٨.
- ١٠- محمد خير الدين: مذكرات، ج ١، المصدر السابق، ص ١٧.
- ١١- محمد الطاهر فضلاء: التحريف و التزييف في كتاب حياة كفاف، ط ١، دار البعث للطباعة، قسنطينة، الجزائر: ١٩٨٢ م، ص ٤٤٨.
- ١٢- محمد خير الدين: مذكرات، ج ١، المصدر السابق، ص ص ١٧٠. ١٧١
- 13- Mohamed Harbi 1954, la guerre commence en Algérie. édition complexe, bruxelles. 1998
- ١٤- فرحات العابد: "الشيخ محمد جبر الدين في عليان"، جريدة البصائر، العدد ٣٩، ١٧ ماي ١٩٤٨ م، ص ٧.
- ١٥- الحفاري هادي: "وصف الاحتفال الرائع بفتح مدرسة بسكرة"، جريدة البصائر، العدد ١٤٠ - ١٤١، ٥ فيفري ١٩٥١ م، ص ٦-٧. أنظر جريدة الشعلة، مقال "بسكرة تحتفل بوضع الحجر الأساسي لمدرستها"، العدد ١٩، ٢٠ أفريل ١٩٥٠ م، ص ٢.
- ١٦- علي مرحوم: تدين مدرسة الفتح بسطيف، جريدة البصائر، العدد ١٢٣، ٢٣ أكتوبر ١٩٥٠ م، ص ٢.
- ١٧- محمد خير الدين: مذكرات، ج ١، المصدر السابق، ص ٢٣٢
- ١٨- السعيد الزموشي: "وقد جمعة العلماء في بريقو"، جريدة البصائر، العدد ٤٣، ١٢ جويلية ١٩٤٨ م، ص ٢.
- ١٩- جريدة لبصائر "أعمال جمعة العلماء"، العدد ٢٦٩، ٣ أفريل ١٩٥٤ م، ص ٥
- ٢- محمد مسلاي: "أنار الهضة الإصلاحية بسوق أهراس"، جريدة البصائر، العدد ٢٧٦، ٢٥ جوان ١٩٥٤ م، ص ٧

٢١- حمد مسيح: "افتتاح مسجد بني مصاف وخطاب الشيخ خير الدين"، جريدة البصائر، العدد ٢٨٣، ٣ سبتمبر ١٩٥٤، ص ٧.

٢٢- محمد خير الدين: مذكرات، ج ١، المصدر السابق، ص ٢٢١-٢٢٦.

٢٣- جريدة البصائر: "قائمة الوعظ"، العدد ١٥٦، ٢١ ماي ١٩٥١م، ص ٢.

٢٤- جريدة البصائر: "قائمة الوعظ لشهر رمضان"، العدد ١٩٠، ١٩ ماي ١٩٥٢م، ص ٢.

٢٥- جريدة البصائر: "قائمة الوعظ لشهر رمضان"، العدد ٢٦٩، ٣٠ أبريل ١٩٥٤م، ص ٣.

٢٦- محمد خير الدين: مذكرات، ج ١، المصدر السابق، ص ١٧٠.

٢٧- جريدة البصائر: مقال "معهد عبد الحميد بن باديس"، العدد ١٥٨، ٤ جوان ١٩٥١م، ص ٢.

٢٨- جريدة البصائر: مقال "خطاب فضيلة الأستاذ محمد خير الدين في الاحتفال بالتاجيين في الشهادة الأهلية بالمعهد"، العدد ٢٨١، ٣٠ جويلية ١٩٥٤، ص ١٠١.

٢٩- جريدة البصائر: مقال "الشيخ خير الدين في تونس، إستيكاو وتيرؤ"، العدد ٤١، ٢٨ جوان ١٩٤٨، ص ٣٠.

ARCHIVE



## حركة الردة في البحرين

عقب وفاة الرسول (صلى الله عليه وسلم) حتى عهد عمر بن الخطاب

تبلورت حركة الردة في سحرى على أساس تحلى مجموعة من أهل البحرين عن ركائز الدين الإسلامى وخروجهم عن الامتثال للقيادة بعد وفاة الرسول ، وما تبع ذلك من ضجة وسخط انتهت إلى محاربتهم كأهداف معارضة في بدايات العهد الراشدى .

يمتاز أهل البحرين بأسقيتهم في اعتناق الدين الإسلامى عن قساعة تامة في وقت مبكر كانت تابعة فيه للدولة الساسانية ، وهذه حقيقة لا يستطيع أن نتجاهلها ، لأن الدين الإسلامى يمتلك من الخصائص ما يؤكد على أنه عقيدة الفطرة ، ومهيج الحبة الذى يستوعب كافة شؤونها ، ولهذا وجد طريقه بين أهل البحرين ، بعيدا عن العنف والاكراه ، يبدو ذلك جليا في النصوص القرآنية ( لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي ) ، ( أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين ) ، وساء على ذلك فإن هذا الدين يحاطب إنسانية الفرد بأسسه المرنة ، دون أن يجبر الناس على الأخذ به قسرا كمتعقد يحكم أسلوبهم في الحياة ، ومن هنا نستغرب أن يرتد أهل إلى وثنية حاربها الدين ، لكن يتضح أن حركة الردة حقيقة في ذات التاريخ على درجة من الخطورة ، وإن لم تدم طويلا ، فإما أن تكون خطأ ليس له أى مبرر من شئ ، وبالتالي لابد من تحطيمها ، وهذا ما حصل فعلا ، أو أن تكون حركة قائمة عن وجه حق ، أرادت تحريك الرقص ، والفتوة احتجاجا على حالة غير شرعية آنذاك .

وباختصار ، فإن ما يورده لنا التاريخ هو أنه بعد وفاة الرسول (صلى الله عليه وسلم) ، ارتد قوم من البحريين هلكوا عليهم المنذر بن النعمان فيما ثبت مسلمو جواتا كالجارود العبدى ، فحصرهم المرتدون وضيقوا عليهم إلى أن أرسل أبو بكر العلاء لنجدةهم ، فهزمهم وقتل منهم مقتلة ، وكان جيش العلاء من الجيوش الإحدى عشر ، التى أرسلها أبو بكر لردع ما عرف بحركة الردة والروايات فى ذلك على أوجه مختلفة وكثيرة .

دهل كانت حركة الردة فى البحرين اعوجاجا باتجاه اللاوعى ، والانحطاط ، وفتنة جرت ويلات إهدار المكاسب ، والعبث بموازين الدولة الإسلامية ، أم أنها لا تعدو أن تكون أسلوبا تلقائيا ، للتماعلى على واقع الأحوال الاقتصادية ، والاجتماعية التى مرت بها ؟ فمن هم رموز هذه التجربة ، ولماذا زجوا بأنفسهم فى هذا المأزق ؟ وكيف كانت المؤشرات التى استتبعت تفاصيل هذه الظروف ؟ ألم تكن الهوية الإسلامية مترسخة فى مسلك المرتدين ؟ لماذا سادت أكثر من موجة انشقاق ، وتفكك فى مجتمع المسلمين ، بعد وفاة الرسول (صلى الله عليه وسلم) ؟ كما نالت أعمال المؤرخين من حصص الحقيقة ، وإلى أى مدى التزموا بالواقعية والمصادقية ؟ وهل تخلو تفاصيل الأحداث من المبالغة أو التأثير بالظروف السياسية ؟

تساؤلات عديدة تطرح نفسها فى هذا المضمار ، ويجب عليها إلى حد كبير فى شمار الدراسة.

### الردة بين المضمون اللغوى والمحتوى الاصطلاحي

الردة (بالكسر ، الاسم من الارتداد) ، وقد ارتد ، وارتد عنه : تحول وعنه الردة عن الإسلام ، أى الرجوع عنه ، وارتد فلان عن دينه ، إذا كفر بعد إسلامه<sup>(١)</sup> . وكما جاء فى اللسان : الرد : صرف الشئ ورجعه ، والرد مصدر رددت الشئ ورده عن وجه يرده ردًا ومردًا وتردًا . وقد ارتد عنه : تحول ، وفى التنزيل . ( من يرتد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فأولئك حبطت أعمالهم فى الدنيا والآخرة )<sup>(٢)</sup> ، والاسم الردة . يقال ، ردت الرجل عن دينه ردة : إذا كفر بعد إسلامه ، وأمر الله لا مرد له<sup>(٣)</sup> .

فالردة ، بالكسر مصدر قولك رده برده ورده . وفى حديث لقيامة والحوض يقال : إنهم لم يرالوا مرتدين على أعقابهم أى متخلفين عن بعض لواحيات قل : لم يرد ردة الكفر ولهذا قبه بأعقابهم لأنه لم يرتد أحد من الصحابة بعده ، بما ارتد قوم من حدة الأعراب<sup>(٤)</sup> .

وهناك معان كثيرة أخرى للردة لسنا بصدها ، فما يهمنا في الواقع معنيان ، أولاهما : الرجوع الحقيقي لعموم الأشياء ، حيث نفهم منهم تصور العودة إلى ما كانت عليه في مقدمة الأمر ، وذلك يعد حركتها ، وثانيهما : التحول عن الشريعة الإسلامية إلى اعتقال ضال ، ولهذا التحول عدة مقاييس فقد يكون حسيا ، أو معنويا ظاهريا أو خفيا .

تعرف الردة اصطلاحاً على أنها التحول ، والرجوع المؤدى بالكفر بعد الإسلام ، وتحصل الردة بقول صريح أو لفظ يؤدي معناها أو فعل يظهر ذلك <sup>(١)</sup> ، وتكون من إنسان مسلم بالغ عاقل مختار ، كالشرك بالله تعالى أو جحوده ، أو نفى صفة ثابتة ، أو اعتقاد كذب النبی (صلى الله عليه وسلم) في بعض ما أتى به ، أو سب الله سبحانه أو أحد أنبيائه (صلى الله عليه وسلم) ، وإنكار ضرورة من ضروريات الدين ، أو أن يحلل المحرم أو يحرم الحلال ، أو الإتيان بفعل صريح يكافئ الاستخفاف بالإسلام . ومن أكره على الكفر فجاء بكلمة الكفر لم يعد مرتدًا <sup>(٢)</sup> ، وذلك لقوله تعالى : ( من كفر بالله من بعد إيمانه إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان ولكن من شرح بالكفر صدراً فعليهم غضب من الله ولهم عذاب عظيم ) <sup>(٣)</sup> .

ولنا أن نوحى مغزى المدلول الاصطلاحي على أنه : "كفر المسلم بقول صريح أو لفظ يقضيه أو فعل يتضمنه" . ومن الواضح أن الردة تعشت في صورة جماعية مثلما تبنت ذلك بعض القبائل من تناقلت حركتهم في عهد أبي بكر ، وهذا ما يعرف بحركة الردة الجماعية .

ولاشك أن لفقاء المذاهب فهمهم الخاص إزاء فكرة الردة ، ونكتفي هنا بإيراد بعض التعريفات :

- ١- مذهب المالكية : الردة هي كفر بعد إسلام تقرر بالنطق بالشهادتين والتزام أحكامها .
  - ٢- مذهب الحنفية : المرتد هو الراجع عن دين الإسلام .
  - ٣- مذهب الشافعية : الردة هي قطع الإسلام بنية أول قول أو فعل يتضمن كفراً ، واعتقاداً أو استهزاءً أو عناداً <sup>(٤)</sup> .
- وهناك من يعرف الردة عن طريق استقراء وتنوع مقومات المصادر التي ذكرت أن العرب ارتدوا بعد وفاة الرسول (صلى الله عليه وسلم) بأنها كانت في المقام الأول ثورة على السلطة المركزية في الحكم وفي النظام الاقتصادي .

تذكر الكتب الفقهية على اختلاف المذاهب أنه يشترط في صحة الردة البلوغ ، وكمال العقل ، والاختيار ، أو الطوع حيث لا تنقح إلا من المكلف ، العاقل لا المجنون أو السكران ، إلا أن مذهبي المالكية والحنفية لم يشترطا البلوغ ، فاختلف في وقوع ردة الصبي <sup>(١)</sup> . وتحصل الردة كما أشرنا في الباب السابق ، بنية أو قول كفر أو فعل ، استهزاء أو اعتقادا ، فمن نفى الخالق أو رسله أو كذب أحدهم ، أو حلل محرما بالإجماع كالزنا وعكسه ، أو نفى واجب بالإجماع أو العكس أو ترك الصلاة أو الزكاة جهودا ، أو عزم على الكفر غذا ، أو خالطه كفر ، والفعل المكفر ما تعده إهانة صريحة نحو الدين ، أو جهود له كالقاء المصحف في قاذورة أو تمزيقه أو إضرار الكعبة ، أو الخضوع لغير الله كصنم أو شمس <sup>(٢)</sup> .

نستخلص مما سبق أن هناك أربعة أقسام تصدق على حصول قضية الردة :

١- ردة على مستوى الاعتقاد .

٢- ردة على مستوى الفعل .

٣- ردة على مستوى القول <sup>(٣)</sup> .

٤- ردة على مستوى الإسقاط أو الترك <sup>(٤)</sup> .

يبقى أن هناك فروقا طفيفة تدور في فلك هذه الأقسام الأربعة بين المذاهب المختلفة فيما يصير به المسلم مرتدًا :

١- الحنفية : تتحقق الردة بإجراء كلمة الكفر على اللسان بعد حالة الإسلام .

٢- المالكية : وتتحقق إما بلفظ صريحة أو لفظ يبينها مما علم ضرورة في الدين ، أو بفعل يخترن الارتداد كالقاء المصحف .

٣- الشافعية : وتتحقق إما بلفظ الكفر أو بجهود الفرض أو استباحة الحرام .

٤- الحنابلة : من أشرك بالله أو جحد ربوبيته أو جحد الحكم الواضح المجمع عليه .

٥- الظاهرية : من كفر بما صدر عن النبي من الصحيح المجمع عليه .

٦- الزيدية : اعتقاد كفر (الله ثالث ثلاثة) ، فعل ما يستنقص شرعة النبي أو ما دعا الله بتعظيمه ، تلفظ الكفر ، والسجود لعبير الله .

٧- الإمامية : نية أو قول أو فعل منطقة الكفر.

٨- الأباضية : إنكار وحدانية الله والبعث والرسول أو ما علم من الدين بالضرورة أو شتم النبي أو ملك<sup>(١٢)</sup>.

وحتى يتسنى لنا الربط بين ما سبق ، وما يخص الأمثلة والصور التاريخية فمن الضروري تحديد أقسام المرتدين تاريخيا حيث تتضمن :

١- جماعة الممتنعين عن الزكاة والمطالبين بالإعفاء منها بعد رحيل الرسول ، وتضم بنى عبس وذبيان ومن تبعهم من بنى كنانة وغطفان فزارة بالإضافة إلى بنى يربوع ، وسيدهم مالك بن نيرة.

٢- فريق كفى بالله ورسوله مثل بنى بكر بن ثائل ، وقبائل ربيعة والأزد ، وجماعات فارسية ، بالإضافة لدعى النبوة الذين عاصروا النبي (صلى الله عليه وسلم) كمسيلمة الكذاب وأتباعه والأسود العنسي ، وطلحة الأسدي . وهناك جزء تنبأ بعد وفاة النبي (صلى الله عليه وسلم) كسجاح بنت الحارث التميمية التغلبية<sup>(١٣)</sup> .

### المرتد وما ينضوى ضمنه من أحكام

يتسم حكم الردة عن الاسلام بالحرمة والكفر الغليظ ، لأنها بمثابة تكذيب يلحق تصديق . إن المرتد هو الراجع عن دين الإسلام ، أى الذى يكفر بعد إسلامه ، ولو رجع يتوجب قتله ، فإذا قتل لا يدفن مع المسلمين ، وتبين منه زوجته بمجرد الارتداد ، فيديهي بالتالى أن تعتد مه عدة الوفاة إن دخلت ، ويقسم ماله بين ورثته المسلمة ، وإن لحق بدار الحرب<sup>(١٤)</sup> . أما الثانى : فهو المسلم عن كفر بمعنى غير المولود على فطرة الإسلام ، فهذا من الواجب استنابته ، وأما أملاكه فتظل محفوظة له حتى يتوب ويوقف نكاح زوجته على انقضاء العدة المساوية لعدة المطلقة .

كما جاء فى ضوء تعريف المرتد : أنه كل من يأبى شفهيًا ومطلق اختياره ركنين جوهريين من أركان الإسلام ، وهما : « أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله » . سواء كان مسلمًا بالولادة أو مسلمًا بعد كفر ، ويوازى نفي الكل بالسببة للأصول ، إن باللفظ لمباشر ، أو غير مباشر . إن بالكلام أو بالعمل أو بالامانة إلى مقدسات الشريعة ، وحكم المرتد فى كلا المذهبين الشيعى والسنى هو القتل<sup>(١٥)</sup> . ويلغى زواج المرتد وتصادر أمواله . كما فرقت الأحكام بين المرأة والرجل .

وبالتالى لم تحكم لدى كل من الشيعة والحنفية السنة، وإن كانت مسلطة على الفطرة، وإنما تسجر حتى تتوب، أو أنها تحكك مأسورة إلى أن تموت حيث تضرب كل ثلاثة أيام.

ويستتاب المرتد وحيثما ذهب الشافعى وأحمد، أو استحباباً كما بالمذهب الحنفى ثلاثة أيام، فإن تمسك على ما هو عليه قتل لامحالة ولا يسترق، وإن تاب لم يشمل الحكم، وقيل بأن إسلامه غير مقبول إن ارتد لكمر خفى مثل الزنادقة، والحجة على ثبوت الاستتابة: «أن امرأة يقال لها أم رومان ارتدت فأمر النبی (صلی الله علیه وسلم) أن يعرض عليها الإسلام، فبن تابت وإلا قتل» ونستتج من الحديث السابق أن النبی (صلی الله علیه وسلم) أقام عقوبة المرتد قبل أن يطبقها الصحابة بعد مصادمته مع المرتدين وماعنى الزكاة<sup>(١٧١)</sup>.

ومن ثم، فبعد أن تثبت الردة إما بطريق الإقرار، أو بطريق شهادة يدلى بها اثنان يبرزان نوع الكفر، فإن المرتد يستتاب، فإن رجع قبل منه وإن تكرر للدين قتل، وذلك لقول النبی (صلی الله علیه وسلم): «من بدل دینه فاقتلوه»<sup>(١٧٢)</sup>. ويتولى قتله الإمام حسب ما هبت إليه الحنفية والشافعية والحنابلة والظاهرية والزيدية. ويتولى قتله كل من عدم بأمره وفقاً لمذهب الإمامية، وتذهب الأماضية إلى أكثر من ذلك حيث يصح قتل المرتد حتى على يد امرأة أو عبد مشرك أو مرتد آخر<sup>(١٧٣)</sup>.

### قراءة مقتضبة فى تاريخ البحرين الجغرافى

لم تكن البحرين فى السابق مجرد مجموعة من الجزر الصغيرة فى الخليج العربى التى تبعد لكيلومترات عن الساحل الشرقى للمملكة العربية السعودية كما هو الحال الآن، بل هى كما قال قوم: «الإقليم الثالث وعرضها أربع وثلاثون درجة، واسمها يجمع للبلاد على ساحل بحر الهند بين البصرة وعمان»، كما قبل «أنها قصبة هجر، وقيل هجر قصبة البحرين»، وقد اعتبرها البعض من اليمن، فيما صنفها آخرون كقصبة برأسها<sup>(١٧٤)</sup>.

وقال ابن الفقيه، وأبو عبيدة أن مقدار ما يفصلها عن اليمامة يعادل مسيرة عشرة أيام، وما يفصلها عن البصرة يعادل خمسة عشر يوماً على الإبل، وما يفصلها عن عمان يقدر بمسيرة شهر، قال: «والبحرين هى الخط، والقطيف، والآرة، وهجر، وبنونة، والزارة، وحوث، والسابور، ودرين، والغدبة» قال: «وقصبة هجر، والصفا، والمشرق، والشبعان، والمسجد الجامع فى

المشقر ، وبين المشقر والصفاء نهر يجري يقال له العين <sup>(١٢٠)</sup> . ولقد كانت البحرين في صدر الإسلام تمتد من كاظمة إلى جلفار ، وتشكل المنفذ نحو الجزيرة العربية بموانئها كالعقير والإحساء والقطيف ودارين ، وبجنزرها كأول ، والمحررق ، وشقارن وثاروت ، وحوار ، وغيرها <sup>(١٢١)</sup> .

نخلص إلى أن ما كان يقصد بالبحرين هو ما كان متعارف عند العرب في الحقب السابقة من أنحا الإقليم الممتد على ساحل الخليج العربي بين البصرة وعمان ، وكانت بذلك تضم ما يعرف في عصرنا اليوم بالكويت والإحساء والبحرين وقطر وتتصل غربا باليمامة وشمالا بالبصرة وجنوبا بعمان <sup>(١٢٢)</sup> .

## دخول البحرين في الإسلام

في السنة الثامنة للهجرة (٦٣٠ م) ، باتفاق البلاذري ، والطبري ، وابن هشام وقد الصحابي العلاء بن عبد الله بن عباد بن الحضرمي ، حلف بنى عبد شمس ، سفير الرسول (صلى الله عليه وسلم) إلى البحرين التي كانت تحت إمرة المناذرة التابعين للفرس الساسانيين ، وقد كان قائدا فيما بعد في حرب المرتدين . إلى أن وافى حاكم البحرين من قبل الفرس آنذاك المنذر بن ساوى التميمي العبدى <sup>(١٢٣)</sup> ، شيخ قبيلة عبد القيس الذي ينتمى إلى بني دارم ، وإلى سبيخت مرزيان ، المتمركز بهجرل يدعو شعبهم إلى الدخول في الإسلام أو دفع الجزية ، فقتلته صدورهم الدين الجديد - الذي قال عنه المنذر : « فما يمنعني من دخول دين فيه أمية الحياة وراحة الموت فقد عجبت أمس ممن يقبله وعجبت اليوم ممن يردّه » <sup>(١٢٤)</sup> - طوعا من غير حرب أو قوة ، حيث أسلم أيضا سائر العرب بالبحرين مع بعض الأعجم . والملاحظ أن هذا يتباين مع ما رواه ابن الأثير في تاريخه ، حيث يقول : « ولم يكن بالبحرين قتال إنما بعضهم أسلم وبعضهم صالح » . وما قاله قتادة : « لم يكن بالبحرين قتال ، ولكن بعضهم أسلم وبعضهم صالح العلاء على أنصاف الحب والتمر » ، ولولم يلقها أن نصارى ومحوس البلد قد كتبوا معاهدة ضمنية بينهم وبين العلاء . تنص على صيغة للمصالحة ، نسختها « بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا ما صالح عليه بن العلاء الحضرمي أهل البحرين ، صالحهم على أن يكفونا العمل ، ويقاسمونا الثمر ، فمن لم يفى بهذا فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين » . والنسبة إلى حزية الرؤوس ، فإنه قد استوفى لها دبنارا من كل حال ، فمن لا زال على المسيحية واليهودية ، وقد قيل أن رسول الله قد بعث العلاء لما بعث رسله إلى دعوة الملوك سنة ست ، وروى عن العلاء أنه قال : « بعثني رسول الله (صلى

الله عليه وسلم) إلى البحرين ، أو قال هجر ، وكنت آتى الحائط بين الأخوة ، قد أسلم بعضهم فأخذ من المسلم العشر ، ومن المشرك الخراج »<sup>(٢٧)</sup>.

ورود على أهل البحرين كتاب أرسل إليهم : «بسم الله الرحمن الرحيم ، أما بعد ، فإنكم إذا أقمت الصلاة وآتيتم الزكاة ونصحتم الله ورسوله ، وآتيتم عشر النخل ونصف عشر الحب ، ولم تمجسوا أولادكم ، فلكم ما أسلمتم عليه ، غير أن بيت المار لله ورسوله ، وإن أبيتم ، فعليكم الجزية » ، ويقال أن ذلك كان سنة ٦ هجرية ، وفي رواية له (صلى الله عليه وسلم) ، ويحدث أصحابه : « سيطلع عليكم من ها هنا ركب هم خير أهل المشرق » ، وفي رواية : « يسبق ركب من المشرق لم يكرهوا على الإسلام ، قد أنصوا الركايب ، وأنصوا الراد ، اللهم اغفر لعبد القيس »<sup>(٢٨)</sup> ، وكان ذلك في وفد عبد القيس عليه بالمدينة قبل فتح مكة ، ففي العام الثامن للهجرة كان قدوم وفد عبد القيس بقيادة (الأشج) ، ومن صاحبه من أهالي هجر ، معلنين إسلامهم السرى بين يدي الرسول ، ومنطلقين برسالة الدين إلى المنذر بن ساوى في البحرين<sup>(٢٩)</sup> ، كما قدم وفد بحرني آخر ، في العام العاشر للهجرة ، بقيادة الجرود بن المعلل العبدى ، الذى اعتنق الإسلام بعد أن كان نصرانيا<sup>(٣٠)</sup> . والحق ، أننا نستشف من خطاب الرسول (صلى الله عليه وسلم) ، أن عبد القيس حرصوا على الاستجابة طوعا ، وأن الإسلام قد احتل موقعا عظيما في أنفسهم ، وبالتالي لم يلق أية معارضاة أو مزاحيات رافضة تعترض طريق سبده ، بل كان مقتضى تعاظم الأغلبية متفتحا وإيجابيا قتل في مدى استعدادهم لقبوله واعتناقه .

وفاة الرسول (صلى الله عليه وسلم) والمنذر بن ساوى ( التدايعات المرحلية )

قال تعالى : ( وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا وسيجزي الله الشاكرين )<sup>(٣١)</sup>.

تجدر الإشارة إلى أن البداية الفعلية لاندلاع حركات العصيان - كمنعطف على درجة من الحساسية .

والخطوة في تاريخ هجر - الجزيرة العربية- كانت إبان الفترة الزمنية التى أعقبت وفاة الرسول (صلى الله عليه وسلم) ، يوم الثانى عشر من ربيع الأول ، وفاته المنذر بن ساوى بعده وذلك فى السنة العشرة ، أو الحادية عشرة للهجرة على اختلافات الرويات ، وذلك لأن غمادج الردة خلال المدة السابقة لوفاة النبى كانت متمركزة فى محيط محدود شمل كلا من اليمن واليمامة .

وينقل إلينا المؤرخون بأن الرسول (صلى الله عليه وسلم) مات ذلك الشهر ، ومات المنذر بعد رحيل الرسول (صلى الله عليه وسلم) بفترة وجيزة <sup>١٣١</sup> ، فتبع ذلك الكثير من طوائف العرب ، بين كافر ومانع للزكاة والصدقة <sup>١٣١</sup> ، حيث تغلغل النفاق في ثنايا المجتمع وقتئذ كما جاء في قول السيدة عائشة : « لما توفي الرسول (صلى الله عليه وسلم) ارتدت العرب ، وأشرأت اليهودية والنصرانية ، ونجم النفاق ، وصار المسلمون كالغنم المطيرة في الليلة الشاتية ، لفقد نبيهم حتى جمعهم أبو بكر <sup>١٣١</sup> » وكان أهل البحرين من ضمن من ارتدوا أيضا ، مملكين عليهم المنذر بن النعمان المنذر . ولهذا السبب غادر أبان بن سعيد العاصي بن أمية من البحرين ، متجها نحو المدينة حيث أشار ابن عساکر في تاريخه أن أبان بن سعيد قال إلى بنى عبد القيس : « أبلغوني ما مني » ، فقالوا : بل أقدم ، فلنجاهد معك في سبيل الله ، فإن الله معز لدينه « كما نجد أن الجارود حول تنحيته عن السفر فلم يجد ذلك أمام إصراره . والملاحظ لما قدم على أبي بكر لأمه قائلا « ألا تثبتوا مع قوم لم يرتدوا » ، أو قال لم يبدلوا ، فعقب أبان : « هم على ذلك فما أرغبهم في الإسلام وأحسن نياتهم ، ولكن لا أعمل لأحد بعد رسول الله <sup>١٣١</sup> » .

وكان ممن ارتدوا أيضا : شريح بن ضبيعة العبدى ، المعروف بالحطم وقبيلة ربيعة ، وبكر التى بقت على ردتها . وبخصوص عبد القيس ، فقد شهر كلامهم عقيدة أن النسي لا يموت ، أو أن النوبة لا تنقضى بمجرد وفاته إلا أن الجارود بن عمرو قد اجتمع إليهم وحدثهم بحديث ينزع إلى فطرة الحق فأمنوا بمنطقه ، واستجابوا لهذا الزعيم الإسلامى بعد المنذر ، برسوخهم من حديد على إسلامهم ولكى تكون الصورة أوضح ، سنذكر ما دار بين الجارود وبينهم ، حيث أنه قال : « تعلمون أنه كان لله أنبياء ، فيما مضى » ، قالوا : « نعم » ، قال : « فما فعلوا » ؟ قالوا : « ماتوا » قال : « فإن محمداً مات كما ماتوا ، وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله » فعادوا إلى حظيرة الإسلام بنفس الشهادة مضافا عليها وأنتك سيدنا وأفضلنا <sup>١٣١</sup> .

وهذا يأخذنا إلى ما حدث به أبو بكر الناس إثر وفاة الرسول (صلى الله عليه وسلم) . وذلك لما قال « من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات ، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت <sup>١٣١</sup> » وتجدر الإشارة إلى أن عمرا وغيره قد نصحوا أبا بكر بالتخفى عن قتال المرتدين ، لكنه كان حازما ومتشث بكرة النهوض لهم ، حيث قال : « والله لو منعوني عقالا أو عذقا كانوا يؤدونها إلى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ، لقاتلتهم على معصيها ، » والعقال تعنى زكاة عام من الإبل ، والمقصود بعناق : الأنثى من ولد المعز <sup>١٣١</sup> .

كذلك فإن من أهم ما نطقت به تداعيات حركة الردة ، هو ذهاب فريق من رجالات بكر بن وائل إلى كسرى ملك الفرس ، يخبرونه بموت من كنت قريش ومضر يقتخرون به ، وينبأ الرجل الذى حل بعده ، ووصفوه على أنه ضعيف البدن والرأى ، ملمحين إلى اتصاف عامله إلى جماعته ، وإلى الضياع الذى تسلل للبحرين بعد أن لم يعد بها مسلمون سوى من عبروا عنهم بشرذمة من عبد القيس لا يساوون شيئا بالنسبة لهم . وسألوه أن يبعث من يأخذ بزمام أمور البلد ، فطرح المنذر بن السعدن ، ولم يكن منهم إلا أن وافقوا عليه بشدة ، وكان من بينهم أبو ضبيعة الحظم بن زيد وطيبان بن عمرو ، فأمره بالخروج معهم ورودهم بسبعة آلاف فارس وراجل .

وقد قال بعض العرب بعد وفاة النبي (صلى الله عليه وسلم) : لو كان محمد نبيا لما مات ، وقال بعضهم الآخر : انقضت النبوة بموته ، فلا نطيع أحدا بعده (٣٧).

### إشكالية الردة ودوافعها

لم تكن حرب الردة أبدا وقفا على المسلمين ، كما أنه لا يوجد أى حكم قطعى على أن عامة العرب ارتدوا عن الإسلام ، لأنه من الواضح وجود جماعات فى الأقطار الإسلامية حافظت على تبعيتها للإسلام ، بل وأن البعض منهم ساهم فى التصدى بصفة خاصة للمرتدين ويحتدم الجدل فى الحقيقة الدائرة حول صحة وقوع الردة على عموم الناس ، خاصة مع انتفاء الاضئندن إلى الكثير من المعلومات المفترضة الحالية من الدلالة القاطعة فى أخبار الردة ، فيما يعمق من هذه الإشكالية أن التفاصيل كانت مروية بالدرجة الأولى عن سيف بن عمر التميمى المعوت بالكذب ودرس الافتراءات . فلقد ذكر بأنه كان مع المسلمين فى المواقف ، والمشاهد التى رأوها من أمر العلاء (٣٨) ، كما أن عملية تدوين التاريخ تمت بعد قرن ، أو أكثر من النقطة الزمنية للأحداث فى البحرين بالإضافة إلى ما ضمنه الموالى وأهل لكتب والإخباريون الماهلون للعربية من عناصر أسطورية تتطلب الفحص والتدقيق (٣٩) .

فهناك من الأمثلة ما يستبعد ارتدادها إلى الكفر استنادا إلى صلابة الإيمان ، فمثلا هناك نموذج أهل اليمن الذين قال فيهم السبي (صلى الله عليه وسلم) « الإيمان يمان » ، ومثال بنى حنيفة الذين ينتمى إليهم مالك بن نورة ، وهو من الصحابة الأخلاء لا سيما وأنه قال لخالد : « والله ما ترددت » ، وقد شهد أبو قتادة بعد أسره مع جماعته أنهم أقاموا الصلاة وأن عمرا (رضى الله عنه) سارع بالدغفاج عنه طالب من أبى بكر (رضى الله عنه) محاسبة خالد لإعتدائه على حرمة مسلم ، ويروى أن أب بكر قال له أربأ قنتت إمرنا مسلما ؟ (٤٠)

ومن الأمثلة الواردة والمغايرة إلى أن الصلاة لم تكن مقامة في أوساط القبائل المرتدة أو مسيئة الكذاب حين تزوج سجاح بنت الحارث التغلبية - وهي من نصارى العرب التي ادعت النبوة وأذعن لها دعامة بنى تميم وجماعة من أمرائها - كان قد جعل مهرها لإسقاط صلاتي الفجر والعشاء<sup>(١١)</sup>، كذلك نموذج مسلمي البحرين اللذين صاروا مسلمين بإرادتهم التامة ، ونال وفدهم شهادة ثناء من النبي (صلى الله عليه وسلم) ، كما تقدم ، ومن أجل ذلك نعجب لمن يلصق بنشل هؤلاء الكفار لأنهم لم يمنعوا الزكاة ، ربما لعدة قماش النظام مع ما يرمحونه نتيجة لتحاذيات غير مشروعة ؟ حول زحزحة المركزية عن من يعتقدون بأنه الأول باستحقاقها . ولعل من الأسس التي تؤكد على وضعيتهم الإسلامية إعلان أبي بكر بعد استعلائه عن الجماعات التي تؤدي الصلاة دون الزكاة بأنه سيقاتلهم حتى لو منعه عقاب بعير كانوا يؤدونها إلى النبي (صلى الله عليه وسلم) .

أما فيما يتعلق بدوافع الردة، فسنناقش موضوعها في النقاط التالية :

١- وفاة الرسول (صلى الله عليه وسلم)، ونظير مثل هذا الحدث من اضطرابات لم تكن بالأمر السهل كان لها انعكاس بالغ على نفسية أفراد بواجهون تحديات الشكوك وتعقيدات المستقبل بالجزع ، والضيق ، حيث لم يستطع عدد كبير منهم أن يتقبل خبر وفاته، للدرجة أن عمر أقد فند نبأ الوفاة قائلاً بأن النبي مضى لربه وسيؤوب مثلما آب موسى لقومه بعد غياب أربعين ليلة .

٢- انهيار سلطان المدينة ، حيث سجلت غزوات النبي (صلى الله عليه وسلم) ، ومواقفه الإدارية في السابق نفوذاً عسرياً دعم أركان الدولة ، وبسط قدرتها على أغلب مجتمعات العرب فنعصر الارتداد في هذه الحالة شأنه شأن عدم التعاطي مع المنهجية السياسية القائمة بنفس الحساس السابق ، وليس الاعتداء بالوثنية ، أو الاعتقادات الفاسدة التي أفسدها مشروع الإسلام نهائياً<sup>(١٢)</sup> . وهذا الأمر يقترن بانقسام الأمة بعد رحيل النبي (صلى الله عليه وسلم) إلى المجاهدين ، أحدهما يرى استحقاقات الولاية لعلي بن أبي طالب (رضي الله عنه) ، وقسم يقر برئاسة أبي بكر ملتصقا بالميراث أو راضيا بالخيار ، وعلى ذلك فلا عجب لو لم تكن لوحدة كل المسلمين صفحة ناصعة .

٣- التأثير الواضح من قبل بعض العرب بالفرس والروم المحرضين ضد الدين الإسلامي<sup>(١٣)</sup> .

٤- ظهور العصبية والزعات القبلية بقوة حيث كان طموح حركات الردة ذا نسق سياسي أكثر من كونه ديني ، وأصفت عليها العصبية القبلية واقع الطمع في السياسة وحياة كرسى

الملك ، فذلك معقول للغاية حين نقرأ عن ويلات الجاهلية المشينة التى طفحت مقاصدها كرد فعل عنيفة تخترن نفس المحنة فى الحقبة الإسلامية . وعلى ضوء ذلك عاды جمع من بكر بن وائل قوم عبد القيس المتخفين حول إسلامهم ، فما اقترحه بعضهم كان يدور حول تنويع سلالة النعمان بن المنذر كونه أحق بذلك من أبى قحافة<sup>(١٤٤)</sup> ومن منظور أوسع ستم البعض سيطرة قريش واستفرادها بالزعامة كقيادة النبي (صلى الله عليه وسلم) ومجد هنا انطلاق بعض الطوائف لإرجاع المكانة والسلطان الذى كانوا يحتلونه فى زمن الجاهلية<sup>(١٤٥)</sup> .

٥- بسبب جهل تعاليم الإسلام ، بمعنى نقص البينة من امره ، و هذا خلاف ما لمسه فى السبب الثانى ، إذا أنه من المحتمل أن اعتناق الإسلام لم يكن بالضرورة رغبة فى تحقيق الذات بجوهر الدين إنما قد يكون الهدف هو الرغبة فى الأمان خوفا من تعاطف أمر المسلمين أو البحث من فائدة مادية أو اجتماعية ، وعلى هذا وجدت فئات ضعيفة الإسلام ، مشوهة الإيمان تحركت للإسلام إذاناً لعظمة الإسلام واهله ، برغم من هذه الهيئة الواهية ، لابد من التأكيد على أن الأيديولوجية الإسلامية لم تفرض نفسها بالقسر ، إنما كانت تنسم بعقلانية ارقى من هذه النظرة .

٦- جنوح البعض للخلاص من الزكاة بدعوى أنها متعاصره فقد مع حياة النبي (صلى الله عليه وسلم) ، وقور وفاته تخلت عن أدائها ، راعمة أنها لم تجعل لمن يحلفه فلاح له أن يطالبهم بجمعها ، حيث تذرع بعضهم بقوله تعالى : (خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكّهم بها وصل عليهم إن صلاتك سكن لهم )<sup>(١٤٦)</sup> ، فى أن دفع الزكاة مقتصرة على من تكون صلاته سك لهم ، وقالوا أنه لا ينبغي للخليفة أن يحكم قبضته عليهم ، لأن تقبيدهم بعد نوعا من التمرد على تبعية البدو بجماعات الحضر ، يتضح ذلك فى بيت يستحق الإشارة إليه ، وهو قول الحطّبة :

أطعن رسول الله إذا كان بيننا      فى لعباد الله ما لأبى بكر  
أيورثها بكرًا إذا مات ، بعده      وتلك لعمر الله قاصمة القصر

٧- عدم تكاثر تأثير الهاجس الإسلامى فى جزء من أفراد الأمة ، الذين افتقروا للانتماء الروحى الأصيل ، وربما لحدائثة ارتباطهم بالإسلام ، وبالتالي افتقدوا للضج العقيدى الرصين ، فعاشوا على قاعدة مهزورة ، تختلف بواطهم عن ظواهرهم ، وتنطبق عليهم الآية الكرمة لتالية: ( ومن حولكم من الأعرب منافقون ومن أهل المدينة مردوا على النفاق لا تعلمهم نحن نعلمهم سنعذبهم مرتين ثم يردون إلى عذاب عظيم )<sup>(١٤٧)</sup> .

٨- حنين العديد من العرب إلى ماضى الشهوات ، التى غابت أتما ، مرحلة الرسول لأن الأحكام

الإسلامية لم تصادق عليها ، فلم يشأ هؤلاء ، أن يظل شرب الخمر والرث مثلاً قيد المصادرة .

كانت هذه مجموعة الدوافع الحية التي اعتماداً عليها وفق سجلات الحركة التاريخية ، ولا يمكن أن نتخذها على أنها الأسباب المثالية لقيضان الردة في محيط الجزيرة العربية بما فيها البحرين .

#### مجمل حرب الردة :

لقد برزت في السنة الحادية عشرة أنباء ارتداد العديد من العشائر العربية عن الإسلام حينما علموا بوقاة النبي (صلى الله عليه وسلم) ، وامتنعوا عن الزكاة ، فعمل أبو بكر والمسلمون على قتالهم ، مما أسفر عن مقاومة الحركات الأتية :

١- حركة الأسود العنسي : انبثقت كأول ردة في الإسلام على عهد النبي (صلى الله عليه وسلم) ، إذ كان عبهلة بن كعب بن عوف مشعوذاً كاذباً يريهم الأعاجيب ، ويأخذ بقلوب من يستمع طرحه من أصحاب العقول الضعيفة ، وأزره عمرو بن معدى كرب الذي أسر ، ففكه أبو بكر لاحقاً . وقتل فيروز الديلمي عبهلة العنسي بالتسبيح مع زوجته المسلمة التي كانت تفضيه . كما أن من تصدى له إضافة لفيروز رجل يدعى عامر بن شهر الهذلي وداؤويه<sup>(١٤٨)</sup> .

٢- حركة مسيلمة بن حبيب الكذاب : ارتدت بنو حنيفة ولحقوا بمسيلمة الكذاب الذي ادعى مشاطرته النبوة مع النبي (صلى الله عليه وسلم) . يشهد على هذا صديقه الرجال ، ودعا نفسه برحمان البهامة حيث أضل أهلها ، وأخذ يسجع لقومه ، ثم وضع عنهم الصلاة وشرع حلبة الخمر ، والزنا ونحو ذلك ، فمضى خالد بن الوليد لقتالهم ، فالتقى بهم في عرياء (في أرض البهامة) ، بصحبة شرحبيل بن حسنة وعكرمة بن أبي جهل وأبى حذيفة ، فهزمهم وقتل منهم مقتلة ، وأطلق وحشى ابن حرب حرثته على مسيلمة فأصابته ، فصرعه أبو دجانة<sup>(١٤٩)</sup> .

٣- حركة ظليحة بن خويلد الأسدي : تنبأ في بني تغلب على عهد النبي (صلى الله عليه وسلم) ، وكثر أنصاره ، فقويت شوكته بعد رحيل النبي (صلى الله عليه وسلم) ، وقد سعى نفسه بذى النون ، ومن جهة نزاله ، فقد مضى إليه خالد بن الوليد بجيش عرمرم لما خرج إلى بزاخة ، فهزم صفوف ظليحة الذي كان قد بايع عيينة بن حصن ، فيما فر هاربا إلى الشام نازلاً عند كلب ، ثم أسلم وحسن إسلامه . وعلى رواية أخرى أن أبا بكر حرق دمه ، وقيل أنه قتل في بهود<sup>(١٥٠)</sup> .

٤- حركة سجاح بنت الحارث بن سويد بن عقدة النخعية : هي نصرانية ادعت النبوة في بني

تغلب ، وصممت على مواجهة أبى بكر غير أن مالك بن نويرة ثناها عن فكرة القتال ، تعاقلت مع نبوءة مسيلمة الكذاب وتزوجته ، ثم انتقلت إلى أرض الجزيرة إلى أن نقلها معاوية عام الجماعة سنة ٤٠ هجرية فأسلمت وحسن إسلامها<sup>(١١١)</sup>.

٥- حركة طوئف البحرين (محل الدراسة) : وهم تيار مرتد ، ملكوا عليهم المنذر بن النعمان بن المنذر القائل بعد أن أسلم وأسلم الناس : « لست بالغرور ، والكنى المفرور » ، فأرسل إليهم أبو بكر العلاء بن الحضرمي لتقويم مجرى الباطل ، فأنقص بجيشه على القوم ليلاً في «جوا» سكر ، فأجهزوا عليهم ، واستحوذوا غنائمهم<sup>(١١٢)</sup>.

٦- حركة لقيط بن مالك الأزدي : وهو من كان يسمى في الجاهلية الجلتري ، وهو الآخر انفلت عن ثوابت الإسلام مدعياً النبوة ، فبعث له حذيفة بن محصن الحميري ، وعرفجة بن هرثمة البارقي ، وتبعهما عكرمة بن أبى جهل ، وشرحبيل بن حسنة بأوامر من أبى بكر ، وحدث اضطراب في صفوف المسلمين كاد يفت عضدهم ، **وحيدهم مهزوعين** ، حتى أقبل إليهم المدد من بنى ناحية وعبد القيس ، فأفنوا عشرة آلاف مرتد ، وأسرُوا الذراري<sup>(١١٣)</sup>.

٧- حركة الردة في مهرة ، فثقلت في إقبال عكرمة بقوى نحو مهرة ، مستنصرًا أهل عمان ومن حولها ، فاستجاب له الأمير شخريتن المختلف مع الأمير المصيح رئيس المرتدين الذي لقي حتفه حين تقابل جيش المسلمين والمرتدين ، ولقنوه هزيمة قاسية<sup>(١١٤)</sup>.

٨- حركة قيس بن عبيد يغوث بن مكشوح : وهو من أهل اليمن ، خافه أهلها ، ووقف معه عمرو بن معدى كرب ، وجماعة من أصحاب الأسود العنسي ، وكان خطرهم محققاً لأمراء اليمن الثلاثة ، فتحرك إليهم المهاجر بن أمية الذي ولاه الرسول (صلى الله عليه وسلم) على صنعاء ومعه عكرمة بن أبى جهل الموحد من أبى بكر في خمسمائة مدد ، هزأها ، ثم أصبحا مسلمين تائبين ، فقد ورد أنه أسر ، واقتيد إلى أبى بكر رضى الله عنه ، فقام الأخير بتوبيخه ، ثم عفا عنه ، لأنه أنكر الردة<sup>(١١٥)</sup>.

٩- حركة أبو الفحاة السلمى ، والذي دخل على أبى بكر يبغي سلاحاً للجم المرتدين ، فلما صبح ما يريد خرج عبي وعده ورتد هو الآخر بقتله المسلمين في جموع سليم عامر وعامر وهوارزم<sup>(١١٦)</sup>.

توصل من تلك المظاهر إلى تغشى حروب الردة وتعامل الخلافة معها على أساس أنها ثورات

مشوعة تحكيمها النوازع القومية ، وطالما رأوها كذلك بدا ضروريا إخضاعها للحكومة الدينية من منطلق الدفاع عن الأطر الإسلامية التي لا تقبل هذه التعددية .

أهل البحرين بين الثابت والمردت أهل البحرين تولد بعد وفاة المنذر ، ولابد أن غيز في هذا الباب بين مواقف أهل البحرين المتباينة بالنسبة لحركة الردة حتى لا يحصل أى نوع من الالتباس فى رؤى الفريقين بجمال الأزمة الردوية .

إن الأنماط المرتدة كانوا من ولد قيس بن ثعلبة بن عكابة وقبيلة بكر بن وائل<sup>(١٧٧)</sup> التي هزأ بها أحد المنتهين إلى بنى ضبيعة بن عجل عبر قوله :

ألم تر أن الله يسبك خلقه فيخيث أقوام ويصفوا معشر  
لى الله أقوامًا يصيب بخصة أصابهم زيد الضلال ومعر

والتي أثرت أن تتم على ردتها ، إذ أورد إليها المشتى بن حارث الشيباني خطبًا يطلب منهم أن يكونوا على قدر من المسؤولية عن طريق توجيه اللوم إليهم ومعهم من موقفهم بالرغبة فى حرب إختهم عبد القيس ، وتوعدهم بمهاجمة المهاجرين والأنصار لهم ، وكتب أبيات مطلعها :

طال ليلى لتمنى مسمع وابن ضبيان حميف والحطم

إلا أنهم استهجنوا الدعوة واعتبروها مرادفًا للحسد يقودهم الحطم ، وهو شريح بن ضبيعة بن عمرو بن مرث ، ارتد بعد إسلامه هو وبنو قيس بن ثعلبة ، وهو من نزل القطيف ، وهجر واستغوى الخط ومن فيها من الرط والسياجة ، وأرسل إلى دارين فأصغوا له ليصير عبد القيس وبينهم<sup>(١٧٨)</sup> ، والسر فى تسميته بالحطم يكمن فى قوله : « قد لفها الليل بسواق حطم »<sup>(١٧٩)</sup> ، حيث اصطهرم الظرف السياسى إلى تمليك المنذر بن النعمان بن المنذر عليهم ليتمكنوا من تشكيل قيادة تضمن مصالحهم ، وهناك من عزم ارتداد كل من اجتمع بالبحرين من ربيعة عدا الجارود ، ومن ساير منهجه من الأهالى ونلفت النظر إلى أن هناك من احتمال هارتداد جميع قبائل العرب ما عدا أهل جواثا مثل ما تطرق له ياقوت الحموى<sup>(١٨٠)</sup> . كان الفريق الآخر المناوئ لمن ارتد يحوى عبد القيس يقودهم الجارود ومن تابعه من قومه الذين أمروا عليهم ابن النعمان بن المنذر ، والجارود هو بشر بن عمرو بن حنش بن المعلى العبدى<sup>(١٨١)</sup> ، وهو من قال عندما ارتد العرب : « أشهد أن لا إله إلا الله ، وأن محمدًا عبده ورسوله »<sup>(١٨٢)</sup> ، وهو من الكوادر المثقفة على يد رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وبالمناخية يورد الطبرى عن إسلام الجارود أنه لما قدم على النبى ، عرض عليه (صلى الله عليه وسلم) ، أن يسلم ، فقال : إن لى دينا ، فرد النبى (صلى الله عليه وسلم) : إن ديك

يا جارود ليس بشئ وليس يدين ، إلى أن أسلم وقضى في المدينة لفترة تمقه خلالها ، ثم عاد لقومه يدعوهم للتحويل إلى الإسلام ، فأجابوا مباشرة<sup>١٦١</sup> . وهذا من الشواهد التاريخية التي تفسر لنا أيضا اختيارهم المطلق في أن يصيح الإسلام جزءا من دواتهم وكانت نتيجة انتقال الرسول (صلى الله عليه وسلم) للرفيق الأعلى أن ارتدوا من زاوية أنه لو أنه كان محمد نبي لما مات ، ولحسن الحظ فإن برعة الجارود ، ومنطقيته القاطعة ، قد لعبت دورا في تنوير ذهنيته ، وأعادتهم إلى موقف الشهادتين ، فثبتوا على ما يكمل لهم السعادة<sup>١٦٢</sup> ، وإن من الذين ثبتوا أيضا قيس بن عاصم المنقري ، وعفيف بن المذر ، وعتبة بن النهاسي بن بكر بن قائل ، أو (عتيبة بن النهاس). وعامر بن عبد الأسود ، ومسمع وحفصة التميمي ، أو (حفصة التميمي) ، المشي بن حارثة الشيباني ، الذي كان بالمرصاد لأهل الردة تدعيما لمشروع العلاء ، وعوف والأبناء من سعد ابن زيد مناة الذين امتثلوا للربرقن ، ودافعوا عن الإسلام وغيرهم كثير ، حيث استطاعوا إخضاع المرتدين تحت لواء العلاء بن الحضرمي<sup>١٦٣</sup>.

### لجوء المسلمين إلى حصن جواثا :

تعرض البلاذري بدقة إلى العتمة التي كان يشتمع بها هذا الحصن ، فوصفه بأنه حصن البحرين ، وينبغي لفت النظر إلى أن أثره لا تزال باقية حتى اليوم فهو من معالم الإحصاء الأثرية ، التي كان يشملها قطر البحرين الحفرافي آنذاك ، بالإضافة إلى أوال والقطيف ، ولقد احتاره الفر المسلم كقاعدة ذات دور فعال على مستوى وقائع الردة كما أنه برز كمنطق تجاري متميز في السابق<sup>١٦٤</sup>.

إن الواقع التاريخي عكس المعاناة العميقة لمن ثبتوا على الإسلام في هجر داخل هذا الحصن الذي ظلت جدرانه شاهدة على صراع الحركات لسياسية والحصار النفسي الناتج عن محاولات التصبيق على من تشبثوا بالأصالة الدينية ، يجسدون مقاومة الجوع والوضع العصيب ، إلى أن تغير مجرى الأوضاع لصالحهم بعد ذلك فقد دفع الإحساس بالخطر والتدهور قبيلة عبد القيس إلى الاحتماء بحصن جواثي أو جوث على اختلاف الأخبار<sup>١٦٥</sup> ، غير أن بكر بن وائل أحاط ومن معه تماما بالحصن وحرموه القوت ، حتى أوشكت هذه المأساة أن تقودهم للهلاك ولقد عبرت أبيات أحد المحاصرين المسلمين - هو عبد الله بن عوف العدوي - عن المعنى الكامل لهذه السطوة ، حيث كان يستعطف أبا بكر بحارة ، وربي وثوقا من قدرته على معاونتهم وتحليلهم من الضم الذي هم عليه ، فكان يقول :

ألا أبلغ أبا بكر رسولا  
وفتيان المدين أجمعينا

فهل لك في شباب منك أمسا  
 تحاصرهم بنو ذهل وعجل  
 يقودهم الفرور بغير حق  
 فلما اشتد حصرهم وطالت  
 توكلنا على الرحمن إنا  
 وقلنا والأمور لها قرار  
 نقاتلكم على الإسلام حتى  
 بكل مهند عضب حسام  
 جياغا في جواثا محصرنا  
 وشيبان وقيس ظالمينا  
 ليستلب العقائل والبينا  
 أكنهم بما فيها بلينا  
 وجدنا الفضل للمتوكلين  
 وقد سفهت حلوم بني أبينا  
 تكونوا أو نكون الداهينا  
 بقدر البيض والزرد الدفينا<sup>(٧٨)</sup>

واستمر المسلمون هكذا ، حتى جوع متفاقم ينتظرون بصيص أمل إلى أن حان دور العلاء لينهض في مواجهة عنيفة تحطم أصفاد الحصار ، والجدير بالذكر أن عبد القيس قد لجأوا إلى الحصن بعد أن شعروا بالهزيمة ، أمام اثني عشر ألفاً من بكر بن وائل ، ثلاثة أرباعهم كانوا من الفرس ، وذلك بعد قتال ضار استمر أياماً كثيرة<sup>(٧٩)</sup> ، وستناول آفاق حرب التحرير التالية لهذه الحرب ، بصورة أشمل في الباب التالي<sup>٨٠</sup> .

### دور العلاء في التصدي للمرتدين

بعد أن انتهى خالد من مهمته في البعثة ، استجار جمع المحاصرين في هجر بأبي بكر (رضي الله عنه) ، فاعراه هم بالغ ، فعقر اللقاة للصحابي العالم العلاء بن الحضرمي - كواحد من القادة الإحدى عشر الذين اختارهم أبو بكر ، في سنة اثنتي عشرة ، على أساس تحرير البلاد الإسلامية من ممارسة الاعتراضات التي بلغت الذروة<sup>(٨١)</sup> ، فاستبليت ضماير الكثيرين - وسيره إلى البحرين لكسر الحصار المفروض على الجماهير المتحمسة للإسلام ، مزوداً بألفين من المهاجرين والأنصار مع ستة عشر رجلاً من الفرسان ، لبعينوه على مواجهة من عزموا على إطفاء نور الله على حد قوله ، وقال بنو عبد القيس : إن لم يرتدوا فهم جندك ، وغدا مع العلاء حتى بلغه عبد القيس<sup>(٨٢)</sup> .

ولما وصل العلاء إلى البعثة ، وكان في استقباله ثمامة بن أثال الحنفي الذي عرض عليه العلاء ، أن يضم إليه في الخروج لحرب أبناء عمه بكر بن وائل ، فلم يتوقع إجابة قومه من بني

حقيقة بسبب التجربة القاسية التي تعرضوا لها مع مسيلمة في معركته ضد خالد بن الوليد ، إذ عبر أحدهم عنها :

إنما عهدنا بقاصمة الظهر      ويوم لنا كيوم القيامة<sup>(١٧٢)</sup>

ولكن الحاصل أن دعوة اليوم جاءت خلافاً لدعوة الأمس تتجلى مآربها في نصرة المنهج السماوي القويم ، الأمر الذي حمل ثمالة على العزم للمضى مع العلاء وإمداده بقوات من قومه ، وكان مع جمع من بني عمه قمن ضمن ما أنشده :

فلن أثنى الأعنة عن دعاء      وعند الله في ذاك الجزاء

وبعدها وصل إلى محل بني تميم ، فلاقاه قيس بن عاصم المنقري التميمي ، الذي لقبه النبي بسيد أهل الوبر ، فعرض عليه السير معه لتولي الجهاد ووضع حد للردة فلم يكن منه إلا أن سائده ومار معه بصحبة عشرين فارساً من بني تميم ، وقال قائل

ألم تر أنا أجرتنا العلاء      على كل من جاره من مضر

فصارت حصيلة جيش لعلاء ألفين مقاتلاً من المهاجرين والأنصار بالإضافة إلى جماعتي ثمالة بن أثال وقيس بن عاصم المنقري ، وينقل أنه لما بلغ العلاء حصن جوثا ، اعترضته جماعات من ربيعة ، كان يقودهم الحظم ، استطاعوا تقييد حركة المسلمين ، وحصارهم ، مما حمل العلاء على أن يطلب المساعدة من أبي بكر ، فأصدر أبو بكر أمراً إلى خالد بن الوليد بالتوجه من اليمامة إلى البحرين ، لمساندة جيش العلاء ، ولكن النصر كان قد سجل للمسلمين قبل محي خالد<sup>(١٧٣)</sup>.

وأورد أحد المسلمين في الحصن إلى العلاء بأنه لم يعد هناك حل ناجح لفضف على المعارضين وتأديبهم ، سوى مداهمتهم ليلا ، وعكس ذلك أحد أبياته التي حاطب بها العلاء :

أسد النهار صباح الليل ليس لهم      إلا البيست بما لا قتل أو كثر

والظاهر أن الجارود قد كتب للعلاء : « إن بيني وبينك أسود النهار وضباب الليل » فأدرك أنه يستحثهم للقتال ليلا ويرجع أن العلاء كن نرلا بأصحابه فنفرت دوابهم وما عاد لديهم ما يترودون به في الطرق ، فاشتد عليهم الحطب ، ودارت الوصايا فيما بينهم ، ولحانت صلاة الفجر صلي بهم العلاء ، وحس يدعو فهدتوا إلى ماء شربوا منه واغتسلوا ، ولم يزالوا كذلك حتى أناخت بعيرهم (تكرد من كل وجه) مما عرس في قلوبهم لأمر ، ودفعهم للأمام

ولم يلبث العلاء أن دعا الجارود ورجل آخر للاشتراك مع عبد القيس من أجل الهجوم على الحطم وحاطته ، واقتضت المعادلة حلول العلاء ومن معه بهجر ولقد خندق المسلمون على أنفسهم وهو يتناوبون القتال قرابة الشهر<sup>(١٧٤)</sup> ، ثم أقام المرتدون القتال فتواری المسلمون بحصن البحرين المتعارف بجوانا ، وأخذ الجوع منهم مأخذه وكان جنود العلاء يتحسبون الفرصة للاقتحام فاحتكم العلاء لفكرة البيات ، وأكد على الجماعة المحاصرين أنه ينبغي لهم التهيؤ للانطلاق ، بمجرد أن يستشعروا اقتحام المسلمين ومباغتتهم للقوم . وكان موقف العلاء في ليلة البيات يتم بروج التحدي والثبات ، لاسيما وأنه استمر في تحفيز الجيش ورفع معنوياته ، لخوض الصراع من دون وجل أو تردد ، ولم يتوان في إرسال شخص يستقري له خبر القوم عن كثب - قيل أنه عبدالله بن حذف - خاصة بعد سماع ضجيج ، وضوضاء في العسكر الآخر ، فانبرى للتقصي ، وقبل انبلاج الصبح ، عاد الرجل يحمل بشارة التمكين ، وأعلم العلاء بالأمر المهم الذي تحقق منه ، حيث عاد قائلا : « قد أشرفت إلى معسكرهم فلم أسمع لهم حركة ، والقوم عدى سكارى ، لا يعقلون » ، وقد ورد أيضا أنه لما اقترب من حديقهم أخذوه ، فصار يستغيث و« بجره » فجا « أبجر بن بجير ، فعرفه ، فقال : ما شاك ؟ فعدل علام أقتل ، وحولي عساكر من عجل وثيم اللات ، وغيرها ؟ فخلصه ، فقال له : « والله إنى لأظلك بنس ابن أخت أتيت الليلة أخوالك ، فقال : « دعنى من هذا وأطعمنى ، فقد مت جوعا » فغرب له طعاما ، فأكل ، ثم قال : « زودنى وأحملنى ، يقول هذا لرجل قد غلب عليه السكر » ، فحمله على بعير ، وزوده وحوزه ، وبعد أن دخل عسكر المسلمين أخبرهم أن القوم سكارى ، فلم يلبث العلاء أن دعا صاحبه للركوب ، قاصدين هدفهم بتر ، حتى إذا شخصت أبصارهم للعسكر ، أحذقوا بهم وانقضوا عليهم بالحبول التى جالت عليهم حوافره ، وبالسيف التى تناولتهم ، حيث أذرع المسلمون فيهم قتلا وألبوا بلاءا حسنا في حرب طاحنة ، فهرب الكفار بين متردد ، ونج ومقتول ، ومأسور<sup>(١٧٥)</sup> ، وكما ورد عن ابن كثير أنه قتل من هرب منهم<sup>(١٧٦)</sup> . أما بالنسبة للجماعة المسلمين المحاصرة ، فإنهم أداروا باب الحصن ، وهما بالقتال من الجهة الخلفية ، تنفيذا لتعاليم القائد ، فتضافرت القوى مما كبد المشركين خسائر هائلة في الأرواح<sup>(١٧٧)</sup> ، وولت فلولهم بعد الهزيمة الشنعاء إلى قرية الردم ، في حين تقاسم المسلمون الغنائم ، وقد قتل الحطم إثر انقطاع ركابه مع قدمه<sup>(١٧٨)</sup> ، الذى قال في قتله مالك بن ثعلبة العبدي :

وتركنا شريح قد علته بصيرة كحاشة البرد اليماني المحير

ونحن فجعنا أم غضبان بابنهم ونحن كسرنا الرمح في عين حبر

ونحن تركنا مسمعا متحذلا رهينة ضبيع تعترسه وأنسر

ويبدو أن السر في إحراز هذا النصر يكمن في الموهبة العسكرية ، والمهيجية البارعة في خطط الحرب حسب تكتيك العلاء . عندها كتب العلاء إلى أبي بكر : بهزيمة أهل الخندق ، وقتل الحطم ، إذ قتله زيد وسمع « أما بعد فإن الله تبارك وتعالى سلب عدونا عقولهم ، وأذهب ريحهم بشراب أصابوه من النهار ، فاقتحمنا عليهم ، فقتلناهم إلا الشريد ، وقد قتل الله الحطم <sup>(٧٩)</sup> .

ولا يخفى في مسار هذه الواقعة من أن المنذر بن النعمان قال عندما انتصر المسلمون « لست بالفرور ، ولكني المفرور » فاستنزل أرض الخط مع شزيمة ربيعة ، حيث أن العلاء شن غارة عليها ، وقتله هناك لولا قول بأن أسلم وحسن إسلامه .

وبعد أن فرغ من جوائث قطع العلاء طريقه إلى جزيرة دارين ، والواقع أن الناس بها كانوا كثيرين ، فعهد إلى المشى إليهم في عز الليل ، فرحبت بحيشه إلى طريقها الأوح الذي كان قد لوحظ عليه الحراس الذين لم تنفعهم هذه الحصاة وغارت عليهم حيل المسلمين في عقر دارهم ، فاشتبكوا معهم وأردوهم عن آخرهم إلا صفرهم ، وأخذوا معهم جميع ما كان في الجزيرة من النساء والثروة وحملوا الأموال ، واقتسموا الغنائم رحمين إلى عسكرهم ، وأشعر بعضهم يقول :

ألم ترى إلى الليل ذل بحره وأنزل بالكفر إحدى الجلائل

دعون الذي شق البحار فجما بأعجب من فلق البحار الأوائل

ثم واصل العلاء سيره حتى بلغ الردم ، ودنا من الخصم في صراع يشتعل شراسة . حيث دار النزال لساعة ، وتخلل المبارزات ضربة أحد الكفار يدعى أبحر لابن بجير على رأس قيس بن عاصم ، غير أن قيس صدها بالترس ، وأصابه بعد ذلك بسيفه ، وكان يقول :

ألم تر أدميت رمحي وأنسى ضربت بحد السيف يا فوخ أبحر

فلم يجد مناصا للهرب وحلت الهزيمة بالخصم أمام الهجوم العاتى للمسلمين <sup>(٨٠)</sup> ، وشهدوا مصرع رئيسهم الحطم بن زيد <sup>(٨١)</sup> الذي انثنى به السرج ، وقد انقطع ركب الفرس حين عاودا الركوب سريعا إثر قضاء حاجة ، وظل واقفا متحيرا لا يعرف كيف يتصرف ، أو إلى أين يذهب إلى أن خر قتيلا على يد أحد المسلمين الذي أنشد :

لما بدا حطم لى وحده يدعو بأعلى الصوت من عاقل

أقبلت في البقع إلى فرس أشبهه شيء منه بالرجل

منقطع الحيلة فى موضع فيه قصيد من قنا ذابل  
فقلت لا تعجل أذاك الرد فليست عما جئت بالغافل  
فلما انثنى وثنى رجله عمنته بالمرهف العاصل  
سيفاً حساماً فوق يافوخه فخر مثل الجملى البازل

وعلى رواية أن قيس بن عاصم هو قاتله ، وهو من أجهز على أبجر بطعة فى العرقوب أشد فيها عفيف بن المنذر :

فإن البرقأ العرقوب لا يرقأ السا وما كل من يهوى بذلك عالم  
ألم ترى أنا قد فللنا حماتهم بأسرة عمرو والرياب الأكمارم

وعفيف ذاته هو من أسر الغرور بن سويد ، فطلبت منه الرياب أن يجيره ، فأجاره بعد هذا النصر لاذت قلول بكر بن وائل بالصحارى ، وبرل المنذر بن العمان إلى آل جفنة مستجيراً أما الفرس فقد ولى جزء منهم للراة والقطيف ، فيما خرج بعضهم لكسرى وأخبروه عن هزيمة عساكرهم ، فحزن لذلك وأما القسم الأخير منهم ، فقد سألوا العلاء الأمان ، فمنعهم ذلك ، واشتغلوا بالبحرين حراثين ورراعين ، ثم تولى العلاء دفع ما حصل عليه من الغنائم إلى أبى بكر ، وأرسل له كتاباً بما صار إليهم أمرهم فشر بقوة العلاء ، هي إدارق مدام الأمور ، فولاء البلاد ، وفى خبر المنذر بن العمان فقد قيل وقتها أنه قد مسه ندم شديد ، وكتب إلى أبى بكر أبيات تفصح عن رجوعه إلى الرشيد وتعبر عن ذلك بصراحة :

عجبا لأمرى والحوادث جمة أدعى العرور وإننى مغرور  
قد قلت لما لم أجد لى مهربا إننى لعمرك واتر موتور  
وأطعت كسرى فى الدى أملتة ووترت قوما وترهم محذور<sup>(٨٢)</sup>

وهناك فى الطبرى ، والبلاذرى ، واليعقوبى من الشواهد ما يروى أنه لقى حتفه يوم حواث<sup>(٨٣)</sup> .

حركة الردة فى عهد عمر بن الخطاب (رضى الله عنه )

استؤصلت آخر آثار حركة الردة ، فى خلافة عمر بن الخطاب (رضى ) ، حيث أحرز ذلك مصرع المكعب الفارسى<sup>(٨٤)</sup> ، وقد عمد الحليفة على الإبقاء على تعيين العلاء بن الحضرمى ولى على البحرين وقد قيل فى هذا الشأن أن أرناء ابن قمرور بن حشيش ( المكعب الفارسى قد تحصن

بالزارة ، وكان قائد المرتدين ، وحليف كسرى الذى أرسله للانتقام من بنى تميم أيام تعرضهم لغيره ، وقد التحقت به قبائل من المحوس الذين تجمعوا بالقطف ، وعارضوا تأدية الجزية ، فنهض العلاء للزارة لكنه لم يفلح فى فتحها لإيمان خلافة أبى بكر ، وإنما عاد ليفتحها فى بدايات الخلافة العمرية ، حيث شهد له بفتح السابون ودارين بالسيف ، وعرف خندق باسمه .

وقد ألحق معمر بن المثنى مجموعة من الحملات العسكرية بالعلاء ، حيث يقول استنادا لما أورده الواقدي فى كتاب الردة : غزا العلاء بعبد القيس قرى من السابين فى خلافة عمر بن الخطاب ، ففتحها ثم غزا مدينة الغابة ، قتل من بها من العج ، ثم أتى الزارة وبها المكعب ، فحصره ثم إن مرزبان الزارة دعا إلى البراز ، فبارزه البراء بن مالك ، فقتله ، وأخذ سلبه ، فبلغ أربعين ألف ثم خرج رجل من الزارة مستأمنا على أن يدل على شرب القوم ، فدله على العين العين الخارج من الزارة ، فسدها العلاء ، فلما رأوا ذلك ، صالحوه على أن له ثلث المدينة ، وثلث ما فيها من ذهب وقضة ، وعلى أن يأخذ النصف مما كان لهم خارجها ، وأتى الأخنس العارى العلاء ، فقال له : إنهم لم يصالحوك على ذرايعهم ، وهم يدارين ، ودله كراز المكربى على المخاض إليهم فقتلهم ، العلاء فى جماعة من المسلمين البحر ، فلم يشعر أهل النازى ، والسبي ، ولم رأى المكعب ذلك ، أسلم ، قال كراز :

هاب العلاء حياض البحر مقتحمها      فخفضت قدما إلى كفار دارنا <sup>(١٨٩)</sup>

#### نتائج حرب الردة

لا بد لنا إذا ما أردنا فهم حركة الردة كجزء من حركات التاريخ الإسلامى ، أن نناقش بالإضافة إلى أصولها كل ما يستتبعها من النتائج والتحولات المنطقية ، باعتبارها مطردة من المنحنى المصيرى لأطوار الحركة ، وأصدائها على المدى القريب والبعيد .

وبناء على ذلك ، اعتمدنا التسلسل الآتى للكشف عن الآثار المترتبة على حركة الردة :

١ - أدت إلى نشوب معارك ، لحجم عنها توحيد كلمة المسلمين ، وتقوية مركز الخلافة ، حيث بدأ ذلك واضحا فى موازين الفتوحات ، واتساعها بنحو جغرافى فاق حدود الجزيرة العربية ، ليشما أمتى الروم والفرس .

٢ - إكساب الناس المقدرة والجسارة على دحض الشبهات الباطلة ، والدعوات العقيدية الفارغة ، مما غذى حيز الوعى والثقة فى الدين .

٣- عكزت في بادىء الأمر أحواء الاستقرار والتراعى الاجتماعى ، بسبب الاضطرابات المسلحة ، وأزمة العدائيات .

٤- استلزمت تجريد النفوس من الشرك وسد المجال على كل من يحاول تضليل الأمة ، سواء بإدعاء النبوة ، أو الخروج عن الرسالة المحمدية .

٥- لعبت دوراً في تطوير المهارات القيادية وتحسين مستوى القدرة العسكرية ، خاصة وأن حرب الردة قد استمرت لفترات ليست بالقصيرة ، برز خلالها العديد من القادة المحترفين ، كالعلاء الحضرمى الذى كانت له صولات وحولات ، دلت على براعته فى تهيئة الجيش ، وحسن تدبيره المتمثل فى بناء القرار واستعمال منهج التحرر والمباغمة ضد الخصوم فى ميدان الردة<sup>(١٨٦)</sup> .

٦- فتور موجة التماهل فى تطبيق الأحلام .

٧- حصور بعض من ادعى النبوة بصورة حمل السلاح فى فتوح العراق وفارس .

٨- فرض حدود ضيقة على الكيان الآخر ، من خلال ممارسات الإلحاء الصريحة للرؤى والصيغ المخالفة ، بصفتها توسع قهوة القص والمحطأ .

لا شك أن هذه النتائج ليست مصدرة كأحكام نهائية ، بقدر ما تكون نقاطاً حصدها بعد سير غور التاريخ ، وكشف النقاب عن بيئة الردة .

## الهوامش

- (١) الزبيدي : تاج العروس من جواهر القاموس ، ص ٨٨-٩٠ .
- (٢) البقرة : ٢١٧ .
- (٣) الأهرى : معجم تهذيب اللغة ، ج ٧ ، ص ١٣٩١ .
- (٤) ابن منظور : لسان العرب ، م ٣ ، ص ١٧٢-١٧٣ .
- (٥) وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية - الكويت ، ج ٢٢ ، ص ١٨٠ .
- (٦) الصاوي ، أحمد : بلغة السالك لأمر المسالك ، ص ٣٨٥-٨٦ .
- (٧) النحل : ١٠٦ .
- (٨) موسوعة الفقه الإسلامي المقدن الشهيرة موسوعة جمال عبد الناصر الفقهية ، م ٢ ، ص ٢٥٢ / بدوي إبراهيم : المرتد وحكمه في الشريعة الإسلامية ، ص ٣٤ .
- (٩) مراويد على : سلسلة تبسيط الفقه ١ لحدود ، ص ٣٥٢ : النووي . معنى المحتاج ، ج ٤ ، ص ١٣٧ .
- (١٠) النووي : معنى المحتاج ج ٤ ص ١٣٤-١٣٦ .
- (١١) الموسوعة الفقهية ، ج ٢٢ ، ص ١٨٣ .
- (١٢) موسوعة الفقه الإسلامي المقارن ، الشهيرة بموسوعة جمال عبد الناصر ، ص ٢٥٢-٢٥٤ .
- (١٣) حسن ، إبراهيم حسن : تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي ، ص ٢٨٦ .  
٢٨٨ : المسرى ، حسين على : تاريخ البحرين وعمان من عصر النبوة إلى نهاية العصر الأموي ، ص ٧٨-٧٩ .
- (١٤) بدوي ، إبراهيم : المرتد وحكمه في الشريعة الإسلامية ، ص ٤١ .
- (١٥) النووي : معنى المحتاج ، ج ٤ ، ص ١٤٠-١٤١ : الصاوي : بلغة السالك لأمر المسالك ج ٢ ، ص ٣٨٧ : السمرقندي : تحفة الفقهاء ، ج ٣ ، ص ٣٠٨-٣٠٩ . وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ، الكويت : الموسوعة الفقهية ، ص ١٩١-١٩٢ .
- (١٦) كرزى كلوس : معجم العالم الإسلامي ، ص ٥٠ .
- (١٧) وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية - لكويت . نفس لمصدر السابق ، ص ١٩١-١٩٥ : عكم ، محمود : الموسوعة الإسلامية الميسرة ، م ٦ ، ص ١١٦٨ .

- (١٨) موسوعة الفقه الاسلامي المقارن الشهيرة بموسوعة جمال عبد الناصر ، المجلس الأعلى لشؤون الإسلامية ، م ٢ ، ص ١٦٠-١٦١ .
- (١٩) ياقوت الحموي : معجم البلدان ، ج ١ ص ٤٧ .
- (٢٠) الوثيقة : العدد السادس ، السنة الثالثة ، ص ٥٦ .
- (٢١) الوثيقة : نفس المصدر ، العدد الثاني والعشرون ، السنة الحادية عشرة ، ص ٦٧ .
- (٢٢) الوثيقة . نفس المصدر : العدد الخامس ، السنة الثالثة ، ص ٨٤ .
- (٢٣) الوثيقة : العدد الثاني والعشرون ، السنة الحادية عشرة . ص ٥٨-٥٩
- (٢٤) ابن كثير : البداية والنهاية ، ج ٥ ، ص ٣٢٧ .
- (٢٥) الحموي : معجم البلدان ، ج ١ ، ص ٤٨ .
- (٢٦) التاجر : عقد اللآل ، ص ٧١ .
- (٢٧) الوثيقة : نفس المصدر السابق ، ص ٦٦
- (٢٨) التويري : سالم ، أعلام الثقافة الإسلامية في البحرين خلال ١٤ قرن ، م ١ ، ص ٧٥
- (٢٩) آل عمران : ١٤٤ .
- (٣٠) الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج ٣ ، ص ١٥٢ : ابن الأثير : اكمل ، م ٢ ، ص ٢٢٥ : ابن كثير : البداية والنهاية ، ج ٥ ، ص ٢٧ . النهاية الطنبي . استتمه لنهاية في تريح الجزيرة العربية ، ص ٥٤ .
- (٣١) المسعودي : التنبيه والإشراف ، ص ٣٤٧ .
- (٣٢) ابن هشام : السيرة النبوية ، ج ٤ ، ص ٣١٦ .
- (٣٣) التاجر ، محمد علي : عقد اللآل ، ص ٧١-٧٢ .
- (٣٤) الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، م ٢ ، ص ١٥١ .
- (٣٥) ابن الجوزي : المنتظم ، ج ٤ ، ص ٤٣ .
- (٣٦) الذهبي : ترويح لاسلام ووفيات المشاهير ولأعيان ، ص ٢٧ : فروخ ، عمر : تاريخ صدر الإسلام والدولة الأموية ، ص ٩٤-٩٥ .
- (٣٧) الديار بكري : تاريخ الخميس في أحوال نفس نفيس ، ج ١ ، ص ٢١ .
- (٣٨) ابن كثير . البداية والنهاية ، ج ٥ ، ص ٣٢٩ . الويدري ، سالم . أعلام الثقافة الإسلامية في البحرين خلال ١٤ قرن ، م ١ ، ص ٧٧ .

- (٣٩) الوثيقة . العدد الثاني والعشرون ، السنة الحادية عشرة للهجرة ، ص ٥٣ .
- (٤٠) التاجر : عقد اللآل ، ص ٧٢-٧٣ : الذهبى : تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام ، ص ٣٢ .
- (٤١) فروخ : عمر : تاريخ صدر الإسلام والدولة الأموية ، ص ٩٤-٩٥ .
- (٤٢) سرور ، محمد جمال الدين : الدولة العربية الإسلامية منذ العام الأول للهجرة وحتى نهاية العصر العباسى ، ص ١٦٨-١٦٩ .
- (٤٣) الموسوعة العربية العالمية : مؤسسة أعمال الموسوعة لشر والتوزيع ، ١٤١٩ هـ / ١٩٩٩ م . ص ١٩٩ .
- (٤٤) الواقدي : كتاب الردة مع نبذة من فتوح العراق وذكر المثنى بن حارثة «الشيبانى» ، ص ١٤٧ .
- (٤٥) سالم ، السيد عبد العزيز سالم : دراسات فى تاريخ العرب - تاريخ الدولة العربية - م ٢٠٠٤ ، ص ١٦٤-١٧٠ .
- (٤٦) التوبة : ١٠٣ .
- (٤٧) التوبة : ١٠١ .
- (٤٨) ابن الأثير : الكامل . ج ٣ ، ص ٢٢٨-٢٢٩ . بن كثير : البداية والنهاية ، ج ٦ ، ص ٣٠٧-٣٠٩ . ابن الجوزى : المنتظم ، ص ١٨-٢٠ .
- (٤٩) ابن كثير : نفس المصدر السابق ، ص ٣٢٥ : ابن الجوزى : نفس المصدر السابق . ص ٢٠-٢٢ .
- (٥٠) ابن الأثير : نفس المصدر السابق ، ص ٢٢٢-٢٢٣ : الذهبى : تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام ، ص ٣٠ .
- (٥١) ابن كثير : نفس المصدر السابق ، ص ٣٢١-٣٢٢ .
- (٥٢) ابن كثير : نفس المصدر السابق ، ص ٣٢٧-٣٢٩ : الطبرى : تاريخ الأمم والملوك ، ص ١٥٢ . بن الجوزى : نفس المصدر السابق ، ص ٨٤ .
- (٥٣) بن كثير : نفس المصدر السابق ، ص ٣٠٢ : ابن كثير : نفس المصدر السابق ، ص ٣٢٩-٣٢٠ . الطبرى : تاريخ الأمم والملوك ، ج ٣ ، ص ٢٦١-٢٦٢ .
- (٥٤) ابن الجوزى : المنتظم ، ص ٨٦ .
- (٥٥) بن الجوزى . نفس المصدر السابق ، ص ٨٦-٨٧ : الذهبى : نفس المصدر السابق ، ص ٣٠-٣١ .

- (٥٦) كنعان ، محمد : تاريخ الخلافة الراشدة ، ص ٤٤-٤٨ .
- (٥٧) الحموي ، ياقوت : معجم البلدان ، ج ١ ص ٣٤٩ .
- (٥٨) الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج ، ص ١٥٢ ز
- (٥٩) الواقدي : كتاب الردة مع نبذة من فتوح العراق ، وذكر المثنى بن حارثة « الشيباني » ، ص ١٤٩-١٥٠ .
- (٦٠) الحموي ، ياقوت : نفس المصدر ، م ٢ ، ص ١٧٤ .
- (٦١) التاجر ، محمد علي : عقد الآل ، ص ٧٢ .
- (٦٢) ابن الأثير : الكامل ، م ٢ ، ص ٢٢٥ .
- (٦٣) الطبري : نفس المصدر السابق ، ص ١٥١ .
- (٦٤) نفس المصدر ، ص ١٥١-١٥٢ .
- (٦٥) نفس المصدر ، ص ١٥٣ : الموسوعة العربية العالمية ، ص ١٩٩ .
- (٦٦) الوثيقة ، العدد الثاني والعشرون . لسنة احدى عشرة ، ص ٦٩ : نفس المصدر ، العدد السادس - السنة الثالثة ، ص ٥٨ .
- (٦٧) الواقدي : كتاب الردة مع نبذة من فتوح العراق وذكر المثنى بن حارثة « الشيباني » ، ص ١٥٢ .
- (٦٨) الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ص ١٥٢ : الواقدي : نفس المصدر ، ص ١٥٢ ، ص ١٥٤ : ابن كثير : البداية والنهاية ج ٥ ، ص ٣٢٧ .
- (٦٩) الواقدي : كتاب الردة مع نبذة من فتوح العراق وذكر المثنى بن حارثة « الشيباني » ، ص ١٥٢ .
- ( ٧ ) السهولتي : تاريخ الخلفاء ، ص ٧٦ ز
- (٧١) ابن الجوزي : المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ، ص ٨٥ .
- (٧٢) الواقدي : كتاب الردة مع نبذة من فتوح العراق وذكر المثنى بن حارثة « الشيباني » ، ص ١٥٤-١٥٦ .
- (٧٣) المسري ، حسين علي : تاريخ البحرين وعمان من عصر النبوة إلى نهاية العصر الأموي ، ص ٨٣-٨٧ .
- (٧٤) الشيباني ، لطاني ، العلامة الشيخ محمد : لتحفة لنهاية في تاريخ الجزيرة العربية . ص ٥٥ .
- (٧٥) ابن الأثير : الكامل ، م ٢ ، ص ٢٢٧ .

- (٧٦) ابن كثير : البداية والنهاية ، ج ٥ ، ص ٣٢٨ .
- (٧٧) ابن حنبلون : تاريخ ابن حنبلون ، ص ٥٠٥ .
- (٧٨) ابن كثير : البداية والنهاية ، ج ٥ ، ص ٣٢ .
- (٧٩) الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، م ٢ ، ص ١٥٢-١٥٧ .
- (٨٠) الواقدي : كتاب الردة مع نبذة من فتوح العراق وذكر "المثنى" بن حارثة الشيباني ، ص ١٥٤-١٦١ .
- (٨١) الحموي : ياقوت ، معجم البلدان ، ص ٤٣٩ ؛ التاجر ، محمد علي : عقد الال ، ص ٧٢ ؛ البلاذري : فتوح البلدان ، ص ١١٤-١١٥ .
- (٨٢) الواقدي : كتاب الردة مع نبذة من فتوح العراق ، وذكر المثنى بن حارثة "الشيباني" ، ص ١٤٧-١٦٦ .
- (٨٣) اليعقوبي البغدادي : تاريخ اليعقوبي ، ج ١ ، ص ٨٩ .
- (٨٤) النويري ، سالم : أعلام الثقافة ، ص ٧٨ ؛
- (٨٥) التاجر ، عقد الال ، ص ٧٣-٧٤ ؛
- (٨٦) الناطور ، شعادة علي : تاريخ صدر الاسلام ومجره ، ص ٢٠٦ .

## المصادر والمراجع

- ١- ابن الأثير ، الكامل فى التاريخ ، المجلد الثانى ، دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان ، ط ١ ، ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٧ م .
- ٢- ابن الجوزى : عبد الرحمن بن على بن محمد : المنتظم فى تاريخ الأمم والملوك ، دار الكتب العلمية ، بيروت — لبنان ، ج ٤ ، ط ١٤ ، ١٤١٢ هـ / ١٩٩٢ م .
- ٣- ابن خلدون ، عبد الرحمن : تاريخ ابن خلدون ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، ج ٢ ط ٢ ، ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٨ م .
- ٤- ابن قدامة : المغنى ، ج ٥ ، ط ٦ ، ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٨ م ، مكتبة المعارف - بيروت .
- ٥- ابن كثير : البداية والنهاية ، ج ٥ ، ط ٦ ، ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٨ م ، مكتبة المعارف - بيروت
- ٦- ابن منظور : لسان العرب ، دار صادر - بيروت ، ط ١ ، ١٤١٠ هـ - ١٩٩٠ م ، المجلد الثالث .
- ٧- ابن هشام : السيرة النبوية لابن هشام ، دار إحياء التراث العربى للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت - لبنان ، ١٩٨٥ م .
- ٨- الأزهري ، أبى منصور محمد بن أحمد : معجم تهذيب اللغة ، تحقيق د. رياض زكى قاسم ، دار المعرفة - بيروت ، المجلد الثانى .
- ٩- الباكستاني ، شبير أحمد محمد على : عصر الصديق (رضى) ، الدار السعودية للنشر والتوزيع ، ط ١ ، ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٣ م .
- ١٠ - بدوى ، د. إبراهيم عبد العزيز : المرتد وحكمه فى الشريعة الإسلامية (دراسة فقهية مقارنة) ، ١٤١٩ هـ / ١٩٩٨ م .
- ١١- البستاني ، الشيخ عبد الله : الوافى (معجم وسيط اللغة العربية) ، مكتبة لبنان - بيروت ، الطبعة ١٩٨٠ م .
- ١٢ - البلاذرى ، الإمام أبى العباس أحمد بن يحيى بن جابر : فتوح البلدان ، مشهورات مؤسسة المعارف ، بيروت - لبنان ، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م .

- ١٣ - بهيج ملاحوش (د) : موسوعة الراد للعلوم والتكنولوجيا بالكتب والغيديو ، ج ٩ ، التاريخ الاسلامى ، مطابع دايداكو برشلونة - اسبانيا .
- ١٤ - التاجر ، الشيخ محمد على : عقد الال ، مؤسسة الأيام للصحافة والطباعة والنشر - البحرين ، ١٩٩٤ .
- ١٥ - حجازرى ، عبد الحميد : موسوعة العلم الاسلامى ، دار الرأى العام ، مصر - القاهرة ، ١٣٩٩هـ - ١٩٩٧م ، المجلد الثانى .
- ١٦ - حسن إبراهيم حسن : تاريخ الإسلام السياسى والدينى والثقافى والاجتماعى ، ج ١ ، دار الجبل - بيروت .
- ١٧ - الخولى ، أ.د. محمد على : معجم الألفاظ الاسلامية (عربى - إنجليزى والمجليزى - عربى) ، ط١ مطابع الفردوق التجارية ، الرياض .
- ١٨ - الديار بكرى ، لإمام الشيخ حسن بن محمد بن الحسن : تاريخ الخميس فى أحوال أنفس النفس ، ج ١ ، مؤسسة ١١ شعبان للنشر والتوزيع ، بيروت .
- ١٩ - الذهبى ، شمس الدين : تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام ، دار الكتاب العربى - بيروت ، ط١ ، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م .
- ٢٠ - الرازى : محمد بن أبى بكر بن عبد القادر : مختار الصحاح إخراج دائرة المعاجم فى مكتبة لبنان ، مكتبة لبنان ، طبعة مدققة كاملة التشكيل ومميزة المداخل ، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م .
- ٢١ - رجب محمد عبد الحليم : الردة فى ضوء مفهوم جديد ، دار النهضة العربية .
- ٢٢ - الزبيدى ، السيد محمد مرتضى الحسينى : تاريخ العروس من جواهر القاموس ، تحقيق د. عبد العزيز مطر ، مطبعة حكومة الكويت ، دار الجبل ، ١٣٩٠هـ - ١٩٧٠م .
- ٢٣ - زقزوق ، أ.د. محمود حمدي : الموسوعة الإسلامية العامة ، جمهورية مصر ، وزارة الأوقاف ، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية ، القاهرة ١٤٢٣هـ / ٢٠٠١م .
- ٢٤ - سرور ، محمد جمال الدين : الدولة الإسلامية منذ العام الأول للهجرة وحتى نهاية العصر العباسى ، دار الفكر - القاهرة ، ١٤٢١هـ / ٢٠٠١م .

- ٢٥- سلسلة النبايع الفقهية : الحدود ، إشراف وتحقيق على أصغر مرواريد ، مؤسسة فقه الشيعة والدار الإسلامية - بيروت ، لبنان ، ط١ ، ١٤١٠هـ / ١٩٩٠م .
- ٢٦- السمرقندي ، علاء الدين : تحفة الفقهاء ، دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان ، الجزء الثالث ٥٩هـ .
- ٢٧- سمير عبد الحميد إبراهيم : الهجمات المفروضة على التاريخ الإسلامي ، دار الصحوة للنشر .
- ٢٨- السيد عبد العزيز سالم : دراسات في تاريخ العرب ، مؤسسة شباب الجامعة للطباعة والنشر ، المجلد الثاني .
- ٢٩- الشرقاوي ، عبد الرحمن : الصديق أول الخلفاء ، مكتبة غريب .
- ٣٠- شوقاني ، د . إلباس ، حروب الردة .
- ٣١- الصاوي ، الشيخ أحمد : بلعة السالك لأمر المسالك دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، ج٢ .
- ٣٢- الطبري ، محمد بن حرير : تاريخ الأمم والملوك ، مؤسسة الستين للطباعة والنشر ، ط٢ ، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م ، المجلد الثاني .
- ٣٣- عبد الشافي محمد عبد اللطيف : موسوعة سفير للتاريخ الإسلامي ، شركة سفير - القاهرة ن ١٩٩٦م .
- ٣٤- عبد العزيز سالم : تاريخ الدولة العربية ، دار النهضة العربية ، بيروت ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م .
- ٣٥- العصفري ، أبو عمرو خليفة بن خياط بن أبي هبيرة الليثي : تاريخ خليفة بن خياط ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط١ ، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م .
- ٣٦- العقد ، عباد محمود : عبقرية الصديق ، منشورات المكتبة العصرية ، صيدا - بيروت .
- ٣٧- عكام ، د. محمود : الموسوعة الإسلامية الميسرة ، دار صحاري للطباعة والنشر والتوزيع - دمشق ، المجلد السادس .

- ٣٩- غريب ، حسن : الردة في الإسلام ، دار الكنوز الأدبية ، بيروت — لبنان .
- ٤٠- فاروق عمر : الخليج العربي في العصور الإسلامية ، ط ١ ، ١٤٠٣هـ — ١٩٨٣م ، دار  
النقلم - الامارات العربية .
- ٤١- الفراهيدي ، أبي عبد الرحمن خليل بن أحمد . كتاب العين ، د . مهدي المخرومي د .  
إبراهيم السامرائي .
- ٤٢- الكاندهلوي ، محمد يوسف : حياة الصحابة ، ح ١ ، دار صعب — بيروت .
- ٤٣- الكعبي ، الشيخه زهير : موسوعة خلفاء المسلمين .
- ٤٤- كلوس كريرز وآخرون : معجم العالم الإسلامي ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر  
والتوزيع ، بيروت ، ١٤١٨هـ / ١٩٩٨م ، ط ٢ ترجمة د.ج. كتورة
- ٤٥- كنعان ، محمد بن أحمد . تاريخ الخلافة الراشدة ، مؤسسة المعارف ، بيروت — لبنان ،  
ط ١ ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م .
- ٤٦- مؤسسة الأعلمی لسطوحات - بيروت - لبنان - ح ٨
- ٤٧- موسوعة الفقه الإسلامي المقارن الشهيرة موسوعة جمال عبد الناصر ، المجلس الأعلى  
لشؤون الإسلامية ، المجلد الثاني .
- ٤٨- مجمع اللغة العربية ، المعجم الوسيط ، ط ٣ .
- ٤٩- محمد الحسيني عبد العزيز : حضارة الكويت ودول الخليج العربي .
- ٥٠- محمد شاکر : التاريخ الإسلامي ، ج ٣ الخلفاء الراشدون ، المكتب الإسلامي .
- ٥١- محمد فؤاد عبد الباقي : المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ، دار الحديث ، القاهرة .
- ٥٢- مركز الأبحاث والدراسات الدولية في دار الرأي العام : موسوعة العالم الإسلامي ، دار  
الرأي العام ، مصر- القاهرة ، المجلد الثاني ، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م .
- ٥٣- لسرى د. حسين علي : تاريخ البحرين وعمان من عصر البوة إلى نهاية لعصر لأموى .  
مجلس النشر العلمی- لجنة التأليف والتعريب والنشر ، ٢٠٠٠م .
- ٥٤- مسعود حيرن : الزائد (معجم لعوى عصري) ، دار العلم لملابین ، ط ٤ ، ٢٠٠٠م .

- ٥٥- المسعودي : التنبيه والإشراف ، دار التراث - بيروت ، ١٣٨٨هـ - ١٩٦٨م .
- ٥٦- الناطور ، د. ، على شحاته : تاريخ صدر الإسلام وفجره ، ١٩٩٥م .
- ٥٧- النبهاني الطائي ، العلامة الشيخ محمد بن الشيخ خليفة بن حمد بن موسى التحفة النبهانية في تاريخ الجزيرة العربية ، دار إحياء العلوم - بيروت ، ط ١ ، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م .
- ٥٨- النوري ، أبي زكريا : مفتي المحتاج ، ج ٤ ، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي . ١٣٧٧هـ - ١٩٥٨م .
- ٥٩- النويدري ، سالم : أعلام الثقافة الإسلامية .
- ٦٠- الواقدى ، محمد بن عمر بن فاقد ، كتاب الردة مع نبذة من فتوح العراق وذكر المشن بن حارثة (الشيباني) ، در العرب الاسلامى ، تحقيق د. يحيى الجبورى .
- ٦١- الوثيقة ، العدد الثانى والعشرون ، السنة الحادية للمهجرة رجب ١٤١٣هـ / يناير ١٩٩٣م .
- ٦٢- الوثيقة ، العدد السادس ، السنة الثالثة ربيع الآخر ١٤٠٥هـ - يناير ١٩٨٥م .
- ٦٣- الوثيقة العدد الخامس ، السنة الثالث شوال ١٤٠٤هـ - يوليو ١٩٨٤م .
- ٦٤- وزارة الأوقاف والشؤون الاسلامية - الكويت : الموسوعة الفقهية ، طبعة ذات السلاسل ، ط ٢ ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م .
- ٦٥- البعقوبى البغدادي : تاريخ البعقوبى ، دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان ط ١ ، ج ١ ، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م .



## «نقش أماسيس المصري (!!)» (قراءة تاريخية حضارية في نص باليونانية)

عناصر البحث:

أولاً: التعريف بالنقش: مكانه وزمانه

ثانياً: ترجمة النص .

ثالثاً: المضامين الحضارية.

تقديم: اعتذار واجب :-

لما كان قد تعدّر على الحصول على النص الأصلي اليوناني لموضوعت المعلن أمامكم في البرنامج ، آثرت كهذه مع نفسي ولحوصي على التميز في المعالجة المباشرة مع كلمات وسطور النص الأصلي الكلاسيكي، أن أقدم نصاً آخر، غالباً ما مجهل قيمته الحضارية والثقافية، مجدداً، كأقدم نص يوناني كامل على أرض مصر الكنتنة، كبداية للتوجه المصري الفرعوني في عصر مجده المتأخر، صوب الغرب ، وحضارته، حيث بدأت مصر القديمة آنذاك الاستعانة بمرتزقة من اليونان!!!

## أولاً : التعريف بالنقش :

(أ) مكانه : محفور على ساقى قنثال للملك رمسيس الثاني ( أ ) أمام معبد الجنائزي الشهير ، في منطقة أبي سمبل ، بصعيد مصر الأعلى (Ano Aigptos) ، أسفل الركبة اليسرى .

( ب ) زمانه : يؤرخ ب ٥٩٤ أو ٥٩٦ ق . م ، من عهد الفرعون أبسماتيك الثاني ( psmmetikos II) .

( ج ) سطور : ( ٥ ) سطور كاملة فضلاً عن توقيعات لأشخاص بأسمائهم ، وتوقعان في آخر النقش .

( د ) النشر : تم نشره وترجمة هذا النقش إلى الإنجليزية عند كل من :

(1)- Tod, M.N., A Selection of Greek Historical Inscriptions, I, Oxford 1933, P. 5.

(2)- Jeffery, L H , The Local Scripts of Archaic Greece, Oxford 1961, P. 348.

(3)- Cook, J. M., The Greeks in Ionia and the East, London 1962, P. 66.

## ثانياً : الترجمة

أ . القراءة الصحيحة للسطور الخمسة الكاملة هي كالآتي :-

1. Basileos élhontos es Elephantinan Psamatikho,
  - 2 autá égrapsan toi (s) yn Psammatikho toi Theoklos,
  - 3 èpleon èlthon de Kèrkios kat'upèr Thenis o potamos, Thenis
  - 4 ealoggos ani os dèkhe Potasimto aigyptios de Amasis.
  5. egraphe da me arkhon Amoibikho kaì Pèlexos oudamó Kai. ...
- Krí this egraphan em ...Pýthon Amoibikhou

وترجمة هذا النص اليوناني القديم، كأقدم أثر كتابي لليونانيين، على الإطلاق، في صعيد مصر، منذ مطلع القرن السادس قبل الميلاد، تكون كالتالي، وهي أول ترجمة عربية متخصصة، مباشرة عن الأصل، وليست عن الإنجليزية، كما جاءت عند الناشرين الأول.

السطر الأول: «بوصول الملك أيسماتيك إلى إلفانتين»<sup>(١٣٣)</sup>،

السطر الثاني: كتب (السطور) هذه من أجل الذين مع أيسماتيك،

السطر الثالث: ولكنهم أبحروا، ووصلوا حتى كيركيس»<sup>(١٣٤)</sup>،

السطر الرابع: في أعالي النهر حتى ثينيس»<sup>(١٣٥)</sup>، ولقد عُيِّنَ أماسيس المصري، بوتاسيمتو على الوحدات التسع حامل الرماح (٤) الرماح.

السطر الخامس: سُجِّلَ هذا بأمر لقائد بن أميينفوس وبيليكس، وليس في أي مكان آخر كتب هذا كل من .... آخر.

التوقيعات: كريسيس وبشور بن أميينفوس:

### ثالثاً: المضامين التاريخية والحضارية

أ) المضامين التاريخية: ويمكن إيجازها فيما يلي:

١- قيام الملك أيسماتيك الثاني، في عام ٥٩٣/٥٩٤ ق.م، بحملة على أقصى صعيد مصر، وحتى آخر قلعة حدود مصر الجنوبية، وهي أسوان (عند بيغابن)، وقيادتها بنفسه وذلك، على الأرجح، لتحقيق بعض المهام والأهداف، ومنها:

\*\* هي مثل جزيرة "بحه"، في نيل أسوان ولكنها إلى لشمال منها، أما تلك التي تسمى الآن "قبة" فهي ترجمة حرفية لاسمها اليوناني أو "الرفيقت" القديم، وتسمى الروماني لها، من بعد ذلك هو "Philae" وأما ماداً سميت كذلك، فلا ندري، إلا إذا كان الاسم يشير إلى حواري أيزيس "الصدیقت"

\*\*\* لا نعلم بقسماً جغرافياً، ماذا كان المقصود بهذا الموضوع على النمل، جنوباً بعد أسوان!!!، والأرجح عندما أنها هي جرجاً، الآن، استناداً إلى أصوات الحروف الصامتة لهذا الاسم اليوناني، الذي هو تحوير أجسي، في الغالب، للاسم المصري القديم (١١٠)

\*\*\*\* كما لا نعلم موقع مدينة "ثيني" هذه، وربما كانت هي ذات الموضوع الذي يشير إليه علماء الآثار المصرية باسم "Theni" في أعالي النيل.

أ- إستتباب الأمن الضروري، ولاسيما بعد مرور حوالي (٥٠ عاماً فقط على تأسيس الأسرة الصاوية، وإعلان أسمايتيك الأول المؤسس نفسه ملكاً مفرداً للقطرين. الشمال والجنوب، عام ٦٥٦ ق.م، وقيام خلفائه بالسير على السياسة نفسها أي سير الحلف وسير على سلة السلف!!!)

ب- استمرار الإستعانة بالمرتقة اليونان، حتى في مثل تلك المهام الوطنية الداخلية، مما يعكس الثقة الزائدة فيهم، حتى حينه (!!!).

٢- بقاء الملك في إلفانتيني (Elephantine)، واستمرار سير الحملة براً فقط في اتجاه الجنوب، حتى معبد أبي سمبل (أي جنوباً لأكثر من ٥٠ كم ك.م) بقيادتين إحداهما مصرية، ممثلة في أماسيس المصري (Amasis)، والأخرى يونانية، بقيادة ثيوكليس (theòlis).

٣- النقش، (فيما يخص ترتيب أخبار الحملة)، لا يعرض لخط سيرها، بصورة طبيعية، وفق جغرافيا الصعود في النيل، إلى أعالي الصعيد، ففي السطر الأول يتحدث عن الوصول إلى إلفانتين (أسوان)، ولكنه في السطر الثالث، يعود بذاكرته إلى المحطات الأسبق في مشوار الحملة، حيث مرت بمذن كركيس (kerkes)، (التي ربما كانت هي موضع «حرجا» الآن، وذلك بفضل تشابه مخارج الحروف وإمكانية تبديل حرفي الكاف (K) والجيم (G) في اللغات الأوروبية القديمة، وعلى رأسها اليونانية).

وكذلك مدينة ثينيس (Thènis)، وكلتاهما قبل أسوان، على ضفتي نهر النيل.

ولما نحن، في ذلك تيرير مقبول، من واقع علمنا بفنيات (Techniques) وأولويات كتابة النقوش القديمة، وبخاصة اليونانية، فلقد كانت تعطى أولوية مطلقة لـ:

١- تسجيل اسم الملك/ الفرعون، أولاً، (وكذلك الملكة منذ العصر لبطلمي وما بعده)

٢- تسجيل الكاتب / أو / لمن يُكتب النقش.

## رابعاً: المضامين الحضارية:

١- يتضح الاحترام الواجب من المرتقة اليونان، في الحش المصري للأسرة السادسة والعشرين لملكهم، الذي يعملون في خدمته، وهو أسمايتيك الثاني، وتسجيل حرم وجوده بينهم، على رأس الحملة، بالرغم من كثافتهم بفتقهم هم، لبوابية القديمة، والتي لولاها ما عرفنا شيئاً أبداً عن تلك الحملة العسكرية، شكلاً، والسياسية هدفاً وعرضاً، وبالطبع إقتصادية كذلك، تبعاً للعدة

الفرعونية الراسخة لتحقيق مكاسب عدة من تجريد الحملات، سواء في الداخل، أو حتى صوب الحدود الخارجية لتأمين أملاك مصر القديمة ضد أعدائها.

٢- ويتضح أيضاً تماماً من لفظة «épleon»، بمعنى «أبحروا»، أن الحملة كانت نهرية، على مراكب وسفن في النيل، مما يؤكد أنها تمت في الصيف أثناء الفيضان الدائم كل عام (في شهور يوليو، أغسطس وسبتمبر)، وهو استخدام أمثل لمكانات النهر الخالد، في أفضل حالاته المائية مما يعكس تخطيطاً مسبقاً وفكرياً عملياً إلى درجة بعيدة.

٣- لم يسجل المرتزقة اليونان، مثل هذا الأثر في أي مكان آخر، بأمر من قائدي تلك القوات الإيونية والكارية الأصل، وهما بيشون بن أميبسيخوس وبيليكس ويبدو أنهما كانا يرأسان، كل منهما، جماعته العرقية البونانية، مما يعكس حالة الإعزاز والإلتزام للأعراق أكثر من الولاء للحضارة نفسها، كما تعودنا من اليونان دوماً (١١١).

٤- تغيير القيادة الميدانية للقوات في الحملة بقرار من القائد العام المصري لها، وهو أماسيس (Amasis)، الذي أثبت اليونانيون في نقشهم صفته الخالصة، وإمكانية عدم انتسابه للأسرة الحاكمة الفرعونية للملكية، وأنه من الشعب المصري. وينتمي بجذوره إلى العامة، بقولهم «المصري» (Aigyptios) يؤكد، تريحاً وحضراً، أمرين:

١- أن هذا القائد العام المصري الخالص، أماسيس، كان هو نفسه، الذي أصبح ملكاً من بعد ذلك عام ٥٧٠ ق.م ولمرعوناً البلاد وصدق فيه قول وشهادة هيرودوت اليوناني، أبي التاريخ، بأنه كان من الشعب، وذلك بعد حوالي قرن كامل من الأحداث على الأقل (١١١) عندما جاء زائراً لمصر لي يري دنيا يقيناً، في بعض روايات هيرودوت في كتابه الثاني، حول مصر، وعلى الأقل، فيما يخص الشئون السياسية المصرية آنذاك.

٢- تسليم قيادة الوحدات التسع لحاملي الرمح، وهم القوة النضارية للحدودية آنذاك، لقائد مصري أصغر هو بوتاسيمتو (Potasimto) كان خطوة ضرورية لمتطلبات المرحلة التالية، برأ، صوب الجنوب حتى سمبل، درأ لتجاوزات المرتزقة اليونان مع الأهالي وسكان تلك المنطقة من العاصر الإفريقية (١١١).

٥- جاءت التوقيعات لجود يونان مشاركين في الحملة، سحلاً خالداً لحرص أولئك على

تخليد الحدث التاريخي، من ناحية، وإشباع رغبتهم الدائمة في إثبات الذات، وتضخم الأنا لدى أولئك، وعلى كل المستويات الاجتماعية، سواء بسواء، ولبست فقط عند الملوك أو الأمراء أو الحكام، كما في شرقنا القديم (!!!).

فالخلود للجميع وليس حكراً على عليّة القوم، وصدق قولهم في أمثالهم وحكمهم بتمني الخلود، حيث جاء: “*Αἰωνὸν οὐ μνησθήσεαι*”

أي // «فالتعش ذكراك إلى الأبد

وكان اختيارهم إختياراً موفقاً جداً، وإن كان قد لوث الأثر العظيم لأحد قنايل الفرعون رمسيس الثاني، حينما اعتلوا الموقع، وسجلوا ذلك، حسداً على خلود ذلك الفرعون الأشهر في التاريخ المصري القديم. وليسوا هم بأقل منه خلوداً، ولكن شتان بين الإثنين وإمحاز كلا الفريقين؛ الخلود المصري (حقاً وصدق)، والخلود اليوناني (على أرضنا) غصباً واحتلالاً واستغلالاً لظروفنا، وهو إننا على أنفسنا، فهنا عليهم، وساروا أنفسهم بها، وتطالوا علينا عند نومنا وضعفنا (!!!). وهيئات أن يدوم، هكذا، حالنا، لأنه ضد ناموس الخالق رث .

أ.د/ محمود السعدني



قراءة: كالملة لسطور النسخة القديمة والتوقيعات أسفلها

15

1- βασιλεως ἔλθοντος ἐς Ἑλσφαντίαν

Ψαματίχῳ

2- αὐτά ἔγραψαν τῷ συν ἑομολογῶν

τῷ Θεοκλός

3- ἐπλεον ἔλθον δε Κέρκιος κατ' ὑπέρ

Θένις ὁ ποταμός,

4- ανισά λαγχορ ὅς δεχέ Ποτασίμῳ

αἰγύπτιος δε Ἡμασις

5- ἔγραφε δα με ἄρχων Ἡμοιβιχῳ

καὶ Πέλεκος οὐδαμῳ

Κρίθις ἔγραφε<sup>καὶ</sup> ἐμ Πύθων Ἡμοιβιχα<sup>»</sup>

## نقابة الأشراف فى مصر عصر سلاطين المماليك

(٦٤٨-٩٢٣هـ / ١٢٥٠-١٥١٧م)

تعد نقابة الأشراف أول تنظيم اجتماعى يقوم على أساس السبب وخلاصه الدم وهى فى ذلك تختلف عن النقابات المهنية **والنقيب لغة** **فهو الرئيس الأكبر** . وإنما قيل للنقيب نقيب ، لأنه يعلم دخيلة أمر القوم ، ويعرف مناقبهم ، وهو الطريق إلى معرفة أمورهم<sup>(١)</sup> . والنقيب كالأمين والكتيل ، ويقال نقب الرجل على القوم ينقب نقابة فهو نقيب ، ويعرف مناقبهم ، وهو الطريق إلى معرفة أمورهم<sup>(٢)</sup> . والنقيب أيضا شاهد القوم ، وضمينهم . وعريفهم . وقد نقب عليهم نقابة - بالكسر - فعل ذلك<sup>(٣)</sup> . والنقيب فعيل ، قيل بمعنى فاعل مشتقا من النقيب وهو التفتيش ومنه "فنبؤوا فى البلاد" وسمى بذلك لأنه يفتش عن أحوال القوم وأسرارهم ، وقيل . هو بمعنى مفعول كُن القوم اختاروه على علم منهم وتفتيش على أحواله . وقيل هو للمبالغة كعليهم وخبير<sup>(٤)</sup> .

وقد طلب السبى من الأنصار أئمة بيعة العقبة الثانية أن يخرجوا منهم اثنى عشر نقيباً فقال: أخرجوا إلى منكم اثنى عشر نقيباً ، ليكونوا على قومهم بما فيهم فأخرجوا منهم اثنى عشر نقيباً ، تسعة من الخزرج وثلاثة من الأوس<sup>(٥)</sup> .

والأشراف لغة : هم جمع الشريف وهو مشتق من الشرف والرفعة والسمو . وهو المحسوب بالأباء . والشرف والمجد لا يكونان إلا بالآباء . ويقال رجل شريف ورجل صاعد له آباء متقدمون فى الشرف . والشرف مصدر الشريف من الس ، وجمع شرفاء وأشراف<sup>(٦)</sup>

واصطلاحاً : أطلق لقب شريف على من كان من آل الرسول صلى الله عليه وسلم شاملاً بنى هاشم وخاصة الطالبين وهم ذرية أبى طالب بن عبد المطلب والعباسيين ذرية العباس بن عبد المطلب<sup>(٧٧)</sup>، بينما حدد ابن تيمية آل بيت النبي صلى الله عليه وسلم على وجه التحقيق على وفاطمة وأولادهما ومن تناسل منهما حتى تقوم الساعة<sup>(٨)</sup>، لذا يعد نقيب الأشراف عميد المتسبين لأولاد فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم<sup>(٩)</sup>. وأشار السيوطي أن لقب الشريف كان يطلق على كل من كان من أهل البيت العلوي أو العباسي في الصدر الأول للدولة الإسلامية ولما تولى الفاطميون قصرُوا اسم الشريف على ذرية الحسن والحسين<sup>(١٠)</sup>.

وأشار القلقشندي أن المقصود بالأشراف في العصر المملوكي "هم أولاد أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه ، من فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم<sup>(١١)</sup>."

وقد عرف القلقشندي نقابة الأشراف بأنها "وظيفة شريفة ومرتبعة بعبادة ، وموضوعها التحدث على ولد على بن أبى طالب كرم الله وجهه من فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم<sup>(١٢)</sup>، وكان بنو هاشم ينقسمون إلى : أولاد أبى طالب "الطالبين" وأولاد العباس "العباسيين" لهم نقيب واحد يطلق عليه "نقيب الهاشميين" فقد كان الشريف أبو نصر الزينى العباسي المتوفى عام ٤٧٩هـ / ١٠٨٦م "نقيب الهاشميين"<sup>(١٣)</sup>. وكان يطلق عليه "نقيب العلويين"<sup>(١٤)</sup> وأطلق عليه "نقيب الشرفا"<sup>(١٥)</sup>.

وقد نشأت أول نقابة للأشراف في منتصف القرن الثالث الهجري / التاسع الميلادي . وذلك في بغداد عاصمة الخلافة العباسية<sup>(١٦)</sup> إذ يذكر ابن عتبة الحسنى أن الحسين النسابة والذي يرجع نسبه إلى زيد بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب ، والذي هاجر من الحجاز إلى العراق عام ٢٥١هـ / ٨٦٥م<sup>(١٧)</sup>. ثم أنشأت نقابات فرعية في جميع الولايات والأمصار تتبع النقابة الرئيسية ببغداد ومن بينها مصر . وكانت نقابة الأشراف التي وجدت في بغداد تجمع كل من العباسيين والطالبين تحت نقيب واحد<sup>(١٨)</sup>.

وقد ظلت نقابة الأشراف في مصر تابعة لنقابة الأشراف في بغداد حتى قيام الدولة الطولونية على يد أحمد بن طولون ، فأصبح يولى نقيب الأشراف في مصر ، مما جعل نقابة الأشراف في مصر تستقل عن نقابة الأشراف في بغداد<sup>(١٩)</sup>.

ولكن ما هي الأسباب التي دعت إلى وجود نقابة للأشراف ؟ هل بسبب كثرة عدد الأشراف من العلويين والجعفرين والعقيليين ، مما جعل من السهل على أي إنسان ادعاء النسب الشريف أم بسبب رغبة الدولة في حصر العلويين والعباسيين وبخاصة العلويين الذين كثرت ثورتهم على الدولة العباسية في أمصار الدولة الشرقية والغربية على حد سواء . الأمر الذي تطلب معرفة أعداد العلويين في كل ولاية ومدينة وتحت إشراف أحد شيوخ هؤلاء . مما يسهل للدولة السيطرة عليهم وبخاصة إذا علمنا أن من مهام نقيب الأشراف إحصاء الأشراف في إقليمه وقبيل المواليين وإسقاط المتوفين مما جعل الدولة على علم دائم بتحركات العلويين وأعدادهم<sup>(١٧١)</sup>.

وبعد على بن الحسن إبراهيم بن إسماعيل بن إبراهيم بن الحسن بن علي بن أبي طالب المشهور بابن طباطبا المتوفى ٢٨٠هـ / ٨٩٣ م<sup>(١٧٢)</sup> أول نقيب للأشراف في مصر ، ويذكر ابن الموفق بأنه "كان مكيًا من أحمد بن طولون"<sup>(١٧٣)</sup> . في حين يشير ابن زولاق إلى أن أحمد بن طولون "قد فزع الموفق به"<sup>(١٧٤)</sup> . وذلك أثناء الصراع بين أحمد بن طولون والموفق طححة والي عهد الخليفة العباسي المعتمد بالله مما يوحي بأن أحمد بن طولون كان يلوح بإقامة خلافة علوية ردًا على الموفق طححة . وعاصر على بن الحسن كل من أحمد بن طولون وابنه حمارويه وتوفي عام ٢٨٠هـ / ٨٩٣ م. ويذكر الصفوري القلعاوي " وكانت له النقابة والتقدم في زمن حمارويه بن أحمد بن طولون"<sup>(١٧٥)</sup> . وتولى النقابة بعده ابن عمه محمد بن إسماعيل بن القاسم الرسي حتى وفاته عام ٣١٥هـ / ٩٢٧ م<sup>(١٧٦)</sup> . ثم تولى بعده ابنه إسماعيل بن محمد حتى وفاته عام ٣٣٧هـ / ٩٤٨ م<sup>(١٧٧)</sup> .

ويذكر المقرئ أنه " كان يتولى النظر في أمور الطالبين بمصر بإلزام السلطان له لصيانته"<sup>(١٧٨)</sup>.

ثم تولى بعده أخوه أحمد بن محمد المتوفى عام ٣٤٥هـ / ٩٥٦ م<sup>(١٧٩)</sup> . وتولى النقابة بعده ابنه إبراهيم المتوفى عام ٣٦٩هـ / ٩٧٩ م<sup>(١٨٠)</sup> . ثم تولى النقابة بعد ابنه الحسن بن إبراهيم ، إذ يذكر المقرئ أنه " استقر في نقابة الطالبين بعد موت أبيه إلى أن مات يوم الجمعة لليلتين خلتا من جمادى الآخرة سنة تسع وسبعين وثلاثمائة ، فصلى عليه العزيز بالله نزار بن المعز لدين الله"<sup>(١٨١)</sup> .

أما في العصر الفاطمي فقد اقتصر الأشراف على أولاد علي بن أبي طالب " الطالبين " لذا أطلق عليها نقابة الطالبين " ، وكان يتولها أحد الأستاذين غير المحكيين " ، ولدى كان له

الإشراف الكامل على كل الطالبين الموجودين بالدولة ، " أن قلذك النقابة على الأشراف الطالبين أجمعين ، المقيمين بالخرصة وسائر أعمال المملكة شرقا وغربا وبعدا وقربا " (٣١) .

كما كان لنقيب الأشراف فى العصر الفاطمى اثنا عشر نقيباً ، ويخلف عليه فمفسر بالطفل والبوق والبند مثل الأمراء ، وله ديوان ومشارف وعامل ونائبه وجارية فى الشهر عشرون ديناراً ، ولمشارف ديوانه عشرة دنائير ، ولنائبه فى النقابة ثمانية دنائير ، وللعامل خمسة دنائير (٣٢) .

أما فى العصر المملوكى فقد أطلق ابن ناظر الجيش عليه " نقيب السادة الأشراف " وجعله من أرباب الوظائف الدينية ، الذين يكتب لهم المجلس السامى بالياء ، وتوقيع فى قطع الثلث (٣٣) .

كما يذكر القلقشندى أنه كان يكتب لنقيب الأشراف توقيع فى قطع الثلث بقلم التوقيعات : توقيع شريف أن يستقر المجلس السامى ، الأميرى ، الفلاتى ، فلان : أدام الله تعالى علوه ، فى نقابة الأشراف بالديار المصرية ، على عادة من تقدمه وقاعدته ، على ما شرح فيه (٣٤) .

فضلا عن ذلك فقد ذكر القلقشندى نقابة الأشراف الوظيفية السادسة ضمن الوظائف العشرة التى كانت تصدر عن خلفاء بنى العباس (٣٥) . وهى النقابة على ذوى الأنساب كنقابة الطالبين ، ومن فى معناهم على معنى نقابة الأشراف فى زمان (٣٦) .

وقد وضع القلقشندى نقابة الأشراف ضمن وظائف أرباب السيوف ، ويكتب فى ألقاب نقيب الأشراف " الأميرى " وإن كان من أرباب الأقلام (٣٧) . ويرجع السبب فى ذلك أن نقيب الأشراف فى نيابة حلب شمس الدين حسن بن محمد بن زهرة أعطى إمارة طبلخانة بحلب عام ٧٤٧هـ / ١٣٤٦م (٣٨) وكان للأشراف ديوان يضبط به جميع الأشراف وأنسابهم ، وما يتعلق بهم من الأوقاف ، وله ناظر ومباشرون (٣٩) .

وكان السلطان المملوكى هو الذى يتولى تعيين نقيب الأشراف وعزله فى مصر ، ويكتب له فى توقيع شريف فى قطع الثلث بقلم التوقيعات ، " توقيع شريف أن يستقر المجلس السامى ، الأميرى ، الفلاتى ، فلان الدين : أدام الله تعالى علوه ، فى نقابة الأشراف بالديار المصرية ، على عادة من تقدمه وقاعدته ، على ما شرح فيه (٤٠) .

كما كان يكتب فى توقيع نقيب الأشراف : " المجلس السامى الأميرى الكبيرى العالى المجهدى المؤيدى الشرفى الحسبى النسيبى الذخيرى الصيرى الأوحى الأصيل عى الإسلام

زين الأتنام نسيب الإمام شرف الأمراء نقيب القباء جمال العترة الطاهرة جلال الأسرة الزاهرة زخر الغزاة والمجاهدين ظهير الملوك والسلاطين ولي أمير المؤمنين <sup>(١١١)</sup> .

كذلك يذكر المنهاجى الأسيموطى من أنه : " يكتب لنقيب الأشراف سيدى العبد الفقير إلى الله تعالى ، الشيخ الإمام العالم الفاضل البار ، السيد الشريف ، الحسيب النسيب ، الطاهر الأصيل العريق ، التقى النقى الذكى ، فلان الدين ، جمال العترة الطاهرة ، كوكب الأسرة الزاهرة ، فرع الشجرة الزكية ، زين الذرية العلوية ، طراز العصاة الهاشمية ، خلاصة الأنساب النبوية ، فخر السادة الأشراف فى العالمين ، نسيب أمير المؤمنين ، نقيب السادة الأشراف بالمملكة الغلاتية ، أدام الله شرفه ، ورحم سلفه ، وأبقى خلقه <sup>(١١٢)</sup> .

فى حين أن تعيين وعزل نقيب الأشراف فى النيابات الشامية سواء فى نيابة دمشق <sup>(١١٣)</sup> أو نيابة حلب <sup>(١١٤)</sup> أو نيابة طرابلس <sup>(١١٥)</sup> من سلطات نواب هذه النيابات . فيذكر القلقشندى بأن " ولايتها عن النائب بتوقيع كريم <sup>(١١٦)</sup> .

وكان يتم اختيار نقيب الأشراف من شيوخ الأشراف وأحفظهم قديراً <sup>(١١٧)</sup> ، كما جرت العادة أن يكون النقيب من رؤوس الأشراف ، وأن يكون من أرباب الأقلام <sup>(١١٨)</sup> وكان يخرج له توقيع كريم من ديوان الإنشاء <sup>(١١٩)</sup> .

وفى أغلب الأحيان ساد مبدأ ورثة وظليفة نقابة الأشراف ، فعند موت النقيب يتولى ابنه النقابة من بعده ، وفى حالات يطلب شيوخ الأشراف من السلطان تولية ابن النقيب المتوفى النقابة بدلا عنه ، مثال ذلك ما أشارت إليه المصادر التاريخية المعاصرة فى حوادث رجب عام ٧٧٨هـ / يناير ١٣٧٧م " وفى يوم الاثنين ثالث شهر رجب خلع على السيد الشريف شرف الدين على بن السيد فخر الدين ، واستقر فى نقابة الأشراف بعد وفاة أبيه ، بسؤال عدة من الأشراف ولايته <sup>(١٢٠)</sup> .

وعندما يتم اختيار نقيب الأشراف يخلع عليه السلطان خلع الولاية ، ويخرج له توقيع كريم من ديوان الإنشاء ، ويتم قراءة هذا التوقيع فى المسجد الجامع على رؤوس الأشراف . م ذلك ما أشار إليه النويرى فى حوادث عام ٦٣٥هـ / ١٢٣٢م وعندما تولى الشريف شمس الدين محمد بن الحسن الحسينى الأرموى <sup>(١٢١)</sup> المشهور بقاضى العسكر نقابة الأشراف بالدير المصرية " قرى - تقليده بجامع مصر - عمرو بن العاص - وحضر قراءته الأمير جمال الدين بغفور ، وفلك الدين

المسيري وابن النجلى<sup>(١٢٦)</sup> . وهو ما يؤكد المقرئى " وقرئ - سجله بجامع مصر بحضرة الأمير جمال الدين موسى بن يغمور والفلك المسيرى " <sup>(١٢٧)</sup> .

واستمر اختيار نقيب الأشراف من قبل الأشراف فى مصر حتى سقوط دولة المماليك عام ١٥١٧هـ / ١٥١٧م ودخول العثمانيون مصر والتي أصبحت إحدى ولاياتها ومن ثم فقد أرسلت الدولة العثمانية نقيباً للأشراف . فذكر بن إياس فى حوادث عام ٩٢٥هـ / ١٥١٩م " وفى يوم الخميس خامس عشرينه حضر شخص شريف من عند ابن عثمان ، وزعم أنه قد قرر فى نقابة الأشراف ، وقد أظهر مرسوم الختدكار بذلك " <sup>(١٢٨)</sup> .

وكان يحقق السلطان المملوكى أو من ينوب عنه عزل نقيب الأشراف وقد تعددت أسباب عزل نقيب الأشراف إما بسبب تقصيره فى أداء مهامه ، مثل إدخال من ليس شريف ضمن الأشراف ، فقد عزل السلطان المملوكى الأشراف شعبان نقيب الأشراف فخر الدين محمد ، وذلك فى رجب عام ٧٧٤هـ / ١٣٧٢م بسبب اتهامه بأنه أدخل فى الأشراف ما ليس منهم <sup>(١٢٩)</sup> .

وقد يعزل نقيب الأشراف بسبب معارضته لبعض الأوامر الصادرة من لسلطات المملوكية ، من ذلك عزل نقيب الأشراف شرف الدين على بن فخر الدين ابن قضاى العسكر عام ٧٨٠هـ / ١٣٧٨م بسبب أنه رفض أن يعطيه حجة وقف الأشراف للأمير برقوق قبل أن ينى السطة <sup>(١٣٠)</sup> .

بالإضافة إلى ذلك فقد يعزل السلطان المملوكى نقيب الأشراف بسبب أن السلطان الذى سبقه قد عينه . مثلما حدث عام ٧٩٢هـ / ١٣٩٠م عندما عزل السلطان الظاهر برقوق نقيب الأشراف شرف الدين على بعد عودته لسلطنة المماليك على الرغم من أن نقيب الأشراف خرج بالأشراف لاستقباله وذلك لأن الذى ولاء فى منصب النقابة السلطان المملوكى حاجى بن شعبان <sup>(١٣١)</sup> .

كما كان لسوء مباشرة نقيب الأشراف لأوقاف الأشراف سببا لعزله . مثلما حدث عام ٨٧٤هـ / ١٤٦٩م عندما عزل السلطان المملوكى قايتباى نقيب الأشراف حسين بن الشاطر عن نقابة الأشراف والنظر على أوقافهم ، وأساء عليه بلفظ « يا شيطان أنت نحس » <sup>(١٣٢)</sup> .

أما عن موقف سلاطين وأمراء المماليك من الأشراف فقد نظر المجتمع المصرى وعلى رأسهم سلاطين وأمراء المماليك نظره يملؤها الاحترام والتقدير والإحلال للسادة الأشراف على اعتبار أنهم آل بيت النبى صلى الله عليه وسلم <sup>(١٣٣)</sup> فيذكر ابن تغرى بردى أن الظاهر حقق « كان معظماً

للسادة الأشراف»<sup>(١٦٠)</sup> من ذلك ما أشارت إليه المصادر التاريخية المعاصرة فى حوادث ذى القعدة عام ٨٤٢هـ / أبريل ١٤٣٩م إلى أن أحد الأمراء المماليك يسمى يخشباى قام بسبب أحد أشراف متفلوط ، مما جعل الظاهر جقمق يأمر بقتله بعد سجنه بالإسكندرية<sup>(١٦١)</sup> . وكانت نقابة الأشراف من الوظائف الدينية التى ليس لها حضور مجلس السلطان<sup>(١٦٢)</sup> نقيب الأشراف يذهب للسلام على السلطان فى مطلع كل شهر هجرى مع القضاة ، حيث يجلس على ميسرة السلطان بعد قاضى القضاة الحنبلى<sup>(١٦٣)</sup> .

أما عن مقر نقابة الأشراف فى العصر المملوكى فهو غير معروف لنا على الإطلاق ، وإن كما نرجح أن مقر نقابة الأشراف كان هو بيت النقيب نفسه . فكان بيت نقيب الأشراف شمس الدين محمد بن الحسين الأرموى المعروف بقاضى العسكر المتوفى عام ٦٥٠هـ / ١٢٥٢م يقع فى سوقة الصاحب<sup>(١٦٤)</sup> فيذكر ابن أبيك لصفدى فى ترجمة نقيب الأشراف الحسين بن محمد الحسين «وسألته عن مولده فقال . ستة ثمان وتسعين وست مائة بالقاهرة فى دار جده شمس الدين قاضى العسكر فى سوقة الصاحب»<sup>(١٦٥)</sup> .

كما أن نقيب الأشراف بدر الدين الحس بن عز الدين أحمد الحلبي الحسينى المتوفى ٧٤٣هـ / ١٣٤٢م<sup>(١٦٦)</sup> ، فكانت دره تقع فى حارة الديلم<sup>(١٦٧)</sup> . فيذكر التبريزى فى حوادث عام ٧٢١هـ / ١٣٢١م «ثم سكن ذلك إلى يوم السبت الخامس عشر من جمادى الأولى ، فوقع الحريق فى القاهرة ومصر ، وكان أول الحريق بخطط حارة الديلم ، فاحتقرت دار الشريف بدر الدين نقيب الأشراف ، وما يجاورها من دور الأشراف والمسلمين ، فكان جملة ما احترق من الدور المتجورات ما ينيف على الثلاثين داراً يقارب المائة مسكن»<sup>(١٦٨)</sup> .

أما عن الملابس التى كان يرتديها نقيب الأشراف فلم تشر المصادر التاريخية المعاصرة إلى نوع معين من الملابس لنقيب الأشراف عند توليه هذه الوظيفة فى العصر المملوكى ، ولكن فى العصر الفاطمى فكان يخلع على نقيب الأشراف عند توليه هذه الوظيفة أو التجديد له «ثوب ديبقى مذهب مصنف بأطواق عراض ومن تحته ثوب مصمت وغلالة مذهب وعلى رأسه عمامة شرب مذهب»<sup>(١٦٩)</sup> .

وعندما يتولى أحد الأشراف أى وظيفة من لوظائف الديبة أو الديوانية فكان يحلج عليه ثياب من اللون الأخضر وهو اللون الذى يتميز به العلويون ، وقد ذكر السخوى فى ترجمة أحمد

بن عدنان نقيب الأشراف بدمشق الذى تولى وظيفة كتابة السر بمصر عام ٨٣٢هـ / ١٤٢٨م « وكانت طرحته خضراء برقعات ذهب »<sup>(٧٥)</sup> وهو ما ذكره ابن تغرى بردى « عملت الطرحة خضراء برقعات ذهب »<sup>(٧٦)</sup> .

أما عن أهم أعمال نقيب الأشراف فقد وقع على عاتق نقيب الأشراف العديد من الأعمال والمهام تجاه الأشراف والتي حددها الماوردى بأثنى عشر عمل (حقا) .

وبأتى فى مقدمتها حفظ أنساب الأشراف من الاختلاط بغيرهم ممن لا يكافئهم فى المكانة والشرف حتى لا يدخل فيهم أحدا ويخرج منهم أحد ، ومعرفة بطون الأشراف على اختلافها وتعددتها وإثباتهم فى ديوان الأشراف حسب طبقاتهم ، ومعرفة من ولد منهم من ذكر أو أنثى وتسجيل ذلك فى سجلات النقابة ، ومعرفة من مات منهم حتى لا يضيع نسب المولود إذا لم يشيته ، ولا يدعى نسب الميت غيره إذا لم يذكره<sup>(٧٧)</sup> .

فيذكر ابن الطوير « ولهذه النقابة ميزة ، ولصاحبها النظر فى أمور هذه الطائفة ، ومنع من يدخل فيهم من الأدعياء ، وهم منزلون عنده فى جريدة ، وتظيرها فى ديوان الرواتب فمن مات وضعه (ومن ولد أثبته بعد علم بصحة الولادة بقرائن الأحوال ، وإذا إرتاب بأحد أخذه بإثبات ذلك ممن يوثق به من جيرانه ، ثم ينزل فى وقته فى الجريدة »<sup>(٧٨)</sup> .

وأكدت تلك المهام وثائق تقليد نقابة الأشراف ، فجاء فى تقليد نقيب الأشراف ، يأمره « بحبابة هذا النسب الأظهر ، والشرف الأوفر ، عن أن يدعى الأدعياء ، إذ يدخل فيه الدخلاء ، ومن انتمى كذبا ، وانتحل به باطلا ، ولم يوجد له بيت فى الشجرة ، ولا مصداق عند النسابين المهرة ..... »<sup>(٧٩)</sup> ويذكر ابن فضل الله العنبرى فى وصية لنقيب الأشراف « وانظر فى أمور أنسابهم نظرا لا بدع مجالا للرب ، ولا يستطيع معه أحد أن يدخل فيهم بغير نسب ، ولا يخرج منهم بغير سبب »<sup>(٨٠)</sup> .

وفى تقليد آخر لنقيب الأشراف يذكر أن أول مهام نقيب الأشراف « ..... النظر فى أعراق هذه الأسرة الطاهرة التى قدم عهد ميلادها ، وتكاثر شعب أعدادها ، واحتاجت إلى الفتات الإثبات من النسابين فى إيصال آبائهم بأولادها ..... »<sup>(٨١)</sup> الأمر الذى يجعل من عملية صبط وتحقيق الأنساب فى غاية الأهمية ، لأنها عملية ذات وضع معقد وحساس فى الوقت نفسه ، ومن أهم

مسئوليات نقيب الأشراف<sup>٧٧</sup> ، ويذكر أن الإمام مالك بن أنس أفتى بصرب من يدعى الانتساب إلى آل بيت الرسول ، وأن بشهر وبحس طويلا حتى يظهر توبته «<sup>٧٨</sup>» .

ولقد اهتم الأشراف كثيرا بأنسابهم ، لذا اهتموا بعلم الأنساب ، وقاموا بتأليف العديد من الكتب والرسائل في أسابهم ، وكان نقيب الأشراف في أغلب الأحوال من مهروا في علم النسب ، وإلا استعان بالنسابة من شيوخ الأشراف ممن يتصف بالأمانة والعدم ، ليساعده في المحافظة على حفظ نسب الأشراف ، حتى لقب أكبرهم وأكثرهم بعلم «الأساب بلقب» نسبة الأشراف<sup>٧٩</sup> . ومن هؤلاء النسابة الشريف جعفر بن محمد بن عبد العزيز الإدريسي لغاوى ٦١١١ - ٦٩٦ هـ ١٢١٤م - ١٢٩٧م ) وكان أيضا أديبا ومؤرخا<sup>٨٠</sup> .

ولعل من أشهر نسبة الأشراف في مصر في العصر المملوكي الشريف بدر الدين حسن بن محمد الحسيني المتوفى ع ٨٩٩ هـ / ١٤٠٦م (٨٠) وقد أشار مقرري في المقفى الكبير إلى أنه « استقر نسبة الأشراف بديار مصر دهرًا طويلا »<sup>٨١</sup>

كما أشار في درر العقود إلى أنه ، « ولي نسبة الأشراف رحمه »<sup>٨٢</sup> ، ووصفه ابن حجر بأنه « كان عارفا بأنساب الأشراف كثير بطن في كثير من يدعى لشرف »<sup>٨٣</sup> ويضيف « بل رام الخلافة على اعتباره حسنى واه من سى ليعاس »<sup>٨٤</sup> وبارع نقب الأشراف<sup>٨٥</sup> ، ومن نسبة الأشراف أيضا الشريف حسن بن محمد بن أيوب الإدريسي المتوفى عام ٨٦٦ هـ / ١٤٦٢م<sup>٨٦</sup> .

أما طريقة إثبات النسب ، فكانت لها أصول وقواعد يسير عليها نقيب الأشراف ، فكان يتم عقد مجلس لشيوخ لأشراف برأسه نقيب الأشراف مع النسابة ، ومن يريد إثبات نسبه يتقدم إلى النقيب ويرفق معه المستندات الخاصة به ، ولتى تؤكد نسبه وشهادة من الأشراف المقيمين بالناحية التى يقم به هـ الشخص ، ويقوم نقيب الأشراف بالبحث في دفاتر القاية عن اسم والد أو جد الشخص الذى تقدم لإثبات نسبه ، فإن وجد له أب أو جد يكمله فى هـ الحالة بتقديم شهود عدول على ذلك ، أما فى حالة عدم وجود أب أو جد له فى تلك الدفاتر ، فإن نقب الأشراف يطره بتقديم محضر من الشهود العدول ، يشهدون فيه بأنه شريف أباه عن جد<sup>٨٧</sup> وبه ، على ذلك فإن القاية كانت تصدر محاصر وشهادات بإثبات صحة النسب أو عدمه<sup>٨٨</sup>

وقد انتشرت محاصر إثبات النسب أوفيه ، حيث كان لشريف يحمل معه محضر نسبه

بصفة دائمة كإثبات شخصية ، ومع ذلك فإن هذه المحاضر كان يشكك فى صحتها فى بعض الأحيان<sup>(٨٨)</sup> . ويذكر السخاوى أنه قد رأى هذه المحاضر التى تثبت النسب ، ومحاضر أخرى تنفى النسب<sup>(٨٩)</sup> .

كما كان على نقيب الأشراف إثبات المولودين من أبناء الأشراف فى جريدة - السجل - الأشراف عند ميلادهم . وقد أشار المقرئ إلى أن الشريف الحسن بن قاضى العسكر الأرموى عندما ولد له ولده محمد وعلى « ثبت نسبهما بالجريدة »<sup>(٩٠)</sup> .

وقد اختلف العلماء فى قضية إثبات نسب الشرف هل يكون من أبناء الشريفات أم من أبناء الأشراف ؟ فقد رفض البعض اكتساب الشرف عن طريق الأم ، فى حين أكد كثير من العلماء على صحة نسب أبناء الأمهات ومساواة الإناث والذكور فى النسب ، على اعتبار أن أصل الشرف جاء عن طريق السيدة فاطمة بنت الرسول صلى الله عليه وسلم ، أى تخصيص الشرف بذرية السبطين ليس بشرعى وإنما هو عرفى . وقد كتب فى إثبات النسب عن طريق الأم رسائل وكتب كثيرة<sup>(٩١)</sup> .

ويذكر المرنى بأن « الشرف ثابت لأولاد بنات ذرية السبطين لقربهم من النبى من جهة أمهم لأن الإبن وإن كان لفظه جامدا فمادته التى هى الباء والنون والياء أو الواو وثبتت له تأصيل شىء وتفرع آخر عنه »<sup>(٩٢)</sup> وقد ترتب على إثبات النسب عن طريق الأم أن تسابق بعض الناس وبخاصة الأثرياء إلى الزواج من النساء الشريفات مهما كانت تكاليف هذا الزواج ، الأمر الذى أدى إلى زيادة أعداد الأشراف فى مصر بشكل ملحوظ<sup>(٩٣)</sup> .

وكثيراً ما وقع الاختلاف بين نقيب الأشراف ونسابة الأشراف حول إثبات نسب بعض الأشراف ، من ذلك ما أشادت إليه المصادر التاريخية المعاصرة فى حوادث رجب عام ٧٧٤هـ / يناير ١٣٧٢م إلى أن نسابة الأشراف الشريف بدر الدين حسن الحسنى ت ٨٠٩هـ / ١٤٠٦م ، نقيب الأشراف فخر الدين محمد بأنه « أدخل فى الأشراف من ليس بشريف ثابت النسب ، وقدر فيه بسبب ذلك »<sup>(٩٤)</sup> « ولم رضى به من أخذ الرشوة على إدخال من ليس بثابت النسب جملة الأشراف »<sup>(٩٥)</sup> ، كما يذكر ابن حجر أن « ما أنهاء الشريف بدر الدين حسن النسابة أنه يرتضى ممن ليس بشريف فيلبسه العلامة الخضراء »<sup>(٩٦)</sup> وقد رفع النسابة الأمر للسultan الأشراف شعبان الذى أمر بعزل نقيب الأشراف فخر الدين محمد وتعيين الشريف عاصم بدلا عنه ، كما أمر بعرض الأشراف حتى

يتأكد من صحة نسب الأشراف ، وطلب من الشريف حسن النسابة أن يشهد صحة ما روى به النقيب ، فلما عرض السادة الأشراف على السلطان لم يظهر فيهم من ليس بشريف ولا له نسب ثابت ، ولم يستطع النسابة أن يقدم أى دليل أو بيعة على اتهامه لنقيب الأشراف ، مما جعل السلطان يتغير على الشريف النسابة ، وأمر بإعادة النقيب فخر الدين إلى منصبه مرة ثانية وذلك فى شهر ذى الحجة من نفس العام <sup>(١٧٧)</sup> .

وهذا الحادث جعل السلطان الأشراف شعبان يلزم الأشراف فى مصر والشام بوضع علامة خضراء فى عمامات الرجال وأزر <sup>(١٧٨)</sup> النساء . وقد اعتبر مؤرخو ذلك العصر بأن ذلك تعظيما لقدرهم ، فيذكر ابن تغرى بردى بأن ذلك « إجلالا لحقهم ، وتعظيما لقدرهم ليقابلوا بالقبول والإقبال ويمتازوا عن غيرهم من المسلمين ، فوقع ذلك وليس الأشراف العمامات الخضراء التى هى الآن مستمرة على رؤوسهم » <sup>(١٧٩)</sup> .

ويعلق ابن تغرى بردى على ذلك بقوله : « قلت : وبهذه الفعلة يدل على حسن اعتقاد الملك الأشراف المذكور فى آل بيت النبوة وتعظيمهم لهم ولقد أحدث شئ كان الدهر محتاجا إليه ، ولا أنهم الله تعالى الملوك ذلك من قبله والله در القائل : « كم ترك الأول للآخر » <sup>(١٨٠)</sup> .

ويذكر فى المهمل الصامى « رسم السلطان الأشراف المذكور ، بأن الأشراف بالديار المصرية الشامية ، كلهم يسمون عمامتهم بعلامة خضراء بارزة للخاصة والعامة ، نظرا فى حقهم ، وتعظيمهم ليقابلوا بالتعظيم ، ويمتازوا عن غيرهم .... قلت : وهذا مما يدل على حسن اعتقاد الملك الأشراف هذا رحمه الله - فى آل بيت النبوة وتعظيمهم لهم » <sup>(١٨١)</sup> . كما أشار السخاوى إلى ذلك بقوله : « ميز الأشراف بعلاتم خضر فى عمامتهم تشريفا لهم ليعتزلهم الناس المنازل » <sup>(١٨٢)</sup> وقد اعتبر ابن إياس ذلك بحادثة غريبة فذكر « وفى شهر جمادى الأولى ، وقعت حادثة غريبة ، وهو أن السلطان رسم للسادة الأشراف قاطبة ، الرجال والنساء أن يجعلوا فى عمامتهم شطقات خضر ، ليمتازوا به عن غيرهم » <sup>(١٨٣)</sup> . وسار على سيرهم العديد من الشعراء فى مصر والشام ، مثل ابن جابر الأندلسى :

جعلوا لأبناء الرسول علامة      إن العلامة شأن من لم يشتهر

نور النبوة فى كريم وجوههم      يعنى الشريف عن الطراز الأخضر <sup>(١٨٤)</sup> .

وكذلك قول الشاعر الدمشقي شمس الدين محمد بن إبراهيم المزين :

أطراف تيجان أنت من سدس      خضر كُعلام على الأشراف  
والأشراف السلطان خصمُ بها      شرفاً ليفرقهم عن الأطراف<sup>١١٠</sup>.

وكذلك شهاب الدين حجلة قوله :

لآل رسول الله جاء ورفعته      بها رفعت عنا جميع النواب  
وقد أصبحوا مثل الملوك برنكهم      إذا ما بدوا للباس تحت العصاب<sup>١١١</sup>

كما مدحهم المؤرخ ابن حبيب الحلبي بقوله<sup>١١٢</sup> :

عمائم الأشراف قد تميزت      بخضرة رقت وراقت منظرها  
وهذه إشارة أن لهم      في حمة لخلد لباساً أخضرًا

ولابنه طاهر بن حبيب يمدح بهي زهرة نقباء الأشراف بحلب قوله<sup>١١٣</sup> :

وهذه إشارة لمن يبعي ظهور سيادة      تملكها الزهر الكرام بنو الزهرا  
لئن نصبوا للفخر أعلاما خضرة      فكم رفعوا للمجد ألوية حمرا

كما اتهم السخاوي نقيب الأشراف حسين الملقب بالشاطر المتوفى عام ٨٨٥هـ / ١٤٨٠م<sup>١١٤</sup> بأنه « اشتد تساهله في إدخال الناس في الشرف طمعا في السير فانحط مقداره مع عاميته ونقصه »<sup>١١٥</sup> ، ويؤكد ذلك « وكان مع نقصه متساهلا في الإدخال في الشرف »<sup>١١٦</sup> ومن الأعمال الهامة أيضا التي يقوم بها نقيب الأشراف على الأوقاف الوقوفة على السادة الأشراف ، وقد ذكر الماوردي في أحكامه الواجب الثاني عشر الملقى على عاتق نقيب الأشراف : « مراعاة وقوفهم بحفظ أصولها وتنمية فروعه ، وإذا لم يرد إليه جباتها راعى الحجة لها فيما أخذوه ، وراعى قسمتها إذا قسموه ، وميز المستحقين لها إذا خصت ، وراعى أوصاقهم فيها إذا شرطت حتى لا يخرج منهم مستحق ، ولا يدخل فيها غير محق »<sup>١١٧</sup> . وهو ما حددته وثائق تعيين نقيب الأشراف في العصر المملوكي ، منها « وسمى بتدبيره ريعهم ..... ويضبط أوقافهم ، ويعتمد إنصافهم ، ويشر متحصلاتهم ، ويكثر بالتدبير غلاتهم ، ويأخذ نفسه بمساواتهم في جميع حالاتهم »<sup>١١٨</sup> .

وقد جاء في إحدى وثائق تعيين نقيب الأشراف الأمر له « واصرف اهتمامك إلى حفظ أوقافهم وأملاكهم ومستغلاتهم في سائر الأعمال ، وحطها من العفاء والاضمحلال ، وتوفر على تشجير ارتفاعها ، وتزججة مالها ، واستخدم لضبط حاصلها ، وجهات منفقها ، من تسكن إلى ثقته وتشق بنهضته ، ووزع ما يرتفع من استغلالها بهم على رتبهم التي يشهد بها ديوانهم » (١١٤) .

كما جاء في وثيقة أخرى تطلب من نقيب الأشراف « وليظر في الوقوف على المشاهد والذرية ، نظرا يحمد عليه من يعلمه من البرية ، ويحظيه بالشواب عند مالك المشيه . ويبتدىء بعارة أصولها واستكمال فروعها ، وقسمة مغلها على ما تضمنه شرط الواقفين لها ، وليحتط على النذور ، وينفقها على عاداتها في المصالح والجمهور ، عالما أن الله تعالى سائله عما توخاه في جميع الأمور ، وأنه لا يخفى عليه كل حق مستور ..... » (١١٥) .

وكان الأشراف يأخذون الأموال من الدولة من سهم ذوى القربى ، ثم أوقفت عليهم الأوقاف ، وأشهر الأوقاف التي أوقفت عليهم في مصر ، ما أوقفه الوزير القاطى طلائع بن رزيك المتوفى عام ٥٥٥ هـ / ١١٦١ م ، في عهد الخليفة الفاطى الفائز بعض الأراضى ليصرف ريعها على السادة الأشراف (١١٦) . وشملت الأوقاف التي أوقفها طلائع بن رزيك (١١٧) على الأشراف « بركة الحبش » (١١٨) وبلقس (١١٩) حيث حص الأشراف الحسينيين والحسينيين الموجودين بالقاهرة بستة عشر قيراطا ، وأشرف المدينة المنورة سبعة قرايط وبنى معصوم إمام مشهد الإمام على بالكوفة قيراط واحد . مما جاء في حجة الوقف « فمن ذلك ما يصرف إلى الأشراف المقيمين بالقاهرة المعزية ومصر خاصة دون من بعد عنها وسكن غيرها من الأقارب والطالبيين الحسينيين والحسينيين النصف » (١٢٠) .

كذلك أوقف صلاح الدين الأيوبي على الأشراف قطعة من أرض من ناحية حفص (١٢١) بولاية الدقهلية (١٢٢) .

وكان الأشراف يأخذون رواتب من ديوان الأشراف ، كما كان بعض الأشراف يترك نصيبه . فقد ذكر المقرئى في حوادث عام ٧٣١ هـ / ١٣٣١ م أن الشريف « موق الدين أبو الفتح عيسى بن عبد الرحيم كان لا يتناول نصيبه من ديوان الأشراف » (١٢٣) .

وقد أعفى السلطان المملوكى حسام الدين لاجين أوقاف الأشراف من المكوس المفروضة عليها ، وكانت تبلغ ثلاثين ألف درهم في العام فيذكر المقرئى « ووصع عن أهل بلقس الأشراف ما كان

عليهم من المظالم ، وهو يبلغ ثلاثين ألف درهم فى كل سنة ، وعوض مقطعية بذل ذلك » (١٢٦)

وكان لقاضى القضاة الشافعية الإشراف على أوقاف السادة الأشراف ، فذكر المقرئى فى حوادث جمادى الآخرة « خلع على أبى البقاء بها ، الدين محمد السبكى ، وقوض إليه السلطان قضاء القضاة ، وأضاف إليه نظر وقف الأشراف » (١٢٧) .

كما كان قاضى القضاة الشافعى أن ينبى عنه من يقوم بالإشراف على هذه الأوقاف . فقد أشار المقرئى فى حوادث ذى القعدة عام ٧٨٣هـ / فبراير ١٣٨٢م « فى يوم الخميس رابع عشرينها وفيه استناب قاضى القضاة برهان الدين بن جماعة عنه فى نظر وقف الأشراف الشريف صدر الدين مرتضى بن غياث الدين إبراهيم بن حمزة » (١٢٧) . والذى استمر فى نياحة نظر أوقاف الأشراف حتى شهر ربيع الأول علم ٧٨٥هـ / مايو ١٣٨٣م حيث صرف برغبته ، واستقر عوضه صدر الدين عمر بن رزين أحد نواب الحكم (١٢٨) .

وكان من حق نقيب الأشراف أن يحتفظ بحجج الوقف الخاصة بالسادة الأشراف ولذلك رفض نقيب الأشراف أن يسلم هذه الحجج لنظر وقف الأشراف ، حيث أشارت بعض المصادر التاريخية فى حوادث عام ٧٨٠هـ / ١٣٧٨م إلى أن « لأمير برقون والأمير بركة طلبا من نقيب الأشراف السيد على كتاب وقف ناحية بلقس على الأشراف ليتسلمه الشريف مرتضى صدر الدين مرتضى الذى عين ناظر الأوقاف الأشراف ، ولكن النقيب رفض إعطاءه مما أدى إلى قيام الأميرين بإهانته إهانة بالغة وعزله عن نقابة الأشراف » (١٢٩) .

ويبدو أن نقيب الأشراف جمع بين وظيفتى نقابة الأشراف ونظر وقفهم حيث أشارت المصادر التاريخية المعاصرة فى حوادث شهر شوال عام ٧٨٥هـ / ١٣٨٢م إلى أنه « خلع على نقيب الأشراف السيد جمال الدين عبد الله بن عبد الرحيم الطباطبى ، واستقر فى نظر وقف الأشراف ، عوضا عن قاضى القضاة بدر الدين محمد بن أبى البقاء ، فخرج من حينئذ نظر الإشراف عن القضاة الشافعيين ولم يعد إلى الآن » (١٣٠) .

وقد استمر نقيب الأشراف يجمع بين النقابة ونظر وقف الأشراف حتى وفاة نقيب الأشراف شرف الدين على فى ربيع الأول عام ٨٢١هـ / أبريل عام ١٤١٨م ، إذ أشارت المصادر التاريخية إلى ذلك « وفى ثامن عشرة خلع على الشريف حسن بن الشريف على بن محمد بن على الأرموى بنقابة الأشراف ، عوضا عن والده بعد وفاته ، واستقر الأمير فخر الدين فى نظر وقف الأشراف » (١٣١)

ويبرر المقرئى ذلك « لصغر سن الشريف »<sup>(١٣٣)</sup> وقد ظل نظر وقف الأشراف بيد الأمير فخر الدين بن أبى الفرج حتى وفاته فى شوال عام ٨٢١هـ / أكتوبر عام ١٤١٨م ، فتولى النظر على أوقاف الأشراف ناصر الدين محمد بن البارزى كاتب السر .<sup>(١٣٤)</sup> ثم تولى الأمير ططر ، ثم تولى فى يوم الخميس ١٩ المحرم عام ٨٢٤هـ / يناير عام ١٤٢١م القاضى شرف الدين محمد بن تاج الدين عبد الوهاب بن نصر الله المتوفى عام ٨٣٣هـ / ١٤٩٢م<sup>(١٣٥)</sup> . وقد أشار المقرئى إلى أنه « كلن قد باشر وقف الأشراف بعفة ونهضة ، وأنفق للأشراف فى كل سنة أزيد مما كانت عادتهم »<sup>(١٣٦)</sup> ثم عاد لنقيب الأشراف النظر فى أوقاف الأشراف وذلك فى شهر شوال عام ٨٢٦هـ / ١٤٢٣م حيث « كان على نقيب الأشراف السيد بدر الدين حسن بن الشريف النقيب على ، وأضيفت إليه نظر وقف الأشراف »<sup>(١٣٧)</sup> .

ويبدو أن أوقاف الأشراف قد أسالت لعاب كثير من الطامعين من سلاطين وأمراء المماليك . فقد قاموا بالنشو<sup>(١٣٨)</sup> ناظر الخاص فى عهد الناصر محمد بن قلاوون بالاستيلاء على « بركة الحيش » وصار ينفق على الأشراف من بيت المال ، واستمر ذلك حتى قدم السلطان المملوك أبو بكر بن محمد بن قلاوون بالإفراج عنها وعودتها إلى الأشراف وذلك فى عام ٧٤١هـ / ١٣٤٠م<sup>(١٣٩)</sup> .

كما قدم بعض أنظار أوقاف الأشراف بنهب أموال هذه الأوقاف مثال ذلك ما ذكره المقرئى فى ترجمة فخر الدين ابن أبى الفرج الأرمينى الاستادار الذى كان يتولى نظر وقف الأشراف فى عام ٨٢١هـ / ١٤١٨م « فزاد مبلغ أجرة ناحيتى « بركة الحيش » وبلغت « زيادة كبيرة لنفسه وضيق على الأشراف وتعتت فى صرف ما بأسمائهم ، ومنع جماعة منهم ، فكثرت دعاؤهم عليه ووقع فى الأنفس أنه قد قرب زواله »<sup>(١٤٠)</sup> .

كذلك ذكر البقاعى فى حوادث صفر عام ٨٥٧هـ / ١٤٥٣م « وطلع الأشراف إلى السلطان - المنصور عثمان بن الظاهر جتقم - فشكوا إليه ، أن من الموقوف عليهم بلدا اسمها بلقس وأن الإستاندار كان يستأجرها منهم باليد العادية بمائتى ألف درهم ، ويأخذ منهم ألف ألف<sup>(١٤١)</sup> فقال جانبك الإستاندار<sup>(١٤٢)</sup> : أما فى هذا العام فإنها فى إجارة من كان قبلك ، فنحن نستغلها بتلك الإجارة ، ثم ندفعها إليك ، فحسن ذلك قريبا الدويدار الثانى<sup>(١٤٣)</sup> ومن كان حاضرا ، فلما فرغوا من كلامهم قال الأمير قراجا الخزندار : لم يمنعون حقهم ، وهم آل الرسول صلى الله عليه

وسلم ؟ ادفع إليهم بلدهم . فقال السلطان نعم فدعوا له وانصرفوا »<sup>(١٤٣)</sup> وفي نفس اليوم طلع جانبها الاستادار إلى السلطان . فراجعته في أمر بلقس ، فرسم له في إبقائها معه »<sup>(١٤٤)</sup> . وبضيف البقاعى » ولما صبح عند الأشراف ، أن السلطان رسم لجانبك الإستادار باستمرار يده على بلدهم ، طلعوا يوم الثلاثاء حادى عشر صفر المذكور إلى السلطان ، فشكوا إليه أخذ بلدهم منهم قهرا وظلما ، فلم يجيبهم إلى شىء ، وراجعته من لديه دين وعقل من أخصائه ، فلم يغد شيئا »<sup>(١٤٥)</sup> .

وفي الشهر الذى يليه ربيع الأول ٨٥٧هـ / مارس عام ١٤٥٣م عزل المصور عثمان وتولى الأشراف أينال سلطنة المماليك فرفع الأشراف إليه شكوى في أمر بلدة « بلقس » فانتزعها من الاستادار وردها عليهم<sup>(١٤٦)</sup> كما ذكر ابن الجيعان أن ناحية المشعلية بإقليم الدقهلية وكانت وقف الأشراف وأصبحت ضمن أوقاف السلطان للمملوكي الأشراف أينال (١٤٧) .

كذلك تسلم أوقاف الأشراف من معتدات العرب من ذلك ما ذكره البقاعى في حوادث عام ٨٦٤هـ / ١٤٥٩م من أن بسى حرام<sup>(١٤٨)</sup> من قبائل العرب بإقليم الشرقية قاموا بنهب قرية « بلقس » وقف الأشراف ، جعل نقيب الأشراف يأخذ حصاة من الأشراف وشكوا إلى السلطان أينال العللى « فقال : من فعل ذلك ؟ فقالوا قرية كدا ، وقرية كدا ، وسما له المفسدين ، فلما طال سكوته ، قال الأمير بردك النويدار<sup>(١٤٩)</sup> اذهبوا ، حتى يكشف السلطان عن هذا الأمر فانفصلوا على ذلك »<sup>(١٥٠)</sup> . ومع ذلك فقد ذكر ابن الجيعان أن ناحية العصرية بإقليم البحيرة كانت وقف السادة الأشراف ، ثم أصبحت إقطاع العربان ومن معهم<sup>(١٥١)</sup> .

وفي بعض الحالات أساء بعض نقباء الأشراف مباشرة أوقاف الأشراف وعدم المساواة في نفقات المستحقين للوقف من الأشراف ، الأمر الذى جعل الأشراف يقومون بشكوى نقيب الأشراف إلى السلطان المملوكى قابتباى الذى عقد مجلسا لذلك الأمر ، فقد ذكر ابن الصيرفى في حوادث ٢٦ ربيع الأول عام ٨٧٤هـ / أكتوبر عام ١٤٦٩م « يوم الثلاثاء سادس عشرية عقد مجلس بالقلعة بحضور السلطان بقصة القصة بسبب السيد الشريف نقيب الأشراف وأخيه الذى كان صام المقر الشهابى ابن العسى ، فإن الأشراف شكوا سهمها أخريا البلاد ، وكان استعص عن الشريف المذكور من نقابة الاشراف واستقرار الشريف بور الدين على الكردى صاحب السلطان نصره الله ، فسمى الشريف المقدم ذكره عند السلطان بالأمير برقوق وغيره حتى عقد لهما هذا

المجلس، وغضب السلطان — نصره الله — من نقيب الأشراف وحط عليه ونقم عليه سوء مباشرته في بلاد الوقف وعدم التساوى بين المستحقين في النفقة، ونسب ذلك إلى صنيع أخيه، وأساء عليه بلفظ: « يا شيطان أنت نحس » فصار يرعد ويقول: « السلطان يعرفني »، وخرجت أخلاق السلطان وعنف الشريف نقيب الأشراف ووبخه، فكان جوابه: « يا مولانا السلطان، أأ أتوب إلى الله فاستغفر الله »<sup>(١٥٣)</sup>.

ويضيف ابن الصيرفي « وافصل المجلس على لأن يعمل حساب الوقف بحصور نواب قضاة القضاة من كل مذهب نثب، ويعملون ما يقتضيه الشرع، وأن يكون السيد الكردي ناظرا على البلاد والمال والمصرف، ونقيب الأشراف يصل إليه معلومه ولا يتكلم في شئ، وهذا مع جوار السلطان لنقيب الأشراف عدة سنين واتحاده بصحبته »<sup>(١٥٤)</sup>.

يذكر ابن الصيرفي أيضا « وسأل السلطان - قايتبي - عن متحصل الأشراف فقبل له ثمانية آلاف دينار، فقال: « كم تصرفوا للأشراف؟ فقبل له. النصف من ذلك وسأل عن المتأخر فذكر المباشرون أن عدتهم عشرون نفرا فرسم باستقرار أربعة وإبطال ما عداهم، وأن يضاف المتأخر ويصرف على الأشراف بالسوية »<sup>(١٥٥)</sup>.

ثم خلع في يوم الخميس ٢٨ ربيع الأول على نقيب الأشراف واستقر كهادته، وخلع على السيد الشريف علاء الدين الكردي واستقر ناظر الأشراف<sup>(١٥٦)</sup>.

كما يذكر عبد الباسط بن خليل في حوادث عام ٨٨٩هـ / ١٤٨٤م « وفيه عقد مجلس بسبب وقف يتعلق بجماعة من الأشراف، منهم السيد إبراهيم الذي كان كاتب السر بدمشق، وخطق السلطان على السيد هذا ووقع منه هو أيضا كلمات، وانفض المجلس لا على طائل »<sup>(١٥٧)</sup>.

وقد حاول السلطان المملوكي قصوره العوزي الاستيلاء على أوقاف الأشراف من ذلك ما ذكره ابن إياس في حوادث صفر عام ٩١٨هـ / أبريل عام ١٥١٢م « وفي يوم الأحد تاسع عشرينه رسم السلطان بعرض السادة الأشراف، وسبب ذلك أن السلطان قصد أن يخرج عنهم شيئا من الجهات الموقوفة عليهم مثل « بركة الخيش » و« بقلص » وغير ذلك من الجهات، وكان القائم في مراجعتهم الشريف بن مصحح دلال الأملاك، فالتزم بأن يوفر للسلطان من هذه الجهات في كل سنة عشرة آلاف دينار، فرسم السلطان بعقد مجلس بالقضاة الأربعة بسبب الأشراف وقد طعنوا في أنساب

جماعة منهم» <sup>(١٤٨)</sup> . وقد علق ابن إياس على ذلك بقوله : « وهذه من حملة الوقائع الفاحشة فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم » <sup>(١٤٩)</sup> .

ومن مهام نقيب الأشراف عدم ترويح الشريقات من العوام وقد أوردها الماوردي « أن يمنع أيامهم أن يتزوجن إلا من الأكفاء - لشرفهن على سائر النساء - صيانة لأنسابهن وتعظيما لحرمتهن أن يتزوجهن غير الولاة أو ينكحهن غير الأكفاء » <sup>(١٥٠)</sup> .

وأكدت على ذلك كثير من عهود تولية نقباء الأشراف « وأن تحصن الفروج عن مناكحة من ليس لها كفؤا ، ولا مشاركتها في شرفها وفخرها ، حتى لا يطمع في المرأة الحسبية النسبية إلا من كان مثلاً لها مساوياً ، ونظيراً موازياً ، فقد قال الله تعالى « إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا » <sup>(١٥١)</sup> . كما ورد في سجل تعيين نقيب الأشراف « واحتط في أمر المناكح رصنها عن العوام » <sup>(١٥٢)</sup> .

فضلا عن ذلك فقد جاء في الوصية التي كان يوصي بها نقيب الأشراف أن « يجمع من اتصال أهم الأسرة إلى عامي ، ولا يسمح أن يعقد عليها عقد إلا لكف ملى ليرا هذا المحدث الشريف من التكدير ، ولا تزيفه شوائب التفتير » <sup>(١٥٣)</sup> .

ويبدو أن رغبة كثير من الناس في الزواج من إحدى الشريقات رغبة في انتساب أبائهم إلى هذا الشرف مع قوة الرأي الذي يتيح الانتساب إلى الأشراف عن طريق الأم . من ذلك ما ذكره السخاوي في التحفة اللطيفة في ترجمة محمد بن فرحون المالكي صاحب كتاب الديباج المذهب في طبقات المالكية من أن أباه نزل المدينة المنورة فأشار عليه بعض علمائها أن يتزوج فامتنع « فلم يزال به حتى زوجه أكبر بنات الشريف عبد الواحد الحسين الأربع ، الثابت النسبة بالقاهرة ، ليتعاطى من وقف « بلفيس » الموقوف على الشرفاء . بل لما حج نقيب الأشراف أوقفته على ذلك الثبوت ، فصار يصرف لابنته مباركة حتى ماتت . وكان في تزوج أبي بالشريفة البر التام بنا ، إذ ألحقا بنسب النبي صلى الله عليه وسلم ، وسيرنا من ذريته إجماعا ، وشرقا . عند أكثر العلماء . كما أفتى به ناصر الدين المشدالي ، وغيره ممن همة مثله في العلم » <sup>(١٥٤)</sup> .

ومع ذلك فإن وجهة نظر بعض المعاصرين عدم الزواج من الشريقات إلا إذا التزم لها بعدة آداب، فقد ذكر الشعراني في حملة الأدب مع الشرفاء « لا نتزوج شريفة إلا أن كان أحدنا يعرف من نفسه القدرة على القيام بواجب حقها وأن يعمل على رضاها فلا يتزوج عليها ولا يتسرى

ولا يقتدر عليها في المأكل والملبس دون قدرتنا ونقول أن جدك رسول الله صلى عليه وسلم اختار ذلك (وكذلك) لاثمنها شهوة مباحة سألتنا فيها ونقدم لها نعلها إذا قامت واحتاجت ويقوم لها إذا وردت علينا لأثمنها بضعة من رسول الله صلى الله عليه وسلم»<sup>(١٧٤)</sup> وللأسف فإن المصادر التاريخية لم تسعفنا في الوقوف على حالة واحدة لمنع زواج امرأة شريفة وأى رجل من حارج الأشراف مهما كان هذا الرجل بل سنجد تكالب بعض الرجال للزواج من شريفة حتى ينتسب أولاده إلى هذا البيت هذا الشرف .

كما كان على نقيب الأشراف أن يعود مرضاهم ، وعشى في جنازتهم ، ويسعى في حوائجهم ، ويأخذ على يد المتعدي منهم ، ويمنعه من الاعتجاء ، ولا يقطع أمراً من الأمور المتعلقة بهم إلا بموافقة مشايخهم ونحو ذلك<sup>(١٧٥)</sup>.

كما لعب نقباء الأشراف دوراً هاماً في الحياة العلمية إذ كان معظم نقباء الأشراف من العلماء . كما كانت لهم مشاركات في الحياة العلمية في العصر المملوكي ، ومن الجدير بالملاحظة أن كل نقباء الأشراف في مصر زمر الأيوبيين والمماليك أهل سنة على المذهب الشافعي ، بل كانوا من علماء هذا المذهب ، ورشح بعضهم لتولي أعلى مناصب المذهب الشافعي وهي وظيفة « قاضي القضاة الشافعية » من هؤلاء : نقيب الأشراف محمد المعروف بقاضي العسكر المتوفى عام ٦٥٠هـ / ١٢٥٢م كان يتولى التدريس بالمدرسة الناصرية صلاح الدين الأيوبي - المجاورة لجامع عمرو بن العاص بالقسطاط ، والمعروفة بمدرسة ابن زين التجار ، وبسبب شهرته عرفت هذه المدرسة به وقبل لها « المدرسة الشريفة » وهي مدرسة للفقهاء الشافعية<sup>(١٧٦)</sup> كما درس أيضا بالمدرسة الشريفة التي بناها الشريف اسماعيل بن ثعلب الجعفرى بالقاهرة<sup>(١٧٧)</sup> وله من المؤلفات العلمية كتاب « شرح فرائض الوسيط للغزالي » وكتاب شرح المحصول للفخر الرازي<sup>(١٧٨)</sup>.

ونخب نقيب الأشراف الشريف أحمد المعروف بابن الحلبي المتوفى ٦٩٥هـ / ١٢٩٥م . في علم الحديث حتى لقب بالحافظ وهو أعلى مراتب علماء الحديث ، وله من التصانيف « الأربعين البلدانية في الحديث » وله « وفيات الشيوخ » ذيل به على كتاب شحه الحافظ عبد العظيم المذرى « تكملة وفيات النقلة » وهو من عيون التاريخ<sup>(١٧٩)</sup>.

كما تولى نقيب الأشراف شرف الدين على المتوفى عام ٧٥٧هـ / ١٣٥٣م التدريس بمشهد الحسين بالقاهرة<sup>(١٨٠)</sup> وبالمدرسة الفخرية والمدرسة الطيبرسية المجاورة للجامع الأزهر<sup>(١٨١)</sup> ويذكر ابن

قاضى شهية بأنه «اشتغل بالفقه والأصول والعربية وأفتى ودرس»<sup>(١٧٧)</sup> توضيح الحارثي «(١٧٨)»  
«شرح المعالم فى أصول الفقه»<sup>(١٧٩)</sup>.

وكان بعض نقباء الأشراف على درجة عالية من العلم فقد كان الشريف صدر الدين مرتضى  
نقيب الأشراف «فصيحا بالألمن العربية والعجمية والتركية»<sup>(١٨٠)</sup>.

وبالإضافة إلى ذلك فقد تولى بعض نقباء الأشراف فى مصر فى العصر المملوكى العديد من  
الوظائف الادارية والمالية والقضائية والعلمية.

ومن هذه الوظائف وظيفة «الحسبة» والتي انقسمت فى مصر زمن المماليك إلى حسبة القاهرة  
ولصاحبها نواب بالوجه البحرى ، وحسبة مصر - الفسطاط ولصاحبها نواب بالوجه القبلى ، وحسبة  
الاسكندرية على المدينة وما حولها .

وقد تولى نقيب الأشراف شرف الدين على المتوفى عام ٧٥٧هـ / ١٣٥٣ م حسبة القاهرة فى  
التفرة من رجب عام ٧٣٨هـ / فبراير عام ١٣٣٨ م إلى عام ٧٤٢هـ / ١٣٣٧-١٤٣١م<sup>(١٨١)</sup>.

كذلك تولى نقيب الأشراف عاصم بن محمد الحسى «حسبة مصر» وذلك فى شوال عام  
٧٧٨هـ / ١٣٧٦م وعزل فى ربيع الأول عام ٧٨٠هـ / ١٣٧٨م<sup>(١٨٢)</sup>.

وتولى نقيب الأشراف الشريف على «حسبة مصر» فى ربيع الأول عام ٧٨٢هـ / ١٣٨٠ م  
عوضا عن سراج الدين عمر العجمى ، وعزل فى ٢٧ جمادى الآخرة من نفس السنة (١٧٩) .

كما تولى بعض نقباء وظيفة «قضاء العسكر»<sup>(١٨٣)</sup> مثل نقيب الأشراف محمد بن الحسين  
الأرموى المتوفى عام ٦٥٠هـ / ١٢٥٢م الذى تولى «قضاء العسكر» والتي أصبحت لقب له  
ولأبنائه وأحفاده الذين عرفوا بـ «ابن قاضى العسكر»<sup>(١٨٤)</sup>.

كذلك تولى بعض نقباء الأشراف وظيفة «نباة دار العدل» وقد تولاه نقيب الأشراف محمد  
بن الحسين الأركوى عام ٦٥٠هـ / ١٢٥٢م للملك الكامل الأيوبى ثم لأبنته الملك الصالح نجم الدين  
أيوب واستمر يتولاها حتى وفاته عام ٦٥٠هـ / ١٢٥٢م .

ومن الوظائف التى تولاه بعض نقباء الأشراف وظيفة «نظر البيمارستان المنصورى» ، وهذه  
الوظيفة من أحل الوظائف وأعلاها ، ويتولى النظر فيه عادة من العسكريين من أكبر الأمراء  
بالديار المصرية ، تولى هذه الوظيفة نقيب الأشراف فخر الدين أحمد<sup>(١٨٥)</sup> .

ومن الوظائف الدينية التى تولاها بعض نقباء الأشراف «مشيخة الشيوخ»<sup>(١٨٧١)</sup>، حيث تولى هذه الوظيفة نقيب الأشراف فخر الدين أحمد وذلك فى ١٩ شوال عام ٧٩٤هـ / أغسطس ١٣٩٢م<sup>(١٨٤٤)</sup>، واستمر بها حتى وفاته فى ذى القعدة عام ٨٠١هـ / يوليو عام ١٣٩٨م<sup>(١٨٨١)</sup>.

أما عن دور نقباء الأشراف فى المناسبات العامة فقد شارك نقيب الأشراف ومعه الأشراف فى بعض المناسبات السياسية والاجتماعية. مثال ذلك ما حدث فى يوم الثلاثاء ١٤ صفر عام ٧٩٢هـ / نوفمبر عام ١٢٨٩م بعد عودة السلطان الظاهر برقوق للسلطنة للمرة الثانية بدلا من «الناصر الحجى» فخرج إلى لقائه الأشراف مع السيد على نقيب الأشراف، وخرجت طوائف الفقراء بصناجقها، والعساكر بلبوسها الحربية وذلك فى خارج القاهرة بالريديانية<sup>(١٨٨٦)</sup>.

وشارك نقيب الأشراف والسادة الأشراف فى حوادث عام ٨٣٣هـ / ١٤٢٩م حيث تعرضت مصر لوباء من أشد الأوبئة، واحتلفت هذه عن بقية الأوبئة السابقة له إذ وقع فى فصل الشتاء، وعامة الأوبئة تقع فى فصل الربيع - فترة الخمسين- وكان هذا الوباء من الشدة حتى أطلق عليه ابن تغرى بردى «الغلاء العظيم»<sup>(١٨٧١)</sup> وأطلق عليه ابن إياس «الفصل الكبير»<sup>(١٨٨١)</sup>.

وقد قام الشريف أحمد بن عبدان كاتب السر بالديار المصرية ونقيب السادة الأشراف بنبابة دمشق بجمع أربعين شريفا اسم كل واحد منهم محمد، وانفق فيهم خمسة آلاف درهم من ماله الخاص، وأجلسهم بالجامع الأزهر بعد صلاة الجمعة يقرأون ما تيسر من القرآن الكريم، وقد غص الجامع بالناس، ثم أخذ هؤلاء الأربعين فى الدعاء والناس تؤمن على دعائهم، ثم صعدوا إلى سطح الجامع الأزهر، وأذنوا جميعا لصلاة العصر، ثم انفضوا، وقد أشار بذلك بعض العجم من المشرق الإسلامى، وأنه حدث عندهم وباء وقعلوا ذلك فارتفع عقيب ذلك<sup>(١٨٨٦)</sup> ويعلق ابن الصيرفى على ذلك بقوله: «وكل ذلك ببركة النبى صلى الله عليه وسلم، وبركة اسمه، وبركة ذريته»<sup>(١٩٠١)</sup>.

وساهم نقباء الأشراف فى مصر بالعديد من المنشآت العمرانية كبناء المدارس من ذلك ما أشارت إليه المصادر التاريخية المعاصرة إلى أن نقيب الأشراف الشريف شمس الدين محمد بن الحسين الأرموى ابن قاضى العسكر المتوفى عام ٧٦٣هـ / ١٣٦١م جعل منزله المرحوم بحارة بها، الدين مدرسة عرفت باسم المدرسة الشريفة<sup>(١٩١١)</sup>، ويذكر ابن قاضى شعبة «وكان عند موته قد جعل داره بحارة بها، الدين مدرسة للشافعية»<sup>(١٩٢٢)</sup> وقام بعض نقباء الأشراف ببعض الأعمال

التعبيرية في القاهرة ، ففى عام ٨٤٤هـ / ١٤٤٠م قام نقيب الأشراف السيد بدر الدين حسين بن الفراء بتحديد بعض المساجد والمشاهد منها مشهد السيدة رقية <sup>(١٩٣)</sup> بالقرب من مشهد السيدة نفيسة <sup>(١٩٤)</sup> وكان قد اتخذ بعض الناس سكناً ، وتعطلت زيارته مدة سنين فجدده <sup>(١٩٥)</sup> ، وجدد جامع الفاكهيين <sup>(١٩٦)</sup> وجامع الفخر <sup>(١٩٧)</sup> وجامع الصارم <sup>(١٩٨)</sup> .

ويتضح لنا مما سبق أن نقابة الأشراف هي أول تنظيم اجتماعى يرتبط بصلة الدم فى الحضارة الاسلامية . وأنها بدأت فى مصر منتصف القرن الثالث الهجرى واستمرت حت الآن . كما نلاحظ أن الفرع الحسنى هم أول من تولى نقابة الأشراف فى مصر زمن الطولونيين والإخشيديين وبداية عهد الفاطميين حيث تحولت إلى الفرع الحسينى واستمر ذلك الفرع يتولى نقابة الأشراف زمن الأيوبيين والمماليك إلا فى فترات قصيرة تولاها نقباء من الفرع الحسنى . كما ساد منصب نقيب الأشراف فى معظم الأحيان مبدأ الوراثه .

كذلك تعددت الواجبات الملقاة على عاتق نقيب الأشراف من حفظ النسب ، والإشراف على أوقاف الأشراف ، والعمل على ترويع الشرفيات من بكنتهم ، بالإضافة إلى واجبات أخرى .

### قائمة بأسماء نقيب الأشراف فى مصر زمن سلاطين المماليك

١- محمد بن الحسين بن محمد ، شمس الدين الأرموى الشافعى الحسينى ، المعروف بقاضى العسكر.

ولد عام ٥٧٨هـ وتولى نقابة الأشراف عام ٦٣٥هـ حتى وفاته عام ٦٥٠هـ <sup>(١٩٩)</sup>

٢- على بن الحسين الأرموى الأصل المصرى المولد والدار أخو الأول

مولده : عام ٦٠٣هـ ، وتولى النقابة عام ٦٥٠-٦٦٤هـ <sup>(٢٠٠)</sup>

٣- شهاب الدين الحسين بن محمد الأرموى الحسينى ابن قاضى العسكر

٤- أحمد بن محمد بن عبد الرحمن بن على بن محمد الحسينى المعروف بابن الحبى مولده عام ٦٣٦هـ وتوفى عام ٦٩٥هـ وتاريخ تولية النقابة غير معروف <sup>(٢٠١)</sup> .

٥- شمس الدين محمد بن شهاب الدين الحسين بن شمس الدين محمد المعروف بابن قاضى

العسكر . مولده عام ٦٧٦هـ وتولى النقابة عام ٦٩٥هـ عز الدين أحمد بن محمد ابن الحلبي إلى عام ٧٠٤هـ حيث قتل بدمشق وابن الثالث وحفيد الأول<sup>(١٢٠٦)</sup> .

٦- بدر الدين الحسن بن عز الدين أحمد بن محمد الحسيني المعروف بابن الحلبي ابن الخامس مولده عام ٦٧٦هـ<sup>(١٢٠٧)</sup> ابن الرابع . تولى النقابة عام ٧٠٤هـ حتى عام ٧٤١هـ وتوفي عام ٧٤٣هـ<sup>(١٢٠٨)</sup> .

٧- شرف الدين علي بن الحسين بن محمد بن الحسين الحسيني الشافعي المعروف بابن قاضي العسكر ابن الثالث وحفيد الأول وأخو الخامس . ولد عام ٦٩١هـ وتولى النقابة يوم الأحد ١١ رجب عام ٧٤١هـ وحتى وفاته عام ٧٥٧هـ<sup>(١٢٠٩)</sup> .

٨- شهاب الدين الحسين بن محمد بن الحسين الحسيني الشافعي المعروف بابن قاضي العسكر ويشتهر بأبي الركب بضم الراء وفتح الكاف- ولد عام ٦٩٨هـ وتولى النقابة عام ٧٥٧هـ حتى وفاته عام ٧٦٢هـ<sup>(١٢١٠)</sup> .

٩- شمس الدين محمد بن شهاب الدين الحسين الحسيني ابن قاضي العسكر ويعرف والده بأبي الركب وتولى النقابة . ٧٦٢هـ - ٧٦٣هـ<sup>(١٢١١)</sup> .

١٠- فخر الدين محمد بن علي بن الحسين ابن قاض العسكر (الأولي) تولى النقابة عام ٧٦٣هـ وعزل في شوال ٧٧٤هـ<sup>(١٢١٢)</sup> .

١١- الشريف عاصم تولى النقابة في ١٩ شوال ٧٧٤هـ عزل في ٢٠ ذو الحجة عام ٧٧٤هـ<sup>(١٢١٣)</sup> .

١٢- فخر الدين محمد بن علي ابن قاض العسكر (الثانية)

تولى النقابة للمرة الثانية في ٢٠ ذو الحجة عام ٧٧٤هـ واستمر حتى وفاته في أول رجب عام ٧٧٨هـ<sup>(١٢١٤)</sup> .

١٣- شرف الدين علي بن فخر الدين محمد (الأولي) تولى النقابة في يوم الاثنين ثالث شهر رجب عام ٧٧٨هـ<sup>(١٢١٥)</sup> عزل في أول ربيع الآخر عام ٧٨٠هـ<sup>(١٢١٦)</sup> .

١٤- الشريف عاصم (الثانية) تولى النقابة في ١٧ ربيع الآخر عام ٧٨٠هـ<sup>(١٢١٧)</sup> واستمر حتى وفاته عاشر المحرم عام ٧٨٢هـ<sup>(١٢١٨)</sup> .

١٥- شرف الدين على بن فخر الدين محمد (الثانية) تولى النقابة للمرة الثانية فى ١٠ المحرم عام ٧٨٢هـ<sup>(١٢١٦)</sup> وعزل فى ذو القعدة عام ٧٨٣هـ<sup>(١٢١٧)</sup>

١٦- جمال الدين عبدالله بن عبد الكافى الطباطبائى (الأولى) تولى النقابة فى ٢٢ ذو القعدة عام ٧٨٣هـ<sup>(١٢١٨)</sup> وعزل فى جمادى الآخرة عام ٧٩١هـ<sup>(١٢١٩)</sup>

١٧- شرف الدين على بن فخر الدين محمد (الثالثة) تولى النقابة فى ٢٦ جمادى الآخرة عام ٧٩١هـ<sup>(١٢٢١)</sup> وعزل فى ١٩ صفر عام ٧٩٢هـ<sup>(١٢٢٢)</sup>

١٨- جمال الدين عبدالله بن عبد الرحيم الطباطبائى (الثانية) تولى النقابة فى ١٩ صفر عام ٧٩٢هـ<sup>(١٢٢٣)</sup> حتى وفاته فى ذو القعدة عام ٨٠٠هـ / ١٣٩٨م<sup>(١٢٢٤)</sup>

١٩- شرف الدين على بن فخر الدين محمد (الرابعة) وتولى النقابة فى ١٥ ذو القعدة ٨٠٠هـ / ١٣٩٨م<sup>(١٢٢٥)</sup> ويستمر حتى وفاته فى ١٩ ربيع الأول عام ٨٢١هـ / ١٤١٨م<sup>(١٢٢٦)</sup>.

٢٠- بدر الدين حسن بن على ابن قاضى العسكر

تولى النقابة بعد والده فى ١٩ ربيع الأول عام ٨٢١هـ / ١٤١٨م<sup>(١٢٢٦)</sup> وعزل فى جمادى الآخرة عام ٨٤٤هـ / ١٤٤١م<sup>(١٢٢٧)</sup> وتوفى فى يوم الاثنين ٦ صفر ٨٥٣هـ / ١٤٤٩م<sup>(١٢٢٨)</sup>.

٢١- بدر الدين حسين بن أبى بكر بن حسن الحسينى ويلقب بالشاطر ويقال له ابن الفراء تولى النقابة فى يوم الخميس ٧ جمادى الآخرة عام ٨٤٤هـ / ١٤٤٠م ، وتوفى فى شوال عام ٨٨٥هـ / ١٤٨٠م<sup>(١٢٢٩)</sup>

٢٢- محمد بن حسن الحسينى خازن الشريخاناه تولى النقابة عام ٨٨٥هـ / ١٤٨٠م بعد حسين بن أبى بكر ، وتوفى عام ٨٩٥هـ / ١٤٩٠م<sup>(١٢٣٠)</sup>

٢٣- أبو المحاسن حسن بن محمد بن حسن كان موجودا عام ٩٠٦هـ / ١٥٠٠م<sup>(١٢٣١)</sup>

٢٤- أبو عبدالله محمد الطنيدى الحسينى كان موجود فى الفترة من ٩٠٩هـ / ١٥٠٣م<sup>(١٢٣٢)</sup>.

## الهوامش

- (١) ابن منظور : لسان العرب ، دار صادر ، بيروت ١٩٩٢ ج ١ ، ص ٧٧٠ مادة (نقب) : الزبيدي - تاح العروس ج ١ ، ص ٩٨٣ : القبوص : المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للراغبى ، المكتبة العلمية ، بيروت ، ج ٢ ص ٦٢٠ : ابن فارس : مقاييس اللغة ، تحقيق عبد السلام هارون ، ٦ أجزاء ، اتحاد الكتاب العرب ١٤٢٣هـ ، ج ٥ ، ص ٣٧٤ : ابن الأثير : النهاية في غريب الأثر ، تحقيق الطاهر أحمد الزاوى ومحمود محمد الطحاضى ، بيروت ، ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م ، ج ٥ ، ص ٢١٣ .
- (٢) الأزهر : تهذيب اللغة ، ج ٢ ، ص ٢٤٠ .
- (٣) الطاهر أحمد الزاوى : ترتيب القاموس المحيط على طريقة المصباح المنير وأساس البلاغة ، ط ٢ ، القاهرة ١٩٧٣ ، ج ٤ ، ص ٤٢١ .
- (٤) أحمد بن يوسف المعروف بالسيد الحلي : الدر المنصور في علوم الكتاب المكنون ، تحقيق أحمد محمد الخراط ، دار القلم ، دمشق ، ١٩٨٧ ، ج ٤ ، ص ٢٢٠ .
- (٥) ابن هشام . السيرة النبوية ، تحقيق محمد بهى السرجسي ، المكتبة الوفقية (د.ت) ، ج ٢ ، ص ٢٩ .
- (٦) ابن منظور : لسان العرب ، ج ٩ ، ص ١٦٩-١٧٥ ، مادة «شرف» . البلاذري . أنساب الأشراف ، تحقيق محمد حميد الله ، الطبعة الثالثة ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٨٧ ، المقدمة ، ص ٢٠ .
- (٧) الفلقشدي : قلائد الجمان في التعريف بقبائل عرب الزمان ، تحقيق إبراهيم الأبياري ، الطبعة الثانية ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م ، ص ١٥٦-١٦٦ .
- (٨) حقوق آل البيت بين السنة والبدعة ، دراسة وتحقيق عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية ، بيروت (د ت) ، ص ٥ .
- (٩) محمد قلجعى . معجم لغة الفقهاء . دار العائش للطباعة والنشر ، الطبعة الثانية ، بيروت ، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م ، ج ١ ص ٤٨٧ .
- (١٠) السيوطي : الحاوى للفتاوى وطبعة المنيرية ، دمشق ١٣٥٢هـ ، ج ٢ ص ٣٢ .
- (١١) صبح الأعشى ، ج ١١ ، ص ١٦٢ .
- (١٢) صبح الأعشى ، ج ٤ ، ص ٣٧ .
- (١٣) أيو الفدا : المختصر في أخبار البشر ، ص ٩٠٩ .

(١٤) ابن أبيك الصمدى - أعيان العصر وأعراس البصر ، ج ١ ، ص ٥ .

(١٥) رضوان محمد الجنائى : طبقة الأشراف فى مصر منذ فجر الاسلام حتى نهاية الدولة العاطية ، رسالة دكتوراه غير منشورة ، كلية الآداب - جامعة المنيا ، ١٩٨٦ ، ص ٢٦ .

(١٦) ابن عتبة الحسى : عمدة الطالب فى أنساب آل طالب ، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة ، د . ت ، ص ٢١٥ .

(١٧) الهمدانى : تكملة تاريخ الطبرى ، ص ٩٢ المسعودى : مروج الذهب ، ج ٤ ، ص ١٥٠-١٥١ : ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، ج ٨ ، ص ١٠٤ ابن كثير : البداية والنهاية ، ج ١١ ، ص ٨ ، ١٣ ، ٣٤٢ ، ٥ ، ج ١٢ ، ص ١٩٠ ابن تغرى بردى : الجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة ، ج ٤ ، ص ٥٦-٥٧ ، ١٥٧ ، ٢١٠ ، ٢٢ ، ج ٥ ، ص ٢١٧ وانظر أيضاً أحمد عبد الرازق : الحضارة الاسلامية فى المصور الوسطى ، دار الفكر العربى ، القاهرة ، ١٩٩٠م ، ص ٢٤٨ .

(١٨) رضوان الجنائى : طبقة الأشراف ، ص ٢٦١-٢٦٢ .

(١٩) كثرة ثورات العلويين ضد العباسيين خلال القرنين الثانى والثالث الهجرى . وقد توافد على مصر كثير من العلويين لى ، وأصبحت مصر أهم مركز لهم يحتضرون فيه واتخذوا طريقاً إلى بلاد المغرب ، وساعدهم فى ذلك العاطفة المباشرة فى نفوس أهل مصر بحوهم وحسبهم لآل ابيست . مما جعل العباسيين ينظرون إليهم بعينين واستعج ، لذا أمر الخليفة العباسى لىسوكل على الله تعالى عهده الشنصر بأمر والى مصر اسحق يحيى بإخراج الطالبين من مصر إلى العراق وذلك فى رجب عام ٢٢٦هـ / ٨٥١م انظر : . الكندى . ولاية مصر وقضائتها ، ص ٢٢٤ : محسن محمد حسن سليم ، « ثورات العلويين فى مصر عصر الولاة مجلة كلية الدراسات الاسلامية ، جامعة الأزهر ، العدد السابع ، ١٩٨٩ ، ص ١٨٥-٢٢٩

(٢٠) طباطبا : هو إبراهيم بن إسماعيل بن إبراهيم بن الحسن بن على أبى طالب ، ولقب بذلك لآل أباء أراد أن يقطع له ثوباً وهو طفل فخيرته بين قميص وقبا ، فقال : طبا طبا يعنى قبا ، ولقبوه بذلك أما ابن خلكان فيذكر أنه كان يثلث فيجعل القاف طاً ، ويذكر ابن تغرى بردى أنه سمي « طباطبا » لآل أمه ترقصه وتقول طباطبا - يعنى تم سم انظر - ابن خلكان : وفیات الأعيان وأنبأ - الرمان ، تحقيق احسان عباس ، دار صادر ، بيروت ، ١٩٦٨ ، ج ١ ، ص ١٣٠ ، ابن حجر : نزهة الألباب فى الألقاب ، ص ١٩٦ : الحسى : عمدة الطالب ، ص ١٣٦ : ابن تغرى بردى . الجوم الزاهرة ، ج ٣ ، ص ٢١٩ .

(٢١) موفق الدين بن عثمان . مرشد الزوار إلى قبور الأولياء . الدار المصرية للكتاب القاهرة ، ١٩٩٥ ، ج ١ ، ص ٢٥ : ليموى : سيرة أحمد بن طولون . تحقيق محمد كرد على ، الهيئة العامة لقصور الثقافة ، سلسلة الدحائر ، القاهرة ١٩٩٩ ، رقم ٥٥ ، ص ١٩٩ .

(٢٢) ابن زولاقي : فضائل مصر وأخبارها وحواصها ، تحقيق على محمد عمر ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٩٩ ، ص ٤٤ . - لاحظ أن الموقع الرسمي لقناة الأشراف بمصر يذكر أن الخليفة المعز لدين الله هو أول نقيب للأشراف في مصر أنظر . [www.Niqabat-alashraf.org](http://www.Niqabat-alashraf.org)

(٢٣) مشاهد الصفا في المدفونين بمصر من آل المصطفى ، تحقيق على عمر ، مكتبة الثقافة الدينية ، الطبعة الأولى ، القاهرة ، ١٤٢٢هـ / ٢٠٠٢م ، ص ٥٢ .

(٢٤) ابن زولاقي . فضائل مصر ، ص ٤٤ ، محمد بن اسماعيل بن القاسم بن إبراهيم طباطبا بن إسماعيل بن إبراهيم بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب المحسى توفي بمصر عام ١٥هـ / ٩٢٧م أنظر . ابن عساکر : تاريخ دمشق ، ج ٥٢ ، ص ١٠٢-١٠٣ ، رقم ١٠٩٤٣ ؛ ابن مطر : مختصر تاريخ دمشق ، ج ١ ص ٢٩٥٢ ؛ الذهبي ، تاريخ الإسلام ؛ حوادث عام ١٥هـ .

(٢٥) إسماعيل بن محمد بن إسماعيل بن القاسم الرسي

(٢٦) المقرئ : المقرئ الكبير ، ج ٢ ص ١١-١٢ ، رقم ٧٦٢ .

(٢٧) أحمد بن محمد بن إسماعيل بن إبراهيم طباطبا . وكان من شعراء مصر في القرن الرابع الهجري . انظر : ابن زولاقي : فضائل مصر ، ص ٤٤ ، الثعالبي . نعمة بلذهر ، ج ١ ، ص ٣٢٨ ؛ ابن سعيد الأندلسي : المغرب في حلى المغرب ، اثر : لأول محقق ركي محمد حسن وآخرون ، مطبعة جامعة فؤاد الأول ، القاهرة ، ١٩٥٣ ، ص ٢٠٢ - ٢٠٣ ؛ ابن خلكان : وفيات الأعيان ، ج ١ ص ٣٦ ؛ السيوطي : حسن المحاضرة ، ج ١ ، ص ٥٥٩ ، حاجي خليفة : كشف الظنون ، ج ٢ ؛ ١١٨١ ؛ البغدادي : هدية العارفين ، ج ١ ، ص ٣٣ ؛ سيدة اسماعيل كاشف : مصر في عصر الاخشيديين ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٨٩ ، ص ٢٣٣ ؛ محمد عبد المنعم خفاجي ومحمد مصطفى الماخي : شعراء مصر من الفتح الاسلامي إلى قيام الدولة الفاطمية ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٨٠ ، ص ١١٠-١١١ .

(٢٨) ابن زولاقي . فضائل مصر ، ص ٤٥ ؛ ويذكر المقرئ أنه ولي نقابة الأشراف في أيام العزيز بالله ، أي أنه عاصر الدولة الإخشيدية والفاطمية حتى أيام العزيز بالله . انظر - المقرئ الكبير ، ج ١ ، ص ٧-٨ ، رقم ١١ ؛ السجواني : التعفة اللطيفة في تاريخ المدينة ، ج ١ ، ص ١٠٤ ، رقم ١٢

(٢٩) المقرئ الكبير ، ج ٣ ص ٤٦٥-٤٦٦ ، رقم ١٢٢٢ .

(٣٠) الفلقشدي : صبح الأعشى ، ج ٣ ، ص ٤٨١-٤٨٢ ؛ المقرئ : أتعاط الحفا ، ج ٢ ، ص ٧٢-٧٣ ، ص ٨٦ ، ص ٨٨ ؛ عبد المنعم ماجد - نظم العاطمين ورسومهم في مصر ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، ج ٢ ،

ص ٣٣-٣٤: عبد المعظم سلطان الحياة الاجتماعية في العصر الفاطمي دراسة تاريخية وثائقية ، دار  
الثقافة العلمية ، الاسكندرية ، ١٩٩٩ ، ص ٢٦

(٣١١) الفلقشدي : صبح الأعشى ، ج ١ ، ص ٣٩٨ ، ٩٩

(٣٢) ابن الطوير مرقة العليين ، ص ١١٣-١١٤ ، المقرئى اعطاء الحما ، ج ٣ ، ص ٣٤٢ ، ابن لغوات  
تاريخ ابن لغوات ، مج ٤ ، ج ١ ، ص ٤٥

(٣٣) ابن نضر الحبش بنفيع النعريف بالمصطلح الشريف ، تحقيق رودلف سلى المعهد العلمى الفرسى  
للأصاى الشرقىة ، القاهرة ، ١٩٨٧ ، ص ١٩٢ .

(٣٤) صبح الأعشى ، ج ١١ ، ص ١١٨ .

(٣٥) الفلقشدي : مآثر الإنافة فى معالم الخلافة ، لتحقيق عبد الستار أحمد فراج ، الكويت ، ١٩٨٥ ، ج ١ ،  
ص ٣٠٦

(٣٦) الفلقشدي : مآثر الإنافة فى معالم الخلافة ، ج ١ ، ص ٣٨

(٣٧) الفلقشدي : صبح الأعشى ، ج ٣ ، ص ٢٧٢ ، ٢٧٤

(٣٨) أبو الفدا : المختصر فى أخبار البشر ، ج ٤ ، ص ١٦٩

(٣٩) ابن شاهين الظاهرى : ردة كشف الممالك ، وبيان الطرق والممالك ، الطبعة ، دار العرب ، القاهرة  
١٩٨٨ ، ص ١٠٤ .

(٤٠) الفلقشدي : صبح الأعشى ، ج ١١ ، ص ١١٨

(٤١) الفلقشدي ، صبح الأعشى ، ج ٦ ، ص ١٤١

(٤٢) شمس الدين محمد بن احمد المبحى الاسرى (القرن التاسع الهجرى) حواهر العقود ومعين القضاة  
والموقعين والشهود ، تحقيق صفوة عبد الحميد محمد السعدى ، دار الكتب العممية ، سروب ،  
١٤١٧هـ / ١٩٩٦م ، ج ٢ ، ص ٢٧٥

(٤٣) الفلقشدي : صبح الأعشى ، ج ٤ ، ص ١٩٣ حب وضعها ضمن الوظائف الدينيية الموجود فى بياحه  
دمشق كما كانت توجد ضمن وظائف ارباب السيوف إذ كان يكسب فى توقيع متولبيها الأهمري

(٤٤) لفلقشدي : صبح الأعشى ، ج ٤ ، ص ٦٣٢ ، ١٣٣ ، ج ١٢ ، ج ١٢ ، ص ٢٨٥-٢٨٦ ، ص ٢٩٦ .

انظر ايضا عادل عبد الحافظ : نياحة حلب فى عصر سلاطين المماليك الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ج ٢ ، ص ٢٤٢ .

(٤٥) المقرئى : السلوك ، ج ٣ ، ص ٩٩٦ : ابن حجر ، إنباء العمر ، ص ٩٢ : ابن إياس : بدائع الزهور ، ج ١ ، ق ٢ ، ص ٥٦٦ .

(٤٦) الفلقشندى : صبح الأعشى ، ص ١٩٣ . وقد أورد لنا الفلقشندى بعض سجل تعيين نقباء الأشراف فى كل من دمشق وحلب وطرابلس .

(٤٧) الفلقشندى ، صبح الأعشى ، ج ٣ ، ص ٤٨١٦ .

(٤٨) الفلقشندى : صبح الأعشى ، ج ١١ ، ص ١٦٢ .

(٤٩) ابن خاظر الحبش : تثقيب التعريف ، ص ١٩٢ .

(٥٠) المقرئى ، السلوك ، ج ٣ ، ص ٢٦٩ : ابن إياس ، بدائع الزهور ، ج ١ ، ق ٢ ، ص ١٦٩ .

(٥١) نسية لمدينة أرمية : بالضم ثم السكون راء ، مصرية وها ، مدسة عظيمة قديمة بأذربيجان ، كثيرة الحيراث وافر الغلات ، يزعم المحوس أن وردت منها اللادى قترح البلدان ، ج ٢ ، ص ٤٠٥ : بقوت : معجم البلدان ، ج ١ ، ص ١٠٢ .

(٥٢) نهاية الأرب ، ج ٢٩ ، ص ٢٣٦ .

(٥٣) المقفى الكبير ، ج ٥ ، ص ٥٩٧-٥٩٨ ، رقم ٢١٤٨ .

(٥٤) بدائع الزهور ، ج ٥ ، ص ٣٠٢ .

(٥٥) المقرئى : السلوك ، ج ٣ ، ص ٢٠٥ : ابن حجر : إنباء الغمر ، ج ١ ، ص ٥ : ابن قاضى شعبة : تاريخ ابن قاضى شعبة ، ج ٢ ، ص ٤١٣ : بدائع الزهور ، ج ١ ، ق ٢ ، ص ١١٣ .

(٥٦) المقرئى : السلوك ، ج ٣ ، ص ٣٣٣ : ابن حجر : إنباء العمر ، ج ١ ، ص ١٧٢ : ابن إياس : بدائع الزهور ، ج ١ ، ق ٢ ، ص ٢٢٨ .

(٥٧) ابن الفرات : تاريخ ابن الفرات ، ج ٩ ، ص ١٠٨ : المقرئى : السلوك ، ج ٣ ، ص ٧٧ : ابن حجر : إنباء الغمر ، ج ١ ، ص ٣٩٥ : ابن الصيرفى : نزعة النفوس ، ج ١ .

(٥٨) ص ٢٩٧ ابن الصيرفى . إنباء الهصر بأبناء العصر ، تحقيق حسن حشى ، الطبعة الثانية ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ٢٠٠٢ ، ص ١٤١-١٤٢ .

(٥٩) المقرئى ، السلوك ، ج ٣ ، ص ٧٧٧-٧٧٨ ، انظر أيضا سعيد عبد الفتاح عاشور ، المجتمع المصرى فى عصر سلاطين المماليك ، دار النهضة العربية ، القاهرة ، ١٩٦٢ ، ص ١٥٣ ، محمود إسماعيل : سوسولوجيا الفكر الإسلامى ، ج ٣ ، طور الانهيار ، ص ١٣١ .

(٦٠) المجرم الزاهرة ، ج ١٥ ، ص ١٩٨ .

(٦١) المقرئى ، السلوك ، ج ٤ ، ص ١١٣٩ : ابن حجر : إنباء العمر ، ص ١٢٩ . ابن تغرى بردى : السجوم الزاهرة ، ج ١٥ ، ص ٨٦ : ابن الصيرفى : زهرة المنوس والأبدان ، ج ٤ ، ص ١٠٩-١١٠ ، ص ١٢٣ : السحارى : الضوء ، ج ١٠ ، ص ٢٦٨-٢٦٩ ، رقم ١٠٦٨ .

(٦٢) الفلقشندى : صبح الأعشى ، ج ٤ ، ص ٣٧ .

(٦٣) البقاعى : إظهار العصر لأسرار أهل العصر ، تحقيق محمد سالم بن شديد العوفى ، القسم الثالث ، ص ١٦٢ .

(٦٤) وهى من أسواق القاهرة العديدة من أيام لولة الفاطمية وتعرف بسوقة لورير على الوزير أبا الفرج يعقوب بن كلس ، ثم عرفت باسم السوق الكبير هى أحيات الدولة لفاطمة ، قدم ولى صفى الدين عبدالمه بن شكر الديمرى وزارة العدل أنوبكر بن أنوب سكر فى هذا الحظ فعمرت من حينئذ هذه السوقة بسوقة الصاحب . انظر : المقرئى : الخطوط ، ج ٣ ، ص ١٦٩ .

(٦٥) الوافى بالوفيات ، مخطوط رقم ٧٠٤ ، ج ١٣ ، ص ٣٣ .

(٦٦) ابن رافع السلامى : الوفيات ، ج ٢ ، ص ٤٢٦ : ابن حجر : الدرر الكامنة ، ج ٢ ، ص ٩٣ : ابن قاضى شهة : تاريخ ابن قاضى شهة ، تحقيق عدنا درويش ، ج ٢ ، ص ٣٢٥ .

(٦٧) حارة النديم من حارات القاهرة القريبة من الجامع الأزهر ، وهى ، وهى منسوبة إلى النديم الذين نزلوا القاهرة فى العصر الفاطمى . ابن عبد الظاهر : الروضة البهية الزاهرة فى حطط المعربة القاهرة ، تحقيق أمين فزاد سيد ، أوراق شرقية للطباعة والشر والتوزيع ، الطبعة الأولى ، بيروت ، ١٤١٧ هـ / ١٩٩٦ م ، المقرئى : الخطوط ، ج ٣ ، ص ١٢ .

(٦٨) نهاية الأرب فى فنون الأدب ، الجزء الثالث والثلاثون ، تحقيق مصطفى حجارى ، الطبعة الثانية ، دار الكتب والوثائق القومية ، القاهرة ، ١٤٢٢ هـ / ٢٠٠٢ م ، ص ١٨ .

(٦٩) المسبحى ، أنبار مصر فى سنتين (١٤١٤-١٤١٥ هـ) تحقيق ولیم ج ميلورد ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٨٠ ، ص ٢٥ : المقرئى : انعاظ الحنفا ، ج ٢ ، ص ١٣٣ .

(٧٠) الضوء اللمع ، ج ٢ ، ص ٥-٦ ، رقم ١٤ : ماير : الملابس الملوكية ، ترجمة صالح الشبثي ، مراجعة وتقديم دكتور عبد الرحمن فهمي محمد ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٧٢ ، ص ٩٧ .

(٧١) النجوم الزاهرة ، ج ١٤ ص ١٦٧ .

(٧٢) الماوردي ، الأحكام السلطانية والولايات الدينية ، دار الفكر ، الطبعة الأولى ، القاهرة ، ١٤٠٤ هـ / ١٩٨٨ م ، ص ٨٥ .

(٧٣) ابن الطوير ، برهة المقلتين في أحوال الدولتين ، أعاد بناء وحققه وقدم له أيمن فؤاد سيد ، جمعية المستشرقين الألمانية ، فيسبادن ، ١١٣-١١٤ : ابن الغرات : تاريخ ابن الغرات ، تحقيق حسن محمد الشماخ ، البصرة ، د.ت. ، المجلد الرابع ، ج ١ ، ص ١٤٦ .

(٧٤) الفلقشندي : صبح الأعشى ، ج ١٠ ، ص ٢٥٩ .

(٧٥) التعريف بالمصطلح الشريف ، دار لكتب العلمية ، بيروت ، ٨ / ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٨ م ، ص ١٦٩-١٧٠ . وقد نقل الفلقشندي هذه الرواية عن ابن فضل الله في كتابه صبح الأعشى ، ج ١١ ، ص ١٦٥-١٦٦ .

(٧٦) ضياء الدين بن الأثير : رسائل ابن الأثير ، بشر أنس المقفى ، بغداد ، ١٩٥٥ ، ص ١٣٥ .

(٧٧) الخالدي ، المقصد الرقيق المشأ الهادي إلى صناعة الانشاء ، مخطوط مصرور بجامعة القاهرة ، تحت رقم ٢٤٠٤٥ ، ورقة ١٣٣ : عبد المصم ماجد : نظم دولة سلاطين المماليك ورسومهم في مصر دراسة شاملة لنظم البلاط ورسومه ، الطبعة الثانية ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، ١٩٨٢ ، ج ٢ ، ص ٥٦ .

(٧٨) السحاري : استجلاء وارتقاء القرب ، ص ٧٢-٧٣ الشبلحي : نور الأبصار ، ص ١١٧ : المجردي : مدارج الأشراف ، ص ٥٩ : رضوان الجنائني : طبقة الأشراف ، ص ٢٦٨ .

(٧٩) الأدفري : الطالع السعيد ، ص ١٧٩-١٨١ ، رقم ١١٥ : : السيموكي : حسن المحاصرة ، ج ١ ، ص ٤٥٣ ، محمود رزق سليم : عصر سلاطين المماليك ، ص ٤ ، ص ٢٩ .

(٨٠) المقرئزي : السلوك ، ج ٤ ، ص ٤٨ : ابن حجر : إنبأ الفجر ، ج ٢ ، ص ٢٦٧ : ابن تغري بردي : المنهل الصافي ، ج ٥ ، ص ١٣٦-١٣٧ ، رقم ٩١ : النجوم الزاهرة ج ١ ، ص ١٦٤ : الدليل لشافي ، ج ١ ، ص ٢٧ ، رقم ٩٢٨ : ابن الصرعي : برهة النفوس والأبدان ، ج ٢ ص ٢٣٧ : السحاري : الصور اللماع ، ج ٣ ، ص ١٢٤-١٢٤ : ابن أبياس : بدائع الزهور ، ج ١ ، ق ٢ ، ص ٧٧٤-٧٧٥ .

(٨١) المقرئزي : القلق الكبير ، ج ٣ ، ص ٤٤٩-٤٥٠ ، رقم ١٢١٣ .

(٨٢) درر العقود ، ج ٢ ، ص ٦-٧ ، رقم ٧٥ .

(٨٣) ابن حجر : إنباء الغمر ، ج ٣٦٧ : وقد نقل السخاوى عنه ذلك فى الضوء اللامع ، ج ١ ، ص ١٢٤ .

(٨٤) ذيل الدرر الكامنة ، ص ١٨٣-١٨٤ : للمجمع الزيسى المهرس ، ج ١ ، ص ٥٦٨ .

(٨٥) السخاوى : الضوء اللامع ، ج ٣ ، ص ١٢١-١٢٢ ، رقم ٤٧٢ ، البقاعى . عنوان الرمان بتراجم الشيوخ

والأقران ، تحقيق حسن حبشى ، دار الكتب المصرية ، القاهرة ، ٢٠٠٤ ، ج ٢ ، ص ١٦٢-١٦٧ ، رقم

١٩٦ : السيوطى . نظم العقيان فى أعيان الأعيان ، تحقيق فليب حتى ، نيويورك ، ١٩٢٧ ، ص ١٠٤-

١٠٥ : ابن العماد الحنبلى : شذرات الذهب ، ج ٧ ، ص ٣٠٥ .

(٨٦) ابن العديم : بحية الطلب فى تاريخ حلب ، تحقيق زكار ، دار الفكر ، بيروت ، ج ٢ ، ص ١٢٣٠-١٢٣١ ؛

على مبارك : الحفظ التوثيقية الجديدة ، ج ٣ ، ص ٤٠٥ . الحنبلى : شذرات الذهب ، ج ٧ ، ص ٣٠٥ .

(٨٧) ابن عبة الحسى : عمدة الطالب ، ص ١٥٧ . النفسى . رسالة أحكام الأشراف ، ص ٧ ، ٩ ، ١٠ .

(٨٨) المقرئى . السلوك ، ج ٣ ، ص ٧٧٤-٧٧٥ . ابن عشة . عمدة الطالب ، ص ١٠١-١٠٢ : ابن عباس .

بدائع الزهور ، ج ١ ، ق ٢ ، ص ٤٥٥ .

(٨٩) استجلاء العرف ، ص ٧٣-٧٤ .

وللأسف لم تعد المصادر المعاصرة بصورة لما كان يكتب فى هذه المحاضر ، ولكن وصلتنا لمندج تعود إلى فترة

متأخرة فقد أمدها السمهوى بصورة لهذه المحاضر : " بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله والصلاة والسلام

على رسول الله أما بعد فأنى أشرف بأن أشهد بصحة هذا النسب الكريم المتفق على صحته من مشايخنا

وعلمائنا وأفاضنا رضى الله عنهم وتعبنا بهم وأسأل الله بوجه نبيه الكريم ورجال هذا النسب العظيم

أن يأخذنا إليه بما سواه ويتمتعنا من أهله بقرينه ورضاه ... كاتيه ترايب أقدامهم حادهم خدامهم .. أحمد

الشرقاوى فى ١٩ الحجة المحرم سنة ١٣١٤ وختم عليه بهاتم الشريف " انظر - السمهوى - مدارج

الأشراف ، ص ١٨٥ رضوان الجنان : طبقة الأشراف ، ص ٢٦٩ .

(٩٠) درر العقود الفريدة ، ج ٢ ، ص ٤٦١ .

(٩١) من هذه الرسائل :

- أسماع الصم فى اثبات الشرف من قبل الأم " لابن أبى ريد المراكشى ت ٧٣٩ هـ / ١٢٣٩ م

" أسماع الصم فى اثبات الشرف من الأم " لابن مرزوق التلمسانى ت ٨٤٢ هـ / ١٤٣٨ م

- " رسالة الغور والغنم في مسألة الشرف من الأم " خير الدين البرمجلي ت ١٠٨٨ هـ / ١٦٧٧ م .
- " تبيان الحكم بالنصوص الدالة على الشرف من الأم " للصدقي ت ١١٣٨ هـ / ١٧٢٥ ز /
- انظر : البغدادى : إيضاح المكتون ، ج ١ ، ص ٨١ ن ٢٢٣ ؛ هدية العارفين ، ج ١ ، ص ٥٢٩ ، ٣١٩ ، ١٨٨ . ومن الكتب :
- " كتاب رفع اللبس والشبهات عن ثبوت الشرف من قبل الأم " لأبي العباس أحمد بن سودة المرقى .
- " شرف الأسباط " للقياسي .
- (٩٢) رفع اللبس ، ص ٢-٤ .
- (٩٣) سليمان محمد حسين : الأشراف ودروهم في مصر في العصر العثماني ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب - جامعة عين شمس ، ١٩٩٣ ، ص ٤٧ .
- (٩٤) المقرئى : السلوك ، ج ٣ ، ص ٣٠٥ .
- (٩٥) المقرئى : السلوك ، ج ٣ ، ص ٣٠٦ ، عبد الباسط بن خليل . نيل الأمل في ذيل الدول ، ج ٢ ، ص ٤٨ .
- (٩٦) ابن حجر : إنباء الغمر ، ج ١ ، ص ٣٥ ؛ ابن قاضي شهبه : تاريخ ابن قاضي شهبه ، مج ٢ ، ج ٢ ، ص ٤١٣ ؛ ابن عباس بدائع الزهور ، ج ١ ، ق ٢ ، ص ١١٣ .
- (٩٧) ولي الدين العراقي : ذيل الغمر ، ق ٢ ، ص ٣٤٥ ؛ المقرئى : السلوك ، ج ٣ ، ص ٢٠٥-٢٠٧ ؛ ابن حجر إنباء الغمر ، ج ١ ، ص ٣٥ ؛ ابن قاضي شهبه : تاريخ ابن قاضي شهبه ، مج ٢ ، ج ٣ ، ص ٤١٤ .
- (٩٨) الأزار . عبارة عن ملاءة منسعة قضاة تلف جميع جسد المرأة وكان الأزار بالسبة للمسلعات عامة أبيض اللون ، وللمسيحيات أزرق اللون ، ولليهوديات أصفر اللون ، وللسامريات أحمر اللون مابر . الملابس الملوكية ، ص ١٢٥-١٢٦ .
- (٩٩) النجوم الزاهرة ، ج ١١ ، ص ٤٦ انظر أيضا : سعيد عبد الفتاح عاشور : المجتمع المصرى ، ص ٢١٤ ؛ عبد المعصم ماجد : نظم الماليك ، ج ٢ ، ص ٨٤ .
- (١٠٠) النجوم الزاهرة ، ج ١١ ، ص ٤٧ .
- (١٠١) المنهل الساقى ، ج ٦ ، ص ٢٣٨-٢٣٩ .

(١٠٢) وجيز الكلام ، ج ١ ، ص ١٨٦ .

(١٠٣) بدائع الزهور ، ج ١ ، ق ٢ ، ص ١٠٠ .

(١٠٤) المقرئى : السلوك ، ج ٣ ، ص ١٩٩ ؛ ابن حجر : انباء الفهر ، ج ١ ، ص ١٠ ؛ ابن تغرى بردى : المجموع الزاهرة ، ج ١١ ، ص ٤٧ ؛ المنهل الصافي ، ج ٦ ، ص ٢٣٩ ؛ السبوطى : تاريخ الخلفاء ، دار التراث بيروت ، ١٣٨٩ هـ / ١٩٦٩ م ، ص ٤٦٢ ؛ حسن المحاضرة ، ج ٢ ، ص ٣٠٣ ؛ ابن إياس : بدائع الزهور ، ج ١ ، ق ٢ ، ص ١٠٨ ؛ ابن العماد الحنبلى : شذرات الذهب ، ج ٦ ، ص ٢٣٩ .

(١٠٥) ابن حجر : انباء الفهر ، ج ١ ، ص ١١ ؛ ابن تغرى بردى : النجوم ، ج ١١ ، ص ٤٧ ؛ المنهل الصافي ، ج ٦ ، ص ٢٣٩ ؛ السبوطى : حسن المحاضرة ، ج ٢ ، ص ٣٠٣ ؛ عبد الباسط : نبيل الأمل ، ج ٢ ، ص ٣٨ ؛ ابن إياس : بدائع الزهور ، ج ١ ، ق ٢ ، ص ١٠٨ ؛ ابن العماد الحنبلى : شذرات الذهب ، ج ٦ ، ص ٢٢٦ .

(١٠٦) ابن تغرى بردى : المجموع الزاهرة ، ج ١١ ، ص ٤٧ ؛ المنهل الصافي ، ج ٦ ، ص ٢٣٩ ؛ ابن إياس : بدائع الزهور ، ج ١ ، ق ٢ ، ص ١٠٨ .

(١٠٧) ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ، ج ١١ ، ص ٤٧ ؛ المنهل الصافي ، ج ٦ ، ص ٢٣٩ ؛ ابن إياس : بدائع الزهور ، ج ١ ، ق ٢ ، ص ١٠٨ .

(١٠٨) المقرئى : السلوك ، ج ٣ ، ص ١٩٩ ؛ ابن تغرى بردى : المجموع الزاهرة ، ج ١١ ، ص ٤٧ ؛ المنهل الصافي ، ج ٦ ، ص ٢٣٩ .

(١٠٩) بدر الدين حسين بن أبى بكر بن حسين الحسينى ويلقب بالشاطر ، ويقال له ابن الغراء ، تولى نقابة الأشراف فى يوم الخميس سابع جمادى الآخرة عام ٨٤٤ هـ / نوفمبر ١٤٤٠ / وتوفى فى شوال عام ٨٨٥ هـ / يناير ١٤٨١ م . المقرئى : السلوك ، ج ٤ ، ص ١٢١٣ ؛ ابن الصيرفى : نزهة القوس ، ج ٤ ، ص ٢٠٥ ؛ عبد الباسط بن خليل : نبيل الأمل فى ذيل الدول ، ج ٧ ، ص ٢٧٥ .

(١١٠) الضوء اللامع ، ج ٣ ، ص ١٣٨ ، ص ٥٤٧ .

(١١١) وجيز الكلام ، ج ٢ ، ص ٩١٤ .

(١١٢) الأحكام السلطانية ، ص ٨٦ .

(١١٣) الفلقشندي : صبح الأعشى ، ج ١١ ، ص ١٦٤ .

(١١٤) القلقشندي : صحيح الأعشى ، ج ١٠ ، ص ٤٠٠-٤٠١ .

(١١٥) القلقشندي : صحيح الأعشى ، ج ١١ ، ص ٥٠ .

(١١٦) محمد حمدي الماوي : الوزارة والوزراء في العصر الفاطمي ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٧٠ ، ص ٢٨٥-٢٨٦ ؛ عبد المنعم سلطان : المجتمع المصري في العصر الفاطمي ، دار المعارف ، القاهرة ، ص ٣٨ .

(١١٧) أبو شامة : كتاب الروشتين ، ج ١ ، ص ٣١٣-٣١٤ : المقرئ : الخطوط ، ج ٤ ، ص ٨١-٨٣ : انعاظ الحفا ، ج ٣ ، ص ٢٤٦-٢٥٢ : ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ، ج ٥ ، ص ٣١٤ : جمال الدين الشبال : مجموعة الوثائق الفاطمية ، ص ٣٣٧ : محمد محمد أمين : الأوقاف والحياة الاجتماعية في مصر في عصر سلاطين المماليك ، ص ٦٠ : عبد المنعم ماجد : ظهور الخلافة الفاطمية وسقوطها في مصر ، الطبعة الرابعة ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، ١٩٩٤ ص ٣٥٨-٣٥٩ . ومن حسن الحظ أن وصلتنا حجة وقف طلائع بن رزيق سليمة ، حيث تحتفظ بها دار الوثائق القومية بالقاهرة (مجموعة محكمة الأحوال الشخصية) وهي وثيقة رقم ١ محقة رقم ١ . وقد قام بشرها كل من كلور كاهن ويوسف رجب ومصطفى أبو طاهر محمد محمد أمين فهرست وثائق القاهرة حتى نهاية عصر سلاطين المماليك ، المعهد العلمي الفرنسي للآثار بالقاهرة ، القاهرة ، ١٩٨٠ ، ص ٣ .

Claud Cahen , yusuf Ragib et Mustafa Anouar Taher, L'Achat et le Waqf d'un Grand Domaine Egyptien Par Vizir Fatumide Tolai B Ruzsik , Annales Islamologiques , Tome XVI, le Caire , 1978 , pp. 12-126 .

(١١٨) الوزير الفاطمي أبو الغارات طلائع بن رزيق الملقب بالملك الصالح كان واليا على حصيب من أعمال الصعيد ، فلما قتل الخليفة الفاطمي الظافر سير أهل القصر إلى الصالح واستجدوا به على عباس وولده نصر المتعقبن على قتله فتوجه طلائع إلى القاهرة وقاتل عباس وولده وتولى الوزارة للفائر ، وقد بنى جامع خارج اب رويلة لكي يدفن فيه رأس الحسين : انظر : ابن خلكان ، وفیات الأعيان ، ج ٤ ، ص ٥٣٦ ، رقم ٣١١ .

(١١٩) بركة الحبش وتعرف ببركة المعافر وبركة حمير ، وتعرف أيضا بأسطبل قره ، وتقع في ظهر مدينة السطاط من قبلها فيما بين الجبل والسل ، وكان يقع إلى شرقها بساتين تعرف بقتادة بن قيس بن حش الصديقي لذا عرفت هذه البركة ببركة الحبش انظر :- ابن دقماق ، الانتصار لواسطة عقد الأمصار ، دار الأفاق الجديدة ، بيروت ، د.ت ، ج ٤ ، ص ٤٥ : المقرئ : الخطوط ، ج ٣ ، ص ٢٤٧-٢٤٩ : القلقشندي : صحيح الأعشى ، ج ٣ ، ص ١٣٤ : ابن شاهين : زبدة كشف الممالك ، ص ٢٧ : السيوطي : حسن المحاضرة ، ج ٢ ، ص ٣٩٠ .

(١٢٠) بلفس : قرية قديمة كانت تقع ضمن إقليم الشرقية ، ثم إقليم ضواحي القاهرة في العصر المملوكي ، وهي إحدى قرى محافظة القليوبية الآن . انظر : ابن ممتي : قوانين نشر عزيز سوربال عطية ، القاهرة ، ١٩٤٠ ، ص ٢١٠ ؛ ابن دساق : الانتصار ، ج ٥ ، ص ٤٥ ؛ ابن الجيعان : التحفة السنية بأكسما ، البلاد المصرية ، نشر مورتيز ، القاهرة ، ١٨٩٢ ، ص ٩ ؛ محمد رمزي : القاموس الجغرافي للبلاد المصرية ، ج ٢ ، ص ٥٥ .

(١٢١) وثيقة طلائع بن رزيك ، ص ١١٣-١١٥ ، أسطر ٢٢-٤٥ ، المقريري : الحفظ ، ج ٤ ، ص ٨٢

(١٢٢) حفصا : هي من القرى القديمة اسمها الأصلي دجسة وردت في قوانين الدواوين لابن ممتي من أعمال الشرقية ، وذكرها ابن دساق في الانتصار ، ج ٥ ، ص ٦١١ باسم "دجسة الشرفا" ضمن الأعمال الشرقية ، وذكرها ابن الجيعان في التحفة السنية ، ص ٣٠ باسم "دجسة الشرف" ، وهي دجسة الرهبان لم تصح في الروك " ، ويذكر محمد رمزي والصواب دجسة الشرفا كما ورد في دليل سنة ١٢٢٤ هـ وفي تاريخ سنة ١٢٢٨ هـ ، وهي بلدة بمركز مت عمر محافظة الدقهلية ، لقدموس الجغرافي ، ج ٢ ، ص ١ ، ص ٢٥٥ .

(١٢٣) سجلات محاكم الأقاليم ، محكمة الدقهلية ، دار الوثائق القومية بالقاهرة ، سجل ٩ ، ملف ٦٦٦ ، ص ٢٧٠ : مصطفى كامل شملون : عروة مصر من قبائلها ، القاهرة ، ١٩٧٠ ، ص ١١٨-١١٩ ؛ سليمان محمد : السادة الأشراف ، ص ١١ .

(١٢٤) السلوك ، ج ٢ ، ص ٣٤٠ .

(١٢٥) المقريري : السلوك ، ج ١ ، ص ٨٦٤-٨٦٥ .

(١٢٦) السلوك ، ج ٣ ، ص ٩٩ .

(١٢٧) السلوك ، ج ٣ ، ص ٤٥٦ .

الشريف مرتضى صدر الدين مرتضى بن غياث الدين إبراهيم بن حمزة الحنسي العراقي ولي نظر وقت الأشراف عام ٧٩٨ هـ المقريري : السلوك ، ج ٣ ، ص ٨٦٧ ؛ ابن الصبري : زهرة النفوس ، ج ١ ، ص ٤٣٧

(١٢٨) المقريري : السلوك ، ج ٣ ، ص ٤٨٨ .

(١٢٩) المقريري : السلوك ، ج ٣ ، ص ٢٣٣ ؛ ابن حجر : إنباء العمدة ، ج ١ ، ص ١٧٢ ؛ ابن إياس : بدائع الزهر ، ج ١ ، ق ٢ ، ص ٢٢٨ .

(١٣٠) المقرئى : السلوك ، ج ٣ ، ص ٥٠٣ : ابن حجر - انباء العمر ، ج ١ ، ص ٢٧٨ ، ابن الصيرفى - نزهة النفوس ، ج ١ ، ص ٨ : إياس : بستان الزهور ، ج ١ ، ق ٢ ، ص ٣٣٨ .

(١٣١) السلوك ، ج ٤ ، ص ٤٤٠ : ابن حجر : انباء الغمر ، ج ٣ ، ص ١٥٨ : السجاري : الصوره اللامع ، ج ٤ ، ص ٢٥٠ ، رقم ٦٤٩ فى حين يذكر كل من العيسى وابن الصيرفى بأن الشريف هو الذى استقر فى نظر الأوقاف المتعلقة بالاشراف عوضا عن الأمير فخر الدين بن أبى الفرج .. عقد الجمان ، حوادث عام ٨٢١ هـ ، ص ٣٣٩ ، نزهة النفوس ، ج ٢ ، ص ٤٣٢ .

(١٣٢) السلوك ، ج ٤ ، ص ٤٤٠ .

(١٣٣) المقرئى : السلوك ، ج ٤ ، ص ٤٦٧ .

(١٣٤) المقرئى : السلوك ، ج ٤ ، ص ٥٨٦ ، ٥٨٦ : العيسى : عقد الجمان ، ص ١٢٧ : ابن تهرى بردى : المجوم الزاهرة ، ج ١٤ ، ص ١٠ : المهمل الصافى ، ج ١ ، ص ١٧٨ ، رقم ٢٢٤٦ : ابن الصيرفى - نزهة النفوس ، ج ٢ ، ص ٤٦٨ ، ج ٣ ، ص ٢٠٦ : السجاري : الصوره اللامع ، ج ٨ ، ص ١٣٩ .

(١٣٥) السلوك ، ج ٤ ، ص ٤٤٤ .

(١٣٦) المقرئى : السلوك ، ج ٤ ، ص ٦٤٤ : ابن الصيرفى - نزهة النفوس ، ج ٣ ، ص ٢١ .

(١٣٧) النشر : شرف الدين عبد الوهاب بن فضل الله . كان يتولى ديوان أنور بن الناصر محمد بن قلاوون . ثم تولى الخاص السلطاني ، ثم تولى ديوان الجيش ، وقد اشتهر بالاحتشال والاستبلاء على أهوال الناس . ومصادراتهم حتى كثر أعدائه ، ثم تحلص الناصر محمد منه وقتله عام ٧٤٠ هـ / ١٣٣٩ م . انظر - ابن حجر : الدرر الكامنة ، ج ٢ ، ص ٤٢٩ - ٤٣٠ ، رقم ٢٥٤٩ : ابن تهرى بردى - المهمل الصافى ، ج ٧ ، ص ٣٩٣ - ٣٩٠ ، رقم ١٥٠٤ : الدليل الشافى ورقة ٤٣٤ : المجوم الزاهرة ، ج ٩ ، ص ٣٢٣ : ابن العباد الحنبلى : شذرات الذهب ، ج ٦ ، ص ١٢٦ .

(١٣٨) المقرئى : السلوك ، ج ٢ ، ص ٥٥٢ : الخطط ، ج ٣ ، ص ٢٥٢ .

(١٣٩) المقرئى : درر العقود المعبدة رقم ٦١٦ ، ج ٢ ، ص ٣٠٤ .

(١٤٠) البقاعي : إظهار العصر ، ج ١ ، ص ٣٤٠ .

(١٤١) جانيك الظاهري جقمق المركسى الدوادار وشاد حدة عام ٨٤٩ هـ وأطلق عليه نائب حدة ، ثم تولى الاستادارية عام ٨٥٧ هـ ، وتوفى عام ٨٦٧ هـ . ابن تهرى بردى - المهمل الصافى ، ج ٤ ، ص ٢٤٣ - ٢٤٨ .

رقم ٨٢٩ : الدليل الشافى . ج ١ ، ص ٢٣٩ ، رقم ٨٢٧ . السحارى . الضوء اللامع . ج ٥٧-٥٩ .  
رقم ٢٣٥ .

(١٤٢) تقريرا الرومى الظاهرى حقيق . وظل يترقى فى الوظائف حتى تولي السلطنة باسم الظاهر أبو سعيد ثمربعا  
عام ٨٧٢هـ . ابن عمري بردى المهمل الصافى . ج ٤ ، ص ١٠٠-١٠٢ . رقم ٧٨٤ : الدليل الشافى .  
ج ١ ، ص ٢٢٣ . رقم ٧٨٢ : النجوم الزاهرة . ج ١٦ . ص ٣٧٣-٣٩٣ . السحارى : الضوء اللامع . ج ٣ .  
ورقة ٤٠-٤١ رقم مخطوط رقم ١٦٧ .

(١٤٣) البقاعى : إظهار العصر . ج ١ ، ص ٣٠٦-٣٠٩ .

(١٤٤) البقاعى : إظهار العصر . ج ١ ، ص ٣٠٧ .

(١٤٥) البقاعى : إظهار العصر . ج ١ ، ص ٣٠٩ .

(١٤٦) البقاعى : إظهار العصر . ج ١ ، ص ٣٤٠ .

(١٤٧) ابن الجيعد : التبعة لسببة . ص ٥١ . محمد رمزي . القاموس الجغرافى . ق ٢ ، ج ١ ، ص ١٧٠ .

(١٤٨) بنو حرام : بطن من حدام من القبطاسة بالشرقية سر حرام المنقشدى صبيح الأعشى . ج ١ ، ص ٣٣٣  
: نهاية الآرب فى أنساب العرب .

(١٤٩) بردبك الأشرى ابنال ملكه فى عام ٨٢٩هـ فرباه واعتقه وعمله خازناره وزوجه ابنته الكبرى ثم دواذره .  
فلما تسلطن عمله دواذارا ثالثا ، ثم نقله إلى الدواذارية فى سنة ٨٥٩هـ ، وتوفى عام ٨٦٨هـ . السحارى  
: الضوء اللامع . ج ٣ ، ص ٤-٥ ، رقم ٢٠ .

(١٥٠) البقاعى : إظهار العصر وج ٣ ، ص ١٤٢-١٤٣ .

(١٥١) ابن الحبحان : التبعة . ص ١٢٠ : محمد رمزي . القاموس الجغرافى . ق ٢ ، ج ٢ ، ص ٢٨٤

(١٥٢) على بن محمود بن محمد بن أبى بكر بن الجند بن شبل بن الشيخ خضر بن عبدالمك بن عثمان .  
ويعرف بالشريف الكردى . ولد عام ٨٢١هـ . وتولى مشيخة الخانقاه الناصرية بسراقوس وكان منه وبين  
الأشرف قيتباى صحبة قديمة . مات بالقاهرة عام ٨٨٢هـ دفن بحوش حانقاة سعيد السعداء . البقاعى  
عنوان الرمان بترجم الشيوخ والأقران . تحقيق حسن حبشى . دار الكتب الوثائق القومية ، القاهرة .  
١٤٢٧هـ / ٢٠٠٦ . ج ٤ ، ص ١٦-١٧ . رقم ٣٩٦ . السحارى . الضوء اللامع . ج ٦ ، ص ٣٦-  
٣٨ ، رقم ١٠٤ .

(١٥٣) ابن الصيرفي : إنباء الهصر بأبناء العصر ، تحقيق حسن حشيش ، الطبعة الثانية ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ٢٠٠٢ ، ص ١٤١-١٤٢ .

(١٥٤) ابن الصيرفي : إنباء الهصر ، ص ١٤٢ .

(١٥٥) ابن الصيرفي : إنباء الهصر ، ص ١٤٢ - ١٤٣ .

(١٥٦) ابن الصيرفي : إنباء الهصر ، السخاوي : الدليل التام على دول الإسلام ، ج ٢ ، ص ٢٣١ .

(١٥٧) نيل الأمل ، ج ٧ ، ص ٣٦٩ .

(١٥٨) ابن أبياس : بدائع الزهور ، ج ٤ ، ص ٢٦٠ .

(١٥٩) ابن أبياس : بدائع الزهور ، ج ٤ ، ص ٢٦٠ : البيهقي : إسماعيل الشريفي ، مصادرة الأملاك ، ج ٢ ، ص ٢٠ .

(١٦٠) الأحكام السلطانية ، ص ٨٦ .

(١٦١) الفلقسندی : صبح الأعشى ، ج ١ ، ص ٢٥١ : صوره الأهراب ، الآية ٣٣ .

(١٦٢) الفلقسندی : صبح الأعشى ، ج ١٠ ، ص ٤٠٠ .

(١٦٣) صبح الأعشى ، ج ١١ ، ص ٥٠ .

(١٦٤) السحري : النعمة للطبعة في تاريخ المدينة الشريفة ، تحقيق طرابزوني الحسبي ، مكة المكرمة ، ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٠ م ، ج ٣ ، ص ٧٠٧ ، رقم ٤٠٦٦ .

(١٦٥) النعماني : لطائف المنن والأخلاق في بيان وجوب التحديث بنعمة الله على الإطلاق ، مطبعة العاصرة العثمانية ، القاهرة ، ١١١١ هـ ، ص ١٠٦ .

(١٦٦) ابن الطبري : مرآة المعاني ، ص ١١٥ ، ابن الغراب : تاريخ ابن الغراب ، ج ١ ، ص ١٤٦ ، الفلقسندی : صبح الأعشى ، ج ٣ ، ص ٤٨١-٤٨٢ ، ج ٤ ، ص ٣٧-٣٨ .

(١٦٧) المغربي : الخطوط ، ج ٥ ، ص ١٩٣ .

(١٦٨) المغربي : المعنى الكبير ، ج ٥ ، ص ٥٩٧-٥٩٨ ، رقم ٢١٤٨ : ابن قاضي شهبة : طبقات الفقهاء ، اشاعة ، ج ١ ، ص ٤٣٩ ، رقم ٤٢٠ .

(١٦٩) ابن قاضي شهبة : طبقات الشافعية ، ج ١ ، ص ٤٤٠ . الأنسوى : طبقات الشافعية ، ج ٢ ، ص ٩٩ ؛

المقري : السلوك ، ج ١ ، ص ٣٨٥ × البغدادى : هدية العارفين ، ج ١ ، ص ٥١٥

(١٧٠) المقري : المقفى الكبير ، ج ١ ، ص ٥٨٧ ؛ البغدادى : هدية العارفين ، ج ١ ، ص ٥٣ .

(١٧١) الحسينى : ذيل العبر ، ص ١٧٢ .

(١٧٢) ابن قاضي شهبة : طبقات العقها - الشافعية ، ج ٢ ، ص ١١٢ .

(١٧٣) تاريخ ابن قاضي شهبة ، ص ٢ ، ج ٢ ، ص ١٠٨ .

(١٧٤) المقري : السلوك ، ج ٣ ، ص ٣٢ .

(١٧٥) السخاوى : وجيز الكلام ، ج ١ ، ص ٨٩ .

(١٧٦) ابن عمر بردى : المحرم الزاهرة ، ج ١٢ ، ص ١٥٣ .

(١٧٧) زيرستين : تاريخ سلاطين المماليك ، ص ١٩٧ ، ٢١٧ ؛ الصمدى : أعيان العصر ، ج ٣ ، ص ٣٣٤ ، رقم

١١٤٩ ؛ المقري : السلوك ، ج ٢ ، ص ٤٤٤ ، ٤٨٩ ، ٨٨٨ ، ٨٨٩ ، ج ٣ ، ص ٣٢ ؛ ابن حجر الدرر

الكامة ، ج ٣ ، ص ٤١ ؛ ابن حبيب : تذكرة سيده ، ج ٣ ، ص ٢ ؛ سهام أبو زيد الحسنية فى مصر

الإسلامية ، ص ٢٧٦ ؛

Abd ar - Raziq (Ahmad) , "La Hisba et le muhtasab en Egypte au temps des Mamluks  
"an isl. XIII, le Caire , 1977 , p. 140 .

(١٧٨) المقري : السلوك ، ج ٣ ، ص ٢٠٦ ، ٢٧١ ، ٣٣٢ ، ٣٧٧ ، ٤٠٦ ؛ ابن حجر : إنباء العمر ، ج ١ ،

ص ٢٢٤ ؛

Abd ar - Raziq (Ahmad) , "La Hisba et le muhtasab en Egypte au temps des Mamluks  
"an isl. XIII, le Caire , 1978 p. 131 , No .10 .

(١٧٩) المقري : السلوك ، ج ٣ ، ص ٣٨٧ ، ٣٩٥ ؛ ابن حجر : إنباء الغمر ، ج ١ ، ص ٢١١ .

(١٨٠) من لوظائف الدسة . وهى وظيفة جليلة قديمة من رخص صلاح لدين يوسف بن أيوب . وموضوعها أن

صاحبها يحضر بدار العدل مع قضاة المفتشدى . صبح الأعشى ، ج ٤ ، ص ٣٦

(١٨١) المويرى : نهاية الأرب ، ج ٢٩ ، ص ٢٣٦ ؛ ابن أبيك الصمدى : الوافى ، ج ٣ ، ص ١٧ ، رقم ٨٧٧ ؛

الأسنوى ، طبقات الشافعية ، ج ٢ ، ص ٩٩ ، رقم ٨٤٥ : المقرئى ، المتقى ، ح ٥ ، ص ٥٩٧ ، ابن القاضى شهاب ، طبقات الفقهاء - الشافعية ، ج ١ ، ص ٤٣٩ .

(١٨٢) المقرئى . السلوك ، ج ٣ ، ص ٧٧١ : ابن الصيرفى : نزعة النفوس والأبدان ، ج ١ ، ص ٣٤٨

(١٨٣) مشيخة الشيوخ : وهى من الوظائف الدينية التى لا مجلس لها بالحصرة السلطانية القمى صبح الأعشى ، ح ٤ ، ص ٣٨ . وكانت تطلق منذ العصر الأيوبى على من يتولى الحانقاء الصلاحية المعروفة بسعيد السعداء . حتى عام ٧٢٥هـ عندما بنى السلطان المملوكى الناصر محمد قلاوون الحانقاء الناصرية بسرياقوس ، فأصبح يطلق على من يتولى مشيختها شيخ الشيوخ . عبد الرحمن أبو راس شيخ الشيوخ بالديار المصرية فى الدولتين الأيوبية والمملوكية ، دراسة تاريخية حضارية ، عالم الفكر ، ١٩٨٧ ، ص ٥٨ وما بعدها .

(١٨٤) المقرئى . السلوك ، ح ٣ ، ص ٧٠٤ : ابن تيمى بردى : المجموع الزاهرة ، ح ١٢ ، ص ٣ ، ابن الصيرفى : نزعة النفوس ، ج ١ ، ص ٢٩٤ :

(١٨٥) ابن إمام : بدائع الزهور ، ج ١ ، ق ٢ ، ص ٥٤٤ .

(١٨٦) ابن الفرات . تاريخ ابن الفرات ، ج ٩ ، ص ١٠٩٩ : المقرئى . السلوك ، ح ٣ ، ص ٤ ، ابن تيمى بردى : المجموع الزاهرة ، ح ١٢ ، ص ٣ ، ابن الصيرفى : نزعة النفوس ، ح ١ ، ص ٢٩٤ :

(١٨٧) المجموع الزاهرة ، ج ١٤ ، ص ٣٣٨ .

(١٨٨) بدائع الزهور ، ج ٢ ، ص ١٢٨ .

عن هذا الوجه . انظر : - المقرئى : السلوك ، ج ٤ ، ص ٨٢١-٨٢٦ : ابن حجر : إنباء العمر ، ح ٣ ، ص ٨٧٢ : ابن تيمى بردى . المجموع الزاهرة ، ح ١٤ ، ص ٣٣٩-٣٤٤ ، ح ١٥ ، ص ١٥٦ : العيسى عقد الجمان . حوادث عام ٨٣٣هـ ، ص ٣٨١ : ابن الصيرفى : نزعة النفوس ، ح ٣ ، ص ١٨٦-١٨٧ ، ٢٠١-٢٠٢ : إبراهيم على طرخان مصر . مصر فى عصر سلاطين المماليك الجراكسة ، القاهرة ، ١٩٦٦ ، ص ٢٥٤ : حامد ريان . الأزمات الاقتصادية فى مصر عصر سلاطين المماليك ، القاهرة ، ١٩٧٦ ، ص ٩٨ .

Darrage (Ahmad) , L'Egypte Sous Barsbay , Damas , 1961 , p 5 "The Second Plague pandemic and its recurrences in Middle East " , JESHO, vol 22 , 1979 , pp 162-189

(١٨٩) المقرئى . السلوك ، ح ٤ ، ص ٨٢٨ : ابن حجر : إنباء العمر ، ح ٣ ، ص ٤٣٨

(١٩٠) نزهة النفوس ، ج ٣ ، ص ١٩١ لطفى أحمد سيد : وسائل الترفيه ، ص ٤٥-٤٦ .

(١٩١) المقرئى السلوك ، ج ٣ ، ص ٧٨ ؛ ابن حجر - الدرر الكامنة ، ج ٣ ، ص ٣١٤ ، رقم ٨٤٦ ؛ ابن قاضى

شبهة : تاريخ ابن قاضى ، مج ٢ ، ص ١٠٨ - السعاوى : وحيز الكلام ، ج ١ ، ص ٢٢٧-٢٢٨

(١٩٢) تاريخ ابن قاضى شبهة ، مج ٢ ، ج ٢ ، ص ٢١٢ .

(١٩٣) رقية بنت على أبى طالب قدمت مصر بعد كربلاء ومسجدها يعرف بجامعة شجر الدر على يسار الطالب

للسيدة نفيسة وقد بنت هذا المشهد السيدة علم الأميرة أم ابنه الأمر بأحكام الله الفاطمى عام ٥٣٣هـ

١١٣٨م وذكر هذا المشهد على مبارك ضمن التكميل أنظر :- ابن عبد الظاهر ، الروضة البهية .

ص ٩٣-٩٤ ، المقرئى ، المخطوط ، ج ٤ ، ص ٤٢٣ ، الشلبجى ، نور الأنصار ، ص ٢٩-٢٩١ ، على

مبارك ، المخطوط التوفيقية ، ج ٦ ، ص ١٦ : سعاد ماهر ، مساجد مصر وأولياؤها الصالحون ، ج ٢ ،

ص ١٢٦-١٣٠ .

(١٩٤) نفسه بنت الحسن بن زيد بن الحسن بن على بن أبى طالب توفيت بمصر عام ٢٠٩هـ / أنظر :- ابن

زولاق ، فضائل مصر ، ص ٤٨ - ٤٣ ، السعاوى ، لجنة الأحياء ، ص ٤٤ ، المقرئى ، المخطوط ، ج ٤ ،

ص ٣١٣ ، السيوطى ، حصر الحاضرة ، ج ١ ، ص ٥١١ ، ابن طهيرة ، الفضائل البهية ، ص ١٩٣ .

(١٩٥) المقرئى ، السلوك ، ج ٤ ، ص ١٢٢٩ ، ابن تهرى بردى ، المحرم الزهرة ، ج ٥ ، ص ٣٤٨ ؛ ابن الصيرفى

نزهة النفوس والأبدان ، ج ٤ ، ص ٢١٦

(١٩٦) جامع الفاكهين ويعرف بجامعة الظافر والجامع الأخضر عمره الخليفة الفاطمى الظافر بمصر الله أبو منصور

إسماعيل بن الحافظ لدين الله عام ٥٤٣هـ / ١١٤٥م ، ويقع بسوق السراجين أنظر :- ابن عبد الظاهر

الروضة البهية الزاهرة ، ص ٧٤ ، المقرئى ، المخطوط ، ج ٤ ، ص ٨٠-٨١ ، السيوطى ، حصر الحاضرة ،

ج ٢ ، ص ٢٢٣ ؛ على مبارك ، المخطوط التوفيقية ، ج ٥ ، ص ١٥٦-١٥٧ أنظر أيضا حسن عبد الوهاب ،

تاريخ المساجد الأثرية ، ج ١ ، ص ٧٤ .

(١٩٧) جامع الفخر أنشأه فخر الدين محمد بن فضل الله العمري ، ناظر الجيش المتوفى عام ٧٢هـ / ١٣٢م ،

بماجد بولاق ، وكان يعرف مكانه بحط الكبالة وهو مكان يؤخذ فيه مكس الغلال المبتاعة أنظر :-

المقرئى ، المخطوط ، ج ٤ ، ص ١٠٩ ؛ على مبارك ، المخطوط التوفيقية ، ج ٥ ، ص ١٥٧-١٠٩

(١٩٨) أنشأ هذا الجامع محمد بن صارم ويقع بياضة بقلان فيما بين بولاق وباب البحر . أنظر :- المقرئى ،

المخطوط ، ج ٤ ، ص ١٣٢ .

(١٩٩) الوردى ، مهابة الأرب ، ج ٢٩ ، ص ٢٣٦ ، ج ٣ ، ص ١٤٥-١٤١ ، الذهبى ، تاريخ الاسلام ، حوادث

عام ٦٥ ، ابن أبيك الصغدى الواسى ، ج ٣ ، ص ١٧ ، رقم ٨٧٧ ، الإسرى ، طبقات الشافعية ،

ج ٢، ص ١٥٢، رقم ٤٢٠: المقرئى: السلوك، ج ١، ص ٢٣، ٢٢٣، ٣٠٦، ٣٨٥: الخطط،  
 ج ٤، ص ١٩٣: المقضى الكبير، ج ٥، ص ٥٩٧-٥٩٨، رقم ٢١٤٨: ابن قاضى شبهه: طبقات الفقهاء-  
 الشافعية، ج ١، ص ٤٩-٤٤٠، رقم ٤٢٠: العينية: عقد الجمان، ج ١، ص ٧٦: ابن تغرى بردى-  
 الدليل الشافى، ج ٢، ص ٦١٦.

(٢٠٠) سبط ابن الجوزى: ذيل مرآة الزمان، ج ٢، ص ٣٥٥: العينية: عقد الجمان، ج ١، ص ٤٠-٤١.

(٢٠١) ابن أبيك الصفى: الوافى، ج ٨، ص ٤٤، رقم ٣٤٤٩: أعيان العصر وأعوام النصر، ج ١، ص ٩٢.  
 المقرئى: السلوك، ج ١، ص ٨٣١ ولكنه يذكر وفاته عام ٦٩٦ هـ المقضى الكبير، ج ١، ص ٥٨٦.  
 رقم ٥٦٧: العينية: عقد الجمان، ج ٣، ص ٣٣٧: ابن تغرى بردى: المهمل الصافى، ج ٢، ص ١١٩-  
 ١٢٠، رقم ٢٧٤: الدليل الشافى، ج ١، ص ٧٨، رقم ٢٧٢: ابن العصاد الخنبلى: شذرات الذهب،  
 ج ٥، ص ٤٣٠: محمود رزق سليم: عصر سلاطين المماليك، مج ٤، ص ٤٧.

(٢٠٢) المقرئى: السلوك، ج ٢، ص ١٤: درر العقود المرفعة، ج ٢، ص ٤٦١: ابن تغرى بردى: الجوامع  
 الزاهرة، ج ٨، ص ٢١٤، ولكنه يذكر وفاته فى ١٩ شوال عام ٧٠ هـ.

(٢٠٣) يذكر ابن حجر أنه ولد عام ٦٩٦ هـ وهذا خطأ وغير مقبول إذا أن أنبه تومس فى العام السابق، وكيف  
 يتولى القابة ولديه ثمان سنوات وهذا عمر مقبول الدرر الكامنة، ج ٢، ص ٩.

(٢٠٤) ابن رافع السلامى: الوفيات، ج ٢، ص ٤٢٦: التويزى: نهاية الأرب، ج ٣٣، ص ١٨: ابن قاضى  
 شبهه: تاريخ ابن قاضى شبهه، تحقيق عرتان درويش، مج ١، ج ٢، ص ٣٢٥.

(٢٠٥) المقرئى: درر العقود المرفعة، ج ٢، ص ٤٦١-٤٦٢، رقم ٧٨٠، ابن أبيك الصفى: الوافى، ج ٣،  
 ص ٣٣٤-٣٣٥، رقم ١١٤٩: الحسى: ذيل العبر، ص ١٧٢: ابن رافع السلامى: الوفيات،  
 ج ١، ص ٢٣٥، رقم ٦٩٢: السبكي: طبقات الشافعية الكبرى، ج ١٠، ص ١٧: زهيرى: تاريخ  
 سلاطين المماليك، ص ١٩٧، ٢١٧: ابن حجر: الدرر الكامنة، ج ٣، ص ٥: المقرئى: السلوك، ج ٢،  
 ص ٤٤٤، ٨٨٩، ٨٨٨، ٤٨٩: السخاوى: وحيز الكلام، ج ١، ص ٨٩: ابن حبيب: تذكر النبى،  
 ج ٣، ص ٢٠٠: درة الأسلاك، ص ٣٩٨: ابن تغرى بردى: الجوامع الزاهرة، ج ١٠، ص ٣٢٢: ابن قاضى  
 شبهه: طبقات الفقهاء الشافعية، ج ٢، ص ١١٢-١١٣، رقم ٥٩٩: تاريخ ابن قاضى شبهه، مج  
 ٢، ص ٣، ١٠٨: سهام أبو زيد: الحسة فى مصر الإسلامية، ص ٢٧٩.

(٢٠٦) ابن رافع السلاسي : كتاب الوفيات ، ص ٢٤٢-٢٤٣ ، رقم ٧٥٨ : العراقي : الدليل على العبر ، ص ٦٩-٧٠ ؛ ابن حبيب . تذكر النبوة ، ج ٣ ، ص ٢٤٣-٢٤٤ : ابن فهد المكي : لفظ الألفاظ ، ص ١١ : المقرئ : السلوك ، ج ٣ ، ص ٦٩ : ابن حجر . الدرر الكامنة ، ج ٢ ، ص ١٥٣-١٥٥ ، رقم ١٦١١ : ابن قاضي شهبة : تاريخ ابن قاضي شهبة . مع ٢ ج ٢ / ص ١٩٢ : ابن تغري بردي : السجود الزاهرة ، ج ١١ ، ص ١٠ : المهمل الصافي ، ج ٥ ، ص ١٦٩-١٧٠ ، رقم ٩٥٥ : الدليل الشافي ، ج ١ ، ص ٢٧٦ ، رقم ٩٥٢ : السخاوي : وجيز الكلام ، ج ١ ، ص ١١٩ .

(٢٠٧) العراقي : ذيل العبر ، ج ١ ، ص ١٠٨-١٠٩ : ابن قاضي شهبة : مع ٢ ج ٣ ، ص ٢١٢ . ويذكر كل من المقرئ والسخاوي شمس الدين محمد بن شهاب الدين أحمد بدلا من الحسين . المقرئ : السلوك ، ج ٣ ، ص ٧٨ : السخاوي : وجيز الكلام ، ج ١ ، ص ٢٢٧-٢٢٨ .

(٢٠٨) تاريخ ابن قاضي شهبة ، مع ٢ ج ٣ ، ص ٤١٣ .

(٢٠٩) العراقي : ذيل العبر ، ج ٢ ، ص ٣٤٥ . المقرئ : السلوك ، ج ٣ ، ص ٦٩-٢٠٧ : ابن حجر : إنباء العمر ، ج ١ ، ص ٣٥ : ابن قاضي شهبة : تاريخ ابن قاضي شهبة ، مع ٢ ج ٢ ، ص ٤١٣ .

ويذكر ابن حجر أنه تولى النسخة في ٩ شوال . إنباء العمر ، ج ١ ، ص ٣٥ : ابن قاضي شهبة : تاريخ ابن قاضي شهبة ، مع ٢ ج ٢ ، ص ٤١٤ .

(٢١٠) العراقي : ذيل العبر ، ج ٢ ، ص ٣٤٥ . المقرئ : السلوك ، ج ٣ ، ص ٢٠٧ : إنباء العمر ، ج ١ ، ص ٣٥ : ابن قاضي شهبة : تاريخ ابن قاضي شهبة ، مع ٢ ج ٢ ، ص ٤١٤ .

(٢١١) العراقي : ذيل العبر ، ج ٢ ، ص ٤٣٩-٤٤٠ : المقرئ : السلوك ، ج ٣ ، ص ٣٠ : ابن حجر : إنباء العمر ، ج ١ ، ص ٧٤٥ : ابن قاضي شهبة : تاريخ ابن قاضي شهبة ، مع ٢ ج ٢ ، ص ٥٢٣ : ابن عباس : بدائع الزهور ، ج ١ ، ق ٢ ، ص ١٩٨ .

(٢١٢) المقرئ : السلوك ، ج ٣ ، ص ٢٦٩ : ابن عباس : بدائع الزهور ، ج ١ ، ق ٢ ، ص ١٦٩ .

(٢١٣) المقرئ : السلوك ، ج ٣ ، ص ٣٣٣ : ابن حجر : إنباء العمر ، ج ١ ، ص ١٧٢ : ابن قاضي شهبة : تاريخ ابن قاضي شهبة ، مع ٢ ج ٢ ، ص ٥٧٢ : ابن عباس : بدائع الزهور ، ج ١ ، ق ٢ ، ص ٢٢٨ .

(٢١٤) المقرئ : السلوك ، ج ٣ ، ص ٣٣٣ : ابن حجر : إنباء العمر ، ج ١ ، ص ١٧٢ : ابن عباس : بدائع الزهور ، ج ١ ، ق ٢ ، ص ٢٢٨ .

(٢١٥) المقرئ : السلوك ، ج ٣ ، ص ٤٠٦ ، ٣٧٧ : ابن عباس : بدائع الزهور ، ج ١ ، ق ٢ ، ص ٢٨٠-٢٥٣ .

(٢١٦) المقرئى : السلوك ، ج ٣ ، ص ٣٧٧ : ابن إياس : بدائع الزهور ، ج ١ ، ص ٢٥٢ .

(٢١٧) المقرئى : السلوك ، ج ٣ ، ص ٤٥٦ .

(٢١٨) المقرئى : السلوك ، ج ٣ ، ص ٦٣٣ : ابن إياس : بدائع الزهور ، ج ١ ، ق ٢ ، ص ٢٩٧ .

(٢١٩) المقرئى : السلوك ، ج ٣ ، ص ٦٣٣ : ابن الصيرفى : نزهة النفوس ، ج ١ ، ص ٢٢٧ .

(٢٢٠) ابن الفرات : تاريخ ابن الفرات ، مج ٩ ، ج ١ ، ص ٨ : المقرئى : السلوك ، ج ٣ ، ص ٦٣٣ : العيسى

عقد الجمال ، حوادث عام ٧٩١ هـ ، ص ٢٤٦ : ابن الصيرفى : نزهة النفوس ، ج ١ ، ص ٢٢٧

(٢٢١) المقرئى : السلوك ، ج ٣ ، ص ١٧٠٧ : ابن حجر : إنباء الغمر ، ج ١ ، ص ٣٩٥ : ابن الصيرفى : نزهة النفوس ، ج ١ ، ص ٢٩٧ .

(٢٢٢) ابن الفرات : تاريخ ابن الفرات ، مج ٩ ، ج ١ ، ص ١٠٢ : المقرئى : السلوك ، ج ٣ ، ص ١٧٠٧ : ابن حجر :

إنباء الغمر ، ج ١ ، ص ٣٩٥ : ابن الصيرفى : نزهة النفوس ، ج ١ ، ص ٢٩٧ .

(٢٢٣) ذكر كل من العيسى وابن الصيرفى أنه توفي في أوائل ذي القعدة عقد جمال ، حوادث عام ٨٠٠ هـ ،

ص ٤٦٢ : ابن الصيرفى : نزهة النفوس ، ج ١ ، ص ٤٧٩ : أما المقرئى وابن تغرى بردى فذكر أن وفاته

في ١٤ ذو القعدة . السلوك ، ج ٣ ، ص ٩١١ : النجوم الزاهرة ، ج ١٢ ، ص ١٩٢ : وذكر ابن حجر أن

وفاته في ١٢ ذو القعدة إنباء الغمر ، ج ٢ ، ص ٢٦ ، ١٥ : أما ابن إياس فذكر وفاته في شوال . بدائع

الزهور ، ج ١ ، ق ٢ ، ص ٥٠٠ .

(٢٢٤) المقرئى : السلوك ، ج ٣ ، ص ٩٠٣ : ابن الصيرفى : نزهة النفوس ، ج ١ ، ص ٤٦٤ : في حين يذكر ابن

حجر أنه تولى في ١٢ ذو القعدة . إنباء الغمر ، ج ٢ ، ص ١٥ .

(٢٢٥) المقرئى : السلوك ، ج ٤ ، ص ٤٧٢ : درر العقود ، ج ٢ ، ص ٤٦٣ ، رقم ٧٨٣ : ابن حجر : إنباء الغمر

، ج ٣ ، ص ١٨٤ : ديل الدرر الكاسية ، ص ٢٦٣ ، رقم ٤٩٥ : ابن تغرى بردى : المهمل الصامى ، ج ٨ ،

ص ٣٩ ، رقم ١٥٦٠ : الدليل الشامى ، ج ١ ، ص ٤٤٩ ، رقم ١٥٥٤ : النجوم الزاهرة ، ج ١٤ ، ص ١٤٩ .

ابن الصيرفى : نزهة النفوس ، ج ٢ ، ص ٤٣٢ : السجوى : الضوء ، ج ٥ ، ص ١٧٢ ، رقم ٥٩٤ : عند

الباسط بن حليل : نيل الأمل ، ج ٤ ، ص ١٢ : في حين يذكر العيسى وفاته في ١٨ ربيع الأول . حوادث

عام ٨٢١ هـ ، ص ٣٩ .

(٢٢٦) المقرئى : السلوك ، ج ٤ ، ص ٤٤٠ : ابن حجر : إنباء الغمر ، ج ٣ ، ص ١٥٨ : السجوى : الضوء ،

ج ٣ ، ص ١٠٥ ، رقم ٤٢٠ .

(٢٢٧) المقرئى - السلوك ، ج ٤ ، ص ١٢١٣ : الصيرفى نزهة النفوس ، ج ٤ ، ص ٢٠٥ .

(٢٢٨) ابن تحرى بردى : حوادث الدهور ، ج ١ ، ص ١٥٢ ، ١٧ : المهمل الصامى ، ج ٨ ، ص ٤٠ : السخاوى : الضوء ، ج ١ ، ص ١٠٥ .

(٢٢٩) المقرئى : السلوك ، ج ٤ ، ص ١٢١٣ : ابن الصيرفى : نزهة النفوس والأبدان ، ج ٤ ، ص ٢٠٥ : السخاوى : الضوء ، ج ٣ ، ص ١٨ ، رقم ٥٤٧ ، وجيز الكلام ، ج ٣ ، ص ٩١٤ : الدبل التام ، ج ٢ ، ص ٣٣٧-٣٣٨ : عبد الباسط بن خليل : نيل الأمل ، ج ٧ ، ص ٢٧٥ .

(٢٣٠) السخاوى : الضوء اللامع ، ج ٣ ، ص ١٣٨ ، رقم ٥٤٧ : وجيز الكلام ، ج ٣ ، ص ٩١٤ : الدبل التام ، ج ٢ ، ص ٣٣٨ : عبد الباسط بن خليل : نيل الأمل ، ج ٨ ، ص ١٦٩ .

(٢٣١) وثيقة وقف رقم ٢٣١ ملف ٢٦ ، دار الوثائق القومية بالقاهرة ، انظر محمد محمد أمين : فهرست وثائق القاهرة ، ص .

(٢٣٢) وثيقة رقم ٣٧٠ ح أرشيف وزارة الأوقاف بتاريخ ٥ ذو الحجة ٩٠٩ هـ وثيقة رقم ٥٥٣ ح أرشيف وزارة الأوقاف بتاريخ ١٨ رجب ٩١٤ هـ انظر محمد محمد أمين : فهرست القاهرة ، ص ٢٥١-٢٥٢ .

## العثمانيون و المغول في مذكرات أسير الحرب

يوهان شيلتبرجر ١٣٩٦-١٤٢٧م

تناولت العديد من المصادر التاريخية المعاصرة أحداث تاريخ كل من العثمانيين و المغول على أن ما رواه الأسير الألماني يوهان شيلتبرجر Johan Schiltberger في مذكراته<sup>(٢)</sup>، يعد في غاية الأهمية بسبب وقوعه في الأسر لفترة جاوزت الثلاثين عاما ، جاب فيها العالمين العثماني و المغولي معا .

حدث ذلك بعد سقوطه في أسر القوات العثمانية على إثر موقعه نيقوبوليس Nicopolis ١٣٩٦م<sup>(٣)</sup>، التي دارت بين السلطان العثماني بايزيد الأول Beyazit I (الصاعقة Yildrem) و بين القوى الأوروبية المسيحية بقيادة ملك المجر سيجموند Sigmond . فكث بعدها في خدمة السلطان العثماني حتى هزمته أمام العاهل المغولي تيمورلنك Timur Lenk في موقعه أنقرة ١٤٠٢م<sup>(٤)</sup> . ليدخل شيلتبرجر بعدها في طور جديد من أطوار الأسر والعبودية، عبر التحاقه بخدمة تيمور ، حتى وفاة الأخير في فبراير ١٤٠٥م .

بعد ذلك انتقل للعمل في خدمة شاه رخ ، ثم إلى خدمة ابنه أبي بكر ، الذي قد بإرساله للعمل والخدمة لدى حكام مغول القبيلة الذهبية .

حدث هذا قبل أن يتمكن شيلتيرجر من الهرب و التخلص من رقة الأسر و العبودية ، بعد نجاحه فى العودة إلى وطنه ألمانيا عام ١٤٢٧م.

و هكذا عاش أسيرنا الباقارى أكثر من ثلاثين عاماً ، هى مدة الأسر ، فى كنف السلطين العثمانية و المعولية . الأمر الذى جعل روايته عن الأحداث السياسية و العسكرية التى عاصرها خلال تلك الأعوام ، تحمل خصوصية و مصداقية إلى حد كبير عن باقى الروايات التاريخية المتعلقة بالعثمانيين و المغول خلال فترة البحث ، على الرغم من نشوشها فى بعض الأحيان .

حكى شيلتيرجر فى مذكراته - التى أملاها بعد عودته إلى بلاده - عن العديد من الأحداث التى عاصرها ، و كن شاهد عيان عليها لدى العثمانيين و المغول ، و كذا عند المماليك و الأرمن أيضاً ، الذين ساقته الظروف إلى بلادهم و مكث بها فترات معينة .

و بالإضافة إلى ذلك ، فقد تناول العديد من الأحداث و القصص و الأخبار الأسطورية التى سمع عنها و لم يشهدها بنفسه .

و يمكن القول دون مبالغة ، أن ما رواه الأسير الألماني يوهان شيلتيرجر فى مذكراته يعد مصدراً أصيلاً مليئاً بالحوادث التاريخية . فلم يهتم فقط بذكر الأحداث السياسية العسكرية التى عاصرها ، بل قام برصد العادات الاجتماعية للشعوب التى عاش لسنوات فى كنفها ، فضلاً عن مساهمتها الثقافية و الدينية . و هو الأمر الذى يجعلنا نذكر أنه يمكن إدراج مشاهداته ورواياته ضمن إطار ما يمكن تسميته بالأنثروبولوجيا الثقافية للعصور الوسطى.

وسوف يهتم هذا البحث بالتركيز على الجوانب السياسية والعسكرية والاجتماعية والأنثروبولوجية التى تناولها فى المجتمعين العثماني والمغولي إبان فترة الأسر ، دون التطرق إلى رؤيته وانطباعاته عن الدين الإسلامى والمسلمين ، وهو ما يستحق أن نقره له بحثاً مفصلاً .

غادر يوهان شيلتيرجر منزله القريب من مدينة ميونخ عام ١٣٩٤م ، برفقة سيده الألماني ، الأمير لينهارت ريتشارتجر Leinhart Richartinger<sup>(١)</sup> ، بهدف محاربة الأتراك العثمانيين استجابة لماشدة الملك المجرى سيجموند الذى زحف بجيش يتألف من آلاف المجرين و البلغار ، فضلاً عن مئات الفرسان الفرنسيين و الإنجليز ، عبر المنطقة المعروفة باسم البوابة الحديدية Iron Gate<sup>(٢)</sup> ، قبل أن يعبر نهر الدانوب و يستولى على مدينة بودم Pudem عاصمة بلغديا من قبضة العثمانيين ، متخذاً طريقه لضرب حصار بحرى و برى ، استمر لسته عشر يوماً حول مدينة نيقوبوليس<sup>(٣)</sup>.

رصد شيلتبرجر وصول السلطان العثماني بايزيد لإتقاذ المدينة و مواجهة سيجموند ، كما رصد الاستعدادات المسيحية لمواجهة العثمانيين . من ذلك تقدم سيجموند لمسافة ميل واحد عن المدينة لمواجهة بايزيد ، و سماحه لدوق والاشيا Werterwaywod باستطلاع أحوال الجيش العثماني ، الذي عاد ليلبغ الملك بأنه شاهد عشرين راية تضم كل منها عشرة آلاف رجل <sup>(١٧)</sup> .

و هو نفس العدد الذي قرره المزوخ فرواسار Froissart الذي ذكر بأن أعداد المحاربين العثمانيين بلغ مائتي ألف مقاتل <sup>(١٨)</sup> ، و بينما ذكر أيضاً أن قوات الملك سيجموند تألفت من ٣٠ ألف مقاتل بالإضافة إلى ٧٠٠ فارس فرنسي ، فإن شيلتبرجر ذكر وجود ١٦ ألف مقاتل كانوا مع سيجموند بالإضافة إلى ٦ آلاف مقاتل فرنسي مع دوق بورجنى <sup>(١٩)</sup> .

على أن شيلتبرجر ، ربما بسبب صغر سنه ، فضلاً عن خلفيته العسكرية المتواضعة ، ودوره كتابي لسيد ، لم يذكر لنا بالتفصيل أسلوب الجيش العثماني في إدارة المعركة . على حين ذكر فرواسار أن بايزيد قام بتنظيم جيشه على هيئة أجنحة ، بحيث كانت تتقدمه فرقة مؤلفة من ثمانية آلاف جندي ، و يحرده أن اقترب الجيش المسيحي . قامت تلك الفرقة باستدراجه ، و حينها انقض آلاف الجنود العثمانيين من الجناحين عليها ، حتى حلت الهزيمة بجيش سيجموند <sup>(٢٠)</sup> .

على أية حال ، يبدو أن الأمير الألماني لبهارت رتشارتشر و برفقته تابعه شيلتبرجر ، كانا قريبين من الملك سيجموند و كبار القادة المسيحيين ، إذ ذكر شيلتبرجر أن دوق والاشيا أراد أن يكون البادئ بالهجوم على الجيش العثماني ، غير أن دوق بورجنى de coucy ناشد الملك المجري أن يبدأ هو بالقتال <sup>(٢١)</sup> . على حين كان سيجموند يرى أن يبدأ المجريون القتال أولاً مع العثمانيين لسابق معرفتهم بأساليب قتالهم <sup>(٢٢)</sup> . وعلى الرغم من ذلك اندفع دوق بورجنى لمحاربة العثمانيين ، الذين تمكنوا من إيقاع الهزيمة به بعد حصاره و إجباره على الاستسلام <sup>(٢٣)</sup> .

عندما شاهد الملك المجري ما حدث ، حمل على الجيش العثماني ، غير أنه أجبر على الانسحاب . و عندما حلت الكارثة بالجيش المسيحي في نيقوبوليس ، فر سيجموند إلى نهر الدانوب ، حيث نجح في الهرب على متن سفينة حملته حتى وصل إلى القسطنطينية <sup>(٢٤)</sup> . بينما قتل العثمانيون الآلاف من الجنود المسيحيين الفارين من المعركة . فضلاً عن غرق المئات منهم إبان محاولتهم الهرب عبر نهر الدانوب <sup>(٢٥)</sup> .

و لأن التابع شيلتبرجر كان قريباً من سيده الألماني لينهارت في ميدان المعركة ، فلم يفقه أن

يشير إلى إصابة حصان سيده بسهم قاتل ، الأمر الذى أوجب عليه ضرورة تقديم حصانه إليه ، قبل أن يعود إلى موقعه مع الأتباع الآخرين . حدث هذا قبل أن تسفر المعركة عن مصرع سيده الألمانى فى النهاية <sup>(١١٦)</sup> .

و نتيجة للهزيمة الساحقة التى حلت بجيش الملك سيجموند و القوى الأوربية المسيحية فى موقعة نيقوبوليس ١٣٩٦م ، فقد سقط الآلاف من الجنود المسيحيين فى أسر القوات العثمانية ، إلى جانب العشرات أيضاً من النبلاء الفرنسيين <sup>(١١٧)</sup> .

وعلى الرغم من إشارة شيلنجر إلى رغبة السلطان العثمانى بايريد فى قتل جميع الأسرى لولا تدخل دوق بورجنى الذى توسل للسلطان من أجل بقاء العديد من النبلاء الفرنسيين الذين يعرفهم ، و هو ما حدث بالفعل <sup>(١١٨)</sup> . فإنه لم يشر إلى ما أشارت إليه المصادر التاريخية المعاصرة كفرواسار و دوكاس من أن تدخل دوق بورجنى جعل العثمانيين يدركون أهمية العشرات من الأسرى الفرنسيين ، و هو ما جعلهم يوقفون عمليات القتل ، من أجل الحصول على فديات ضخمة مقابل إطلاق سراحهم ، بينما تم قتل باقى الحرد العاديين <sup>(١١٩)</sup> .

و الحقيقة أن الأسرى من النبلاء الفرنسيين فى موقعة نيقوبوليس كانوا يرتدون ملابس فاخرة ميزتهم عن باقى الجنود ، تمت لحفاظة على حياتهم بواسطة العثمانيين التواقين إلى الحصول على أموال طائلة <sup>(١٢٠)</sup> .

و لكى يتأكد السلطان العثمانى بايزيد بنفسه من هويتهم ، قام بإطلاق سراح الفارس الفرنسى جاك دى كريك Jacques de Crequy ، سهر هيللى Sire de Heilly ، الذى يجيد اللغة العثمانية - بفضل عمله من قبل فى خدمة السلطان العثمانى قبل العودة لمحاربة العثمانيين فى نيقوبوليس - من أجل التعرف على شخصيات النبلاء الفرنسيين .

و هو الأمر الذى حدث بالفعل ، إذ عاد دى كريك لبحيره بأنهم من أعلى الطبقات الاجتماعية فى فرنسا . ومن جانب آخر فإن النبلاء ، تاشدوه أيضاً إخبار السلطان بأنهم يستطيعون دفع فديات عالية مقابل الحفاظ على حياتهم <sup>(١٢١)</sup> .

و على الرغم من سقوط شيلنجر فى الأسر العثمانى لست سنوات تالفة حتى العام ١٤٠٢م ، فضلاً عن قرب من البلاط العثمانى ، فإنه لم يشر أيضاً إلى المفاوضات التى جرت بين السلطان بايزيد و القوى الأوربية من أجل اقتداء أسرى نيقوبوليس .

إذ أنه بات من المعروف أن بايزيد قد أطلق سراح الفارس جاك دى كريك فى الصباح التالى للمعركة حتى يرحل لمقابلة ملك فرنسا ، حيث وصل إلى باريس ليلة عيد الميلاد عام ١٣٩٦م . وبعد مفاوضات طويلة تم دفع الفدية التى تم تحديدها أولاً بمليون فرنك ، ثم مائتى ألف فلورين ، بعد أخذ تعهد عليهم بالإقامة فى مدينة البندقية حتى استكمال دفع الفدية التى وصلت فى النهاية إلى مائة واثنين و سبعين ألف فلورين ، تم دفعها فى شهر فبراير من العام ١٣٩٧م ، ليتم تحرير الأسرى بعد ذلك فى شهر يونيه من نفس العام <sup>(١٢٣)</sup> .

و هاك مثال آخر على عدم اهتمام شيلتيرجر بذكر و متابعة أحوال الأسرى من النبلاء الفرنسيين الذين جرى تحريرهم ، فقد أغفل تماماً الإشارة إلى وجود الببيل الفرنسى الشهير المارشال بوسيكوي Bouciquoi ، ضمن الأسرى الذين عرضوا عراة الصدور أمام السلطان العثمانى <sup>(١٢٤)</sup> ، و كان من المفروض أن يتم إعدامه كالأسرى الباقين .

غير أنه مجرد أن رآه إيرل ناغار ، توجه مباشرة للسلطان العثمانى وخر ساجداً أمامه ، متوسلاً إرجاء تنفيذ حكم الإعدام فى بوسيكوي ، بوصفه فارساً عظيم الشأن فى فرنسا ، و أن السلطان يستطيع أن يجلب من وراء إطلاق سراحه فدية كبيرة . و هكذا استجاب بايزيد لطلبه ، لينتقل بوسيكوي بعدها للجلوس وسط النبلاء الفرنسيين الذين تم إيداع حياتهم <sup>(١٢٥)</sup> .

و تنبع أهمية إطلاق سراح الببيل بوسيكوي من كونه لعب دوراً خطيراً ضد العثمانيين فيما بعد ، إبان حصار السلطان العثمانى بايزيد للقسطنطينية ١٣٩٦-١٤٠٢م ، فقد أرسله الملك الفرنسى شارل السادس Charles VI (١٣٨٢-١٤٢٢م ) لمساعدة الامبراطور البيزنطى مانويل باليولوجس Manuel Palaeologus ( ١٣٩١-١٤٢٥م ) ضد العثمانيين .

و بالفعل نجح المارشال بوسيكوي فى كسر طوق الحصار البحرى الذى فرضه العثمانيون على القسطنطينية ، كما نجح فى التسلل إليها ليقود عمليات دفاع ناجحة عن المدينة ، وهو ما ساهم فى إفشال الحصار الذى قام به السلطان بايزيد <sup>(١٢٦)</sup> .

و بعيداً عن النبلاء الفرنسيين الذين تم حصرهم وتسجيلهم من أجل الحصول على فديات عالية مقابل إطلاق سراحهم ، فإن الاتجاه الغالب لدى العثمانيين ، كان قتل جميع الأسرى الباقين . حيث يذكر شيلتيرجر أن السلطان بايزيد أمر الجتود العثمانيين بعيد انتهاء المعركة ، بضرورة إحصار الأسرى الأوربيين الذين كانوا بحوزتهم وإعدامهم . و أنه كان حاسماً فى هذا الأمر لدرجة أنه كان يعين جديداً بديلاً للجندى الذى رغب عن قتل أسراه <sup>(١٢٧)</sup> .

وهكذا تم جمع الأسرى الباقين عراة الصدور أمام السلطان العثماني الذي أصدر أمره بإعدامهم جميعاً .

وصف شيلتبرجر عملية إراقة الدماء التي استمرت حسب كلماته " من الصباح حتى صلاة المساء ( المغرب ) حيث تم إعدام عشرة آلاف أسير " . واسترعى انتباهه أن ما حدث قد أثار عطف مستشاري السلطان بايزيد ، فتوسلوا إليه أن يوقف سفك الدماء ، و أن يكظم غضبه إرضاء لله ، حتى لا يحل عليه عقابه نتيجة كثرة الدماء التي أمر بإهلاكها <sup>(٢٨)</sup>.

و الحقيقة أن قيام السلطان العثماني بايزيد بإعدام الأسرى الأوربيين في نيقوبوليس كان بمثابة رد فعل على تصرف القوى الأوربية المسيحية ضد الأسرى المسلمين . بعد قيام الكونت دي نافار و ملك المجر بإعدام جميع الأسرى المسلمين بعيد سقوط راهوفا Rahova <sup>(٢٩)</sup> . و هو الأمر الذي أثار غضباً عارماً لدى السلطان بايزيد ، مما دفعه لاتخاذ ذلك التصرف ضد الأسرى المسيحيين .

ولم تكن تلك هي السابقة الوحيدة في التاريخ الأوربي الوسيط ، فقد قام بعد ذلك الملك الإنجليزي هنري الخامس Henri V ( ١٤١٣ - ١٤٢٢ م ) بإعدام الأسرى الفرنسيين لديه بعيد معركة أزىنكورت Azincourt ١٤١٥ م .. <sup>(٣٠)</sup>

كما أشار شيلتبرجر أيضاً إلى أن العرف الموجود لدى العثمانيين ، والقاضي بعدم إعدام الأسرى الذين يقل سنهم عن العشرين ، قد منحه الحياة . فقد كان لم يتجاوز السادسة عشر عاماً بعد ، وهو ما دعا ابن السلطان بايزيد لضمه حيث الصبية الآخرين ، فالتحق بعاشبة السلطان العثماني كخادم أو جندى مراسلة runner <sup>(٣١)</sup> .

غير أن بعض التشوش يدخل على حديث شيلتبرجر ، الذي يذكر أنه بعد استمراره في عمله عبر العدو أمام السلطان لست سنوات ، فإنه قد أصبح حديراً بأن يركب جواداً لست سنوات أخرى <sup>(٣٢)</sup> . و هو ما يجافي الحقيقة لأنه بنهاية السنوات الست الأولى ، سقط شيلتبرجر في أسر تيغورلنك بعد هزمته للسلطان بايزيد في موقعة أنقرة ١٤٠٢ م <sup>(٣٣)</sup>.

على أية حال، تابع شيلتبرجر رحلته مع أسرى معركة نيقوبوليس الذين لم يتم إعدامهم ، فذكر أنه تم إرسالهم أولاً إلى مدينة أدرنة Adrianople ، ثم إلى مدينة غاليبولي Gallipolis <sup>(٣٤)</sup> قبل أن يستقروا في العاصمة العثمانية بورصا Brusa .

و اعترافا من السلطان العثماني بايزيد يلدرم بفضل كبار السن من الأسرى ، جعل إقامتهم في أدرنه داخل إحدى القلاع ، وفي بورصا في أحد القصور ، قبل أن يتم نقلهم بعد ذلك إلى مدينة Mikaleditch ( قراجابك Karacabey ) ( ٣٦١ ) .

بعد ذلك أشار شيلتبرجر إلى عادة السلاطين العثمانيين في إرسال الأسرى المسيحيين كهدايا ، تعبيرا عن النصر ، إلى باقي الممالك الاسلامية . فذكر أن بايزيد أرسل ستينا من الأسرى للسلطان المملوكي الظاهر برقوق ( ١٣٩٠ - ١٣٩٩ م ) بالقاهرة . وأنه كاد أن يرسل في معية هؤلاء الأسرى ، لولا إصابته بحروح خطيرة في معركة نيقوبوليس ( ٣٦٢ ) . ليدفع به القدر إلى حاشية السلطان العثماني .

و لدينا مصدر تاريخي يتحدث عن وجود هؤلاء الأسرى في مصر ، هو ما كتبه اليندقي مانويل بيلوتي Emmanuel Piloti ، الذي أشار إلى إرسال العثمانيين لمائتين من أسرى نيقوبوليس للسلطان المملوكي . وأنه رأى بعينه أولئك الأسرى من الفرنسيين و الايطاليين وغيرهم . وحسب كلماته " ... لقد رأيتهم جميعاً في قصر السلطان بالقاهرة ، و تحدث معهم و كانوا جميعاً من الشبان حسنى الخلقة ، الذين تم اخذهم بعثية " ( ٣٦٣ ) .

على أن جين ريتشارد Richard J. يرى أنه من الضروري أن نصدق رواية شيلتبرجر حول إرسال السلطان العثماني لستين صبياً فقط إلى البلاط المملوكي في القاهرة ، و أن الباقيين الذين شاهدهم بيلوتي إنما كانوا من الممالك الآخرين للسلطان الظاهر برقوق ( ٣٦٤ ) .

ويبدو هذا منطقيا في ظل شهادة شيلتبرجر ، ويفضل معرفتنا بوجود العديد من الأسرى الأوربيين في البلاط المملوكي :

بعد أن استقر شيلتبرجر في حاشية السلطان بايزيد بدأ في رصد التطورات السياسية والعسكرية للعثمانيين . فأشار إلى ما حدث في العام التالي لأسره من صراع ما بين السلطان بايزيد وصهره علاء الدين القرمانى انتهى بمقتل الأخير بعد موقعة أتى جاي Ak Schay عام ١٣٩٧م ( ٣٦٥ ) .

و على الرغم من تعرضه لتفصيلات عديدة فإن شيلتبرجر لم يتناول جوهر الصراع بين العثمانيين و القرمانيين الذي بدأ قبل ذلك منذ وقت بعيد . فقد ورث القرمانيون سلاحه قونية في الوقت الذي حاول فيه العثمانيون إقامة نظام حكم مركزي خاضع لهم في الأناضول . و هو ما دفعهم إلى الإطاحة بكافة الأسر التركمانية الحاكمة ( ٣٦٦ ) .

و هكذا فإن تقاطع الأحداث بين العثمانيين و القرمانيين كان قد ساهم في نشأة الصراع بينهما منذ عهد السلطان العثماني مراد الأول (١٣٦٠-١٣٨٩م) ، حيث استغل علاء الدين القرماني إنشغال السلطان مراد بتقوية جبهته الأوربية وقام بالاستيلاء على بعض الأقاليم التابعة للعثمانيين في الأناضول . فما كان من السلطان مراد سوى العودة وحاصر علاء الدين القرماني في قونية ، قبل أن يلتقي الجيشان في معركة Efrank - Yazizi عام ١٣٧٨م ، حيث دان النصر للعثمانيين . وهو ما دفع علاء الدين للتفاوض مع حبيه مراد الأول ، الذي وافق على الصلح<sup>(١١)</sup>.

وبعد مصرع السلطان مراد الأول في موقعة كوسوفو الأولى ١٣٨٩م ، قام علاء الدين بمحاولة جديدة لتقويض " Travels " ، pp.8-9 و القرمانيين ساهم في نشأة الصراع بينهما منذ عهد السلطان العثماني مراد الأول (١٣٦٠-١٣٨٩م) ما السلطة العثمانية المركزية في الأناضول ، فاستغل انشغال السلطان بايزيد بن مراد بحصار مدينة القسطنطينية ليقوم بالاستيلاء على مدينة أنقرة Angora عام ١٣٩٧ م ، و أسر أميرها تيمور طاش Timur Tas . و هو ما دفع بايزيد إلى الرحيل عن أسوار القسطنطينية والعودة عسراً إلى عاصمته بورصا من أجل حمايتها و الاستعداد لملاقاة القرمانيين .

خشى علاء الدين القرماني من عواقب مواجهة العثمانيين . فأرسل سفارة لتهنئة السلطان بايزيد ، و زيادة في إهداء الود قام باطلاق سراح تيمور طاش . غير أن السلطان العثماني كان قد اتخذ قراره بالحرب . وبالفعل نجح العثمانيون في هزيمة القرمانيين في السهل المواجه لمدينة قونية ، مما دفع علاء الدين إلى الهرب إليها .

و بعد حصار دام عدة أسابيع ، إستولى العثمانيون على المدينة و قاموا بأسر علاء الدين القرماني ، ليأمر تيمور طاش أمير أنقرة بقتله بسرعة ، قبيل وصول السلطان بايزيد .

و يذكر شيلتيرجر رواية غير دقيقة عن مقتل علاء الدين القرماني . مفادها أن بايزيد غضب بشدة لمقتل صهره ، وأمر بقتل من قام بذلك . غير أن ذلك لا يتسق مع حديثه بعيد ذلك ، وكذا أمره . بأن ترفع رأس علاء الدين القرماني على رمح ليطاف بها في باقي أنحاء البلاد<sup>(١٢)</sup> .

و تابع شيلتيرجر خضوع مدينة قونية للسلطان بايزيد ، و خروج أخته ولديها لمقابلته ، وقراره بإرسالهم إلى العاصمة العثمانية بورصا .

وما لم يشر إليه شيلتبرجر ، وربما كان ذلك بسبب انتقاله إلى الأسر المغولي ، أن هذه المعركة لم تقض تماماً على القرمانيين ، بل أنهم نجحوا بعد ذلك في استغلال هزيمة بايزيد في موقعة أنقرة ليعتزلوا تحالفهم مع تيمورلنك من أجل استعادة ممتلكاتهم السابقة من قبضة العثمانيين ، خاصة بعد قيام تيمورلنك بالإقراج عن ولدي علاء الدين القرماني وتثبيتهما على إمارة قرمان ، بعد أن طلب منهما إعلان التبعية السياسية له عبر إقامة الخطبة وضرب السكة باسمه <sup>(١٤٣)</sup>

عرج شيلتبرجر بعد ذلك إلى الإشارة إلى العلاقات العثمانية المملوكية ، فجاءت رواياته متفقة مع العديد من المصادر المملوكية التي تحدثت عن اجتياح السلطان العثماني بايزيد لمدينة ملطية التابعة للمماليك ١٣٩٩م . فذكر إرسال السلطان بايزيد رسالة للسلطان برقوق يأمره فيها بتسليم ملطية بوصفها من ممتلكات العثمانيين . و إزاء رفض السلطان المملوكي لذلك ، توجه إليها مع مائتي ألف مقاتل ، لتسقط المدينة بعد حصار دام شهرين <sup>(١٤٤)</sup>.

ولد استيلاء بايزيد على ملطية كراهية و توجساً لدى المماليك من أطماع العثمانيين ، لدرجة أن السلطان برقوق رفض عرض السلطان العثماني بايزيد بمساعدته بعد ذلك بعدة سنوات في مواجهته مع تيمورلنك <sup>(١٤٥)</sup> ، و أثر عنه قوله " ما أخشى من تيمورلنك ، فبن كل أحد يساعدني عليه.. و إنما أخشى من بني عثمان " <sup>(١٤٦)</sup>.

و هكذا حدث لدى السلطة المملوكية في مصر شعور عام بالاستياء مما فعله العثمانيون ، دعمه الرأي الذي رده ابن خلدون إمام المالكية في القاهرة آنذاك ، حيث ورد على لسانه " لا تخشوا على ملك مصر إلا من أولاد ابن عثمان ، و أشدهم بايزيد الذي تسلطن " <sup>(١٤٧)</sup>.

و يخطئ شيلتبرجر حين يذكر أنه بعيد وفاة السلطان المملوكي الظاهر برقوق ، خلفه ابنه يوسف ، لتجد أن السلطان فرج هو الذي خلف أبيه . قبل أن تستقيم روايته من جديد ليذكر أن السلطان الجديد طلب مساعدة العثمانيين العسكرية لمواجهة اضطرابات داخلية . فأرسل له السلطان بايزيد عشرين ألف رجل ، كان من بينهم شيلتبرجر نفسه ، نجحوا في تثبيت السلطان فرج على سدة العرش المملوكي <sup>(١٤٨)</sup>.

وبالإضافة إلى ما سبق ، فإنه يحب ملاحظة أن بعض روايات شيلتبرجر تبدو غير مرتبة زمنياً من ذلك ذكره لجاح السلطان العثماني بايزيد في الاستيلاء على سبسطية ( سيواس ) بعد نجاح ابنه الأمر محمد في دخولها و طرد حاكمها برهان الدين <sup>(١٤٩)</sup>.

والحقيقة أن السلطان بايزيد قد استولى على سيسطية عام ١٣٩٦م ، وذلك بناءً على طلب أهلها بعد مصرع صاحبها القاضي برهان الدين على يد قراييك التركمانى ، الذى اتجه للتحالف مع تيمورلوك . كما أن ابنه الأمير سليمان هو الذى نجح فى دخول المدينة <sup>(١٤٠)</sup>.

و فى متابعة لأحوال مدينة سيسطية ، رصد شيلنبرجر أيضاً احتياح القوات المغولية لها عام ١٤٠٠م ، وقتلهم الآلاف من سكانها ، وذلك غير دفعهم أحياء تحت التراب <sup>(١٤١)</sup>. بعدما سبق أن منحهم تيمورلوك الأمان ، وتعهد لحاكم المدينة بعدم إراقة دماءهم .

و لم يظن الفارس الألمانى إلى أن القتل دون إراقة الدماء هى عادة تركية و مغولية قديمة ، احتفظوا بها بعد دخولهم الإسلام . و تعود تلك العادة إلى أنهم كانوا يقدسون الأرواح ، ويعتقدون أن روح الإنسان تسكن فى دمه . فكانوا يحرصون على عدم إراقة الدماء حتى لا تزهق الروح معها <sup>(١٤٢)</sup>.

كان من الطبيعى أن يعانى شيلنبرجر من حراء الأسر و العبودية لدى العثمانيين ، و هو ما جعله يفكر فى الهرب من هذا المصير . فأخبره أنه قد اعظم الفرار ضمن ستين أسيراً مسيحياً ، هربوا إلى أحد الجبال ، قبل أن تستعيدهم قوة عثمانية . لأمر السلطان بايزيد بإعدامهم ، لولا شفاعته أحد القادة العثمانيين الذى وعدهم بحماية أرواحهم . وهكذا تم إلقاءهم فى السجن لتسعة أشهر حتى مات بعضهم . و عندما حل أحد الأعياد الإسلامية تشفع فيهم الأمير سليمان بن بايزيد فتم إطلاق سراح الباقين ، بعد وعد منهم بعدم تكرار محاولة الفرار ثانية <sup>(١٤٣)</sup>.

على أن أهم الأحداث العسكرية التى عاصرها شيلنبرجر إبان فترة الأسر العثمانى ، والتى مثلت له فى نفس الوقت نقطة تحول فاصلة ، كانت حضوره لمعركة أنقرة <sup>(١٤٤)</sup> التى دارت بين السلطان بايزيد و العاهل المغولى تيمورلوك ، حيث نجح الأخير فى إلحاق هزيمة ساحقة بالسلطان العثمانى وأسره ، ورفقته رجال حاشيته ، الذين كان من بينهم بطبيعة الحال الأسير الألمانى يوهان شيلنبرجر .

والحقيقة أن وحود الأخير فى معية بايزيد قد جعله يتسه إلى مقدمات الحرب وآسيائها بين العاهلين المسلمين ، فأشار إلى غزو السلطان العثمانى لمدينة أوزنجان Erzencen بأرمينيا الصغرى ، و استنجد أميرها تحرتين Teherten بتيمورلوك <sup>(١٤٥)</sup> ، وكذا رفض بايزيد إعادتها ، مما تسبب فى حتمية نشوب معركة أنقرة .

غير أن شيلتيرجر لم يتطرق للجهد الدبلوماسي التي سبقت ذلك الصدام ، حيث أرسل تيمور لبايزيد يطالبه بتسليم قلعة كمشاخ ، وكذا تسليمه أعداءه الفارين لديه ، قرا يوسف التركماني ، والسلطان أحمد بن أوس الجلاتري<sup>(١٦٦)</sup> . غير أن السلطان العثماني رفض ذلك مما أدى إلى نشوب المعركة وهزيمته في النهاية.

و نظراً لأن شيلتيرجر كان شاهد عيان على هذه المعركة ، فإننا نجد روايته عنها تتصف بالمصداقية الواضحة ، فقد أشار إلى انضمام القوات المغولية الموجودة في الجيش العثماني إلى قوات تيمورلنك . كما رصد فرار قوات الإمارات التركمانية : أيدين ، منتشا ، صاروخان ، جرميان ، من الميدان . كما أنه يعد المصدر التاريخي الوحيد الذي انفرد بإشراك تيمورلنك لإثنين و ثلاثين قبلاً مدرباً على القتال في معركة أنقره<sup>(١٦٧)</sup> . و يبدو أن الأخير قد تعرف على استخدام الأفيال في المعارك نتيجة حروبه في الهند.

كما تناول أيضاً ما حدث بعيد المعركة من أسر بابيزيد ووفاته . و زحف قوات تيمور باتجاه العاصمة العثمانية بورصا للاستيلاء على ثروات و خزان السلطان العثماني<sup>(١٦٨)</sup> .

أما أبرز نتائج موقعة أنقرة ١٤٠٢م على الصعيد الشخصي بالنسبة للأسير يوهان شيلتيرجر فكان انتقاله من العمل في خدمة و حاشية السلطان العثماني المهزوم بابيزيد ، إلى خدمة و حاشية السلطان المغولي المنتصر تيمورلنك<sup>(١٦٩)</sup> .

و يتصف شيلتيرجر بأمانته في سرد الأحداث التي عاصرها . و هو ما يحدث فارقاً بين روايته للأحداث التي شهدنها بنفسه ، وتلك التي سمع عنها من ذلك ما مجده لدى حديثه عن العلاقة بين سيده الجديد تيمورلنك و دولة الماليك في مصر و الشام . فعلى الرغم من عدم تطرقه لجذور العداء بينهما ، فإنه عرض لما سمع به من اجتياح تيمورلنك لبلاد الشام و تدمير مدينة حلب ١٤٠٠م . كما أنه بالغ في تقدير عدد جيش تيمور و أعداء المدافعين عن المدينة . فضلاً عن أنه لم يشر إلى المقاومة الشديدة التي أبداءها دمرداش قائد قلعة حلب ، و كذا لم يذكر فظائع تيمور مع سكان المدينة التي لم تغفل عنها المصادر التاريخية العربية و الفارسية و العثمانية<sup>(١٧٠)</sup> .

بعد ذلك أشار شيلتيرجر إلى استيلاء تيمورلنك على مدن حماه ، وحمص ، ودمشق ، و إلى الفظائع التي قام بارتكابها داخلها . و يلاحظ على رواية شيلتيرجر حول تلك الأحداث ، على الرغم من أنه سمع عنها ولم يشهدها بنفسه ، أنها تكاد تتطابق مع المصادر التاريخية المعاصرة<sup>(١٧١)</sup> .

باستثناء بعض التفاصيل المهمة مثل ذكره أن السلطان فرج بن برقوق طلب من تيمور عند حصاره دمشق ألا يعيث فساداً في المسجد الأموي ، و أن الأخير قد وافق على ذلك .

كما تابع شيلنجر أيضاً تحركات تيمورلنك و قواته من الشام إلى بغداد ، و فرار أحمد بن أويس الجلّاترى إلى السلطان بايزيد . و هو ما مكن القوات المغولية من اقتحامها و سلبها ، و ارتكاب الفظائع بأهلها <sup>(١٢٢)</sup> .

و تعرض شيلنجر لكيفية استيلاء أحد أتباع تيمورلنك على خراج مدينة سلطانية لخمس سنوات ، و تحالفه مع صديقه أمير مازندران . و أن القوات التي أرسلها تيمور لمطاردته قد عادت دون إنجاز مهمتها بسبب الغابات الكثيفة التي تحيط بالمنطقة التي هرب إليها التابعان <sup>(١٢٣)</sup> .

غير أننا نجد صدى مغابراً لهذه الرواية لدى المؤرخ الفارسي خواندمير الذي تحدث عن اسكندر شيخ ، الذي شق عصا الطاعة على تيمورلنك ، فأرسل لأخيه ورءه قوة عسكرية في مطاردة طويلة ، بسبب اختيائه في العادات ، حتى نجح في القبض عليه و قتله . بينما لم يشر المصدر الفارسي إلى مسألة الخراج <sup>(١٢٤)</sup> .

كما انتفتت رواية شلنجر حول احتباح تيمورلنك لمدينة أصفهان ١٣٩٣ م ، و المذابح الوحشية التي ارتكبها ضد السكان و الأطفال ، بعدما قتل الآلاف منهم مع المصادر التاريخية المعاصرة <sup>(١٢٥)</sup> . غير أنه انفرد بذكر أن تيمورلنك أمر بقطع إبهام ١٢ ألف رام للسهام بالمدينة ، نتيجة غدر سكانها بالحامية المغولية <sup>(١٢٦)</sup> .

ويبدو أن ذلك الأمر لم يكن حديثاً أبداً على طرق العقاب المغولية والتركية ، إذ يمكن عقد مشابهة تاريخية بين ما فعله تيمورلنك في أصفهان في نهاية القرن الرابع عشر الميلادي ، و ما سبق أن فعله عماد الدين زنكي قبل ذلك في القرن الثاني عشر ، حين أمر بحز إبهامات المرحبة في حصن صور عقاباً لهم على قتل أحد جنوده ، بعد تحديدهم من ذلك <sup>(١٢٧)</sup> .

و من بين الأحداث التي لم يشهدها شيلنجر بنفسه ، بل سمع عنها عندما كان في معية تيمورلنك ، هو تمكن الأخير من احتياح الهند و الإستيلاء على العاصمة دهلي ١٣٩٨ م . فذكر أن الجيش المغولي سار لفترة أربعة أشهر من سمرقند حتى بلاد الهند عبر الصحراء ، و ذكر كيفية عبوره أحد الممرات الجبلية الخطرة بأن أمر تيمور بربط الخيل و البعير عبر ألواح خشبية كي تتمكن من الانخفاض حتى تتمكن من اجتيازه . كما أشار إلى أن تيمور كاد يخسر المعركة

بسبب اشتراك أربعمائة قبيل مدرية على الحرب . بحيث كان على كل قبيل برج خشبي بحمل عشرة محاربين بأسلحتهم . و لما كانت خيول تيمور تحشى الأقبال فقد تراجعت فى ميدان المعركة

و لم ينته هذا الأمر الا بعد الاستماع إلى مشورة سليمان شاه ، أحد مستشاريه ، بأن تشد الأخشاب على ظهور الإبل ، و أن يتم اشعال النيران بها . وجرى الأمر كما كان محظا له . فعندما أحست الإبل بلسع النيران ، إندفعت فى هجوم خاطف وعنيف على الأقبال التى اضطرت للهرب من أمامها <sup>(١٦٨)</sup>.

و من الواضح أن السلطان العثماني بايزيد يلدرم لم يكن قد عرف بتفاصيل تلك المعركة التى جرت قبل مواجهته مع تيمورلنك بأربع سنوات . و هو ما أدى إلى جهل العثمانيين بكيفية التعامل مع الأقبال التى اشتركت إلى جانب الجيش المغولى فى معركة أنقرة ١٤٠٢م

و على الرغم من عدم ذكر شيلسرحر لاسم حاكم الهند ، ملو ، فى مذكراته ، فإن ما بحسب له أنه لم يغفل شروط الإتفاق بيه و بين تيمورلنك ، غير حصول لأحبر على مائتى كيلوجرام من ذهب الهند ، فضلاً عن كسبة من الأحجار الكريمة . مع وعد بتزويد العاهل المغولى بثلاثين ألف رجل لمساعدته فى حملاته الحربية <sup>(١٦٩)</sup>.

غير أنه من اللافت للنظر أن شيلسرحر ، الملام لحاشية تيمورلنك ، لم يتحدث سوى باقتضاب و عبر سطور قليلة ، عن رغبة العاهل المغولى و مشروعه فى زيادة رقعة ممتلكاته شرقاً باتجاه الصين Cathay بداية العام ١٤٠٥م . كما لم يجهد الأسير الألماني نفسه فى توضيح خلفيات العلاقة بين تيمورلنك و بين إمبراطور أسرة مينج Ming بالصين Ching Tsu (١٤٠٣ - ١٤٢٥م) ، الذى سبق أن أرسل سفارة قبل ذلك بعامين إلى تيمورلنك تطلب منه سرعة تسديد الضريبة السنوية التى كان يقوم بدفعها للصين <sup>(١٧٠)</sup> . خاصة وأن انشغال الأخير بحملاته ضد الأتراك العثمانيين فى بلاد الأناضول و ضد الماليك فى بلاد الشام ، كان قد عطل إرسال تلك الضريبة لسبع سنوات .

و يمكن أن نحدد تلك السفارة غير ما سطره المبعوث الأسباني كلافيجو Clavijo مبعوث الملك القشتالي هنرى الثالث ( ١٣٩٠ - ١٤٠٦م ) إلى بلاط تيمورلنك ، الذى رصد فى مذكراته أن السفراء الصينيين كانوا يجلسون على مقاعد عالية عن تلك التى جلس عليها هو ورفاقه داخل البلاط المغولى . كما لفت نظره أنه ، نتيجة لحق تيمورلنك على الإمبراطور الصينى و

رغبته في شق عصا الطاعة، فضلاً عن عدم دفع الضريبة المتوجبة عليه، فإن العاهل المغولي عاد وأمر بأن يجلس كلايخو ورفاقه على مقاعد أعلى من تلك التي جلس عليها أفراد السفارة الصينية<sup>(٧١)</sup>.

و في تعبير واضح عن نوايا تيمور تجاه الصين، فقد أمر للسفير الأسباني بكرائيته للإمبراطور الصيني بسبب غطرسته، لدرجة وصفه بأنه لص و شرير، وأنه بمثابة عدو له.

كما لاحظ كلايخو أيضاً أن المغول كانوا يستهزئون بامبراطور الصين، وأطلقوا عليه لفظ Tanguz. أي الخنزير باللغة التركية الجغتائية<sup>(٧٢)</sup>.

و على أية حال، أشار شيلتبرجر إلى أن سيده تيمورلنك قد شق عصا الطاعة على الإمبراطور الصيني، فتشاور مع أمرائه على ضرورة الخروج بحملة عسكرية للرد على غطرسته، وكذلك من أجل تحقيق مشروعه وضم الصين إلى إمبراطوريته. غير أنه يشير في مبالغة واضحة، إلى أن العاهل المغولي قاد جيشاً مؤلفاً من مليون و ثمانمائة ألف رجل في حملته لغزو الصين<sup>(٧٣)</sup>. ساروا لمدة شهر كامل قبل أن يشروعوا في اجتياز صحراء جليدية يقتصر احتيازاها سبعون يوماً. ثم تستطيع المحافل المغولية السير عبرها سوى عشرة أيام فقط، بسبب الجليد و البرودة القارصة، فضلاً عن مقتل العديد من الرجال، وكذا نفوق الخيول و الماشية. وهو ما دفع تيمور إلى اتخاذ قراره بالتوقف عن المضي في حملته.

ومن الواضح أن شيلتبرجر لم يكن موحوداً بنفسه في حملة تيمورلنك على الصين، و لهذا فإنه لم يتم بتغطيتها بشكل كاف. إذ يذكر المؤرخ الفارسي خواندمير أن تيمور خرج من سمرقند بجيش يبلغ ثمانمائة ألف رجل من المشاة و الفرسان، وإبان عبورهم الصحراء الجليدية فحاثتهم الأمطار الغزيرة، فكان من الطبيعي أن يتوقف تيمور، ليأمر بعض أمرائه بالتوجه إلى طشقند لاجتياز الإمدادات و المؤن و الحبوب<sup>(٧٤)</sup>.

و مرة أخرى في الطريق من أق صولات Aqsulat إلى أوترار Otrar هبت العواصف الجليدية و الأمطار الغزيرة التي حولت الجبال و الوديان إلى ما يشبه البحار و نتيجة لهذا البرد القارس، و الجليد اللاتهاني، فقد العديدون من رجاله الكثير من أصابع أطرافهم<sup>(٧٥)</sup>.

و عند ذلك الحد توقف تيمور، غير أنه قام بمحاولة أخيرة لاستطلاع الطريق، فأرسل الأمير موسى كمال مع آخرين من أجل بحث إمكانية مواصلة المسير، غير أنهم عادوا ليخبروه باستحالة اجتياز الصحراء الجليدية، و عندها فقط قرر تيمورلنك العودة عن غزو الصين<sup>(٧٦)</sup>.

و قد توافق ذلك مع ما ورد لدى ابن عريشا ، فعلى الرغم من كراهيته لتيمورلنك ، فإنه وجد تبريراً واقعياً لعشل حملة تيمورلنك على الصين بفضل الطقس القارس إذ ذكر " ... وأصبحت مشارق الأرض ومغاربها من الثلوح المنقضة ... بحر صاغه الله من الفضة " (١٧١).

وكان من الطبيعى أن يتناول شيلتبرجر مسألة وفاة سيده تيمورلنك ، غير أنه لم يهتم بذكر تاريخ وفاته . كما أنه عزى موته لثلاثة أسباب هى هروب تابعه السابق بالخراج ، و خيانة صغرى زوجاته له ، ثم حنقه بعد قيامه بقتلها (١٧٢).

ونكتنا أن نشير إلى أنه من الغريب بالنسبة لشخص أجنبى عاش لأكثر من عقدين فى المجتمع المغولى ألا يتعرض بشكل عام لقوانين القول حول عفة النساء ، و الخيانة الزوجية ، و عقاب الزانية والزانى وهو الأمر الذى أفاض فيه الرحالة الغربيون أمثال بيانو كارينى Plano Carpini و ماركو بولو Marco Polo (١٧٣).

و إذا كان خواندمير قد ذكر أن تيمورلنك قد تزوج ابن حياته بشماى عشرة زوجة (١٨) ، بينما أشار كلايفخو إلى وجود ثمانى زوجات للمدهل المغولى (١٩) فسبب أن أسيرنا الألمانى الذى كان فى حاشية تيمورلنك قد لاحظ أن ذلك العدد قد تقلص إلى ثلاث زوجات فقط عندما وافقت المنية سيده (٢٠).

كما أن شيلتبرجر لم يحدد مكان دفن تيمورلنك بدقة ، فلم يذكر سوى أنه دفن فى سمرقند بعد جندزة مهيبه . بينما يذكر خواندمير أنه تم نقل جثمان تيمورلنك من أوترار حيث مات إلى العاصمة سمرقند ليوارى التراب فى خاقان أمير زاده محمد سلطان (٢١).

و هكذا ، فعلى الرغم من إشارة وليم روبروك William of Rubruck قبل ذلك بقرن و نصف إلى أن مكان دفن الشخصيات الهامة لدى المغول كان يجب أن يظل مجهولاً (٢٢) ، فيبدو أن هذا العرف قد تغير بعد ذلك ليصبح قبر تيمورلنك فى سمرقند مزاراً معروفاً حتى اليوم .

على أية حال ، لم يبد شيلتبرجر أى عاطفة تجاه موت سيده الثانى فى رحلة الأسر الطويلة . غير أنه أشار إلى رواية يذكر أنها حدثت بعيد دفن جثمان تيمورلنك ، لم يعد لها الباحث صدى فى باقى المصادر التاريخية المعاصرة ، سوى فى مصدر أرمينى وحيد يتحدث عن تاريخ تيمورلنك و خلفائه ، تتعلق بسماع شيوخ الخاقان الذى دفن فيها جثمانه صوت عواء ليلى من مدفن تيمور

لمدة عام كامل . ويضيف شيلتبرجر أن أصدقاء تيمور قاموا بإخراج الصدقات حتى يتوقف هذا الصوت . غير أن ذلك كان بلا جدوى . فتحت الاستعانة بالفقهاء ، الذين طلبوا من أبناء تيمور ضرورة إطلاق سراح جميع الأسرى من الحرفيين ، الذين سبق أن قام تيمورلنك بإحصارهم قسراً للعمل في العاصمة سمرقند . و ما أن تم ذلك ، حتى توقف صوت العواء بالخانقاه <sup>(١٨٥)</sup> .

و يبدو أن شيلتبرجر ، المسيحي الكاثوليكي ، الذي عاش شطراً من حياته فيما بعد في بلاد أرمينيا ، كان قد استمع إلى هذه الرواية لدى حديثه مع بعض أصدقائه من الأرمن <sup>(١٨٦)</sup> . الأمر الذي جعلها تتردد لدى المؤرخ الأرمني Tovma Metsobets في القرن الخامس عشر الميلادي ، الذي ذكر أن " تيمور القنر قد عاد إلى بلاده و مات بها كالكلب . و ظل بعد ذلك يعوى ، قبل نقل جثمانه ووضعه في النار ، ثم بعد ذلك حرق قبره عبر الماء . و لم يتوقف ذلك العواء الغضض لفترة طويلة " <sup>(١٨٧)</sup> .

و عندما أنهى شيلتبرجر حديثه عن تاريخ تيمورلنك <sup>(١٨٨)</sup> ، عد مرة أخرى إلى التشوش الذي لارعه عند الحديث عن سوات الأسر لدى المغول ، فذكر أنه " روى كل ما شاهدته و سمعته خلال السنة أعوام التي قضاها مع تيمورلنك . غير أننا نعرف أنه لم يحدث في كنف تيمور سوى أقل من ثلاث سنوات ، و هي الفترة الفاصلة ما بين شهر يوليو عام ١٤٠٢م حيث معركة أنقرة ، و شهر فبراير عام ١٤٠٥م حيث توفي العاهل المغولي .

حلف تيمورلنك بعد وفاته ولديه شاه رخ على مملكة خراسان و عاصمتها هراة ، و ميران شاه الذي حكم مملكة تبريز Taurus و بلاد فارس . فالتحق شيلتبرجر أولاً بخدمة الابن الأكبر شاه رخ <sup>(١٨٩)</sup> ، و هكذا فإنه لم يغفل الصراع العسكري الذي دار بين قرا يوسف التركماني حاكم كردستان و أرمينيا الصغرى و ميران شاه ، الذي استنجد بأخيه فأمدّه شاه رخ بقوات مكنته من طرده . و هو ما مكّن شاه رخ من الإستيلاء على بلاد التركماني ، و منحها لأخيه ميران شاه قبل أن يعود إلى خراسان ، وترك خلفه عشرين ألف رجل لمساعدته ، كان من بينهم الأمير الألباني بوهان شيلتبرجر <sup>(١٩٠)</sup> .

و بعد عدم واحد قام قرايوسف بهزيمة ميران شاه و أسره في سهل كراباخ بأرمينيا و فرس لنا شيلتبرجر سبب قيام قرايوسف بقتل ميران شاه بعيد ذلك ، بدعوى أن الأخير قد قتل أخو قرايوسف ، الذي سبق له أن قتل أحد إخوة ميران شاه الذي كان يدعى Zvchanger (أحماجخير)

وهو نفس ما ورد لدى المؤرخ الفارسي شرف خان البديلي الذي أشار إلى نجاح قرا يوسف في النهاية في قتل ميران شاه و الاستيلاء على أرضه<sup>(٩١)</sup>.

بعد ذلك انتقل شيلنجر إلى خدمة أبي بكر بن ميران شاه لفترة أربع سنوات حسبما ذكر ، و لم تفته الإشارة إلى القوة الجسدية الواضحة لسيدته الجديد متفقاً في ذلك مع ما ورد لدى ابن عريشاه<sup>(٩٢)</sup>.

و بينما كان لدى سيده الجديد ، أشار شيلنجر إلى وجود الأمير التتري جكرة أوغلان Tchekre ، برفقة أبي بكر بن ميران شاه قبل أن تصله سفارة من القبيلة الذهبية تطالبه بالعودة لتولي شئون الحكم بها<sup>(٩٣)</sup>.

و ما لم يذكره أسيرنا الألماني أن حكرة أوغلان كان من سلالة أوروس خان المعادية لأسرة طقتمش الحاكمة آنذاك<sup>(٩٤)</sup>. و هو ما دعاه للحواء إلى بلاط الأمير أبي بكر . حدث هذا قبل أن يرسل إليه الأمير التتري إديجاي Edigay ، الذي كان يعد شخصاً ذا مرجعية هامة لدى القبيلة الذهبية ، سفارة تدعوه للعودة إلى العاصمة سراي من أجل تنصيبه حاكماً جديداً هناك.

و على الرغم من إشارة شيلنجر إلى التقليد السياسي التتري الذي يقضى بضرورة وجود مرجعية عليا من سلطنتها تعيين الحن وحلعه ، كما تحفظ أبيض بسطوة و سلطة كبير على أتباعها<sup>(٩٥)</sup> ، فإنه قد أغفل الدور الكبير الذي لعبه الأمير إديجاي عبر التاريخ السياسي والعسكري للقبيلة الذهبية لعدة عقود . فقد اسعد من قبيلة قونكرات ، و كان حليفاً للخان طقتمش . قبل أن يتخلى عنه ليتحول إلى معسكر تيمورلنك إبان المواجهة بينهما في موقعة كوندروشا عام ١٣٩١م<sup>(٩٦)</sup>.

و بعد مقتل طقتمش ، نجح الأمير إديجاي في الاستيلاء بشئون القبيلة الذهبية بشكل تام ، فأعاد لها هيبتها السياسية والعسكرية . قبل أن يقوم بتعيين تيمور قتلغ خااً ( ١٣٩٥ - ١٤٠٠م ) . الأمر الذي جعله صاحب التأثير الكبير على مقدرات الأمور . و هو ما دفعه بعد ذلك إلى قيادة جيش من تار القبيلة الذهبية و إيقاع مذبحة كبرى بالقوات اللتوانية على نهر Varskla عام ١٣٩٩م<sup>(٩٧)</sup>.

وبعد وفاة تيمور قتلغ ، قام إديجاي بتعيين شادي ، أخى تيمور و روح إبنته ، حاكماً على القبيلة الذهبية ( ١٤٠٠ - ١٤٠٧ م ) . و كان من الطبيعي أن يقع الخان الجديد تحت تأثير

الشخصية الطاغية لإديجاي ، والذي ما أن اختلف معه حتى أمر بقتله <sup>(١٩٨)</sup> . ليقوم بعد ذلك بتعيين بولاد خاناً جديداً ( ١٤٠٧ - ١٤١٠ م ) <sup>(١٩٩)</sup> .

وبأن ذلك ، أظهر إديجاي عدا « نحو مدينة موسكو التي قام بحصارها بنفسه عام ١٤٠٨ م بسبب امتناع أميرها فاسيلي Vasilii عن دفع الجزية ، فضلاً عن عدم اشتراكه معه في حربه ضد الليتوانيين من قبل ، و كذلك بسبب منحه الحماية لأبنا » طقتمش .

و على الرغم من عدم نجاح الأمير التتري في اقتحام موسكو ، فإنه لم يوافق على رفع الحصار عن المدينة إلا بعد حصوله على جزية تقدر بثلاثة آلاف روبل ، بالإضافة إلى استيلاء المغول على العديد من المدن الروسية مثل Ryazan ، Novgorod ، Rostov ، فضلاً عن قتلهم و أسرهم للعديد من الروس المسيحيين ، حتى أنهم وصلوا إلى تخوم مدينة Tver التي تقاوس أميرها عن نصرة التتار لدى حصارهم لمدينة موسكو <sup>(٢٠٠)</sup> .

بعد ذلك قام إديجاي برفع حصاره عن المدينة ، وعاد إلى العاصمة سراي في استجابة لنداء الخان الجديد بولاد ( ١٤٠٧ - ١٤١٠ م ) <sup>(٢٠١)</sup> .

وهكذا استمر الأمير إديجاي في فرض هيمنته السياسية على الأمور في القبيلة الذهبية حتى عهد كيك خان ( ١٤١٤ - ١٤١٧ م ) ، حيث أعاد مهاجمة موسكو ثانية و قام بإحراقها بالإضافة إلى مدينة Smolensk عام ١٤١٥ م <sup>(٢٠٢)</sup> .

و حدث أن دب الخلاف بين كيك خان و إديجاي ، فقام الأخير بإرسال سفارة إلى الأمير جكرة أعلان الموجود لدى أبي بكر بن ميران شاه تستدعيه لتولي الأمور في القبيلة الذهبية .

و هكذا أشار شيلتبرجر إلى موافقة سيده أبي بكر على عودة الأمير التتري إلى بلاده وبالإضافة إلى ذلك ، فقد قام بإرسال ٦٠٠ فارس معه ، كان من بينهم خمسة من المسيحيين ، على رأسهم شيلتبرجر نفسه <sup>(٢٠٣)</sup> .

لم ينس شيلتبرجر أن يصف بسرعة البلاد العديدة التي مر بها حتى أراضى التتار برفقة جكرة أوغلان ، مثل بلاد الكرج ، وشروان ثم درسد ( البوابة الحديدية ) ، فاستراخان حتى العاصمة سراي <sup>(٢٠٤)</sup> .

و تم اللقاء في النهاية بين الأخير و الأمير إديجاي ، الذي كان برحلة صيد في أراضى

سيبيريا . و بعيد عودتهما معاً إلى بلاد القفجاق ، قاما بإعلان الحرب على كيك خان و قتله ، و هكذا نجحوا في القبض على مقدرات الأمور في العاصمة سراي .

حدث هذا قبل أن يدب الخلاف فيما بعد بين الأمير إديجاي و الخان الجديد جكرة أوغلان بعد ذلك بتسعة أشهر ، ليقوم إديجاي بعزله و تعيين السيد أحمد أوغلان<sup>١١</sup> بدلاً منه .

و بعد مرور فترة من الإضطرابات السياسية لدى مغول القبيلة الذهبية ، قام الأمير إديجاي ، بما له من مرجعية عليا ، بمحاولة أخيرة للسيطرة على مقاليد الأمور . غير أن ذلك كان بلا جدوى<sup>١٢</sup> ، فقد نشب صراع طويل بين أبناء أسرة الخان الأسبق طغتشمش ،والأمير إديجاي ، بعدما خرج الإبن للأخذ بشار أبيه ، و حقق انتصاراً على إديجاي ، الذي فضل الفرار ، قبل أن ينجع كوجك محمد ابن أخى طغتشمش في قتله<sup>١٣</sup> في العام ١٤١٩م

و بحسب ليوهاي شيلتيرجر أنه مع اهتمامه بذكر التقلبات السياسية التي مرت على القبيلة الذهبية ، فإنه قد اهتم أيضاً بتدوين مشاهداته في منطقة سيبيريا التي مكث بها وقتاً طويلاً برفقة إديجاي و الأمير السرى جكرة أوغلان . فقد خلف لنا وصفاً رائعاً لتلك البلاد ، التي اعتقد أهلها أن الصحراء الواقعة خلف الجبل المائل أمامهم ، إنما تمثل نهاية المعمورة بالنسبة لهم . فضلاً عن أنها منطقة موحشة لايمكن العيش بها بسبب الحيوانات المفترسة التي تجوس فيها .

و في ملاحظة أنثروبولوجية هامة يذكر شيلتيرجر وجود قوم متوحشين لا يشبهون بقية البشر ، إذ يغطي الشعر أجسادهم بالكامل عدا الوجه و الكفين ، و يدورون حول بعضهم البعض مثل الحيوانات المتوحشة ، يعيشون على ذلك الجبل ، فضلاً عن أنهم يقومون بأكل أوراق الأشجار و الأعشاب و كل ما يقع تحت أيديهم . و أشار إلى أن حاكم تلك المنطقة كان قد أرسل إلى الأمير إديجاي برجل و امرأة من هؤلاء السكان المتوحشين<sup>١٤</sup> .

وبدو أن حديث شيلتيرجر هنا كان حقيقياً فيما يتعلق بهذا البعد الأنثروبولوجي للمنطقة ، فقد شاهد الباحث السوفيتي يادزار باراديين Badzar Baradiin أحد هؤلاء الرجال بالفعل في العام ١٩٠٦م ، الأمر الذي ساهم في قيام العديد من الدراسات الأنثروبولوجية في هذا الميدان حول هذا الجنس البشري الذي عرف علمياً باسم Mongolian Almas<sup>١٥</sup> .

و بعيداً عن إشارته عن تطابق أحجام الخيول و الحمير ، و إلى الحيوانات التي لم يرها من قبل في بلاده ألمانيا ، فإن أهم ما ذكره شيلتيرجر عن سيبيريا كان وجود العربات و الزلاجات

التي تستخدم لحمل الأشخاص و المتاع . و لم يفته ضخامة حجم الكلاب التي تماثل حجم الحمير<sup>(١١١)</sup>.

و يكاد يتطابق وصفه لتلك العربات و الزلاجات مع وصف ماركوبولو ، الذي وصف تلك العربات و الزلاجات فى سيبيريا بشكل أكثر تفصيلاً بوصفها خالية من العجلات ، و مسطحة القاع ، كما يستخدم السكان الكلاب التي تبلغ حجم الحمير أيضاً فى جرّها ، بحيث تقوم ستة أزواج من الكلاب بحر العربة التي يقوم صاحبها بقيادتها ، و برفقته أحد التجار مع سلعه و بضائعه<sup>(١١٢)</sup>.

كما يتطابق ذلك أيضاً مع رواية ابن بطوطة الذي تحدث عن أراضي جليدية فى سيبيريا ، فذكر أن العربة يجرها أربعة من الكلاب التي تحظى بأهمية كبرى فى تلك البلاد لأنها الوحيدة التي تستطيع السير فوق الجليد " فلا تثبت قدم آدمى ، و لا حافر الدابة فيها ، و الكلاب لها الأظفار ، فتثبت أقدامها فى الجليد " <sup>(١١٣)</sup>.

وفى لمحة أنثروبولوجية أخرى سابقة على ذلك أثار شيلتنجر إلى أنه حينما كان فى حاشية شه رخ فى مدينة هراة ، سمع عن وجود شبح طاعن فى السن يبلغ من العمر ٣٥٠ عاماً " ... تدلى حاجبه على وجنتيه ، ووصلت لحيه حتى الركبة ، سما تدلى شعر أذنيه على فكه ، وبلغ طول أظفاره بوصة واحدة " . وأشار إلى احترام وإجلال السكان المسلمين له <sup>(١١٤)</sup>.

ومن المثير أن نرى أن تلك الملاحظة تكاد تتفق مع ماورد فى المصادر الإسلامية القريبة والمعاصرة لفترة أسر شيلتنجر ١٣٩٦-١٤٢٧م. فقد أشار الرحالة ابن بطوطة فى القرن السابق له ، إلى أنه بعد معادرتة مدينتى نساوور ووسطام باتجاه جبال الهندكوش ، وصل إلى زاوية الشيخ أطا أوليا ( أبو الأوليا ) بجبل بشاي ، ليحد شبعا يبلغ من العمر ٣٥٠ عاماً ، يتبرك به حكام المنطقة من السلاطين والخواتين . غير أنه ، ويعكس شيلتنجر الذي سمع عن الرجل ولم يقابله ، لاحظ أن سنه تبدو أصغر مما قيل له <sup>(١١٥)</sup>.

وقد أشار ابن عريشاه أيضا إلى ذلك الدرويش ، وذكر أنه دعى بالشيخ العريان ، غير أنه ذكر أنه كان يعيش فى مدينة سمرقند . واتفق مع ابن بطوطة أيضا فى أنه على الرغم مما قيل عن عمره الذى بلغ ٣٥٠ عاماً ، فإنه تمتع بصحة جيدة ، ولم يد أنه قد طعن بالسن <sup>(١١٦)</sup> .

على أية حال ، فبعد عودة شيلتنجر برفقة جكرة أوغلان و الأمير إدجاي من بلاد سيبيريا

إلى سراى عاصمة مغول القبيلة الذهبية ، مكث بها حوالى عشرة أعوام حتى تمكن من الفرار بعد ذلك إلى مدينة القسطنطينية عبر البحر الأسود . و من ثم نجح فى العودة إلى بلاده ألمانيا فى العام ١٤٢٧م.

و كان من الطبيعى أيضا للأسير الألمانى أن يتناول بعض العادات الاجتماعية لدى المغول الذين عاش بينهم ، فعلى سبيل المثال ذكر شيلتجر أنهم لم يكونوا يزرعون سوى الذرة ، و يأكلون لحوم الخيل ، بينما لا يأكلون الخبز و لا يشربون الخمر ، و لديهم مشروبهم المعروف المستخرج من ألبان أنثى الخيول<sup>(١١٧١)</sup> . و هو ما يتطابق مع مشاهدات الرحالة المسيحيين و المسلمين الذين زاروا بلاد المغول من قبل<sup>(١١٧٢)</sup>.

كما ذكر أنه رأى المغول إبان إقامته لديهم يدمون الخيول و يشربون دماها<sup>(١١٧٣)</sup> . كما أنهم يقومون بوضع قطع اللحم بعد تقطيعها إلى شرائح و قملبها تحت أسرجة الخيول خلال سفرهم الطويل ، فإذا شعروا بالجوع ، توقفوا من أجل تاول طعامهم هذا ، بعد تمام نضجه بسبب سخونة الخيول أثناء حركتها . كما أشاد بشجاعة المغول و بسالهم فى الحروب ، و شدة اهتمامهم بها ، و حسب كلماته " ... لا يوجد من هو مرمول بالحرب مثل أهالى مملكة التتر ، فالقتال و السفر عندهم سواء " <sup>(١١٨١)</sup>.

وهكذا حدثنا شيلتجر عن ولع السكان التتار ، رجالا ونساء بالحرب ، فلم تفته الإشارة كذلك إلى شجاعة وبأس النساء التتريات حينما كان برققة جكرة خان والأمير إديجى عندما قدمت إليهما سيدة تترية تقود أربعمائة فتاة وسيدة ، على صهوات الجياد ومسلحات كالرجال، لتطلب الثأر عن قتل زوجها . ويذكر شيلتجر أنها نجحت فى النهاية من القصاص منه بعد أن تم أسره وتقديمه لها ، فأمرته أن يجثو على ركبتيه ، قبل أن تستل سيفها لتطيح برأسه فى ضربة واحدة<sup>(١١٧٤)</sup>.

وإذا كان ثمة مبالغة فيما سبق فإنها قد تتعلق فقط بأعداد الفتيات والنساء المرافقات لها ، على الرغم من تأكيد لروايته " ..لقد كنت حاضرا هناك ، وشاهدت هذا بنفسى أيضا " <sup>(١١٧٥)</sup> ، وذلك لأننا نعرف من المصادر التاريخية المعاصرة لتاريخ المغول إحادة النساء المغوليات لعمول القتال والحرب . فقد ظهرت المغوليات كمحاربات مثل الرجال تماما فى ثنايا التاريخ العسكرى للمغول ، و اتصفن بالشجاعة والإقدام . كما اعتلن صهوات الجياد ببراعة ، فضلا عن مهارتهن

فى استخدام السهام والأقواس<sup>(١٣٣)</sup> . وكن يتميزن عن المقاتلين الرجال بغطاء للرأس ، وحزام حول الخصر ، فضلا عن شد أثدائهن بحزام آخر<sup>(١٣٤)</sup>.

ويبدو أن اشترك النساء المغوليات فى القتال كان موجودا منذ عهد جنكيز خان ، الذى كانت إحدى بناته زوجة للقائد المغولى تفاجار كوركمان الذى قتل بينما كان على حصاره لمدينة نيسابور ، فاندفعت الزوجة إلى داخل المدينة بعد اقتحامها لتأمر جميع سكانها فى الحال<sup>(١٣٥)</sup>.

كما أن قوتولون جفان، ابنة قايدو حفيد أوكتاى ، أظهرت شجاعة فى القتال بعدما حاربت عدة مرات فى صفوف القوات المغولية غير النظامية فى القرن الثالث عشر الميلادى<sup>(١٣٦)</sup>.

واستمرت مشاركة النساء المغوليات بعد ذلك فى الحروب ، فبحديثنا البديلى عن إحدى النساء المغوليات التى قتلت عشرة من الرجال بمفردها من أكراد اللر فى إحدى المعارك بينهما<sup>(١٣٧)</sup>.

ومن الواضح أن التقليد المغولى الذى قضى باشتراك النساء فى القتال لم يستمر فقط حتى زمان شيلنجر ، حسبما تأكد من ابن عرشاه الذى أشار إلى شجاعة نساء التتار فى المعارك التى خاضتها جيوش تيمورلوك . بل ظلت النساء المغوليات لفترة طويلة بعد ذلك على عاداتها فى المشاركة فى القتال إلى حوار الرجال ، وهناك العديد من الأدلة على اشترك السيدات من مغول الهند فى الحملات العسكرية طوال القرنين السادس عشر والسابع عشر الميلاديين<sup>(١٣٨)</sup>.

على أية حال ، بعد أن مكث شيلنجر فى سراى Saray عاصمة مغول القبييلة الذهبية ، حوالى عشرة أعوام ( ١٤١٧ - ١٤٢٧م ) ، تمكن من الفرار بعد ذلك عبر البحر الأسود إلى مدينة القسطنطينية . ومن ثم نجح فى العودة إلى بلاده ألمانيا ، ليملى كتابه الحافل بالأحداث التاريخية الهامة حول مجتمعات العثمانيين والمغول والمعاليك والبيزنطيين والأرمن .

غاية الأمر أن الأمير الألمانى طوف بها خلال رحلة أسره التى امتدت لواحد وثلاثين عاما ( ١٣٩٦ - ١٤٢٧م ) فى كنف العثمانيين والمغول ، فرصد الكثير من مظاهر الحياة السياسية والعسكرية والاجتماعية والأنثروبولوجية لديهم . وعلى الرغم من اختلاط بعض الأمور عليه ، فإنه بعد مصدرا فى غاية الأهمية للعالمين العثماني والمغولى فى نهاية القرن الرابع عشر وخلال الربع الأول من القرن الخامس عشر الميلاديين .

## الهوامش

١- The bondage and Travels of Johan Schiltberger, A Native of Bavaria, in Europe, Asia, And Africa 1396-1427, Trans. by , Telfer, B , with notes by , Bruun , New York , 1879.

٢- عن موقعة نيقوبوليس ، انظر -١-

Froissart , chronicle of Froissart. Trans By , John Bouchier. Lord Berners , edited by , Macaulay , G C , London , 1930 , pp.422-447, Doukas, M, Decline and Fall of Byzantium to The Ottoman Turks,Trans. by, Magoulias, H.J, Detroit, 1975,pp 83-85, Chalcocondylas,L, Historiarum Demonstrations,ed,B G Niebuhri , book II ,in, C.S H.B, Bonne,1841,PP.75-77

وانظر أيضا موقعة نيقوبوليس في الكتاب الثاني من الترجمة الإنجليزية للكتب الثلاثة الأولى لنفس المؤلف :

Chalcocondylas,L, A Translation and commentary of the Demonstrations of Histories (Books I-III) , ed. by ,Nicoloudis , N , Athen , 1996 , pp. 199 - 201 ;

وانظر أيضا

Veszpremy,L, «Some Remarks on Recent Historiography of The Crusade of Nicopolis 1396»,in , The Crusades and The Military orders Expanding The Frontiers of Medieval Latin Christianity , ed. by, Zsolt Hunyadi and Jozsef Laszlovszky , Budapest, 2001 ,pp.223-230

و انظر أيضا هذه الدراسة الهامة على الرغم من كلاسيكيتها:

Atiya,A S, The Crusade of Nicopolis , London , 1934.

و عن الصراع بين العثمانيين و القوى المسيحية الأوربية حتى سقوط القسطنطينية ، انظر :

Charanis,p,«The Strife among The Palaeologi and The Ottoman Turks 1370-1402 »,in ,Byzantion,xvi,1942- 1943

Inalcik ,H,«The Ottoman Turks and The Crusades , 1329-1451»,in, A History of The Crusades , ed By, Setton , K.,M.,vol.,vi, Wisconsin, 1989, pp. 222-275

٣- عن موقعة أمرة بين تيمورلنك و السلطان العثماني بايزيد الصاعقة انظر المصادر العثمانية والعربية

والعربية التالية :-

Asikpasaoglu, Aşıkpaşa Tarihi, Hazırlayan, H. Nihal Atsız, Ankara, 1985, p. 78 ; Khwandamir, Habibus-siyar, Tome Three . The Reign of The Mongol and The Turk , part one Genghis khan -Amir Temur Trans. and ed. By , W M, Thackston ,Harvard university , 1994, pp. 282-285

شرف الدين يزدى ، ظفر نامه ، تاريخ عمومى مفصل ایران در دوره تیموریان بتصحیح وإتمام محمد عباسى ، أزردى نسنفى كه . در عصر مصنف نوشته شده ، جلد دوم ، تهران ، ١٣٣٦ هـ ، ص ٣٠٧ - ٣٢٣ ، تزوكات تیمور ، مقالات أول فى تدبیرات وكشاكشا . ص ١٥٣ - ١٥٣ ، ابن عزشاء ( شهاب الدين أحمد بن محمد الدمشقى ) ، عجائب المقدور فى نوائب تیمور ، تحقيق أحمد فايز الحمصى ، بيروت ، ص ١٩٨٩ ، ص ٣٢٠ - ٣٢٩ ؛ ابن تغرى بردى ، النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة ، ج ١٢ ، القاهرة ، د.ت ، ص ٢٦٧ - ٢٦٨ وانظر أيضا المصادر البيزنطية التالية :

Chalcocondylas , L, op cit, pp 156 - 158 , Doukas , op cit, pp 91-95; Sphrantzes, G, The Fall of Byzantine Empire The Chronicle by George Sphrantzes , Trans by, M Philippides, Amherest, 1980, p 21

وراجع كذلك هذه الدراسة الهامة :

Alexandrescu - Dersca , La Campagne de Timur En Anatolia , 1402, London , 1972

4- Schiltberger, J, op cit, p 1.

٥- هذه المنطقة عبارة عن عور أو مضيق بطول ٢٠ ميل يطل على نهر الدانوب فى مكان يقطع جبال الألب الترسغالية على الحدود ما بين رومانيا و يوغوسلافيا السابقة . انظر

Webster New Geographical Dictionary , New York , 1996 , p 145

6- Schiltberger, op. cit, p. 2

7- Loc cit

8- Chronicle of Froissart , p 443

9- Schiltberger , op. cit, pp 2-3 .

شرح عزيز سوريال عطيه في مناقشة جادة لأعداد الجيش العثماني و الجيش المسيحي و ذلك عبر استعراض كافة المصادر الأوروبية و العثمانية المتاحة ، و خلص إلى أن الجيش العثماني ربما كان قد بلغ عدده ١١٠ ألف رجل و بخلاف جيش القوي المسيحية الذي قدر عدده ب ١٠٠ ألف رجل ،ليذكر أن التقوى كانت متكافئة في ميدان المعركة . رافصاً المبالغة في تقدير القوات العثمانية بوصفها حققت نصراً ساحقاً ، و التقليل من أعداد الجيش المسيحي بوصفه منى بهزيمة ثقيلة . عن ذلك انظر :

The Crusade of Nicopolis , pp 66-69.

10- Chronicle of Froissart , p. 443.

11- Schiltberger ,op cit,p.3

12- Loc.Cit

و يذكر عزيز سوريال عطيه أنه لسابق خبرة المحربين بقتال العثمانيين و معرفتهم بأساليبهم القتالية من الجنود الأوروبيين القدامين من لعرب ،فقد رأى الملك سيحموند أن يبدأوا بالعتال بالإضافة إلى أنه ، و خوفاً من الحياينة من جانب كلاً من ميرشيا Mercea و لاركوفيتش Laczkovic حكام ولاشيا و ترانسالفانيا ، فقد وضعهم في موقع يجعل اتسحبهم من المعركة صعباً كما أن الملك المجرى كان يدرك أن العثمانيين يدخرون زهرة جيشهم للمعركة الفاصلة ،فأراد أن يدخر أفضل قواته لذلك . عن ذلك انظر

The Crusade of Nicopolos , p 85

13- Froissart ,op.cit,p.445

و يرى عزيز سوريال أيضاً ،أن دوق بورجني de coucy و كبار قادته قد تمهروا وجهة نظر الملك المجرى ، غير أن صغار القادة الفرنسيين رفضوا حجة سيحموند ، و ارتأوا ضرورة المبادأة بالهجوم . انظر :

The Crusade of Nicopolis , p 85

14- Schiltberger , op cit,pp 3-4 , Froissart ,op cit,p 445

الذي ذكر أن الملك فر من ميدان المعركة تاركاً حمله كافة متعلقاته و خاصة المجوهرات و المعادن الميسة ، و بدأ سعيه أن أنه نجا بحياته . انظر أيضاً : Atiya.op cit,p.94

15- Schiltberger,op cit,p 4 , Doukas ,op cit,pp 84-85 ; Froissart ,op cit,pp 445-446

الذي ذكر أيضاً أن عدد الجنود المسيحيين الذين قتلوا في المبادرات التي تلت المعركة كان أكبر من الذين قتلوا في المعركة نفسها . و انظر أيضاً Atiya,op cit,p 94

16- Schiltberger , op. cit, pp.3-4.

17- Loc cit

18- Loc cit

19- Chronicle of Froissart , op cit, pp. 446-447 ; « Decline and Fall of Byzantium » , pp 84-85 .

20- Froissart , op cit, p. 445.

21- Froissart, op . cit, p. 447 ; Atiya , op .cit, p 96

عندما أدرك جاك دي كريك المهرجة التي حاقّت بالجيش المسيحي قام بتسليم نفسه للعثمانيين ، الذين استفادوا من خبراته كما سبق القول . قبل أن يقوموا بإطلاق سراحه فيما بعد مقابل فدية ذهبية و قضية . انظر : Froissart , op .cit , p 445

كذلك أطلق السلطان بايزيد سراح العارس الفرنسي جاك دوقاي Jacques du Fay ، الذي كان يعمل من قبل في خدمة تيمورلنك ، و بمجرد أن علم بدخول الفرنسيين إلى الحرب ضد الأتراك ، قرّن خدمته و توجه لمساعدة زملائه ، غير أنه سقط في الأسر بعد المعركة بواسطة الخنود الفتناء الذين كان تيمورلنك قد أرسلهم لمساعدة السلطان العثماني في حربه ضد القوى المسيحية . انظر :

Froissart, op. cit, p. 445, Richard , J, « Les prisonniers de Nicopolis » , in , Annales de Bourgogne , t. 68 , 1996, p.76 .

22- Atiya , op. cit . pp. 100 -101 .

23- Richard , J, op cit, pp. 76-77.

و عن السفارة التي أرسلها السلطان بايزيد إلى أوروبا التي كان أبرز نتائجها تحرير الأسرى المسيحيين بعد دفع فديات عالية لهم انظر : Atiya , op. cit, pp. 101 - 112

24- Froissart , op. cit, p 447

بعد المارشال بوسيكويو أهم القادة العسكريين الأوربيين الذين نجحوا بعد التحرير من الأسر في الوقوف في وجه الطموحات العسكرية العثمانية خاصة عند حصار السلطان بايزيد لمدينة القسطنطينية ١٣٩٦ - ١٤٠٢ م ولد في مدينة تور بفرنسا عام ١٣٦٤ م . تم تعييبه حاكما على جزيرة جيوة عام ١٤٠١ م بعد منحها لملك فرنسا لويس السادس عام ١٣٩٦ م .

عن النور التاريخي للمارشال بومبيكيو ضد العثمانيين و المسلمين في الحوض الشرقي للبحر المتوسط

انظر :

; Godefroy , T. ( ed. ) , Histoire de messier Jean de Boucicaut , mareschal de France , gouverneur de Gerne , collections.vols vi , vii, Paris , 182..

Delaville le Roulx ( Joseph ) , La France en Orient au XIV siècle. expéditions du marchal Boucicaut , 2vols , paris , 1886 ; Dopp , p. H. (ed.) L'Egypte Au Commencement du Quinzieme siècle , d>Apres Le Traite d>Emmanuel piloti de Crète (Incipit 1420) , Le Caire , 1950 ,pp 84-95.

25- Froissart , op. cit , p. 447 ; Atiya , op. cit, p. 97.

٢٦- عن حصار السلطان بايزيد للقسطنطينية بعد موقعة نيقوبوليس .انظر :

Doukas , op. cit,pp 83 86 , Aşık paşa oğlu , op cit, pp 68 -70 ; Barker , J , Manuel II Palaeologus ( 1391- 1425), A study in Late Byzantine Statesmanship , New Jersey , 1969, pp 127-128,138-144 ; Gautier , Un Recit indet Du Siege De Constantinople Par Les Turcs , 1394-1402 , , in , Revue d. etudes Byzantion, Tom XIII, 1965,pp 100-110

27- Schultberger , op. cit, p.5

28- Ibid, p. 5 ; Atiya ,op. cit, p.97 .

29- Atiya , op .cit ,p 86 , Hously,N, The Later Crusades from Leon to Alcazar, 1274-1580,Oxford,1992,pp 76 , Richard ,op.cit,p. 76

30-Atiya , op .cit ,p. 86 ; Richard ,op.cit,p. 76.

انتصرت قوات هري الخامس على قوات الملك الفرنسي شارل السادس على الرغم من التفوق العددي للقوات الفرنسية في أنشكور في أكتوبر عام ١٤١٥م وذلك بفضل استخدامها ل سلاح المدفعية . ليتم الاعتراف بعد ذلك بمقتضى معاهدة تروى ١٤٢٠م بهزى الخامس وريثا للتاج الفرنسى . بل والزواج أيضا من كاترين ابنة شارل السادس . عن أنشكور وتداعياتها أنظر :

Trevelian,G,M, History of England ,London,1942,p,230; Painter,S, A History of the Middle Ages from 284 to 1500,London,1953,pp 354-358, Previte Orton,C W, The shorter Cambridge Medieval History, vol 2, the Twelfth Century to the Renaissance , Cambridge,1979,p 978

31- Schultberger ,op. cit,p. 4,7

الذى بنوه إلى أنه أجبر على الهرولة على أقدامه لست سنوات مع رفاقه الآخرين أمام السلطان العثماني أيضا ذهب . فقد جرت العادة أن يتخذ السادة ( السلاطين ) أتباعاً يهرولون أمامهم .

و انظر أيضاً :- Atiya , op. cit,ppp 96-97

الذى يشير إلى أن الدافع الرئيسي لدى العثمانيين للابقاء على حياة الأسرى من سكان صغار السن هو أنهم مارأوا في مستقبل العمر و أمامهم سنوات طويلة من العبودية . و هو هنا يتزع صفة الإنسانية عن العثمانيين . على الرغم من أنه تم اعفاء الأسرى الشبان دون العشرين من القتل طوال فترة الحروب الصليبية . عن ذلك انظر : Richard , op. cit,p.77 .

32- « The Bondage and Travels » .p.7

حيث يذكر . و هكذا مكثت مع العثمانيين اثني عشرة عاماً .

33- Loc.cit,p.21

هكذا أصبحت أسيراً لسمورلك الذى اصطحبى إلى بلاده . وعلى الرغم من حديثه المفصل عن موقعة أنقرة و هزيمة سيده يازيد ووفاته فى الأجر . فإنه سعى أن يحدد عام ١٤٠٢م موعداً لهذه الموقعة و هو ما يشى بوقوعه فى خطأ يتعلق بسنوات الأسر لدى العثمانيين منذ موقعة نيقوبولس ١٣٩٦م و حتى موقعة أنقرة ١٤٠٢م.

حيث ذكر أنهم مكثوا فى أدرنة خمس عشرة يوماً قبل أن يتم نقلهم بهراً إلى 34- Loc . cit, p.6

. عاليبولى ، حيث تم سجن ثلاثمائة أسير منهم فى أحد الأبراج لمدة شهرين .

35- Atiya , op. cit, p.97 ; Richard ,op. cit, pp.77.

كما أن الأخير يتحدث عن تحرير تيمورلك لبعض الأسرى الأوربيين فى مدينة بورصا ، بعد سقوطها على أثر موقعة أنقرة و هزيمة يازيد ١٤٠٢م . فى إشارة صداقة إلى الملك الفرنسي شارل السادس .

36- Schultberger , op .cit,p 7

الذى ذكر إصابته بثلاث جروح شديدة خلال موقعة نيقوبولس . فخشى السلطان بإيريد عليه من أن يلقى حتفه فى الطريق إلى مصر

37- Dopp,, op.cit , pp.109-110

و انظر أيضاً :

ولد مانويل بيلوتى عام ١٣٧١م فى جزيرة كريت الواقعة تحت السيطرة البندقية ، ومارس التجارة لمدة طويلة فى القاهرة والاسكندرية ، وكذلك مع الشام . أصبح مقربا من السلطان المملوكى الناصر فرج الذى دفعه للتعاوض مع دوق ناكسوس من أجل دفع الفدية المطلوبة من أجل إطلاق سراح الأخير للأسرى المسلمين لديه . أطلق عليه زملاؤه اسم « مانولى » . انظر : Dopp, op.cit pp.xi-xii

آن دولف ، كم تبعه القاهرة ؟ ترجمة وتقديم قاسم عبده قاسم ، القاهرة ، ٦-٢٠٠٢م ، ص ١٣٥-١٣٧ .

82. « Les Prisonniers de Nicopolis » , p.38

كما أنه يفسر ذلك بأن السلطان العثماني قد أهدى السلطان المملوكى برفوق 60 أسيراً كما ذكر شيلنبرجر من قبل ، أما باقى المائتين فكانوا من أسرى معركة نيقوبوليس أيضاً . و قد اشتراهم السلطان المملوكى فيما بعد .

10-7 pp « The bondage and Travels » , p.39

الحقيقة أن هناك تضارباً فى الآراء حتى بين المصادر العثمانية حول زمان موقعة أقي حاي . حيث يذكر كلا من عاشق باشا زاده وأوروج بك أنها قد حدثت إبان حملة السلطان بايزيد الأولى على الأناضول قبل نيقوبوليس بعدة سنوات . انظر :

Aşık Pasaoglu , pp 72-73;Oruç Beğ,Oruç Beğ Tarihi ,hazırlayan , Atsız, İstanbul, 1973, pp 55-56 ; وكذلك : Atiya , op.cit,p.17

أما شيلنبرجر فيحدها فيما بعد معركة نيقوبوليس . أى حوالى العام 1397م . و هو ما يؤيده فيه الباحث التركي أوزون تشارشيلي .

انظر : Uzunçarşılı, "Karamanlıgulları", Artin Anadolu Beylikleri ve Akkoyunlu, Karakoyunlu: Devleterim, Ankara. 1969 , p 15

معتصماً على المصدر التاريخى المعروف بزم و رزم ، الذى تناول أخبار مدينة سيواس و حاكمها القاضى برهان الدين . و الذى أشار إلى وجود علاء الدين القرمانى على قيد الحياة حتى العام ١٣٩٦م .

٤٠- فى الحقيقة فإن سياسة السلطان بايزيد كانت تهدف إلى تصفية الأسر التركمانية الحاكمة فى الأناضول . بهدف تحويل إماراتهم إلى ولايات عثمانية . عن ذلك انظر :-

خليل إيمالجاك « العثمانيون - الشاة و الازدهار » ، بحث فى كتاب . دراسات فى التاريخ العثماني ، ترجمة و تقديم سيد محمد السيد . القاهرة ، ١٩٩٦م ، ص ٥٤

٤٣- ابن عرشاه، المصدر السابق، ص- ٣٤- ٣٤١، ابن تغرى بردى، المصدر السابق، ج ١٢، ص ٢٦٩، انظر أيضاً: Hously, op. cit, p 81

عن ذلك راجع المصادر التاريخية المملوكية و العثمانية التالية :-

الصيرفى ( الخطيب الجوهري على بن داود ) ، نزعة النفوس و الأبدان فى تواريخ الزمان ، ج ٢ ، تحقيق حسن حبشى ، القاهرة ، ١٩٧١ م . ص ٥٥ : ابن إياس ( محمد بن أحمد بن إياس الحنفى ) ، بذائع الزهور فى وقائع المهور ، ج ٢ ، ق ٢ ، القاهرة ، ١٩٨٣ ، ص ٥٤٧ ، : Oruç Beg , op. cit. , p. 75 ; Aşık-paşa öglü , op.cit. , p. 57

انظر أيضاً : عبد الرزاق الططارى القرموط ، العلاقات المصرية العثمانية ، القاهرة ، ١٩٩٥ م ، ص ٤٢ .

٤٥- أدرك السلطان بايزيد أعداد خطر المولى مكرراً . فأرسل فى العام ٧٩٥ / ١٣٩٢م رسالة للسلطان المملوكى بقوق يحذره من أطماع تيمورلنك و يخبره أنه يصعب تحت تصرفه ٢٠٠ ألف رجل لهذا الأمر . انظر : المقرئى ( تقى الدين أحمد بن على ) كتاب السلوك لمعرفة دول الملوك ، ج ٣ ، ق ٢ ، القاهرة ، ١٩٧٠ م ، ص ٨١٣ : ابن إياس ، المصدر السابق ، ج ١ ، ق ٢ ، ص ٤١٧ .

و إذا كنا نستطيع تعهم دوافع السلطان العثمانى بايزيد فى مواجهة الأطماع المملوكية ، فإن ما يثير الاستغراب هنا هو حجم القوات العثمانية التى عرض إرسالها لمساعدة السلطان المملوكى بقوق . فلم يكن لدى السلطان العثمانى سـالدى كان يحاصر القسطنطينية منذ عدة أعوام - هذا العدد من القوات لإرسالها للسلطان المملوكى فى القاهرة . و ربما كان الأكثر صحة ما أورده ابن تغرى بردى من أن السلطان العثمانى قد أعد نفقة بمائتى ألف درهم لمساعدة السلطان المملوكى فى حربه ضد تيمورلنك . عن ذلك انظر :—

المصدر السابق ، ج ١٢ ، القاهرة ، د. ت. ص ٥٩ .

٤٦- ابن إياس ، المصدر السابق ، ج ١ ، ق ٢ ، ص ٤٧٦ . و يبدو أن ابن تغرى بردى كان صاحب رؤية أكثر تدبعا من السلطان المملوكى إذ انتقد قراره بشده : « لأنه كان يرى ضرورة تحالف القوى المملوكية و العثمانية عبر كثافة أعداد الجيوش المصرية و الخبرة العسكرية العثمانية . و على حد قوله .. إن المصلحة كانت تقتضى الصلح مع ابن عثمان » . انظر المصدر السابق ، ج ١٢ ، ص ٢١٧ .

٤٧- ابن إياس ، المصدر السابق ، ج ١ ، ق ٢ ، ص ٤٧٦

كانت تلك المرة الأولى التي توجه فيها شيلتيرجر إلى مصر . قيل أن تعود القوات العثمانية إلى السلطان بايزيد من جديد . انظر أيضاً : Richard , op cit, p.80

49- Ibid , p.10

٥٠- انظر المصادر التالية :

Aşık pasa öglü , op.cit, p.74 ; Tursun Bey , Tarihi , Ebu'l-feth , Hazirlayan , Mertol Tulum , İstanbul , 1977 , p. 159 ; Oruç Beg , op . cit , p.57

المفريزي ، المصدر السابق ، ج٧ ، ص٤ : ابن حجر العسقلاني ( شهاب الدين أحمد بن علي ) أنباء العمر بأبناء العمر ، ج٢ ، تحقيق ، القاهرة . 1971م ، ص 107 ; 283 , p. 88 , op. cit , Doukas , not . 85 .

51- « The Bondage and Travels » , p. 20

عن غزو العاهل المغولي لمدينة سيمسطية ( ميواس ) انظر :

Khwandamir , op cit , p 274 ; Aşık pasa öglü , op cit , p.77 ; Oruç Beg , op. cit, p.58 ;

ابن عرشاه ، المصدر السابق ، ص ١٩٣ - ١٩٤ : شرف الدين بردي ، المصدر السابق ، ص ١٨٣ - ١٩٥ :

Doukas , op cit, p 89 , Dennis , G , « Three reports from Crete on The Situation in Romania 1401-1402 , » , In Studi Veneziani , 12, 1970 , p 254 . Doc. 1 ; Clavijo , Embassy to Tamerlane 1403 - 1406 , Trans. by , Le strange , G , London , 1928 , pp. 132 . .

غير أنه يذكر أن قوات سليمان بن بايزيد تألفت من مائتي ألف مقاتل ، بخلاف الجيش السلطاني نفسه . و من الواضح أن ذلك من قبيل المبالغة لأن السلطان العثماني كان على حصاره لمدينة القسطنطينية ذلك الوقت ، و لم تكن قواته بثل هذا العدد .

انظر أيضاً هذا المصدر الأرمني الهام الذي اتفق مع كافة المصادر التاريخية السابقة في بيان الوحشية و الفظاعة التي عامل بها العاهل المغولي تيمورلنك سكان مدينة سيمسطية عند غزوة لها عام ١٤٠٠م .

Tovma Metsobets>I.s . « History of Tamerlane and His successors » p 13 in . [http :// rbedrosian com/ tm1.htm](http://rbedrosian.com/tm1.htm)

٥٢- سعد زغلول عبد الحميد « الإسلام و الترك في العصر الإسلامي الوسيط » . مجلة عالم الفكر ، العدد ، الكويت ، ١٩٨٦م . ص ١٩٨ - ١٩٩ .

و سبق أن حدثنا ماركو بولو في رحلته عن أمر قبلاي خان بإعدام خصمه تايمان عبر وضعه في بساطين مع تنقيضهما بقوة شديدة حتى قاضت روحه ، و يفسر الرحالة الأوربي الأشهر ذلك بأنه لم يكن يجوز في عرف التتار أن تشهد الشمس أو الهوا - سلك دماء فرد ينتمي إلى الأسرة الامبراطورية . و يعلق مارسدن على ذلك بأن عملية ازهاق روح أى شخص يعطى بمكانة عالية لدى المغول دون إراقة دمايته قد تكررت كثيراً . و ربما ورثها الأتراك عنهم عبر استخدام وتر القوس في السراي السلطانية العثمانية . انظر :

ماركو بولو ، رحلات ماركو بولو ، ترجمتها إلى الإنجليزية وليام مارسدن ، ترجمتها إلى العربية عبد العزيز جاويد ، القاهرة ، ٢٠٠٤م ، ص ١٢ ، ٢٠٣ هامش ١٥ .

و بخصوص ازهاق تيمورلوك لأرواح أهالي سيواس دون أى عملية لسفك الدماء فيبدو أن العاهل المغولي قد اعتبر أنه قد أحترم أهالي المدينة عندما تآزل و اعتبرهم مثل الطبقة العليا بالمجتمع المغولي ، فحق عليهم الموت عبر ازهاق أرواحهم دون سفك للدماء .

53- The Bondage and Travels , pp 9-10 , Richard , op cit , p 79 .

٥٤- تعد معركة أنقرة ١٤٠٢م من أهم المعارك التي دارت في العصور الوسطى ، و على الرغم من أنها جرت بين أكبر عاهلين مسلمين في ذلك الوقت ، فإن نتائجها كانت متباعدة على العالمين المغولي الذي اتسعت رقعته عقب الاستيلاء على آسيا الصغرى ، و لعمري الذي دخل في دوامة حرب أهلية بعد أن كان على وشك فتح مدينة القسطنطينية .ص هذه الموقعة انظر ما سبق ص ٢ هامش (٣)

55- The Bondage and Travels ، وانظر أيضاً p 21 .

Khwandamir , op cit , p. 280 , , Aşık paşa oğlu , op cit , p.74 .

٥٦- انظر : Khwandamir , op.cit , p.282 .

ابن عريشاه ، المصدر السابق ، ص ٣٠٨ - ٣١٣ ؛ ابن تغري بردي ، المصدر السابق ، ج ١٢ ، ص ٢٦٧ ؛ النويري ، المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ١٥٠ .

57- The Bondage and Travels ، p 21 .

عن انضمام القوات المغولية بالجيش العثماني إلى تيمورلوك ، و انسحاب القوات التركمانية من جيش بايزيد . راجع : Aşık paşa oğlu , op. cit , p 78 ؛ ابن عريشاه ، المصدر السابق ، ص ٣٢٠ ، ٣٢٢ ، ٣٢٣ ؛ ابن تغري بردي ، المصدر السابق ، ج ١٢ ، ص ٢٦٧ ؛ Doukas , op cit , p 93 .

٥٨- Schiltberger , op cit , p 21 ينطبق هنا ما ذكره شيلتبيرجر مع ما ورد في المصادر المعاصرة . من

دلي :

Khwandamir , op.cit , p.284 ؛ ابن عريشاه ، المصدر السابق ، ص ٣٢٧ ؛ ابن تغري بردي ، المصدر

السابق ، ج ١٢ ، ص ٢٦٩ .

## 60- The Bondage and Travels , p.22

ذكر شبلتجر في مبالغة واضحة أن أعداد جيش تيمورلنك لدى حصار حلب كان مليون و مائتي ألف جندي ، و جعل قوات حاكم حلب تبلغ ثمانية ألف رجل ، و الحقيقة أن دمردش ، قائد قلعة المدينة كان قد أبدى مقاومة بطولية أمام جعافل القوات المغولية . قبل أن تنجح تلك القوات في النهاية في دخول المدينة و ارتكاب العديد من المذابح و الفظائع فضلاً عن أعمال السلب و النهب . إذا كان شبلتجر قد أشار فقط إلى أن تيمور أمر بقتل كافة أهل حلب في خندق المدينة المائي قبل أن يملأه بالماء ، فإن باقي المصادر العربية و الفارسية و العثمانية تتحدث عما هو أكثر من ذلك بكثير .

عن اجتياح المغول لحلب - ١٤٠٠م و الفظائع التي قاموا بارتكابها بها انظر:

ابن اياس ، المصدر السابق ، ج١ ، ق٢ ، ص٥٩٧ - ٥٩٨ ؛ ابن عريشة ، المصدر السابق ، ص ٢٠٥ - ٢٠٩ ؛ ابن تغري بردي ، المصدر السابق ، ج١٢ ، ص ٢٢٤ - ٢٢٥ ؛ الصيرفي ، المصدر السابق ، ج٢ ، ص ٧٤ - ٧٧ ؛ المقرئ ، المصدر السابق ، ج٣ ، ق٣ ، ص ١٠٣٣ - ١٠٣٤ ؛ ابن العماد الحنبلي ( أنى الفلاح عبد الحى ) ، شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، ج٧ ، بيروت ، د.ت ، ص ٦٤ ؛ شرف الدين بردي ، المصدر السابق ، ص ٢٠٧ ، ٢١٨ - ٢٢١ ،

Khwandamir ,op cit, pp 275- 276 , Aşık paşa oğlu,op cit, p 77, Oruç Beg ,op cit,p 58 ; Tovma Metsobets:İs , op cit , pp.13-14

تروكات تيمور ، مقالات أول في تدبيرات وكتكاشها ، تهران ، د.ت

## 61- Loc.cit.

عن دخول القوات المغولية إلى دمشق . راجع المصادر العربية و الفارسية و العثمانية السابقة

٦٢ - Ibid , p 24 . عن غزو تيمورلنك لمدينة بغداد و ارتكاب الفظائع بها انظر:

Khwandamir ,op.cit. p278 ؛ ابن تغري بردي ، المصدر السابق ، ج٢ و ص ٢٦٦ ؛ المقرئ ، المصدر السابق ، ج٣ ، ق٣ ، ص ١٠٦٧ ؛ ابن اياس ، المصدر السابق ، ج١ ، ق٣ ، ص ٦٣٣ ؛ ابن العماد الحنبلي ، المصدر السابق ، ص ٦٥ ؛ انظر أيضاً:

ابن عريشة ، المصدر السابق ، ص ٣٠٢ - ٣٠٦ ، الذي أشار إلى أنه نتيجة للوحشية و الفظائع التي ارتكبتها قوات تيمورلنك في بغداد . فقد صارت بعد أن كانت مدينة السلام ، دار السلام »

63- Ibid , pp. 26-27

64- « Habibu.s - siyar » , pp.290 - 291

حيث يتحدث مؤرخنا الفارسي عن اسكندر شيخ ، تابع تيمور الذي شق عصا الطاعة عنه . فأرسل العادل المغولي وراه أمير زاده رستم و الأمير سليمان شاه . واستمرت المطاردة طويلاً بسبب اختباء اسكندر شيخ في الغابات الكثيفة . حتى تم القبض عليه في النهاية و قتله . غير أن رواية حبيب السير لم تشر أيضاً إلى مسألة استيلائه على الخراج . عن ذلك أنظر أيضاً : حافظ إبراهيم ، ذيل كتاب ظفر نامة نظام الدين شامي ، تهران . د.ت. ص ١٤ - ١٥ .

٦٥- The Bondage and Travels . pp 27-28 : انظر : ابن عربشاه ، المصدر السابق ، ص ٩٨  
٦٠- ابن خلدون ( عبد الرحمن بن خلدون ) كتاب العبر و ديوان المبتدأ و الخبر ، ج ٥ ، بيروت ، ١٩٨١ م .  
ص ٥٤٠ . Khwandamir , op.cit. p.257.

66- The Bondage and Travels . p.27

٦٧- أسامة بن منقذ ، كتاب الاعتبار ، تحقيق فيليب حتى ، برنستون ، ١٩٣٠ م ، ص ١٥٥ - ١٥٦ .

68- The Bondage and Travels . p 26

من استيلاء تيمورلنك على الهند . - ٨٠٠هـ / ١٣٩٨م . انظر للمصادر و المراجع التالية:

١١٢- ٢٦٨- Khwandamir . op cit. pp.264-268 : ثوب الدين بزدوى . المصدر السابق ، ص ٩٧ - ٩٩ ، ١١٢

Tovma Metsobets'Is . op.cit. p14 . غير أنه يذكر أن ذلك تم في العام ١٣٩٦م ؛ أنظر أيضاً :  
تروكات تيمور ، المصدر السابق ، ص ١٣٥ - ١٣٩ .

انظر كذلك : المفريزي ، المصدر السابق ، ج ١ ، ق ٢ ، ص ٨٩٢، ٩٣٤ ؛ ج ٢ ، ص ١٠٢٤ ؛ ابن اياس ، المصدر السابق ، ج ١ ، ق ٢ ، ص ٤٩٥ - ٤٩٦ ، ٥٩١ ؛ ابن العماد الحنبلي ، المصدر السابق ، ص ٢ ؛ اشبولر ، ب ، العالم الاسلامي في العصر المغولي ، ترجمة خالد سعد ، مراجعة سهيل زكار ، دمشق ، ١٩٨٢ م ، ص ١٢٤ ؛ أحمد الساداتي ، تاريخ الدول الاسلامية في آسيا و حضارتها ، القاهرة ، ١٩٧٦ م ، ص ٢٠٢ ، ٢٠٣ ، أ ، تاريخ بخاري منذ أقدم العصور حتى العصر الحاضر ، ترجمة أحمد الساداتي ، مراجعة و تقديم يحيى الخشاب ، القاهرة ، ١٩٨٧ م ، ص ٢٣٢ . حيث يصف بالتفصيل المعركة التي دارت بين تيمورلنك و حاكم الهند ملو ، و كيف نجح جنود تيمور في خداع و إثارة الأفيال الهندية بحيث انقلبت على أصحابها . و عن حملة تيمورلنك على الهند أنظر أيضاً : Clavijo , op.cit.pp. 255-256 .

الذي يتحدث أيضاً عن تحميل المول للحمال بالأخشاب و اشعال التيران بها . و فرار الأفيال من أمامها .  
غير أنه يتحدث عن وجود خمسين فيلاً فقط في الجيش الهندي .

استخدم شيلنجرها وحدة الوزن zentner التي تعادل مائة كيلو جرام ، مع إشارة أخرى تظهر معرفته بالسلع والمعادن في عصره ، عندما نوه إلى أن ذهب الهند آنذاك كان يفضل على ذهب الجزيرة العربية.

٧٠- قام المحرل تحت قيادة قبلاي (١٢٥٧- ١٢٩٤ م) بغزو الصين و ترتب على ذلك أن دفع خلفاء الجغتانيين في سمرقند ضريبة سنوية له - بعد ذلك تدهورت أحوال خلفاء قبلاي ، قبل أن تظهر العام ١٣٧٠ م أسرة ملكية مغولية في الصين ، عرفت باسم أسرة يوان Yuan بعد ذلك ظهرت أسرة ملكية أخرى هي أسرة مينج Ming ، التي أسسها الامبراطور Hongwan الذي مات عام ١٣٩٩ م ، ليحكم بعده الامبراطور Ching tsu الذي أصبح اسمه رسمياً الامبراطور Yuanglo خلال الأعوام ١٤٠٣- ١٤٢٥ م. و هو الحاكم الذي أسماه كلاتيجو Chayskan أو Chayskan ، و الذي أطلق عليه المقلول لقب Tanguz .

و على أية حال أراد هنا الامبراطور الذي عرف أيضاً باسم جودي أو جوتشي أن يرغم تيمور على دفع الضريبة السنوية المفروضة على حكام سمرقند إلى البلاط الصيني . انظر :

Clavijo , J . Embassy to Tamerlane 1403- 1406 Trans by Le strange , G . London , 1928

، p 358 not 2

و انظر أيضاً ، لويز ليفانيس ، يوم سادت الصين البحار - معطرة عرش النبي ١٤٠٥ - ١٤٣٣ م ، ترجمة على أحمد كنعان ، بيروت ، ١٩٨٤ م ، ص ٢٢٢ - ٢٢٣ .

71- Embassy to Tamerlane , op . cit. p. 222

٧٢- Ibid , pp. 223 ; p. 327 not 2 : لويز ليفانيس ، المرجع السابق ، ص ٢٠٢

73- The Bondage and Travels ، p.28

بذكر المؤرخ الفارسي خواندمير خروج تيمورلنك لغزو الصين في جيش يبلغ تعدادة ثمانمائة ألف رجل . انظر :

٢٩٤ . p. Habibu's-siyar ، أنظر أيضاً : شرف الدين يزدي ، المصدر السابق ، ص ٤٤٥ - ٤٥٢ ، حافظ ابرو ، المصدر السابق ، ص ٢٥ - ٢٧ . و تذكر لويز ليفانيس أن تيمور خرج على رأس مائتي ألف رجل فقط عبروا نهر سيحون Jaxartez المتجمد قبل أن تعود على أعقابها دون تحقيق هدفها المرجو . انظر ، المرجع السابق ، ص ٢٠٢ .

و انظر أيضاً كلاتيجو الذي أشار إلى بعد المسافة ما بين سمرقند عاصمة تيمور ، و بكين عاصمة لامبراطور الصيني ، التي تبلغ مسيرة ستة أشهر انظر : Embassy to Tamerlane ، p 291

٧٥- Ibid. pp. 294-295 75. و ذكر خواندمير أيضاً أن نهر سيجون يتجمد في الشتاء و يصبح لونه فضياً . كما أن الرياح القوية تدفع بكتل الجليد من الجبال و السهول إلى صقعة النهر ، مما يجعل المشهد كله أقرب إلى تكون البحار.

٧٦- Loc.cit الذي ذكر أيضاً أن تيمور أرسل شخصاً آخر للتحقق من الطريق عبر مضيق قولان Qulan ، غير أنه عاد إليه ليعبره أن المضيق مغطى بالثلج بطول ومعين مما يستحيل اجتيازه . انظر أيضاً : شرف الدين يزدي ، المصدر السابق ، ص ٤٥٧-٤٦٩.

٧٧- « عجائب المقدور في نواب تيمور » ، ص ٣٨٨ .

٧٨- The Bondage and Travels ، p 29 . وانظر أيضاً ابن عريشة ، المصدر السابق، ص ٤٦٦ ، حيث أشار أيضاً إلى قتل تيمور لإحدى زوجاته « ... لشئ يلفه عنها ، وكان غير واقع »

بمسا بعدد خواندمير تاريخ وفاة تيمورلنك في الثامن عشر من فبراير عام ١٤٠٥م الموافق للسابع عشر من شعبان عام ٨٠٧ . وعن وفاة تيمور ، انظر أيضاً : Tovma Metsobetsi's op cit. p 14

الذي ذكر خطأ أن وفاته كست في العام ١٤٠٨م . غير أن ذلك لم يرد في المصادر التاريخية المعاصرة لحياة العاهل المعزى التي أشارت إلى تيمور لكسات من الحمر القمطر المروج بالهزات والتوابل كي يعينه على تحمل البرد القارس إبان حملته باتجاه الصين انظر ابن عريشة، المصدر السابق ، ص ٣٩١-٣٩٢ ، ابن تغري بردي ، المصدر السابق ، ج ١٣ ، ص ٣٦٩ .

٧٩- ذكر كل من كارييني و بولو أن نساء المعول يقتلن بالعلقة و الاحتشام و الإخلاص لحياتهن الزوجية ، و لا يرتكبن الأعمال المشبته التي تحبب من قدهن . وأنه إذا ما حدث غير ذلك يتم على العود إدانة الزانية و الزاني و توقيع عقوبة القتل عليهما في الحال . انظر : Dawson . ch. ( ed.) Mission to Asia ، London ، الزاني و توقيع عقوبة القتل عليهما في الحال . انظر : Dawson . ch. ( ed.) Mission to Asia ، London ، 1966 ، pp. 15,17 .

ماركو بولو ، المصدر السابق ، ج ١ ، ص ١٣٥-١٣٦ .

٨٠- Habibu's - Siyar . pp 299-300 حيث ذكر أيضاً وحرد ٢٢ خليفة لديه .

٨١- Embassy to Tamerlane " لا يعترض لي سترانج - مترجم كتاب كلايخو - على ذلك مقترحاً أنه إذا كانت الشريعة الإسلامية تتيح لتيمور الزواج من أربعة فقط . فإنه قد استثنى نفسه من ذلك ، تماماً مثلما كان يشرب الخمر دائماً ، في مخالفة واضحة للشريعة الإسلامية أيضاً . انظر: 3: p 359, not

Schultberger , op.cit. p. 30 :

وعن الأسرى في سمرقند راجع ما ذكره السفير الألباني كلايفيو عن آلاف الأسرى من الحرفيين الذين جلبهم تيمورلنك من بلادهم من مسلمي دمشق و بلاد الأناضول و من المسيحيين بمختلف طوائفهم ، كالبيزنطيين و الأرمن و الكاثوليك و البعاقبة و النساطرة ، بخلاف اليهود و الروس و الصينيين انظر : Embassy to Tamerlane , pp. 287-288

٨٦- 86 p. The Bondage and Travels . حيث ذكر أنه بعد وفاة تيمورلنك تم نقله إلى حاشية ابنه الأكبر شاه رخ الذي كان يمتلك أراضي خراسان و أرمينيا ، و أنه عندما كان يرافقه شتاء إلى أرمينيا كان يعيش وسط الأرمن الذين امتازوا بالود تجاه الألمان ، فأحاطوه بعظمتهم و رعايتهم .

87- « History of Tamerlane and His successors » , p. 14 .

٨٨- 30 p. The Bondage and Travels . و يبدو أن الشوش الذي أصاب شيلنبرجر هما عند حديثه عن أحوال الأسر لدى لمول قد تأثر به المزوج الأرمي Tovma Metsobets . و هو الأمر الذي يمكن أن نلاحظه لديه إذ قرر أن وفاة تيمورلنك كانت العام ١٤٠٨م ، و هو ما يخالف باقي المصادر التاريخية الفارسية و العربية . لكن ذلك يتسق مع الحسب لدى شيلنبرجر ، الذي تأثر به مؤرخا الأرمي . و هكذا سقط الأول في الأسر بعبد موقعة أنقرة ١٤٠٢م و حكمت من سمرات عبد تيمورلنك إلى وفاة الأخير عام ١٤٠٨م. انظر : History of Tamerlane , p 14»

و يشي تأثر الرواية الأرمية بالشوش الذي لارم حسابات شيلنبرجر . ثم أن نقلها رواية صوت العواء انصاف من قبر تيمورلنك بسمرقند يشي بأن المزوج الأرمي قد استمع إلى أحاديث الأسير الألماني يوهان شيلنبرجر من أصدقائه الأرمن . كما سبقت الإشارة خاصة و أن مؤرخنا الأرمي قد ولد العام ١٣٧٨م و مات عام ١٤٤٦م ، و كان لديه ٢٧ عاماً عندما وصل شيلنبرجر إلى أراضي أرمينيا مع سيده الجديد شاه رخ .

٨٩- 30 p. The Bondage and Travels . وعن مملكة شاه رخ في خراسان . انظر : بازتولد ، المرجع السابق ، ص ٢٥٠ ، ٢٥٢ ، ٢٥٣ .

90- Ibid , p.31

٩١- شرفنامه ، الجزء الأول ، ترجمة محمد علي عوني ، مراجعة يحيى الخشاب ، دمشق ٢٠٠٦م ، ص ٣٥٦ . الذي ذكر حدوث تلك المعركة في (نشب غازان تبريز) ، ومن أهم نتائجها كان سقوط بلاد أذربيجان كلها في قبضة قرا يوسف .

٩٢- " 33 p. The Bondage and Travels " . انظر أيضا . عجائب المقدور ، ص ٣٩٩ ... و كان أبو بكر هذا في الجلبطاي من العوارس و الصاريين بالبيض السهام و القواس ... و كان يوقف بكرة . و يضرها

بالسيف ضربة لا ضرتين ، فيجعلها قطعتين مفصولتين" . و عن أبي بكر بن ميران شاه انظر أيضاً .

Clavijo , op. cit. pp.317.

93- The Bondage and Travels , p.33 .

٩٤- محمد سهيل طقوش ، تاريخ مغول القبيلة الذهبية و الهند ، بيروت ، ٢٠٠٧م ، ص ١٢٣

95- The Bondage and Travels , p.35 .

٩٦- محمد سهيل طقوش ، المرجع السابق ، ص ١٠٦ ، ١٠٩ .

97- Halperin , ch. Russia and The Golden Horde . London , 1985 .p 57

٩٨- انظر : ابن عريشاه ، المصدر السابق ، ص ١٤٩ ،

٩٩- محمد سهيل طقوش ، المرجع السابق ، ص ١١٧ - ١١٩ ،

100- Robert Michell & Nevill Forbes (eds ) The Chronicle of Novgorod 1016 - 1471 . London , 1914 , p. 183 .

101- Loc cit. P 33

102- "The Bondage and Travels ,

103- Ibid , p. 34 .

١٠٤- محمد سهيل طقوش ، المرجع السابق ، ص ١٢٣ .

105- Halperin , op cit. pp 29.57 .

١٠٦- محمد سهيل طقوش ، المرجع السابق ، ص ١٢٤ .

107- The Bondage and Travels , p.35

١٠٨- عن ذلك أنظر :

- Heaney .M. The Mongolian Almas : A Historical Reevaluation of The Sighting By Baradain , in , Cryrtozoology 2. 1983. pp. 40- 52 .

- Newton, M. " Almas / Almasti " . in. Encyclopedia of Cryptozoology A Global Guide. London. 2005. pp. 19- 20

109- Loc.cit

١١٠- المصدر السابق ، ج ٣ ، ص ٩٦- ٩٧ .

١١١- رحلة ابن بطوطة المسماة تجمة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار ، بيروت ، د.ت ، ص ٢٢٥ . حيث يتحدث عن سحر الكلب الذي يصل لما يساوى ألف دينار بسبب الحاجة الماسة للكلاب في جر و سحب العربات و أثر ذلك على حركة التجارة .

و عن استئعام الميوانات في جر العربات في مناطق أخرى قريبة يتحدث ابن بطوطة عن ما شاهده في إقليم القرم من عربات تتألف كل واحدة منها من أربع يكرات كبار تحجزها الجبول أو البقر و الجمال . انظر ، ص 215.

١١٢- " The Bondage and Travels", pp 37-38. وذكر أنه كان يدعى Phiradamschych .

١١٣- المصدر السابق، ص ٢٦٠ . ...يظن رائيه أن عمره خمسون سنة ... وشككت في حاله . والله أعلم بصدقه .

١١٤- المصدر السابق، ص ٤٧ . ...من رأه يتصور أنه لم يبلغ أشده ، لم يكن للكبر بهجهه لمعبد ولا أثر .

115- The Bondage and Travels ، p 48 .

عن ذلك انظر ما ذكره كارسي و ولم أف روبروك و ماركو بولو

١١٦- Dawn's ch.op cit pp 16,17, 96-98, 112. م. ركو بولو ، المصدر السابق ، ج ١ ، ١٣٤ ، ١٣٥

١٣٨- ١٣٩ ، وانظر كذلك ابن بطوطة . المصدر السابق ، ص ٢١٠ ، ٢١٩ .

١١٧- The Bondage and Travels ، p 48 . و هو نفس ما أشار إليه ماركو بولو أيضا من قبل .

الذي ذكر أنه إذا ما زحف المغول في سفر طويل و انتهت مؤنهم . يكتهم العيش لعشرة ايام أخرى عبر الإعتماد على دماء خيولهم ... إذ يشق كل رجل عرقاً و يشرب من دم ماشيته . انظر رحلات ماركو بولو ، ج ١ ، ص ١٤٠ .

118- The Bondage and Travels ، p.48

119- Ibid, p.38

120- Loc cit

121- Carpinì, op. cit. p.18

وانظر أيضا، 162، Howorth. ، History of the Mongols, vol 4, London 1888.

شيلو، ب.، العالم الإسلامي في العصر المغولي ، ترجمة خالد عيسى، مراجعة سهيل زكار ، دمشق، ١٩٨٢، ص ٢٨ . كما أشد عطا ملك الجويني إلى أن السماء والرجال الذين لا يشاركون في القتال يقومون في المارل و غديم لإعداد الطعام والمؤونة للقوات المحاربة. انظر. تاريخ فاتح العالم جهانكشاي، ترجمة محمد التوتنجي، المجلد الأول، دمشق، ١٩٨٥، ص ٦٦ .

١٢٢- سعد الغامدي المغول: بينتهم الطبيعية وحياتهم الاجتماعية والدينية، الرياض، ١٩٩٠م، ص ١١٣-

١١٤ .

١٢٣- عطا ملك الجويني، المصدر السابق، ص ١٧١. الذي يشير أيضا إلى أنها استثنت - كما عادة المغول- الحرفيين والصناع الذين تم أسرهم وإرسالهم إلى التركستان .

١٢٤ رشيد الدين فضل الله الهمذاني، جامع التواريخ، تاريخ خلعا. جبگیز خان من أوكتاى قان إلى تيمورقان، ترجمة فؤاد الصياد، ص ١٠٧ الذي ذكر أن انها تميزت بقوة بدنية مكنتها من هزيمة عشرات الرجال، وأعلنت أنها لن تتزوج سوى من الرجل الذى يستطیع هزيمتها. وسمح لها القائد قايدو بعد ذلك بأن ترافقه فى كافة المعارك التى خاصها.

ويبدو أن تلك القصة قد تم تداولها فى القرن التالى مباشرة . إذ نجد لها صدى عند حديث ابن بطوطة عن الصين الذى يشير إلى إحدى ملكاتهم التى كانت تقاثل الرجال وتصرعهم، فأخبرت أبيها أنها لى تتزوج سوى بمن يبارزها ويغلبها. انظر المصدر السابق، ص ٤١٣-٤١٤ .

١٢٥- المصدر السابق . ح ١ . ص ٧٦ والزر الكبير والزر الصغير من أقاليم الجزيرة العراقية، كان غالبية سكانهما من الأكراد، راجع أيضا ص ٧٠

١٢٦- المصدر السابق، ص ٤٨١ وحسب كمدته «...بعضهم يبلع ما يصع الفحول من الرجال فى النزول، من طعن بالرمح وضرب بالسيف ووشق بالثبال».

١٢٧- عن ذلك أنظر ريخا مبسرا المرأة فى عصر المغول، ترجمة أحمد الجوارنة، إريد، ١٩٩٨، ص ١٤٦-١٤٧ .

## قائمة المصادر والمراجع

أولاً : المصادر العربية :

- ١- ابن بطوطة ( أبو عبدالله بن عبدالله اللواتي )  
رحلة ابن بطوطة المسماة تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار ، بيروت ، د.ت.
- ٢- ابن تغرى بردى ( جمال الدين أبو المعاسن )  
النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، ج١٢ ، القاهرة ، د.ت.
- ٣- ابن حجر العسقلاني ( شهاب الدين أحمد بن علي )  
إنباء الغمر بأبناء العمر ، ج٢ ، تحقيق حسن حسبي ، القاهرة ، ١٩٧٣ م .
- ٤- ابن العماد الحنبلي ( أبي الفلاح عبد الحفي )  
شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، ج٧ ، بيروت ، د.ت .  
٥ ابن إياس ( محمد بن أحمد بن إياس الحمصي )  
بدائع الزهور في وقائع الدهور ، ج١ ، ق٢ ، القاهرة ، ١٩٨٣ م .
- ٦- ابن عريشاء ( شهاب الدين أحمد بن محمد الدمشقي )  
عجائب المقدور في نوائب تیمور ، تحقيق أحمد فايز الحمصي ، بيروت ، ص ، ١٩٨٦ م .
- ٧- أسامة بن منقذ ،  
كتاب الاعتبار ، تحقيق قاسم السامرائي ، الرياض ، ١٩٨٧ م .
- ٨- الصيرفي ( الخطيب الجوهري علي بن داود )  
نزهة البقوس و الأبدان في تواريخ الزمان ، ج٢ ، تحقيق حسن حسبي ، القاهرة ، ١٩٧١ م .
- ٩- المقرئ ( تقى الدين أحمد بن علي )  
كتاب السلوك لمعرفة دول الملوك ، ج٣ ، ق٢ ، القاهرة ، ١٩٧٠ م .
- ١٠- ابن خلدون ( عبد الرحمن بن خلدون ) كتاب العبر و ديوان المبتدأ و الخبر ، ج ٥ ، بيروت ، ١٩٨١ م .

## ثانياً : المصادر الفارسية و العثمانية :

1- Aşikpasaoğlu . Aşikpasa Tarihi . Hazırlayan . Nihal Atsız , An-  
kara. 1985 .

2- Khwandamir. Habibus-siyar. Tome Three. The Reign of The Mongol  
and The Turk Part one . Genghis Khan – Amr Temur . Trans and ed. By ,  
w.M. Thackston. Harvard university. 1994.

3- Oruç Beg . Oruç Beg Tarihi . Hazırlayan . Nihal Atsız , I  
stanbul. 1973.

4- Tursun Bey . Tarih-I Ebu l-Feth . Hazırlayan . Mertol Tulum . Istanbul  
, 1977.

٥- البدليسي ( شرف حان ) شرقنامه ، الجزء الأول ، ترجمة محمد علي عوني ، مراجعة  
يحيى الخشاب ، دمشق ١٤٠٦ م  
٦- الجويني ( عطا ملك ) ، تاريخ فتح العالم جهانگشاي ، ترجمة محمد التوحيجي ، المجلد  
الأول ، دمشق ، ١٩٨٥ م .

٧- الهمذاني ( رشيد الدين فضل الله ) ، جامع التواريخ ، تاريخ خلفاء جيكيزخان من أوكتاى  
قأن إلى تيمور قأن ، ترجمة فؤاد الصياد ، مراجعة يحيى الخشاب ، بيروت ، ١٩٨٣ م .

٨- تزوكات تيمور ، مقالات أول فى تدبيرات وكشاها ، تهران. د. ت .

٩- حافظ إبرو ، ذيل كتاب ظفر نامه نظام الدين شامى ، تهران. د. ت .

١٠- يزدي (شرف الدين ) ، ظفر نامه ، تاريخ عمومى مفصل إيران دروورة تيموريان  
بتصحيح وإقام محمد عباسى ، أزروى نسخى كه ، در عصر مصنف توشته شده ، جلد دوم ،  
تهران ، ١٣٣٦ هـ .

## ثالثاً : المصادر البيزنطية و اللاتينية و الروسية و الأرمنية :

1- Chacocondylas . Historiarum demonstrations ed By. I Bekker .  
C.S H B . Bonne , 1843

2 - Clavijo , J. Embassy To Tamerlane 1403 -1406 , Trans. By, Le Strange  
G. , London , 1928

3 - Dawson , ch.(ed.) Mission to Asia , London , 1966.

4 -Delaville le Roulx ( Joseph ) , La France en Orient au XIV siècle. expé-  
ditions du marchal Boucicaud , 2vols , paris , 1886.

5 - Dennis, G. "Three reports from Crete on The situation in Romania 1401  
- 14-2 " ,In S.V. 12 , 1970.

6 - Dopp,p.H. (ed.) LEgypte Au Commencement du Qunzieme  
Siècle , d'Apres Le Traite d'Emmanuel e Au Commencement du Qunzieme  
Sieomania 1401 - 14-Piloti de Crete (Incipit 1420 ) . Le Caire , 1950

7 - (ed.) Traite d'Emmanuel e Au Commencement du Qunzieme Sieoma-  
nia 1401 - 14-Piloti sur Le passage en Terre saint (1420 ) , parise , 1958.

8 - Doukas , M. Decline and Fall of Byzantium to The Ottoman Turks , by  
Magonlias , H. J. , Detroit , 1975 .

9 - Froissart , Chronicle of Froissart , Trans. by John Bouchier , Lord Bern-  
ers ,edited by , Macaulay , G. C. , London. 1930

10 - Gauter, P. " Un Recit Indet Du Siege de Constantinople par Les Turcs  
1394- 1402 " , in , Revue d.etudes Byzantion. Tom , XIII ,1965.

11- Godefroy , T. ( ed. ) , Histoire de messier Jean de Boucicaud , mare-  
schal de France , gouverneur de Gennes , collections.vols. vi , vii. Paris.182  
5.

12-Robert Michell & Nevill Forbes (eds ) , The Chronicle of Novgorod  
1016 - 1471 , London , 1914

13 - Marco Polo. The Travels. trans. By, William Maresden. London,  
1980.

اعتمدت على الترجمة العربية لهذا الكتاب :

- ماركو بولو، رحلات ماركو بولو، ترجمة وليم مارسدن ، ترجمها إلى العربية عبدالعزيز جاويد ج٢ ، القاهرة ، ٢٠٠٤ م .

14- Schiltberger , J . The Bondage and Travels of Johan Schiltberger , A Native of Bavaria , in Europe , Asia , And Africa 1396 – 1427 , Trans by Telfer , B . with notes by Brunn . P. New York , 1878.

15 - Sphrantzes.G. The Fall of Byzantine Empire . The Chronicle by George Sphrantzes , Trans. by M.Philippides. Amherest. 1980.p.21.

16- Tovma Metsobets;I;s , " History of Tamerlane and His successors " , in , [http. // rbedrosian . com /Tm 1 htm](http://rbedrosian.com/Tm1.htm)

#### رابعاً : المراجع الأجنبية :

1 - Alexandrescu – Dersca .La Campagne de Timur En Anatolia , 1402. London , 1972.

2 - Atiya. A. S. The Crusade of Nicopolis , London , 1934.

3 - Barker , J . Manuel II Palaelougus ( 1391- 1425). A study in Late Byzantine Statesmanship , New Jersey , 1969.

4 - Charanis.p. "The Strife among The Palaelogui and The Ottoman Turks 1370-1402 " .in .Byzantion. xvi. 1942- 1943.

5 - Dennis , G. " Three reports from Crete on The Situation in Romania 1401-1402" . in ,Studi Veneziani ,12.1970.

- Halperin ch. Russia and The Golden Horde , London 6 1985.

7 - Heaney .M. The Mongolian Almas - Historical Reevaluation of The Sighting By Baradun , in. Crytozoology. 2. 1983.

8 - Hously.N. The Later Crusades from Leon to Alcazar. 1274-1580.Oxford.1992

9 - Inalcik . H. "The Ottoman Turks and The Crusades . 1329-1451".in. A History of The Crusades , ed. By. Setton , K. M. vol. vi. Wisconsin, 1989.

10 - Newton. M. " Almas / Almasti " , in. Encyclopedia of  
Cryptozoology : A Global Guide , London. 2005.

11- Painter.S. A History of the Middle Ages from 284 to 1500.London.1953.

12- Previte - Orton.C.W. The Shorter Cambridge Medieval History, vol.2, the Twelfth Century to the Renaissance . Cambridge.1979.

13- Richard . J. "Les prisonniers de Nicopolis " ,in , Annales de Bourgogne , t. 68 ,1996

14-Treveliane.G.M. History of England .London.1942

15-Uzun çarşili . " karaman öğullari". Art in Anadolu Beylikleri ve Akkoyunlu.Karakoyunlu Devletlerin. Ankara. 1969.

14 -Veszpremy.L. "Some Remarks on Recent Historiography of The Crusade of Nicopolis 1396".in , The Crusades and The Military orders Expanding The Frontiers of Medieval Latin Christianity , ed. by. Zsolt Hunyadi and Jozsef Laszlovszky . Budapest. 2001.

### القواميس

1-Webster.s New Geographical Dictionary . New York , 1996.

سأدسا :المراجع العربية والمعرية :

- ١ - أحمد الساداتي ، تاريخ الدول الإسلامية في آسيا وحضارتها ، القاهرة ، ١٩٧٦م.
- ٢- خليل إينالچك " العثمانيون - النشأة و الازدهار " ، بحث في كتاب : دراسات في التاريخ العثماني ، ترجمة وتقديم سيد محمد السيد ، القاهرة ، ١٩٩٦م.
- ٣- ريخا ميسرا ، المرأة في عصر المغول ، ترجمة أحمد الجوارنة ، إريد ، ١٩٩٨ م .
- ٤- سعد الغامدي ، المغول : بيئتهم الطبيعية وحياتهم الاجتماعية والدنية ، الرياض . ١٩٩٠ م .

- ٥- سعد زغلول عبد الحميد ، " الإسلام و الترك فى العصر الإسلامى الوسيط " ، مجلة عالم الفكر ، العدد ، الكويت ، ١٩٨٦ م .
- ٦- شبلر ، ب ، العالم الإسلامى فى العصر المغولى ، ترجمة خالد سعد ، مراجعة سهيل زكار ، دمشق ، ١٩٨٢ م .
- ٧- عبد الرازق الطنطاوى القرموط ، العلاقات المصرية العثمانية ، القاهرة ، ١٩٩٥ م .
- ٨- فامبرى ، أ ، تاريخ بخارى منذ أقدم العصور حتى العصر الحاضر ، ترجمة أحمد الساداتى ، مراجعة و تقديم يحيى الحشاش ، القاهرة ، ١٩٨٧ م .
- ٩- لويز لبفائيس ، يوم سادت الصين البحار . مفخرة عرش التنين ١٤٠٥ - ١٤٣٣ م ، ترجمة على أحمد كنعان ، بيروت ، ٢٠٠٥ م .
- ١٠- محمد سهيل طقوش ، تاريخ مغول القبيلة الذهبية و الهند ، بيروت ، ٢٠٠٧ م .



## كتب التراجم في المدرسة التاريخية المكية القرن العاشر الهجري (١٦م) نموذجاً

### مقدمة :

تميزت المدرسة التاريخية المكية بالتنوع في مجالاتها الكتابية مما أثرت لنا الموروث الثقافي والذي نستمد منه المعلومات الأساسية لدراسة التاريخ المكي في مختلف الجوانب السياسية منها والاجتماعية والاقتصادية وغيرها .

ولقد أردت بهذا البحث المشاركة المتواضعة ضمن البحوث التي تتناول خصائص المدرسة التاريخية المكية ، التي وإن نالت العناية من الدارسين والباحثين فإنها لا تزال تحتاج إلى الهمم العالية والجهود المبذولة لاستجلاء جوانبها وبيان خصائصها التي امتازت بها عن بقية المدارس التاريخية في البلاد العربية الإسلامية الأخرى .

يكاد لا يجد الباحث ميداناً من ميادين الكتابة التاريخية خلا من إنتاج المكين . ومن بين مشاركاتهم المتنوعة نلاحظ عناية واضحة منهم بالتأليف في مجال التراجم والطبقات ، وهو مجال أساسي في الكتابة التاريخية<sup>(٢)</sup> بما يقدمه من معلومات تفيد في معرفة الأشخاص والجماعات ، مما يوضح الخصائص الاجتماعية لمكة ويبين أبعاد القبة العلمية للمكين . لذلك رأيت من المفيد أن استجلي أهمية ما أنتجه المكين في ميدان المؤلفات التي تدلت التراجم والطبقات في القرن العاشر الهجري كمثال لجهودهم في هذا المجال من الدراسات التاريخية .

وإن الناظر في تنوع كتب التراجم يلاحظ أنها تتنوع إلى نوعين أساسيين :

- ١- كتب ترجم لشخص واحد معين فأولته كل اهتمامها .
  - ٢- كتب ترجم للعديد من الأشخاص وهي التي تعرف بكتب الطبقات .
- ثم إن كتب الطبقات هذه على نوعين :

١- كتب طبقات عامة : وهي التي ترجمت لكل من ذكر في الحياة العلمية والسياسية وغيرها .

٢- كتب الطبقات الخاصة : وهي التي ترجمت لجماعة معينة اجتمعت في اختصاص واحد أو بلد أو انتساب واحد أو غير ذلك .

وسنحاول في هذا البحث كل ما عُرف من الإنتاج المكي المتخصص في فن التراجم الخاصة بالأشخاص والتراجم الخاصة بالطبقات خلال القرن العاشر الهجري / السادس عشر الميلادي ، إلا ما كان من كتب السيرة النبوية وكتب التراجم الخاصة برجال الحديث المؤلفة في تلك المرحلة تاركين ذلك للدراسات الحديثة وأصحابها ، وهو ما جعلنا نُعرض عن دراسة الكتب التي حملت العناوين الآتية :

- ١- كتب السيرة النبوية :
- ٢- معاجم الشيوخ .
- ٣- فهارس الشيوخ .
- ٤- كتب الأئمة .
- ٥- كتب المشيخات .
- ٦- تخريج المشيخات .
- ٧- المتقيات من كتب المشيخات .
- ٨- فهارس المرويات .

أما غيرها من كتب تراجم الأشخاص وكتب الطبقات التي اعتنت بها هذه الدراسة فلقد أمكننا أن نضع قائمة هامة منها بعد أن بحثنا في ترجمات المؤرخين المكيين الذين عاشوا خلال القرن العاشر الهجري / السادس عشر الميلادي وحصلنا منها على إنتاج ثري في الموضوع ، ونعرضه بإيجاز في الجدول التالي :

المؤلف	تاريخ وفاته	• عناوين الكتب
العز بن فهد : عبد العزيز بن عمر	٩٢٢هـ / ١٥١٧م	• غاية المرام بأخبار سلطنة البلد الحرام . • نزهة ذوي الأحلام بأخبار الخطباء والأئمة وقضاة البلد الحرام . • ترتيب طبقات القراء للذهبي .
ابن العليّيف : أحمد ابن الحسين	٩٢٦هـ / ١٥٢٠م	• الدر المنظوم في مناقب بايزيد سلطان الروم .
ابن ظهيرة : محمد بن أبي السعود	٩٤٠هـ / ١٥٣٤م	• الأخبار المستفادة فيمن ولي مكة من آل قتادة .
ابن ظهيرة : أحمد بن عطية	كان حياً ٩٤٢هـ / ١٥٣٤م	• جواهر العقود في ترجمة القاضي جمال الدين أبي السعود .
جار الله بن فهد : محمد بن عبد العزيز	٩٥٤هـ / ١٥٤٧م	• الأقوال المشبعة . في بعض ما قيل في مناقب أئمة المذاهب الأربعة . • بلوغ الأرب ، بمعرفة أي الأتقياء من العرب . • تاريخ يُفيد في معرفة المترجمين في الضوء اللامع من الأحياء . • تحفة اللطائف في فضائل الحبر ابن عباس ووج والطائف . • تحقيق الصفا في تراجم بني الوفا . • الجواهر الحسان ، في مناقب سليمان بن عثمان . • القول المؤلف في نسبة الخمسة الببوت إلى الشرف . • معجم الشعراء .
ابن حجر الهيثمي المكي : أحمد بن محمد	٩٧٤هـ / ١٥٦٧م	• الخيرات الحسان في مناقب أبي حنيفة النعمان . • معدن البواقيت الملتزمة في مناقب الأئمة الأربعة . • ترجمة معاوية بن أبي سفيان .

المؤلف	تاريخ وفاته	عناوين الكتب
الفاكهي : عبد القادر بن أحمد	٩٨٩هـ / ١٥٨١م	• فضائل ابن حجر الهيثمي . • القول النقي في مناقب المتقي . • مشكاة الاقتباس في فضائل ابن عباس . • مناقب عبد الرحمن العمودي .
النهر والي : قطب الدين محمد بن علاء الدين	٩٩٠هـ / ١٥٨٢م	• طبقات فقهاء الحنفية . • زيادات على كتاب دستور الأعلام لابن عزم .

## أنواع كتب التراجم التي ألفها المكيون

خلال القرن العاشر الهجري / السادس عشر الميلادي

إذا كانت هذه القائمة قد عرضت أسماء المؤلفين من المؤرخين وما أنتجوه من الكتب في مختلف أنواع الكتابة ضمن مجال التراجم والطبقات على اختلاف أنواعها ، فإنه بعد البحث والمطالعة تبين لنا أن عدد المؤرخين المكيين من رجال القرن العاشر الذين تناولوا فن التراجم يبلغ ثمانية مؤلفين<sup>(١)</sup> ، وأن عدد مؤلفاتهم في هذا المجال بلغ ثلاثة وعشرين كتاباً ورسالة .

وبعد النظر فيها أمكننا أن نصنفها حسب الموضوعات إلى صنفين أساسيين :

١- كتب التراجم التي اختصت بشخص واحد ، وقد يكون ذلك الشخص من رجال العلم أو من رجال السياسة .

٢- كتب التراجم التي تتناول التعريف بمجموعة من الأشخاص على اختلاف فئاتهم :

فمنها كتب اختصت بهجمات معينة كالأنبياء أو الصحابة .

ومنها التي اختصت بالأنساب والتي اشتملت على تراجم لجماعات كآل البيت .

ومنها تلك التي اختصت بالحكام والملوك .

وتلك التي اختصت بالعلماء وأصحاب الوظائف الدينية كالائمة والفقهاء والخطباء .

ومناقبهم .

الصنف الأول : الكتب التي تناولت التعريف بشخص واحد .

\* ابن العليف : أحمد بن الحسين (ت ٩٢٦هـ / ١٥٢٠م) <sup>(١٢)</sup> .

هو مكّي ولد بها سنة ٨٥١هـ / ١٤٤٧م من عائلة اشتهرت بالشعر .

أخذ العلم عن كبار العلماء المكيين والمصريين . أنتج أشعاراً كثيرة اشتهرت بالجزالة والبلاغة نُقلت في المصادر المكبية . واعتبره المؤرخون كبير شعراء مكة حتى وصفه جبار الله بن فهد بمتنبّي زمانه وشاعر البطحا ، وشيخ الأدباء <sup>(١٣)</sup> له ديوان شعر لا تُعرف منه نسخة <sup>(١٤)</sup> .

ومن مؤلفاته التي اختلفت بالترجمة لشخص واحد :

كتاب : ( الدر المنظوم ، في مناقب بايزيد سلطان الروم ) .

نسبه إليه حاجي خليفة <sup>(١٥)</sup> منه نسخة سلطانية كُتبت بخط المؤلف محفوظة في مكتبة فاتح بتركيا رقم ٤٣٥٧ ، تقع في ١١٨ ورقة ، تم نسخها يوم ١٦ ذي الحجة سنة ٩١٠هـ / ٢١ مايو ١٥٠٥م .

يقول ابن العليف في المقدمة : " أما بعد ، فلما كان تقبيد المآثر من أهم الأسباب ... جمعتُ هذا الديوان اللطيف ... في مناقب سلطان الرمن ... الملك الأعظم بايزيد ... وجعلته علماً لتخليد مآثره ... وأضفتُ إليه لمعاً مفيدة من نفائس الأخبار " .

أما محتوى الكتاب وعرض أبوابه وفصوله فإننا نقله مما كتبه د. الهيلة في كتابه التاريخ والمؤرخون بمكة فجاء فيه :

" الورقة ٣ أ : المقدمة في ذكر نسب الروم ومن اصطفاه الله منهم للنبوة ... والولاية " . ذكر فيها النبي أيوب - عليه السلام - والإسكندر ذا القرنين وأصحاب الكهف وما ورد في فضل الروم وأخبارهم .

الورقة ٢٢ب : الباب الأول في مناقب السلطان بايزيد ومآثر سلفه من أكابر العثمانيين.

الورقة ٣٢أ : ترجمة السلطان بايزيد .

الورقة ٣٣أ : فصل في العلوم الثقيلة والعقلية التي يُتقنها هذا السلطان

الورقة ٣٤أ : فصل في ذكر كرمه وإحسانه لأهل الحرمين .

الورقة ٣٦ ب : فصل في ذكر المباني التي أخذتها بإسطنبول وغيرها .

الورقة ٣٧ ب : فصل في ذكر جهاده ومرابطته وفتوحاته .

الورقة ٤٣ أ : فصل في نبذة من حسن سيرته وعدله وحلمه وسياسته .

الورقة ٥٣ أ : فصل في ذكر أولاده .

الورقة ٥٥ أ : الباب الثاني في ذكر طُرب من أخبار ملوك الروم .

الورقة ٨٣ ب : الباب الثالث في ذكر خبر القسطنطينية .

الورقة ١١٤ أ : الخاتمة في فضل الشعر والشعراء وإكرام الخلفاء والملوك لهم ، ثم أورد قصيدة

وضعها في مدح السلطان بايزيد طالعها :

خُذْ مِنْ ثَنَائِي مُوجِبَ الْحَمْدِ وَالشُّكْرِ

وَمِنْ ذُرِّ لَفْظِي مَحْكَمِ النَّظْمِ وَالنَّثْرِ

وهي تقع في ٦٣ بيتاً .

وبآخر المخطوط ما نصّه : " على يد راقم بُردِه ومُقرَّبِه ، وناظم عقده ومُؤَلِّفه ، الفقير إلى الله

تعالى أحمد بن الحسين بن محمد بن العُليِّف المكي المدني الشافعي غفر الله لوالديه ولمشائخه

وأحبابه .. " (٧) .

ويبدو من محتوى الكتاب ونصوحه أن ابن العليِّف أراد بتأليفه هذا أن يتقرب من السلطان

وعنده طلباً لكرمه وإحسانه فإن من صفات وعادات ملوك العثمانيين أنهم كانوا يقدِّرون إكرامهم

على أهل الحجاز . فكانت هذه النسخة سلطانية جميلة الشكل كبيرة الحجم اعتنى المؤلف بنسخها

بيده واهتم بتجميل خطها .

أسلوب ابن العليِّف ومصادره في كتابه :

كان ابن العليِّف شاعراً بارعاً يمكن أن يُعتبر أكبر شعراء مكة في عصره ؛ لذلك نراه في كتابه

هذا أدبياً ثائراً امتلك عنان اللغة ، فجاء أسلوبه فيه بالغ الدقة في التعبير ، يختار ألفاظه

ومعانيه ويتصرف في ذلك بلغة حركزة مع استعمال المحسنات البلاغية واللَّجْوِ في أحبان كثيرة

إلى السجع والاستشهاد بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية والأمثال وأقوال العلماء وبدائع

الشعراء .

وبما أنه كان يقصد التقرب من السلطة العثمانية فقد أوغل في مدح السلطان بايزيد كعادة أبناء عصره في مدحهم ، واعتمد في أغلب فصول الكتاب المبالغة في التقرب إليهم بإطراء أصول العثمانيين الذين كان يُطلق عليهم عامة الأدباء والمؤرخين اسم الروم ، فإن لفظ الروم في تلك المرحلة ويعدها يُقصد به الأتراك . وقلمنا نجد المؤرخين والأدباء يذكرون الأتراك إلا باسم الروم ، وربما كان ذلك بسبب استعمال لفظ الروملي أو أرض روم في تسمية إحدى مناطق مملكتهم . وقد وقع المادحون للأتراك في خطأ كبير عندما وسعوا نسبة الأتراك فأدخلوا فيها من يسمون بالروم من الرومانيين أو من عامة الأوروبيين حتى ربطوا نسب الأتراك بذي القرنين ونسبهم إلى ملوك روما وبلغ بهم الأمر أن نسبهم إلى ملوك البلاد الأسبانية . وفي هذا الخلط الواضح وقع ابن العلي أيضاً فجمع من النصوص الدينية كل ما ورد فيه لفظ الروم وألحقه بتاريخ الأتراك سواء من القرآن أو الأحاديث النبوية أو كتب التفسير أو من النصوص التاريخية والأدبية ، فجمع بذلك العديد من النصوص التي أوردها في كتابه من مصادر عديدة ومتروعة .

#### مصادر الكتاب :

وبغض النظر عن قرع المؤلف في هذا الخطأ الشائع في عصره فإن مصادر الكتاب التي نقل عنها الأخبار والحوادث والأقوال تُعتبر غنية ثرية دالة على ثقافته وسعة اطلاعه ومعرفته بالمؤلفات كبرها وصغرها . ولا أبالغ إذا قلت إن مصادر الكتاب قد قاربت المائة بين تفسير القرآن والكتب الجامعة للأحاديث النبوية والمفسرة لها ، يضاف إلى ذلك كتب الآداب الدينية وكتب التاريخ والبلدان والطبقات مع كتب الأدب الكبيرة التي جمعت الكثير من الأخبار ، وهو يعرضها في أغلب الأحيان بعد أن يذكر عناوينها ومؤلفيها ، ولو أنه في بعض المناسبات يُهمل إيراد اسم المؤلف وعنوان الكتاب .

\* ابن ظهيرة : أحمد بن عطية القرشي المكي ( كان حياً ٩٤٢هـ / ١٥٣٤م ) (٨) .

هو من عائلة بني ظهيرة المكية التي اشتهر منها العديد من العلماء على مر القرون

ولد سنة ٨٧٩هـ / ١٤٧٤م . أخذ العلم في صغره على العديد من شيوخ مكة والواردين عليها ومنهم السخاوي الذي وصفه في كتابه الصوة اللامع بأنه ذكي قوي الجبان والحافظ .

ورغم أنه من كبار علماء الشافعية إلا أنه تولى القضاء الحنبلي بمكة لحلوها من فقهاء الحنابلة رغم توليه نيابة قاضي الشافعية .

من مؤلفاته في التعريف بشخص واحد :

كتاب : ( جواهر العقود ، في ترجمة القاضي جمال الدين أبي السعود ) .

وضع فيه ترجمة موسعة للشيخ القاضي جمال الدين أبي السعود بن ظهيرة القرشي المكي الذي توفي سنة ١٥٠٧هـ / ١٥٠١م . وهو جد المؤلف حسبما ورد في الكتاب ص ٤ .

لا نعرف من الكتاب غير نسخة واحدة محفوظة بدار الكتب المصرية ( تيمور ) رقم ٥٠٣٧ تقع في ٥٣ ورقة ، نسخها الحافظ المؤرخ المكي جار الله بن فهد مؤرخة بسنة ٩٣٣هـ / ١٥٢٧م ونقلها عن نسخة بخط المؤلف مؤرخة سنة ٩٢٩هـ / ١٥٢٣م .

وبعد الاطلاع على صورة المخطوط المحفوظة بمركز البحوث التابع لجامعة أم القرى ( رقم ٢٣٠ تاريخ ) تبين لنا أنه رتب على مقدمة وسبعة أبواب وخاتمة .

فالمقدمة في نسب وولادة المترجم وما حصل عبد ظهوره لوالده وأهله من السعادة والباب الأول : في مبدا أمره وما حفظه من الكتب وظلمه للعلم .

والباب الثاني : في تحصيله وذكر من لارمه من الشيوخ ورجال العلم . وما أخذ عنهم من الكتب .

والباب الثالث : في تدرسه وأهتائه ووظائفه السنية وعلو قدره ، وعرض فيه الكتب التي درسها في الحرم في علوم القرآن والحديث والفقه والآداب والتاريخ وعين بعض مواطن تدرسه وأماكنه في مكة .

والباب الرابع : في ماله من التصانيف وما كتبه العلماء عليها من تقارير وإجازات العلماء له مثل السحادي ومن عاصره .

والباب الخامس : في صفاته وشماله .

والباب السادس : في مهماته الفيسية .

والباب السابع : أورد فيه شيئاً من شعره فعرض فيه العديد من أشعاره وقصائده الطويلة وما مدحه به البلغاء من أدبا - عصره .

أما الخاتمة : فقد خصصها لوفاء المترجم وما اتفق له من حسن الخاتمة .

ويشتمل المخطوط على تقریضات كثيرة من كبار علماء عصره من حجازيين ومصريين وشاميين ، من بينها إجازات هامة منها إجازة السخاوي للمترجم وهي طويلة .

\* جار الله بن فهد : محمد بن عبد العزيز ( العز ) بن عمر ( النجم ) بن فهد الهاشمي المكي (ت ٩٥٤هـ / ١٥٤٧م )<sup>(١)</sup> .

من عائلة راسخة الجذور في العلم تعدد علماؤها وكثرت تأليفهم وظهرت مؤلفاتهم طيلة قرنين ونصف من الزمن ، اشتهروا بعلم الحديث وبرعوا في علم التاريخ العام والخاص فأولوا عناية فائقة بالتاريخ المكي سجلوا فيه الكثير من المؤلفات ، تنحوا عن تولي الوظائف السباسبية والشرعية فلم تظهر لهم غير شهرتهم العلمية<sup>(٢)</sup> .

ولد جار الله بمكة سنة ٨٩١هـ / ١٤٨٦م وتلقى العلم على والده وكبار شيوخ الحرم من المكيين والمجاورين ثم رحل لطلب العلم من القاهرة والبمن ودمشق وغيرها

ألف العديد من الكتب والرسائل في مختلف العرون ، واهتم اهتماماً خاصاً بفن التاريخ فبلغت مؤلفاته فيه ٣٥ بين كتاب كبير ورسالة تناولت العديد من المجالات التاريخية .

ومن مؤلفات جار الله في التراجم الخاصة :

كتاب : ( الجواهر الحسان ، في مناقب السلطان سليمان بن عثمان ) .

هو كتاب ألفه جار الله بن فهد عندما كان في مدينة بورصا العثمانية سنة ٩٢٨هـ / ١٥٢٢م وقدمه هدية للسلطان سليمان القانوني العثماني ذكر فيه مناقبه ، كما ضمنه رسالة رفعها إليه ، وعرض فيه تاريخاً موجزاً للدولة العثمانية وسجل انتصاراتها وإنجازاتها ، مع اهتمامه الواضح بوقائع فتح القسطنطينية في عهد السلطان محمد الفاتح . وفي القسم الأخير من الكتاب عرض الكثير من المشاكل المادية التي كانت واجهت مكة وأهلها في عصر الماليك ، ثم سجل ورود الإنعامات العثمانية عليها مع شكره للسلطان سليمان على عنايته بمكة وأهلها .

ذكر المؤلف في مقدمة الكتاب الأولى (الورقة ٨ أ) أنه رتبته على مقدمة وباين وخاتمة.

المقدمة : من الورقة ( ٩ أ إلى ١٩ أ في الهدية للملوك ) بدأها بحديث الرسول صلى الله عليه وسلم : " إنما الأعمال بالنيات " وعرض فيها الأحاديث الواردة في الهدية للملوك ، ثم ألحق بها رسالة رقعها للسلطان العثماني سليمان . وفي النص يصف المؤلف نفسه بأنه ( خادم الحديث الشريف ، ومؤرخ بلد الله المعظم المنيف ) .

الباب الأول : ( من الورقة ١٩ ب إلى ٧٠ أ ) عرض فيه تاريخاً موجزاً للدولة العثمانية مع ذكر بطولاتها في فتح القسطنطينية والفتوحات الأخرى ، ومواجهتها للتحرك الشيعي الصفوي القادم من إيران ، مع الاعتراف بانتصارها على المماليك في الشام وفي مصر ، ثم انضوا مكة المكرمة ضمن الولايات العثمانية في عهد السلطان سليم .

الباب الثاني : ( من الورقة ٧٠ أ إلى ٩٣ أ ) خصصه لذكر فضائل الروم - وهم أصول العثمانيين - مُحيلًا على الآيات القرآنية والأحاديث النبوية التي ورد فيها لفظ الروم ، مجازياً لما كان يقع من خلط عد الكثير من مؤرخي عصره وتعميمهم لفظ الروم على الأتراك وغير الأتراك . وأورد جاز الله بن فهد الكثير من النصوص التي تذكر مكارم الأتراك وفضائلهم ، خاصة في إعاناتهم لمكة المكرمة وعنايتهم بأهلها . مع إيراد ما جاء به لسلطان سليمان القانوني في هذا المجال . ثم نقل نص رسالة الوصية التي كان كتبها شيخ مكة محمد بن عراق ووجهها إلى السلطان سليم والد السلطان سليمان . ثم ختم الباب بأدعية كثيرة وبلغية خصصها لسلطان عصره .

الخاتمة : ( من الورقة ٩٣ أ إلى ١٢٧ أ ) أورد فيها أيضاً أحاديث في فضل العثمانيين وفضل نصيحة السلطان ، ثم تطرق إلى أوضاع الحرمين الشريفين ، وشرع في تذكير السلطان بمكانتهما ، ونصحه بالعناية بهما - وبين شرف أهل مكة عند الله وعند الناس ، وفضل المجاورة ، مستقلاً إلى بيان معاناة أهل مكة من الغلاء ، ودعاه إلى الشفقة بهم وإعانتهم مع عرضه للمشاكل الاقتصادية وما شاهده من نتائجها في عصره خاصة ارتفاع أسعار المواد الغذائية ، مشيراً إلى ما أرسله الملوك العثمانيون من عطايا وهبات .

اعتمد جاز الله في تأليفه هذا على مصادر عديدة منها كتب الحديث النبوي على مختلف درجاتها وأهميتها مروداً الأحاديث ببعض أسانيد أحياناً ومختلف روايات أحياناً أخرى ، ومن مصادره كتب التاريخ المكي خاصة والتاريخ الإسلامي عامة دون إهمال لبعض المصادر من كتب

الجغرافيا وأوصاف البلدان . كما استشهد ببعض الأشعار والنصوص الأدبية . وكان سالكاً في جمع كتابه مسلك المحسنات البديعية والتزويق اللفظي والسجع .

من الكتاب نسخة في مكتبة جامعة اسطنبول ( دار مكتوري رقم ٣٦٠ ) تشمل على ١٢٨ ورقة نُقلت عن نسخة المؤلف .

\* ابن حجر الهيتمي المكي : أحمد بن محمد بن حجر شهاب الدين (ت ٩٧٤هـ / ١٥٦٧م<sup>(١)</sup>).

فقيه محدث مؤرخ مصري المنشأ ، ورد إلى مكة المكرمة ففُضِيَ بها ٣٤ سنة من حياته إقامة دائمة بعائلته تاركاً نسله فيها . بدأ تكوينه العلمي في مصر حيث أخذ عن كبار علمائها من الشافعية مثل زكريا الأنصاري وعبد الحق السنباطي والشهاب الرملي . ولما دخل مكة كان متكامل التأسيس العلمي فدرّس الدروس العديدة في الحرم وفي بيوت العلماء ، وألف المصنفات الكبيرة والصغيرة ، وكان واعياً بمشاكل مجتمعه ، فأفتى الفتاوى الكثيرة ، وعاش في مكة محترماً ومقيداً بكتبه العديدة التي تناولت العلوم الدينية والتاريخية والقضايا الاجتماعية والسياسية مما جعله يحتل الدرجة الهامة بين علماء مكة في عصره .

كانت عناية ابن حجر الهيتمي بالتأليف في فنون التاريخ كبيرة ، حيث ألف فيها واحداً وأربعين تأليفاً ، تناولت العديد من مجالاته وفنونه . ومن بين مؤلفاته التاريخية التي تتعلق بالتراجم ، عدة كتب تناولت التعريف بشخص واحد هو الإمام أبو حنيفة النعمان وستناولها بالعرض الموجز فيما يلي نقلاً عن دراستي لها في رسالتي للدكتوراه .

كتابات ابن حجر المتعلقة بترجمة أبي حنيفة النعمان :

وضع ابن حجر عدة ترجمات مختلفة الأساليب لأبي حنيفة النعمان فجاءت في خمس ترجمات ، ثلاث منها قصيرة وضعها في ثابا كُتِبَ الحديثية وغيرها ، وترجمتان جعلهما في كتابين خاصين بالموضوع .

١- ترجم ابن حجر لأبي حنيفة في كتابه الحديثي ( فتح الإله ، في شرح المشكاة ) ضمن ترجمته لجماعة من كبار أئمة الحديث والفقه ، شملت نسبه ومولده وعلومه التي تلقاها من الصحابة والتابعين وتلاميذه ومحتنه في توليه القضاء لبني أمية وبني العباس وبعضاً من أقوال العلماء فيه ووفاته .

٢- وضع ابن حجر لأبي حنيفة ترجمة موجزة جاءت في شرحه لكتاب عين العلم وطُبعت في مقدمة كتابه الخيرات الحسان الذي سذكره بعد قليل .

٣- ترجم ابن حجر ترجمة ثالثة قصيرة أيضاً للإمام أبي حنيفة ضمنها في معجمه المعروف بالإجازة ، اشتملت على اسمه وولده وشيوخه وسبب تأليفه كتاباً مستقلاً في مناقب أبي حنيفة ، وذلك للرد على من اتهم الإمام الغزالي الشافعي بوضع كتاب في الخط من أبي حنيفة وهو بريء من ذلك .

٤- الترجمة الرابعة التي وضعها ابن حجر للإمام أبي حنيفة جاءت في رسالة مستقلة بعنوان " رسالة في مناقب أبي حنيفة النعمان " أحال عليها ابن حجر نفسه في مقدمة كتابه الثاني في الموضوع والمعنون بـ " الخيرات الحسان " وقال ابن حجر عن سبب تأليفه لهذه الرسالة بأنه كان استجابة لطلب أحد علماء القسطنطينية ووضح أنه كتب منه عدة نسخ وزعت في البلاد وقُدت منه نسخته الأصل لذا أعاد التأليف في نفس الموضوع وكتبه من جديد تحت عنوان " الخيرات الحسان في مناقب أبي حنيفة النعمان " .

ورغم أن ابن حجر قد أضاع نسخته في زمانه إلا أننا عثرنا في بحثنا على ثلاث مخطوطات منه وهي : نسخة دار الكتب المصرية ضمن المحرور رقم (٢/٢١٢) تشتمل على ٢٧ ورقة ، ونسخة مكتبة عارف حكمت بالمدينة المنورة رقم (٩٠٠/٢١٥) تقع في ٢١ ورقة ، ونسخة ثالثة بالمكتبة الظاهرية بدمشق برقم (١٠١٠٥) . ولقد ألف ابن حجر رسالته هذه في سنة ٩٥٥هـ/١٥٤٨م بحكمة المكرمة وقسمها على مقدمة وثلاثين فصلاً ، ذكر في المقدمة سبب التأليف وخصص الفصول الثلاثين لترجمة الإمام ونسبه ومولد وقضله وشيوخه وتلاميذه وفتاويه وصفاته ومحنته ثم وفاته .

٥- الترجمة الخامسة التي وضعها ابن حجر للإمام أبي حنيفة هي كتاب بعنوان : الخيرات الحسان ، في مناقب الإمام أبي حنيفة النعمان . وجاء هذا الكتاب أيضاً بعنوان آخر وهو : قلاند العقبان في مناقب الإمام الأعظم أبي حنيفة النعمان .

ذكر ابن حجر مؤلفه هذا وأحال عليه في كتابه الإجازة المعروف بالمعجم كما أحال عليه في كتاب آخر له بعنوان المناهل العذبة في إصلاح ما وهي من الكعبة .

طُبِعَ كتاب الخيرات الحسان طبعات عديدة بمصر ، وله طبعة أخيرة ببلنجان . ومنه عدة نسخ

مخطوطة اطلعت على واحدة منها بمكتبة المخطوطات بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة برقم ١/١٨٣٦ وهي نسخة حسنة واضحة الخط .

يشتمل الكتاب على ٣ مقدمات وأربعين فصلاً .

يقول في أوله إنه ألفه استجابة لرغبة رجل من فضلاء القسطنطينية دعاه إلى وضع كتاب في مناقب أبي حنيفة ، كما يذكر أنه لخصه ونقحه من كتاب آخر في الموضوع وهو كتاب عقد الجمان لمحمد الشامي .

ولابن حجر سبب آخر أهم في تأليفه لهذا الكتاب وضحه في المقدمة الأولى .

وهو ما شاع عن الإمام الغزالي في تأليفه لكتاب يحط فيه من أبي حنيفة ورسنه ، وما أحدث هذا الكتاب من ردود فعل عند بعض العلماء مثل الكردي الذي ألف كتاباً في الخط من الإمام الشافعي ، إلا أن ابن حجر رفض تطاول العلماء والمؤرخين على الأئمة وانبرى في تأليف هذا الكتاب .

جعل المقدمة الأولى في الرد على ما ورد في الكتاب الذي تُسبب إلى الغزالي في الخط من أبي حنيفة مع عرض ما مدحه به كبار العلماء . وفي المقدمة الثانية نهى الناس عن الوقوع في الأئمة والمجتهدين من العلماء . وفي الثالثة فيما ورد من تبشير النبي صلى الله عليه وسلم بالإمام أبي حنيفة ، وفيها استشهاد على فضل أهل فارس ( وهم أصول أبي حنيفة ) بالأحاديث التي رويت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في الموضوع .

أما الفصول الأربعون فقد قسمها بين العناصر التالية :

- ترجمة أبي حنيفة وذكر شيوخه وتلاميذه .
- مجالسه العلمية والأسس التي بنى عليها مذهبه .
- أخلاقه ودينه : من عبادة وتقى وآداب .
- وفاته وما قيل فيها من روايات .
- الرد على ما قيل فيه من التجريح .

ومن الملاحظ أن منهج ابن حجر في كتابه الخبرات الحسان هذا يختلف عن منهجه في رسالته

الأولى السابقة لأنه توسع في الأخبار التي أوردتها في الكتاب الثاني وأضاف معلومات لم يذكرها في الرسالة الأولى<sup>(١١١)</sup>.

ولنا أن تتساءل هنا بعد هذا العرض : ما الذي يجعل لقبها من كبار فقهاء المذهب الشافعي في عصره يؤلف خمس مؤلفات في المدح والثناء على إمام مذهب آخر كالإمام أبي حنيفة ؟ وقد يأتي الجواب من خلال العرض السابق ، فلعل السبب يعود إلى ما أشيع من أن الإمام الغزالي ألف كتاباً في الخط من أبي حنيفة ، فقام بعض الأحناف بردة الفعل ووضع مؤلف في ذم الإمام الشافعي . فيتضح لنا هدف ابن حجر الهيثمي من تعدد كتاباته في مناقب أبي حنيفة بأنه أراد ردع الناس من الكتابات التي تمس رجال العلم وأعلامه الفقهاء نتيجة للتعصب بين المذاهب السنية وبيان وجوب احترام المذاهب الأخرى على اختلافها . كما يمكن أن يكون ابن حجر قد قصد من تأليفه المتعددة هذه عدم تعصب الشوافع وفقهاءهم ضد المذهب الحنفي مذهب الدولة العثمانية القائمة بمكة آنذاك وإطفاء نار فتنة ربما تقوم بين مذهب الدولة والمذهب الأخرى المتعايشة في المجتمع المكي . وذلك هو الدور الحقيقي للعلماء .

\* كتاب ( تطهير الجبان واللسان عن الخطور والنقور بثلب معاوية بن أبي سفيان ) .

وضع ابن حجر كتابه هذا في ترجمة أمير المؤمنين معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه<sup>(١١٢)</sup>.

نسبه له تلميذه السيوفي في ترجمته وقال : " إن ابن حجر وضع كتابين في فضائل معاوية أحدهما أبسط من الآخر " <sup>(١١٣)</sup> . وبعد البحث عن نسخ الكتاب لم نعثر إلا على كتاب واحد يحمل هذا العنوان لذا لم نعرف إن كان هو الأطول أم الأبسط .

طُبع الكتاب مع كتاب آخر لابن حجر الهيثمي وهو الصواعق المحرقة ، لإخوان الشياطين أهل البدع والضلال والزندقة . طبعة مكتبة القاهرة سنة ١٣٨٥هـ / ١٩٦٥م ، وله طبعة حديثة بتحقيق أبي عبد الرحمن المصري دار الصحابة للتراث بطنطا ، مصر سنة ١٤١٣هـ / ١٩٩٢م .

سبب تأليف الكتاب :

كما هو واضح من عنوان الكتاب فإن ابن حجر ألّفه في الرد على من تناول على الصحابي معاوية - ع - ، وهذا دأب العلماء في تحمل مسئولياتهم والدفاع عن الصحابة من اعتداء الرافضة والشيعة وأهل البدع عليهم .

وقال في مقدمته : أنه ألفه استجابة لطلب من السلطان همايون أكبر سلاطين الهند ( توفي سنة ٩٦٢هـ / ١٥٥٤م ) <sup>(١٥٥)</sup> لظهور هؤلاء الرافضة في بلاده .

فوضع ابن حجر كتاباً بَيَّن فيه فضل معاوية وصفاته وما قيل فيه من أحاديث وذكر جهاده في نشر الإسلام وتظيم دولته الأولى بعد عهد الخلفاء الأربعة وغير ذلك من مزاياه .  
ورتبته على مقدمة وفصول وخاتمة .

اشتملت المقدمة : على بيان وجوب محبة جميع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ومنهم معاوية رضي الله عنهم أجمعين .

وجاءت فصول الكتاب للحديث عن مناقبه وعلومه وجهاده .

واشتملت الخاتمة : على فوائد منها قضية مقتل عثمان - ع - . وأحداث معركتي الجمل وصفين ، والصلح بين الحسين ومعاوية . وبعض أخبار خلفاء بني أمية .

ولقد اعتمد ابن حجر في كتابه على مصادر الحديث وكتب المعاري والسير وبعض كتب التاريخ المكي كالفاكهي .

\* عبد القادر الفاكهي المكي : عبد القادر بن أحمد بن علي (ت ٩٨٩هـ / ١٥٨١م <sup>(١١٦)</sup>).

ولد الفاكهي بمكة سنة ٩١٩هـ / ١٥١٣م ودرس على كبار الشيوخ والعلماء فجمع من العلوم زائداً واسعاً في مختلف الاختصاصات ، من تفسير وفقه وأدب وتاريخ . كثرت مؤلفاته حتى شبهه بعض المؤرخين بالجلال السيوطي <sup>(١١٧)</sup> .

له بعض المؤلفات في التاريخ والسيرة . أما كتبه من التراجم التي تناولت التعريف بشخص واحد فقد عرفنا عناوين ثلاثة منها ذكرها المؤرخون وهي :

١ - كتاب فضائل ( أو مناقب ) ابن حجر الهيتمي :

الذي ذكره الشوكاني ونقل عنه الغري <sup>(١١٨)</sup> منه نسخة محفوظة بمكتبة الحرم المكي برقم ١٤ تراجم ( الفيلم رقم ١٨١٤ ) تقع في ثمان ورقات .

بعد الاطلاع على نسخة المخطوطة تبين أنها اشتملت على ضبط اسم ابن حجر الهيتمي ونسبه

وانتمائه وأصول قبيلته وولادته ووفاته ، مع ترجمة موجزة له يغلب عليها عرض أوصافه ودرجته العلمية ومختلف اختصاصاته مع ذكر بعض مؤلفاته . ثم أضاف إلى ذلك قصيدة في مدح ابن حجر الهيتمي كتبها الشاعر عبد العزيز الزمزمي ، وقصيدتين كتبهما المؤلف عبد القادر الفاكهي إحداهما في مدح الشيخ والثانية في وثائه .

ويذكر الفاكهي أنه لخص الرسالة مما كتبه أبو بكر يا عمرو السيفي في ترجمته لشيخه ابن حجر .

#### كتاب القول النقي في مناقب المتقي :

لم نعرف منه نسخة وإنما عنوانه وبعض النقول عنه تدل على أنه يشتمل على ترجمة علي المتقي بن حسام الدين بن عبد الملك ابن قاضي خان المتوفى سنة ٩٧٥هـ/١٥٦٧م . وهو من كبار علماء مكة ومن المشهور عنه الصلاح والتقوى .

نسب هذا الكتاب لعبد القادر الفاكهي العيدروسي ونقل عنه نصوصاً عديدة ، ولا نعرف منه نسخة (١٩) .

#### رسالة في مناقب عبد الرحمن العمودي :

كذلك لم نعرف من هذه الرسالة نسخة إلا أن عنوانه والنقول عنه تدل على أن فيه ترجمة للإمام العمودي المتوفى سنة ٩٦٧هـ/١٥٥٩م ، وهو من علماء مكة وعبادها ، تتلمذ على ابن حجر الهيتمي وغيره ، وله مؤلفات في الفقه الشافعي . وقد نقل العيدروسي عن كتاب الفاكهي في مناقب عبد الرحمن العمودي أنه قال : " ومناقبه أمردتها في رسالة " فيؤكد وجود هذه الدراسة ، كما نقل نصوصاً أخرى منها تدل على مكانته العلمية وقيمته في مجتمعه (٢٠) .

#### الصنف الثاني : الكتب التي تناولت التعريف بالعديد من المترجمين

وهي كتب الطبقات .

تنوع كتب الطبقات إلى نوعين رئيسيين هما : كتب الطبقات العامة وكتب الطبقات الخاصة.

فكتب الطبقات العامة هي تلك التي وُصفت لتراجم حاسة الناس وعامتهم على مختلف اختصاصاتهم وأنواعهم وبلادهم ، مثل كتاب وفات الأعيان لابن خلكان ، وذيله الوافي بالوفيات للصفدي ، وغير ذلك كثير .

وخلال بحثنا عن كتب الطبقات التي ألفها المكيون في القرن العاشر لم نجد كتاباً واحداً ألف في هذا المجال . ولعل آخر كتاب مكي من كتب الطبقات العامة ألف قبل القرن العاشر الهجري هو كتاب " دستور الأعلام " الذي ألفه محمد بن عمر بن عزم التونسي ثم المكي (ت ٨٩١هـ / ١٤٨٦م) .

وأما كتب الطبقات التي وضعها المؤرخون المكيون في القرن العاشر فقد خُصصت للتعريف بجماعات معينة وتنوعت إلى العديد من الجوانب :

فمنها كتب اختصت بجماعة معينة من الأنبياء .

ومنها التي اختصت بجماعة يتحدون في انتساب واحد كالتي وضعت لتراجم آل البيت .

ومنها التي اختصت بالحكام والملوك .

ومنها التي خصصت لتراحم العلماء . وأصحاب الوظائف الدينية كالأئمة والفقهاء والخطباء .

ومن هذه الاختصاصات ألف المكيون في القرن لعاشر الهجري عدداً من المؤلفات نورد الحديث عنها في ما يلي بمنهجية نذكر فيها مصنفات المؤلفين مرتين على ترتيب تواريخ وفياتهم .

\* العز بن قهد : عبد العزيز بن عمر (ت ٩٢٢هـ / ١٥١٧م) (١٣) .

هو ثالث كبار المؤرخين والحفاظ من عائلة الفهود ، تتلمذ على كبار علماء عصره من المكيين والمشاركة عامة ، فمن شيوخه : والده النجم بن قهد ، وابن حجر العسقلاني ، وإمام الفقه الشافعي في عصره الشيخ زكريا الأنصاري . وتتلمذ عليه الكبار ومنهم السخاوي .

اشتهر في المجتمع المكي ونال فيه الدرجة الثالثة به ، تنوعت مؤلفاته بين التاريخ والحديث والعقيدة وغير ذلك ، اهتمت كتب التاريخ الكبيرة بذكر أخباره وترجمته والنقل عنه . وترك عدداً وافراً من المؤلفات ، كما نسخ بخطه العديد من كتب التاريخ والتراجم التي ألفها والده النجم أو التي ألفها النقي القاسي .

وللعز بن قهد ثلاثة كتب وضعها في تراجم الطبقات الخاصة وهي كتاب غاية المرام ، وكتاب مره ذوي الأحلام ، وكتاب ترتيب طبقات القراء للمذهبي .

فله كتاب اختص بأصحاب الوظائف كالأئمة والخطباء والفقهاء وهو :

١- كتاب ( نزهة ذوي الأحلام بأخبار الخطباء والأئمة وقضاة البلد الحرام ) .

هو كتاب في الطبقات ، ذكره ونسبه إليه المحيي والكتاني <sup>(١٦١)</sup> ولم نعرف للكتاب نسخة مخطوطة ، ويبدو من عنوانه أنه خصصه لتراجم الخطباء والأئمة والقضاة في مكة المكرمة . وله كتاب اختص بأمره = مكة وهو :

٢- كتاب ( غاية المرام بأخبار سلطنة البلد الحرام ) .

أما عن كتاب غاية المرام هذا فنشير إلى أنه وعلى ما يبدو قد اشترك فيه الوالد النجم وابنه العز بن فهد في تأليفه ، ونُسب إلى الابن لأنه هو الذي أكمل نصوصه الكثيرة وألحق به قسماً كبيراً من تاريخه ، حسبما أثبتته د . محمد الحبيب الهيلة بعد مقابلاته المخطوطات <sup>(١٦٢)</sup> .

ألف العز بن فهد كتابه هذا ليقدمه لشريف مكة أبي زهير بركات بن محمد بن بركات الحسيني <sup>(١٦٣)</sup> ليكون في خزائنه لذا قال عنه في مقدمة كتابه : " وخدمت بهذا التأليف خزانة من ألف برسمه ، وشرف قدره باشتماله على اسمه . وهو السيد الشريف ، والطود المنيف ... أبو زهير بركات ، عين المملكة وسر الذات ، سلطان مكة " <sup>(١٦٤)</sup> .

لذا نرى أن العز بن فهد أكثر علماً - عانته مدحاً لأمره مكة وأشدّهم مبالغة في ذلك ، فجاءت مقدمة كتابه مشتملة على الكثير من أوصاف الأمتداح والتعليق لأمر مكة في عصره أبي زهير بركات ملحقاً ذلك بالعديد من الأشعار المادحة له . ثم تدرج إلى آبائه أمره مكة التسعة واصفاً كل واحد منهم بالأوصاف العلية والمدح والتشريف مع اختبار الأشعار في تفضيل كل واحد منهم <sup>(١٦٥)</sup> .

تناول كتاب غاية المرام تراجم وأخبار الولاة والحكام الذين حكموا مكة من سنة فتحها في العهد النبوي إلى الربع الأول من القرن العاشر الهجري وهو العام الذي توفي فيه المؤلف ٩٢١هـ / ١٥١٥م ، فأشتمل الكتاب على ٢٠٥ ترجمة .

واختلف أسلوب الترجمة حسب الأمير المترجم له فجاءت بعضها موجزة مختصرة وبعضها مطولة كما في ترجمته لعبد الله بن الزبير في قرابة ٣٦ صفحة <sup>(١٦٦)</sup> وكما في ترجمته المطولة لشريف عصره بركات حيث بلغت ٣٠٤ ورقة <sup>(١٦٧)</sup> .

أما عن مصادر هذا الكتاب الهام في تاريخ أمره مكة وحكامها فقد اعتمد مؤلفه في جزئه

الأول على العديد من كتب الحديث والسيرة وتراجم الصحابة وأورد اختلاف الروايات فيها ، واعتماد العز بن فهد على كتب الحديث والسيرة يعود إلى سعة معرفته بالحديث ومؤلفاته ، كما اعتمد في كامل الكتاب على كتب التاريخ القديمة والقريبة من عصره .

ومن أهم مصادره التاريخية تاريخ الطبري وتاريخ ابن الأثير ، وكتاب العقد الثمين للفاسي ، وتاريخ إتحاف الوري وكتاب الدر الكمين وهما لوالده النجم بن فهد ، وكان يعزو كل نص استفاده من المصادر إلى أصله .

ومن المهم في مصادر العز بن فهد أنه نقل وسجل لنا نصوصاً تاريخية هامة رغم ضيقها وعدم توفرها بين أيدينا مثل نقولاته المطولة عن تاريخ ابن محفوظ المكي<sup>(٣٩)</sup> .

### ٣- كتاب ( ترتيب طبقات القراء ، للذهبي ) :

اختص بطبقات خاصة محددة وهم القراء ، ولم يعرف له نسخة وإنما ذكره الغزي وابن العماد والكتاني ونسبوه إليه<sup>(٤٠)</sup> .

\* محمد بن أبي السعد بن ظهيرة ( ت ٩٤هـ / ١٥٣٤م )<sup>(٤١)</sup>

هو فقيه عالم وتُعد من المزرعيين الذين ألفوا في الطبقات ، تولى القضاء بمكة فكان قاضي القضاة بها إلى وفاته .

ذكر جاز الله بن فهد بعض أحباره في كتابه نيل المنى<sup>(٤٢)</sup> .

- كتابه هو ( الأخيار المستفادة ، فيمن ولي مكة من آل قتادة ) .

ومن عنوان الكتاب نفهم أنه وضعه لترجمة وتاريخ أمراء مكة من القناديين الذين حكموها بداية من سنة ٥٩٧هـ / ١٢٠١م إلى عصر المؤلف<sup>(٤٣)</sup> ؛ ولم تعرف من الكتاب نسخة موجودة وإنما ذكره ونسبه إليه العصامي في مقدمة كتابه وحاجي خليفة في كشف الظنون<sup>(٤٤)</sup> .

\* مؤلفات جاز الله بن فهد في الطبقات<sup>(٤٥)</sup> :

كما اهتم جاز الله بالكتابة في التراجم للشخص الواحد فقد اهتم أيضاً بالتأليف في الطبقات الخاصة ، فصنف منها ثمانية كتب تنوعت موضوعاتها وأغراضها وهي .

١- كتاب الأقوال المتبعة ، في بعض ما قيل في مناقب أئمة المذاهب الأربعة .

وهي رسالة انفراد بنسبتها لجار الله بن فهد الزركلي<sup>(٣٦)</sup> وذكر بأنها مخطوطة من خمس ورقات حفظت بالمكتبة الظاهرية برقم ٢١٣ . وأنها عبارة عن تلخيص لمناقب الأئمة الأربعة فحات موجزة ملخصة من مصادر سابقة . ولم تتمكن من الاطلاع عليها ، رغم حرصنا على ذلك .

٢- كتاب ( بلوغ الأرب ، بمعرفة أي الأتباء من العرب ) .

ذكره ونسبه إليه حاجي خليفة<sup>(٣٧)</sup> ، وقال : ألفه سنة ٩٣٦هـ / ١٥٢٩م .

وهو رسالة صغيرة مختصرة قال مؤلفها جار الله في مقدمتها : " فقد تكرر السؤال عن الأتباء - صلوات الله وسلامه عليهم - هل نسبتهم للعجم أو العرب ، وهل اسمهم ولفظهم أعجمي أو مُعرب ... فأستخرت الله في بيان ذلك فجمعت على أحسن الطرق والمسالك ... الذي ظهر لي من كلام العلماء والمفسرين وقصص الأتباء وكتب النسب والتاريخ أن العروبية فيهم تنقسم على ثلاثة أقسام عربي الاسم [ وقد اعتبر أن اسم آدم عربياً من اديم الأرض ] وعربي النسب وعربي اللسان " (٣٨) .

عرض المؤلف في رسالته هذه أصول الأخناس الشريفة من أساء نوح عليه السلام الساميين والهاميين وبني يافث ، بروايات متعددة تتماشى مع آراء وأقوال عصره ، وعرض أسماء الأتباء من العرب معتمداً على نص من فتاوى الشيخ أحمد العراقي متعلقاً بمعرفة الأتباء والمرسلين المذكورين في الكتاب والسنة ، وفي نهاية الرسالة يقول : " لما قدم علينا شبخنا الإمام أبو الحسن محمد بن محمد البكري القاهري في ذي الحجة سنة سبع وثلاثين وتسعمائة سألته نظم هذه الأقوال فقال في مجلسه بديهة :

إذا رُمت عَدَّ الأتباء من العرب	فهم خمسة في قول جمع قد اقترب
محمد هود صالح وشعيب مع	أخي المجد إسماعيل يا صاحب الأدب
وأكثرهم يُعزى ليعقوب غير من	تقدمه أو للأخير قد انتسب <sup>(٣٩)</sup>

وقد اعتمد المؤلف في هذه الرسالة على العديد من المصادر الهامة سواء في الأنساب مثل تهذيب الأسماء واللغات للنووي ، وكتاب نهاية الأرب في معرفة قبائل العرب للقلقشندي ، كما اعتمد على العديد من الكتب اللغوية من أهمها كتاب : المعرب للجواليقي وكتاب المزهر في علوم اللغة للسيوطي .

اعتمدنا في هذا التعريف على مخطوطة حُفِظَتْ بِمَكْتَبَةِ الْحَرَمِ الْمَكِّيِّ ضمن المجموعة رقم ٤٢٣ حديث وقد وقع ترقيمها بالصفحات من ص ٣١-٣٩ ، وهي نُقِلَتْ من خط المؤلف كتبها علي الحسيني سنة ١٠٣١هـ/١٦٢٢م .

٣- كتاب ( تاريخ يُقيد في معرفة المترجمين في الضوء اللامع من الأحياء ) .

جعله جار الله ذِيلاً لكتاب الضوء اللامع لأهل القرن التاسع للسخاوي ، فأكمل فيه تراجم العلماء الذين عاشوا بعد وفاة السخاوي ولم يذكرهم في كتابه ، فأضاف جار الله العديد من المعلومات لتراجمهم .

إلا أننا لم نعرش على نسخة من الكتاب ، وإنما وجدنا عنه نقولاً كثيرة في كتاب النور السافر للبيدروسي حيث اعتمد عليه في النقل عن سعة عشر من تراجم العلماء .

وفي كتاب السحب الوابلة لابن حميد حيث نقل عنه في أربعة عشر ترجمة .

وتفاوتت هذه النقول في الكتابين بين النصوص الطويلة للترجمة <sup>(١٤٠)</sup> وبين النقول المتوسطة والقصيرة غالباً <sup>(١٤١)</sup> .

ولقد تعددت التراجم التي نقل فيها البيدروسي أخباراً منقولة عن هذا الكتاب لجار الله بن فهد إلا أن أغلبها كانت تهم علماء المكيين من مختلف المذاهب الفقهية ، في حين أن نقول ابن حميد في السحب الوابلة اختصت بالحنابلة من الفقهاء وأغلبهم من غير المكيين .

نضيف إلى ذلك أن ابن حميد قد اعتمد في النقل على أكثر من نص عن جار الله <sup>(١٤٢)</sup> ؛ وذلك في الترجمة لشخص واحد من الفقهاء فنجد يقول في أول النقل : قال الشيخ جار الله بن فهد القرشي المكي في تذييله على الضوء ، ثم يقول في نقل آخر : قال في الضوء ، ويلحقها في نقل ثالث بقوله : قال جار الله <sup>(١٤٣)</sup> .

وقد يرجع ابن حميد ما ينقله عن جار الله ويبين الأسباب كقوله في ترجمة إبراهيم الشويهي : " ما ذكره الشيخ جار الله في تاريخ وفاته أصبح لأنه أجازة سنة أربع عشرة وهو أعرف بذلك " <sup>(١٤٤)</sup> .

وعلى كل فإن النصوص التي نقلها الكتابان تعتبر هامة إذ احتوت على إضافات تاريخية لتراجم العديد من المكيين وغيرهم جُمِعت من كتاب جار الله بن فهد الذي وضعه تكملة وملحقات على كتاب الضوء اللامع للسخاوي مع اعتمادهما على الكثير من المصادر الأخرى .

٤- كتاب تحفة اللطائف ، في فضل الحبر ابن عباس ووج والطائف .

نسب هذا الكتاب لجار الله بن فهد حاجي خليفة وقال : " ألفه سنة ٩١٥هـ / ١٥٠٩م (٤٥) إلا أن مطالعة الكتاب تدلنا على أنه ألفه بعد ذلك التاريخ ، ففي ص ٣٤ منه يذكر جار الله أنه زار الطائف سنة ٩١٦هـ / ١٥١٠م ويترجم على والده العز بن فهد المتوفى سنة ٩٢١هـ / ١٥١٥م مما يدل على أن الكتاب ألف بعد ذلك .

على الرغم من أن العنوان يدل على أن الكتاب تناول مدينة الطائف ووج ، وترجمة ابن عباس - t - ، فإن واقع الأمر أنه يحتوي على تراجم ثلاثة ممن دفنوا بالطائف وهم : العباس بن عبد المطلب عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وحبر الأمة عبد الله بن عباس ، وأبي القاسم محمد ابن الحنفية . وبذلك اشتمل الكتاب على تراجم ثلاثة رجال لا شخص واحد كما دل عليه العنوان .

يذكر جار الله بن فهد في المقدمة أنه وصح كتابه على مقدمة وبابين وخاتمة .

فكانت المقدمة : في فضائل الطائف ووادي وج .

والباب الأول : في أخبار الطائف .

والباب الثاني : يحتوي على ثلاثة فصول .

١- فضائل العباس عم رسول الله صلى الله عليه وسلم .

٢- فضائل ترجمان القرآن عبد الله بن عباس .

٣- فضائل ابن الحنفية ( وهو ابن الإمام علي بن أبي طالب ، وهو من التابعين ) .

ويذكر المؤلف أنه أورد ترجمة محمد ابن الحنفية في كتابه هذا لأن نسب بني فهد يتصل به فيقول : " وما نقلت سلسلة نسبه إلا بسبب اتصال نسبي به ، لأنه من ذرية الشريف الفاضل أبي علي أحمد ... " (٦١) .

والخاتمة : في ذكر الآثار في وادي وج وقرى الطائف . وذكر شهداء يوم فتح الطائف مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم عرض أشعاراً كثيرة في ذكر زيارة ابن عباس ومدحه وعرض فضائله .

وقد سلك حار الله منهجاً علمياً وثق فيه النصوص التي نقلها من مصادرها المتنوعة . فقد اعتمد العديد من كتب طبقات الصحابة ، والكثير من كتب السيرة النبوية ، وكتب تاريخ

الطائف، بالإضافة إلى أمهات الكتب القديمة في التاريخ الإسلامي ، ومصادر معاصرة له وخاصة كتاب شيخه السخاوي الذي وضعه في تاريخ المدينة نفسها .

وطُبع الكتاب بعناية نادي الطائف الأدبي ( دون ذكر تاريخ الطبع ) حققه وعلق عليه وراجعه محمد سعيد كمال ، ومحمد منصور الشقحا .

٥- كتاب تحقيق الصفا ، في تراجم بني الوفاء .

ذكره حاحي خليفة وقال : جمع فيه الوفائية والشاذلية وربتهم على الحروف <sup>(١٤٧)</sup> ، ولم نعرف منه نسخة .

٦- رسالة في كتاب السر في ديوان مصر .

لم نعر على نسخة من هذه الرسالة ، وقد ذكرها المؤلف في كتابه تحفة اللطائف ونسبها إليه العديد من المؤرخين منهم حاحي خليفة ومرداد <sup>(١٤٨)</sup> .

٧- القول المؤلف في نسبة الخمسة البيوت إلى الشرف .

ذكره ونسبه إليه المحبي والكتاني <sup>(١٤٩)</sup> . تحفظ مكتبة الحرم المكي بسبعة منه برقم ١١٨ تراجم ، تقع في ثلاث ورقات . درسها د. الهيلة فقال عنها " كتب جاز الله بن فهد رسالته هذه جواباً عن سؤال ورد عليه في ذلك فأجاب ذاكرةً العائلات المكية الخمسة : بيت الفاسي ، بيت الطبري ، بيت عبد القوي ، بيت البخاري ، بيت الطباطبائي ... أثبت جاز الله بن فهد في رسالته هذه أن بيت الفاسي يتنسب إلى الحسن بن علي بن أبي طالب ، أما بيت الطبري فهو حسيني . وذكر بعض مشاهيرهم كالمحب الطبري (ت ٦٩٤هـ / ١٢٩٥م) وتحدث عن أقدميتهم بمكة ، ويُن أن المؤرخ ابن جرير الطبري لا قرابة له مع هذا البيت ... منكرًا انتساب البيوت الثلاثة الباقية وهم بنو عبد القوي ، بنو البخاري ، بيت الطباطبائي إلى السلالة النبوية . اعتمد جاز الله في رسالته هذه على مصادر كثيرة منها مؤلفات التقي الفاسي ومؤلفات جده النجم بن فهد ( وهي كثيرة ) ومن مصادره كتاب التشويق ، إلى بيت الله العتيق تأليف جمال الدين الطبري <sup>(١٥٠)</sup> .

٨- كتاب معجم الشعراء .

جمعه جاز الله وخصه بالشعراء الذين سمع منهم الشعر ، ولم نعرف منه نسخة وإنما ذكره الغري ونسبه إليه في ترجمته لأحمد اليعاقوني الحلبي الشاعر المعروف بابن الصراف . ونسبه إليه أيضاً الكتاني في كتابه <sup>(١٥١)</sup> .

\* مؤلفات ابن حجر الهيتمي المكي في الطبقات الخاصة :

لقد ألف ابن حجر الهيتمي في التراجم التي اختصت بشخص واحد كما ألف كتاباً في الطبقات الخاصة بغئة معينة وهو .

كتاب معدن البواقيت الملتزمة في مناقب الأئمة الأربعة .

نسب هذا الكتاب لابن حجر ، البغدادي ومن نقل عنه <sup>(١٢٢)</sup> ، ولم نعرف منه نسخة .

ومن الواضح اهتمام ابن حجر العالم المكي بمناقب الأئمة وقضائهم لذا نراه يضع مؤلفاً خاصاً بأئمة المذاهب السنية كما كان يترجم لهم في ثانيا مؤلفاته الأخرى .

ومع أننا لم نحصل على نسخة من هذا المخطوط إلا أننا عثرنا على تراجم الأئمة الأربعة في معجم شيوخ ابن حجر المعنون بالإجازة <sup>(١٢٣)</sup> حيث وضع ترجمة مطولة للأئمة أبي حنيفة ومالك والشافعي وأحمد بن حنبل .

كما وضع لهم ترجمات أخرى في كتابه الحديثي فتح الإله في شرح المشكاة وهي ترجمات وافية في قضائهم .

\* النهروالي : قطب الدين محمد ابن علاء الدين (ت ٩٩٠هـ / ١٥٨٢م) <sup>(١٢٤)</sup> .

ينتسب لأسرة عدينية الأصل انتقلت إلى نهروالة من بلاد الهند وانتسبت إليها . ولد في مدينة لاهور الهندية ثم قدم إلى مكة مع والده وأقام بها وجمع زاده العلمي من شيوخها ومؤرخيها كبار الله بن فهد ، برع في الفقه وعلوم الدين واللغة والتاريخ وألف بالعربية والتركية والفارسية . كما استعان به الأمراء وكبار الشخصيات العثمانية في حجهم واعتماهم . تولى الإفتاء والتدريس بمكة المكرمة .

تناول قطب الدين النهروالي الكتابة في التراجم والطبقات في مؤلفين له وهما : كتاب طبقات الفقهاء الحنفية ، وزياداته على كتاب دستور الأعلام لابن عزم .

١- كتاب طبقات فقهاء الحنفية :

لم نعرف منه نسخة وإنما يدل عنوانه على أنه كتاب طبقات لفقهاء المذهب الحنفي ، ذكره الغري ونسبه إليه ونقل عنه ، وقال عنه حاجي خليفة بأن النهروالي جمع كتاباً في أربع مجلدات في طبقات الحنفية ، كما ذكره البغدادي والكتاني ونسبوه للنهروالي <sup>(١٢٥)</sup> .

وعندما ترجم الغزي لقطب الدين النهروالي في كتاب الكواكب السائرة قال عنه : " وألم باللغتين التركية والفارسية ، ومن مؤلفاته طبقات الحنفية احترقت في جملة كتبه " <sup>(١٢٦)</sup> .

## ٢- زيادات النهروالي على كتاب دستور الإعلام .

كتاب دستور الإعلام ، بمعارف الأعلام ألفه المؤرخ محمد بن عمر بن عزم التونسي المكي ( ت ٨٩١هـ / ١٤٨٦م )<sup>(٥٧)</sup> ليكون جامعاً للعديد من تراجم العلماء في مختلف اختصاصاتهم وبلدانهم ، فجاءت تراجمه موجزة ومفيدة لا تزيد غالباً على بعض الجمل القليلة . وقد رتبته على خمسة أقسام بحسب الشهرة والكنية والنسبة إلى الحرفة أو البلد أو الجدد وغير ذلك .

انتشر الكتاب وظهرت فوائده وتعددت نسخ مخطوطاته ، وعلى الرغم من كثرة التراجم الواردة فيه فإن علماء التواريخ شاركوا بالزيادات فيه فوضع عليه أربعة من المؤلفين إضافات عديدة هامة .

فجاءت زيادة القطب النهروالي المكي ( ت ٩٩١هـ / ١٥٨٣م ) .

زيادة زين الدين البصري ( ت ١١٠٠هـ / ١٦٩١م ) .

زيادة إبراهيم الجيني ( ت ١١٠٨هـ / ١٦٩٦م ) .

زيادة ابن حمزة ( ت ١١٢٠هـ / ١٧٠٧م ) .

وفي أغلب المخطوطات وضعت علامات على كل تلك الزيادات ، فكانت علامة زيادات قطب الدين حروف ( ق )<sup>(٥٨)</sup> .

وعند تنبهي لمخطوطة الكتاب المحفوظة بمكتبة خدا بخش بالهند ( برقم ٢٣٧٦ ) مكنتني أن أحصي من إضافات النهروالي ٣٦ ترجمة في ٥٠ ورقة متفرقة من الكتاب . ورأيت أنه سار فيه على نفس أسلوب أصل الكتاب كما وضعه ابن عزم فكانت ترجماته موجزة تكتفي بإيراد اسم المترجم وتاريخ وفاته مع عرض اختصاصاته العلمية ومكانته في مجتمعه .

## الخاتمة

تنوع الإرث الثقافي التاريخي الذي خلفه لنا المؤرخون المكيون فمن مؤلفات تاريخية على منهج الحوليات ، إلى مؤلفات تسجل الأحداث حسب الدول والمناطق ، إلى مؤلفات عديدة في تراجم الشخصيات وكتب الطبقات ، وغير ذلك من النصوص التاريخية ذات المجالات العديدة .

وتتنوع مؤلفات المكين في التراجم - في القرن العاشر الهجري - إلى نوعين :

١- كتب تراجم خصصت لشخص واحد سواء كان سياسياً أو عالماً أو ذا درجة عالية في دينه وخلقه .

٢- كتب طبقات يترجم فيها المؤرخ للعديد من الأشخاص الذين يجمعهم صفة واحدة أو انتساب واحد كأن يكونوا من الأنبياء أو من آل البيت أو أن يكونوا من الملوك والحكام أو أئمة المذاهب الفقهية السنية أو فقهاء من أحد المذاهب أو أصحاب الوظائف الدينية الشرعية بمكة المكرمة .

وإن المتعمّن في أسباب وضع بعض هذه المؤلفات يلاحظ أنها أُلقت لغايات شريفة أهمها:

- التعريف برجال لمعوا في مجتمعهم بعلوم درجاتهم الدينية والعلمية والأخلاقية .
- محاولة إطفاء الفتن التي يمكن أن تحدث بين أتباع المذاهب السنية ، فنرى أن العديد من المؤلفين يكتبون تراجم وفصائل كل الأئمة الأربعة في كتاب واحد ليعلموا الناس عدم تفاضلهم وعدم تمييز مذهب على آخر .

- كما نرى أن بعض هؤلاء المؤلفين يكون شبيهاً كثيراً في مذهبه الشافعي فيضع المؤلفات العديدة في فضائل الإمام أبي حنيفة ( كاتب ححر الهتمي الشافعي ) ولا يخفى ما في ذلك من تقوية أواصر الوحدة والمحبة بين أتباع مختلف المذاهب الفقهية . والرد على ما قد يحدث من بعض الكتاب من مجرّع وتناول يس أحد الأئمة .

- كما تعدد مؤلفات المؤرخين المكيين في تراجم بعض سلاطين الدولة العثمانية بحكم بسط سلطتها على مكة المكرمة في تلك الفترة ، وأثرها على المجتمع المكي بما أغدقته عليه من أموال وهبات .

- واعتنى بعض المؤلفين بتراجم أمراء مكة على مر العصور وجمع أخبارهم وإنجازاتهم في مكة .

وسبب هذه الغايات والأسباب ظهرت مؤلفات عديدة في فن التراجم والطبقات لتكون مصادر تاريخية مفيدة وثرية تعين على استجلاء العديد من الأخبار التي لم ترد في كتب التاريخ الكبيرة ، وتفتح آفاق لمعرفة شخصيات المجتمع المكي ودراسة خصائصه .

والله ولي التوفيق فله الحمد سبحانه ،

## الهوامش

- ١- انظر : التمهيد الذي وضعته واليا عبد الستار الحلومي في رسالتها : كتب التراجم في التراث العربي . ص ٤٣-٥٧ .
- ٢- من هؤلاء المؤرخين الثمانية من ألف كتاباً واحداً فُعرفَ بالمؤلف عند ورود تأليفه . وبعض المؤرخين تعددت مؤلفاتهم في هذا المجال ؛ لذلك نُعرف بكل واحد منهم عند ورود أول كتاب له .
- ٣- انظر ترجمته في : العيدروسي : النور السافر ١٢٦-١٣٠ . ابن العماد : شذرات الذهب ٨ : ١٤١-١٤٢ . مرداد : المختصر من نشر النور والزهر ص ١٠٧ .
- ٤- جابر الله بن فهد : نيل المني ص ٢٩٧ ، ٣٠١ .
- ٥- نقل عنه العز بن فهد في كتابه غاية المرام أشعاراً كثيرة بلغ عدد أبياتها ٣٦٥ بيتاً . انظر فهرس الأشعار في تحقيق كتاب غاية المرام ص ٦٦٤-٦٦٩ . بالإضافة إلى قصيدته التي وردت في كتابه المر المنظوم وبها ٩٣ بيتاً .
- ٦- حاجي خليفة : كشف الظنون ص ٧٣٥ .
- ٧- اعتمدنا في التعريف بهذا الكتاب ونقلنا فساها ما أورده د . الهيلة في كتابه التاريخ والمؤرخون بمكة ص ١٨١-١٨٢ . ونضيف عليه بعض ما ظهر لنا من التعريف بمصادره وبيان أسلوبه .
- ٨- انظر ترجمته : السخاوي : الضوء اللامع ٢ : ٤ . ابن حميد : السحب الوابلة ص ٨٠-٨١ . مرداد : المختصر من كتاب نشر النور والزهر ص ١٠٢ . الهيلة : التاريخ والمؤرخون بمكة ص ١٨٤-١٨٥ . ويذكر د / الهيلة أنه كان حياً سنة ٩٣٣هـ ولكن ما وجدناه في مصادر ترجمته يدل على أنه كان حياً سنة ٩٤٢هـ .
- ٩- تعددت مصادر ترجمة جابر الله بن فهد - انظر مثلاً : السخاوي : الضوء اللامع ٣ : ٥٢ . العيدروسي : النور السافر ٢٤١-٢٤٢ . الغزي : الكواكب السائرة ٢ : ١٣١ . ابن العماد : شذرات الذهب ٨ : ٣٠١ . كحالة : معجم المؤلفين ١٠ : ١٧٥-١٧٦ . الهيلة : التاريخ والمؤرخون بمكة ص ١٩٥-١٩٧ .
- ١٠- الهيلة : التاريخ والمؤرخون بمكة ص ٩٩-١٠٨ .
- ١١- انظر ترجمته : العيدروسي : النور السافر : ٢٨٧-٢٩٢ . الغزي : الكواكب السائرة ٣ : ١١١-١١٢ . ابن العماد : شذرات الذهب ٨ : ٣٧٠-٣٧٢ . العصامي : سمط السجود العوالي ص ٢٨٣ . الشوكاني : البدر الطالع ١ : ١٠٩ . مرداد : المختصر من نشر النور والزهر ١٢٢-١٢٤ . الكناشي : فهرس الفهارس ١ : ٣٣٧-٣٤٠ . الهيلة : التاريخ والمؤرخون ٢٢٨-٢٢٩ . لباء شامي : ابن حجر الهيتمي المكي وجهوده في الكتابة التاريخية .

١٢- لمياء شافعي : ابن حجر الهيتمي المكي وجهوده في الكتابة التاريخية ص ٣٨٩-٤١٠ . اعتمدت الدراسة على مؤلفات ابن حجر ومصادر ترجمته منها . ابن حجر : فتح الإله ، في شرح المشكاة ورقة ١٢ب-١٣أب ، رسالة في مناقب أبي حنيفة ورقة ٢أ . : الإجازة ورقة ٥٧ب-٦٠ب ، . الخيرات الحسان ص ٤-٨ ، العبدوسي : الور السافر ص ٢٩١ ، ابن العماد : شذرات الذهب ٨ ، ٣٧١ ، مرداد . المختصر من نشر النور والزهر ص ١٢٢ .

١٣- أحيل في استنتاجاتي لدراسة هذا المؤلف على ما ورد لي من دراسة سابقة عنه ضمن رسالتي للدكتوراه والتي عنوانها ابن حجر الهيتمي وجهوده في الكتابة التاريخية ص ٣٥٢-٣٦٤ .

١٤- السيفي : فائق الدرر ورقة ٥ ب - كما أحال عليه ابن حجر نفسه في كتابه إخوان الصفايين من أخبار الخلفاء ورقة ١٩ ب . وأحال عليه حفيد ابن حجر خليفة الزمزمي في كتابه نشر الأس في فضائل زمزم ورقة ١٢ ب ، ٢٣ أ . ونسب هذا الكتاب لابن حجر الكتاني : فهرس الفهارس ص ٢٩٢ ، البغدادى : هدية العارفين ١ : ١٤٦ ، سرگس : معجم المطبوعات ١ : ٨٢ ، دائرة المعارف الإسلامية المترجمة ١ : ١٣٤ .

١٥- انظر ترجمة السلطان شهابي في العبدوسي : الور السافر ص ٢٥٥ ، ابن العماد : شذرات الذهب ٨ : ٣٣٣ .

١٦- انظر ترجمته : الغزي : الكواكب السائرة ٣ : ١٦٩ ، العبدوسي : الور السافر ص ٣٥٣ ، الشوكاني : البدر الطالع ١ : ٣٦٠ ، مرداد : المختصر من نشر الور والزهر ٢٧٢-٢٧٣ ، البغدادى : هدية العارفين ١ : ٥٩٨ ، الرزكلي : الأعلام ٤ : ٣٦ ، كحالة : معجم المؤلفين ٥ : ٢٨٣

١٧- مرداد : المختصر من نشر النور والزهر ص ٢٧٣ .

١٨- الشوكاني : البدر الطالع ١ : ٣٦٠ ، الغزي : الكواكب السائرة ٣ : ١١٣

١٩- انظر ترجمة علي المتقي : العبدوسي : الور السافر ٣١٥-٣١٩ ، والنقول عن الكتاب وردت في ص ٣١٧ ، ٣١٨ منه .

٢٠- انظر ترجمة عبد الرحمن العمودي في العبدوسي : المصدر السابق ص ٢٦٥-٢٦٦ ، والنقول وردت في نفس الصفحات .

٢١- انظر ترجمته : السحاري : الضوء اللامع ٤ : ٢٢٤ ، الغزي : الكواكب السائرة ١ : ٢٢٨ ، ابن العماد : شذرات الذهب ٨ : ١٠-١٠٠ ، البغدادى : هدية العارفين ١ : ٥٨٣ ، الكتاني : فهرس الفهارس ص ٧٥٤-٧٥٦ ، الرزكلي : الأعلام ٤ : ٢٤ ، والأستاذ فهم شلتوت في مقدمة تحقيقه لكتاب العز بن فهد : غاية المرام ، ص ٧ .

٢٢- المحيي : خلاصة الأثر ٢ : ٤٥٧ ، الكتاني : فهرس الفهارس ص ٧٥٥

- ٢٢- الهيلة : التاريخ والمؤرخون بمكة ص١٧٥-١٧٦ .
- ٢٤- بركات بن محمد بن بركات ولد بمكة سنة ١٤٥٧/هـ ٨٦١م وحكمها منفرداً لمدة طويلة من سنة ٩٠٣-١٤٩٨م إلى أن توفي سنة ٩٣١/هـ ١٥٢٥م غير الفترة التي حكمها مشاركاً لوالده وإخوانه انظر ترجمته : عارف عبد الغني : تاريخ أمراء مكة المكرمة ص٦٥٩-٦٩١ .
- ٢٥- العز بن فهد : غاية المرام ، المقدمة ص٤ .
- ٢٦- العز بن فهد : المصدر السابق ص٤-١٠ .
- ٢٧- العز بن فهد : المصدر السابق ١ : ١٣٩-١٧٥ .
- ٢٨- العز بن فهد : المصدر السابق ٣ : ٣٥-٣٣٩ .
- ٢٩- انظر فهرس كتاب غاية المرام ٣ : ٣٥٧ .
- ٣٠- العزي : الكواكب السائرة ١ : ٢٣٩ ، ابن العباد : شذرات الذهب ٨ : ١٠٠ ، الكتاني : فهرس الفهارس ص٧٥٥ .
- ٣١- انظر ترجمته : ابن العباد : شذرات الذهب ٨ : ٢٤٣ ، حاجي خليفة : كشف الظنون ص٣٠ ، كعالة معجم المؤلفين ١٠ : ٢٤ .
- ٣٢- حار الله بن فهد : نيل المسى انظر فهرس الكتاب ص٨٦٤ .
- ٣٣- عارف عبد الغني : تاريخ أمراء مكة المكرمة ص٤٦٢-٦٩١ .
- ٣٤- العصامي : سبط النجوم الموالي ١ : ١٦ ، حاجي خليفة : كشف الظنون ١ : ٣٠ .
- ٣٥- سبقت الترجمة لجار الله بن فهد . انظر (ص ١٠) .
- ٣٦- الزركلي : الأعلام ٦ : ٢٠٩ .
- ٣٧- حاجي خليفة : كشف الظنون ١ : ٢٥٣ .
- ٣٨- جار الله بن فهد : بلوغ الأرب ص٣٢ .
- ٣٩- جار الله بن فهد : بلوغ الأرب ص٣٧ .
- ٤٠- العبدروسي . الور السافر ص٢٠٦-٢٠٧ . وما ورد في السحب الوابلة لابن حميد ص١٣٦-١٣٧ وص١١٢-٢١٤ .
- ٤١- انظر : العبدروسي . النور السافر ص٢١ ، ٤٩ ، ٥٠ ، ٩٢ ، ١٠٢ ، ١١٠ ، ١١٢ ، ١١٥ ، ١١٧ ، ١٢٧ ، ١٥٢ ، ١٥٤ ، ٢٠٠ ، ٢٠١ ، ٢٠٢ ، ٢٠٦ ، ٢٣٧ . أما نقولات ابن حميد في السحب

الوايلة فجاءت في الصفحات ٢٤ ، ٦٧ ، ٦٩ ، ٨٠ ، ٨٣ ، ١٠١ ، ١٣٦ ، ٢١٢ ، ٢٣٨ ، ٣٤٧ ، ٣٥٣ ، ٤٣١ ، ٤٧٣ ، ٤٨٧ .

٤٧- كثيراً ما يقع محقق كتاب السحب الوايلة ، طبعة دمشق في خطأ بأن يورد اسم جابر الله بن فهد بلفظ جابر الله كما في الصفحات ٢٤ ، ١٠١ وغيرهما .

٤٣- انظر : ابن حميد : السحب الوايلة ص ٢٤ .

٤٤- المصدر السابق : نفس الصفحة .

٤٥- حاجي خليفة : كشف الظنون ص ٣٧٢-٣٧٣ .

٤٦- جابر الله : تحفة اللطائف ص ١٣٧ .

٤٧- حاجي خليفة : كشف الظنون ١ : ٣٧٨ .

٤٨- حاجي خليفة : مصدر سابق ١ : ٨٨٥ ، مرداد : المختصر من نشر الور والزهر ص ١٥٣ .

٤٩- المنهجي : خلاصة الأثر ٢ : ٤٥٧ ، الكتاني : فهرس الفهارس ص ٢٩٧ .

٥٠- الهيلة : التاريخ والمؤرخون ص ٦-٧ ، ٢٠٧ .

٥١- العربي : الكواكب السائرة ١ : ١٣٩ ، الكتاني : فهرس الفهارس ص ٦٢٠ .

٥٢- البغدادى : هدية العارفين ١ : ١٤٦ ، إصباح المكنون ٢ : ٥١٠ ، ٥٤٣ ، الزركلي : الأعلام ١ : ٢٣٤ ، كحالة : معجم المؤلفين ٢ : ١٥٢ .

٥٣- ابن حجر : الإجازة ورقة ٥٧ ب - ٧١ ب .

٥٤- راجع ترجمته : النهروالي : البرق البعاني : مقدمة تحقيق حمد الجاسر والتي اشتملت على ٨٠ صفحة ، الغزي : الكواكب السائرة ٣ : ٤٤-٤٨ ، العبدوسي : النور السافر ص ٣٨٣-٣٨٨ ، العصامي : سطر النجوم العوالي ٤ : ٣٣٧ ، ابن العماد : شذرات الذهب ٨ : ٤٢٠ ، الهيلة : التاريخ والمؤرخون ص ٢٤٤-٢٤٥ ، لمياء شافعي : تذكرة النهروالي المكي وأهميته رحلاته ص ٤١٠-٤١٢ .

٥٥- حاجي خليفة : كشف الظنون ص ١٠٨٩ ، البغدادى : إصباح المكنون ٢ : ٧٨٠ ، الكتاني : فهرس الفهارس ص ٩٤٥ .

٥٦- الغزي : الكواكب السائرة ٣ : ٤٥ .

٥٧- انظر ترجمته : الهيلة : التاريخ والمؤرخون ص ١٦٣-١٦٥ .

٥٨- علامة (هـ) للنجيني . علامة (ر) لابن حمزة . علامة (ب) للبصري .

## ثبت المصادر والمراجع

- البغدادي : إسماعيل باشا (ت ١٣٣٩هـ / ١٩٢٠م) :  
إيضاح المكنون ، في الذيل على كشف الظنون ، عن أسامي الكتب والفنون ، ط :  
إسطنبول سنة (١٩٤٥م) مجلدان .
- هدية العارفين ، في أسماء المؤلفين ، وآثار المصنفين ، ط : إسطنبول سنة (١٩٥١م)  
مجلدان .
- ابن حجر : أحمد بن محمد الهيتمي المكي (ت ٩٧٤هـ / ١٥٦٦م) :  
الإجازة معجم شيوخ ابن حجر ، نسخة مكتبة برلين - ألمانيا - رقم (١٧٤) .  
تطهير الجنان واللسان ، عن الخطوط والتفوه بثلث معاوية بن أبي سفيان ، تحقيق  
أبي عبد الرحمن المصري الأثري ، ط : دار الصحابة للتراث بطنطا ، مصر  
(١٤١٣هـ / ١٩٩٢م) .
- الخيرات الحسان ، في مناقب الإمام أبي حنيفة النعمان ، ط : دار الكتب العلمية ،  
بيروت - لبنان (٣ - ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م) ، تقديم وتحقيق الشيخ خليل الميس .
- الحلومي : داليا عبد الستار ( معاصرة ) :  
كتب التراجم في التراث العربي ، مكتبة زهراء الشرق ، القاهرة ٨ - ٢٠ م .
- ابن حميد النجدي :  
السحب الوابلة ، على أضرحة الحنابلة ، ط : مكتب الإمام أحمد ، دمشق ، سنة  
١٤٠٩هـ / ١٩٨٩م .
- خليفة : حاجي مصطفى بن عبد الله (ت ١٠٦٧هـ / ١٦٥٧م) :  
كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون ، ط : إسطنبول (١٩٤١م - ١٩٤٣م) ،  
نشر محمد شرف الدين ، مجلدان .
- الزركلي : خير الدين (ت ١٣٩٦هـ / ١٩٧٦م) :  
الأعلام ، ط : دار العلم للملايين ، بيروت - لبنان ، ١٩٩٠ م ، ٨ أجزاء .
- السخاوي : محمد بن عبد الرحمن (ت ٩٠٢هـ / ١٤٩٧م) :

الضوء اللامع ، لأهل القرن التاسع ، نشر مكتبة حسام الدين المقدسي ، ط .  
القاهرة ، ١٣٥٣هـ ، ١٢ جزءاً .

- شافعي : لمياء أحمد بن عبد الله :

تذكرة النهروالي المكي وأهمية رحلاته الست ، بحث منشور ضمن سلسلة مذاولات  
جمعية التاريخ والأثار بدول مجلس التعاون لدول الخليج العربية ص ٤٠٧-٤٤٥ .  
اللقاء التاسع ١٤١٩هـ / ٨-٢٠٠٠م .

ابن حجر الهيتمي المكي وجهوده في الكتابة التاريخية ، رسالة دكتوراه منشورة ،  
ط : مكتبة الغد ، القاهرة ، ١٤١٨هـ / ١٩٩٨م .

- الشوكاني : محمد بن علي (ت ١٢٥٠هـ / ١٨٣٤م) :

اليدر الطالع ، بحاسن من بعد القرن السابع ، مطبعة السعادة ، القاهرة سنة  
١٣٤٨هـ ، جزآن .

- ابن ظهيرة : أحمد بن عطية ( كان حياً ٩٤٢هـ / ١٥٣٤م) :

جواهر العقود ، في ترجمة القاضي جمال الدين أبي السعود ، مخطوط ، دار  
الكتب المصرية ، تيسور ، رقم ٣٧-٥ .

- عبد الغني : عارف :

تاريخ أمراء مكة المكرمة ، ط : دار البشائر ، دمشق ، ١٤١٣هـ / ١٩٩٢م .

- العصامي : عبد الملك بن حسين المكي (ت ١١١١هـ / ١٦٩٩م) :

سمط النجوم العوالي ، في أنباء الأوائل والتوالي ، ط : المطبعة السلفية ، القاهرة ،  
١٣٨٠هـ / ١٩٦٠م ، ٤ أجزاء .

- ابن العلي : أحمد بن الحسين (ت ٩٢٦هـ / ١٥٢٠م) :

الدرر المنظوم ، في مناقب با يزيد سلطان الروم ، مخطوط مكتبة فاتح - تركيا  
رقم ٤٣٥٧ .

- ابن العماد الحنبلي : عبد الحي بن علي (ت ١٠٨٩هـ / ١٦٧٩م) :

شذرات الذهب ، في أخبار من ذهب ، ط : دار الفكر ، بيروت ، ١٣٩٩هـ / ١٩٨٩م .  
٨ أجزاء .

- العبدوسي : محي الدين عبد القادر بن شيخ بن عبد الله (ت ١٠٣٨ هـ / ١٦٢٨ م) :  
النور السافر ، عن أخبار القرن العاشر ، تصحيح محمد رشيد أفندي الصغار ،  
مطبعة الفرات - بغداد - (١٣٥٣ هـ / ١٩٣٤ م) .
- الغزي : نجم الدين محمد بن محمد بن أحمد (ت ١٠٦١ هـ / ١٦٥١ م) :  
الكواكب السائرة ، بأعيان المائة العاشرة ، تحقيق جبر سليمان جبور ، دار الآفاق  
الجديدة ، بيروت ، سنة ١٩٧٩ م ٣ أجزاء .
- ابن فهد : جابر الله محمد بن عبد العزيز (ت ٩٥٤ هـ / ١٥٤٧ م) .  
تحفة اللطائف ، في فضائل الخير ابن عباس ووج والطائف ، تعليق ومراجعة محمد  
سعيد كمال ، ومحمد منصور الشقعا ، مطبوعات نادي الطائف الأدبي ، د.ت.  
بلوغ الأرب ، في معرفة أي الأنبياء ، من العرب ، مخطوط ، مكتبة الحرم المكي ،  
ضمن المجموع رقم ٤٢٣ حديث .
- الجواهر الحسان ، في مناقب السلطان سليمان بن عثمان ، مخطوط مكتبة جامعة  
إسطنبول ( دار مثنوي رقم ٣٦ ) ،  
القول المؤتلف ، في نسبة الحمسة البيوت إلى الشرف ، مخطوط مكتبة الحرم المكي  
( رقم ١١٨ تراجم ) .
- نيل المنى ، بذيل بلوغ القرى ، لتكملة إتحاف الوري ، تحقيق محمد الحبيب الهيلة ،  
طبع مؤسسة دار الفرقان للتراث الإسلامي ، ط : بيروت ، ١٤٢٠ هـ / ٢٠٠٠ م ،  
جزآن .
- ابن فهد : العزيز عبد العزيز بن عمر الهاشمي المكي (ت ٩٢٢ هـ / ١٥١٧ م) :  
غاية المرام بأخبار سلطنة البلد الحرام ، تحقيق فهم شلتوت ، ط : مركز البحث  
العلمي التابع لجامعة أم القرى بمكة المكرمة ، دار المدني ، جدة ، ١٤٠٦ هـ / ١٩٨٦ م ،  
ثلاثة أجزاء .
- الكتاني : عبد الحفي بن عبد الكبير (ت ١٣٨٢ هـ / ١٩٦٢ م) :  
فهرس الفهارس والأثبات ، ومعجم المعاجم والمشيكات والمسلسلات ، طبع باعت  
وفهرسة إحسان عباس ، ط : دار المغرب الإسلامي ، بيروت ، سنة ١٤٠٢ هـ / ١٩٨٢ م ،  
١٤٠٦ هـ / ١٩٨٦ م ، في ثلاثة أجزاء .

- كحالة : عمر رضا :

معجم المؤلفين ، مطبعة الترقى ، دمشق ، سنة ١٩٥٧م - ١٩٦١م ، ١٥ جزءاً .

- المحبي : محمد أمين بن فضل الله (ت ١١١١هـ / ١٦٩٩م) :

خلاصة الأثر ، في أعيان القرن الحادي عشر ، ط : دار صادر ، بيروت ، د.ت ، ٤ محلدات .

- مرداد : أبو الحثير عبد الله بن أحمد (ت ١٣٤٣هـ / ١٩٥٤م) :

المختصر ، من كتاب نشر النور والزهر ، في تراجم أفاضل مكة من القرن العاشر إلى القرن الرابع عشر ، اختصار وترتيب محمد سعيد العاصودي وأحمد علي ، ط : عالم المعرفة ، جدة ، سنة ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م .

- البهروالي : قطب الدين محمد بن علاء الدين المكي (ت ٩٩٠هـ / ١٥٨٢م) :

البرق اليماني ، في الفتح العثماني ، طبع بإشراف حمد الجاسر ، منشورات دار الصحافة ، الرياض ١٣٨٧هـ / ١٩٦٧م .  
زيادات على كتاب دستور الإعلام لابن عزم ، نسخة مكتبة خدا بخش بالهند (رقم ٢٣٧٦) .

- الهيلة : محمد الحبيب ( معاصر ) :

التاريخ والمؤرخون بمكة من القرن الثالث الهجري إلى القرن الثالث عشر ، نشر مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي ، مكة ، ط : دار الغرب الإسلامي ، بيروت ١٤١٥هـ / ١٩٩٤م .

## التنافس الأنجلو أمريكي على امتيازات التنقيب عن النفط في إمارات الساحل العماني

(من نهاية الحرب العالمية الأولى حتى ستينات القرن العشرين)

تحاول هذه الدراسة تسليط الضوء على التنافس الأنجلو أمريكي على امتيازات التنقيب عن النفط في إمارات الساحل العماني (دولة الإمارات العربية المتحدة) منذ نهاية الحرب العالمية الأولى، حتى ستينات القرن العشرين. ويرجع السبب الرئيس في اختيار هذا الموضوع إلى التنافس الشديد الذي ظهر بصورة جلية بين الدولتين على هذه الامتيازات التي شكلت آنذاك استراتيجية واضحة في سياسة الدولتين، بريطانيا التي هيمنت على الخليج منذ القرن التاسع عشر، والولايات المتحدة التي ظهرت بوصفها قوة عملاقة، مع نهاية الحرب العالمية الثانية. ويجب أن نشير إلى أن الدراسة لا تهدف إلى تقديم دراسة عن النفط، ولكن عن امتيازات التنقيب عنه.

كما تكمن أهمية موضوع الدراسة في أن عمليات التنقيب عن النفط من قبل الشركات البريطانية والأمريكية لم تكن عملية اقتصادية بحت، ولكنها أثرت بشكل واضح في مسار العلاقات السياسية بين الدولتين، والأهم من ذلك أنها أثرت في الأوضاع الاقتصادية والسياسية في منطقة الخليج بصفة عامة، والإمارات بصفة خاصة. وقد ظهر ذلك جليا من خلال تدخل الدولتين في العلاقات التي حدثت بين الإمارات وعدد من دول الخليج، أبرزها

إيران، ليس بهدف مصلحة الإمارات، ولكن من أجل مصالح تلك الشركات، وذلك من خلال عملها كل ما في وسعها من أجل الحصول على امتيازات التنقيب عن النفط في الإمارات.

### السيطرة البريطانية على إمارات الساحل العماني:

يقصد بإمارات الساحل العماني الإمارات السبع (\*) التي شكلت فيما بعد دولة الإمارات العربية المتحدة، وكانت تعرف أيضا بساحل القرصنة (\*\*) ومشيخات الساحل العماني والإمارات المتصالحة والساحل المتهادن<sup>(١)</sup>، وكانت تابعة لعمان الكبرى (\*\*\*) التي انقسمت من جراء تكالب القوى الاستعمارية والتناحر الداخلي إلى سلطنة مسقط وعمان الداخل<sup>(٢)</sup>، وعلى أثر التفكك السياسي في عمان، حدثت موجة من الهجرات القبلية إلى سواحل الخليج، تخض عنها ولادة كيانات سياسية جديدة في المنطقة<sup>(٣)</sup>، أهمها بنو يامس والقواسم، اللذان بسطا سيطرتهما على إمارات الساحل العماني<sup>(٤)</sup>.

كان المشهد السياسي في منطقة إمارات الساحل يكشف هيمنة القواسم على مقدرات الأمور في المنطقة<sup>(٥)</sup>، ولكن سرعان ما اصطفم القواسم بالقوة البريطانية المتغلغل في الخليج<sup>(٦)</sup>، ومع تعاظم الخطر القاسمي كتب المقيم البريطاني في البصرة إلى حكومته يحذر من خطر القواسم؛ لذا وجهت السيادة البريطانية وجهتها صوب السيطرة على الساحل العماني، وألقضاء على قوة القواسم<sup>(٧)</sup>، فقامت بثلاث حملات للإجهاز عليهم (\*\*\*\*)، كانت الحملة الثالثة عام ١٨١٩م<sup>(٨)</sup> قمة الصراع بين القواسم وبريطانيا، وانتهت بتوقيع عدد من المعاهدات عام ١٨٢٠م<sup>(٩)</sup> التي تحولت إلى معاهدة سلام عامة مع شيوخ الساحل الذين وقعوا عليها تباعا في مارس ١٨٢٠، وبدأت حقبة ما أسمته بريطانيا بالسلام البريطاني في المنطقة Pax-Britannica (\*\*\*\*) (١٠). وقد وضعت تلك المعاهدة أسس سياسة التجزئة في المنطقة، من خلال تفتيت إرث القواسم وبقية إمارات الساحل إلى كيانات صغيرة، منحتها بريطانيا الاستقلال، فشجعت استقلال عجمان وأم القيوين والفجيرة وكلبا، وانسلاخ رأس الخيمة عن الشارقة، ومن ثم تمزق الساحل إلى إمارات صغيرة لا حول لها ولا قوة<sup>(١١)</sup>.

وعلى ضوء تزايد حدة التنافس الإقليمي والدولي للهيمنة البريطانية على منطقة الخليج، أبرمت بريطانيا مع شيوخ الساحل الاتفاقية المانعة Exclusive Agreement عام ١٨٩٢م<sup>(١٢)</sup>، ومثلت هذه الاتفاقية تعهدا ضميا من بريطانيا بالحماية والاضطلاع بالشئون الخارجية لإمارات

الساحل، وفرض إلزامية الرجوع إليها قبل الشروع في منح أية امتيازات لدول غيرها (١٣). وقد شكلت هذه الاتفاقية حجر الزاوية للسياسة البريطانية في المنطقة التي ارتكزت على عزل إمارات الساحل عن العالم الخارجي، وإبقائها في حالة من التفكك؛ ليسهل فرص السيطرة عليها، وعلى مواردها<sup>(١٤)</sup>. وبعد تصريح لانزدون Lansdowne في مايو ١٩٠٣ بمجلس اللوردات البريطاني، وزيارة نائب الملك في الهند اللورد كيرزون Curzon لساحل عمان في نوفمبر من العام نفسه، دبلًا داعمًا على تعاطف أهمية الخليج في الاستراتيجية البريطانية التي أقرت بأن العلاقة بين منطقة الخليج والأمن البريطاني في الهند علاقة لا انفصام لها. ويتضح من خلال ذلك التصريح وخطاب كيرزون، الرغبة القوية لدى بريطانيا في دعم النفوذ البريطاني في المنطقة، وفرض ستر حديدى عليها، وإبقائها بعيدا عن أية تيارات أجنبية أو عربية<sup>(١٥)</sup>.

### التنافس الأنجلو أمريكي على امتيازات التنقيب عن النفط في منطقة الخليج:

كان النفط - ولا يزال - عصب الحياة وشرائها في السلم والحرب. وخير دليل على ذلك ما صرح به الفرنسي كلمنصو في مطلع القرن العشرين، حينما قال: "كل قطرة من النفط تساوي قطرة من الدم"<sup>(١٦)</sup>، وكذلك الرئيس أيزنهاور عندما قال: "إن الحلفاء سبحو نحو النصر على بحيرة من النفط"<sup>(١٧)</sup>. من هذا المطلق، أدركت بريطانيا ضرورة السيطرة على امتيازات التنقيب عن النفط. وبالفعل، حصلت في عام ١٩٠١ على امتياز التنقيب عن النفط في إيران، حيث تدفق النفط بكميات تجارية، لأول مرة عام ١٩٠٨ من مسجد سليمان (مدينة صغيرة واقعة جنوب إيران). وقد مثل هذا الاكتشاف، منعطفًا مهمًا في تاريخ البترول العالمي<sup>(١٨)</sup>.

ومنذ ذلك الحين، فرضت على مستعمراتها في الخليج - التي كانت تنبئ باحتمال وجود فرص عظيمة لظهور النفط بها - توقيع اتفاقيات تحرم عليها إعطاء حقوق التنقيب لأية شركة غير بريطانية قبل موافقة المقيم السياسي البريطاني. وتأسسًا على هذا، وقع شيخ الكويت على تعهد بهذا في عام ١٩١٣، وشيخ البحرين في عام ١٩١٤، وحاكم عمان في عام ١٩٢٠، وحاكم إمارات الساحل العماني في عام ١٩٢٣<sup>(١٩)</sup>.

وترجع إرهابات التنافس الأنجلو أمريكي على امتيازات التنقيب في الخليج إلى الفترة اللاحقة للحرب العالمية الأولى، حينما سعت فرنسا وبريطانيا إلى اقتسام بترول العراق بينهما. غير أن الولايات المتحدة الأمريكية رفضت هذا الإجراء، وطالبت بحصة من هذه الكعكة. وبعد

جدل دام بضع سنوات وافق الحليفان على بيع نسبة ٢٣.٧٥٪ من أسهم الامتياز للأمريكيين. وقد ظفر بهذه الحصة ائتلاف يضم خمس شركات بزعامة موبيل وستاندرد نيوجرسى، فى نوفمبر ١٩٢٤.<sup>(٢٠)</sup>

ومع تدفق النفط فى البحرين، تطلعت بريطانيا والولايات المتحدة الأمريكية إلى الاستئثار بامتيازات التنقيب فى المنطقة<sup>(٢١)</sup>. وبالفعل اتجهت الولايات المتحدة إلى البحرين، فى حين كانت إمارات الساحل العمانى حتى ذلك الوقت حكرا على الشركات البريطانية، وبدرجة أدنى، الفرنسية، التى تمتعت بهذه الامتيازات لسيطرة حكوماتها على بلدان المنطقة<sup>(٢٢)</sup>. وبدأ نشاط الولايات المتحدة الأمريكية من خلال شركة ستاندارد نيوجرسى<sup>(٢٣)</sup>. وفى ظل تزايد الاعتماد على النفط فى تحريك عجلة النشاط الاقتصادى الأمريكى، وتناقص الاحتياطات الأمريكية من النفط، انجبه كثير من الشركات النفطية الأمريكية الكبرى للبحث عن النفط خارج حدوده، ومد الاستثمارات النفطية إلى العالم الخارجى. وراى ذلك، شعور الشركات الأمريكية الكبرى بالقدرة على توسيع نشاطاتها. وبالفعل بدأ التنافس الأنجلو أمريكى على امتيازات التنقيب عن النفط فى المنطقة إلى عام ١٩٢٠، خاصة فى ظل تدفق النفط فى إيران، وظهوره فى عدة مواقع من العراق.

وفى ٢٤ إبريل ١٩٢٤، وقع البريطانيون والفرنسيون اتفاق سان ريمو الذى تضمن ستة بنود تنظم تقسيم الحصص فى بترول الشرق الأوسط<sup>(٢٤)</sup>؛ وهو ما أثار حفيظة الولايات المتحدة الأمريكية التى رأت فيه محاولة من بريطانيا للاستئثار بالسهم الأوفر من تركة المنطقة، بدون مراعاة شركائها الآخرين الذين قدموا لها كثيرا من الدعم والمساندة إبان الحرب، وقد ظهر ذلك فى الرسائل المتبادلة بين اللورد كمبرزون وزير خارجية بريطانيا، وسفيره فى واشنطن السبر أ. جيدس، والسفير الأمريكى فى لندن<sup>(٢٥)</sup>، التى توضح مدى الجدل والتنافس بين لندن وواشنطن حول النفوذ السياسى والمصالح البترولية فى الخليج؛ إذ أصبح الصراع على المصالح يدور الآن بين الحكومتين، بعد أن بقى مدة محصورة فى إطار الشركات البترولية التابعة لبلديهما. ولعل اتخاذ الموصوع بعدا سياسيا عائد إلى التأثير الحاسم للشركات الثلاث الرئيسية (الأنجلو فارسية، وروبال داتش شل، وستاندارد نيوجرسى)، فى صانعى السياسة فى البلدين، وطالبت واشنطن بريطانيا بضرورة تطبيق سياسة الباب المفتوح؛ ففى رسالة من السفير باعتماد مبدأ الباب المفتوح، لإتاحة الفرصة أمام الشركات الأمريكية للعمل فى الأراضي العربية الواقعة تحت الانتداب البريطانى، أكد أن

عدم اعتماد هذا المبدأ يسمى. إلى مصالح بلاده في الشرق، وأشار إلى أن الشركات الأمريكية لا تحصل على فرص متكافئة مع الشركات البريطانية التي تحظى بدعم حكومتها، على حساب بقية الشركات، على الرغم من إقرار بريطانيا، بإمكان إعطاء نسبة محدودة من الاستثمارات للشركات الأمريكية، كما أكد السفير أن بريطانيا تعمل في الحفاء للسيطرة على مصادر النفط في البلاد العربية، على الرغم من أنها اتفقت مع واشنطن على مبادئ عامة في مؤتمر الصلح، تتضمن الإقرار بأن استغلال هذه المصادر هو حق مشاع لكل الأمم، وليس حكرا على أمة واحدة<sup>(١٧٦)</sup>.

وعددت واشنطن الأسباب التي تؤكد أحقيتها في الحصول على امتيازات التنقيب عن النفط في مناطق الشرق الأوسط والخليج، نوجزها فيما يأتي<sup>(١٧٧)</sup>:

أولاً- أن (ستاندارد نيوجرسي) الشركة البترولية الرئيسية في الولايات المتحدة، فقدت أسواقها المألوفة، إثر تركيز جهودها في تأمين قوات الحلفاء بالبترول في أثناء الحرب في أوروبا، لذا فمن الواجب على بريطانيا مساعدة الشركة ودعمها.

ثانياً- منع استثمار بريطانيا وفرنسا باستغلال الثروات الطبيعية للبلدان التي تحت الوصاية، إلا بموافقة الأسرة الدولية، الممثلة في عصبة الأمم.

ثالثاً- أن احتياطي البترول المؤكد وجوده في الأراضي الأمريكية أخذ في التقلص، وأنه يوشك - حسب الدراسات المتاحة - على النفاذ في خلال مدة تتراوح بين عشر وعشرين سنة.

رابعاً- أن بريطانيا تضع العقوبات والعراقيل في وجه بعثات التنقيب التي أرسلتها الشركات الأمريكية إلى الخليج<sup>(١٧٨)</sup>.

أنكر وزير الخارجية البريطاني هذه الادعاءات، وقال: إن بريطانيا لم تنتهج سياسة تمييز أو محاباة لصالح شركاتها ضد الشركات الأمريكية<sup>(١٧٩)</sup>، وأكد الوزير كيرزون أن الموقف الأمريكي يضم في طبيته سياسات متناقضة، ففي الوقت الذي تطالب فيه واشنطن بتطبيق مبدأ الباب المفتوح في الخليج، تضع كثيراً من العقبات في وجه الشركات الأوربية الراغبة في استثمار احتياطيات النفط المتوافرة في الأراضي الأمريكية، كما أنها افتعلت المشاكل والصعوبات أمام الاستثمارات البريطانية في القارة الأمريكية الجنوبية، خاصة في كوستاريكا وهايتي، ولم يسفر ذلك الجدل عن نتيجة مهمة، وازداد شعور الأمريكيين بأنهم على وشك أن يحسروا مصالح مهمة، كانوا يتوقعون أن تصبح بين أيديهم<sup>(١٨٠)</sup>.

ومع رغبة الحكومة البريطانية فى ترسيم الحدود الإقليمية لتركيا (٣١)، ووجود معارضة حادة من جانب الأطراف المشاركة فى مؤتمر لوزان ١٩٢٣؛ وهو ما اضطرها إلى طلب الدعم السياسى من الولايات المتحدة، كان هذا الطلب عاملا مساعدا فى تليين الموقف البريطانى من قضية الامتيازات البترولية التى دار الصراع عليها مع الولايات المتحدة فى الشرق الأوسط. وعلى أثر ذلك أعطت الحكومة الضوء الأخضر لإدارة الشركة الأنجلو فارسية للبدء فى البحث عن إطرار المشاركة الأمريكية. وعلى أثر تلك التطورات الإيجابية فى العلاقة بين المصالح الأمريكية والبريطانية، بدأت الشركات الأمريكية تدخل بقوة فى حلبة المنافسة للحصول على امتيازات التنقيب عن النفط فى كثير من بقاع مناطق الخليج<sup>(٣٢)</sup>.

وقد ظهر اهتمام الولايات المتحدة الأمريكية بساحل الخليج العربى واضحا منذ عام ١٩٢٤، وفى عام ١٩٢٨ أخذ بعض الأمريكيين يحوسون فى أنحاء المملكة العربية السعودية، بخاصة منطقة الإحساء، بحثا عن البترول، نتيجة تنافس الاحتياطى الأمريكى<sup>(٣٣)</sup>.

وكانت أراضى المملكة العربية السعودية من أرائل المناطق التى مثلت ساحة لهذا الصراع والتنافس المحموم<sup>(٣٤)</sup>.

وعلى هذا، بدأ التنافس والصراع بين الشركات الأمريكية والبريطانية على التنقيب عن النفط فى المملكة العربية السعودية، ودام الصراع والتنافس مدة قصيرة، انتهت باختيار الملك عبد العزيز للشركة الأمريكية "ستاندرد أويل أف كاليفورنيا (سوكال)"، بعد مفاوضات مطولة للفوز بامتياز التنقيب، كما أن اكتشاف البترول فى البحرين عام ١٩٣٢ كان عاملا مهما زاد من شهية الشركات الأمريكية؛ وهو ما شجعها على دخول حلبة الصراع النفطى للحصول على امتيازات التنقيب عن النفط فى إمارات الساحل العمانى، وكسر جدار العزلة الذى فرضته الشركات البريطانية للفوز بامتيازات النفط فى تلك المنطقة<sup>(٣٥)</sup>.

التنافس الأنجلو أمريكى على الامتيازات فى الإمارات حتى نهاية الحرب العالمية الثانية:

كان للخلفية السياسية والاقتصادية والاجتماعية التى تكتنف إمارات الساحل العمانى أثر واضح فى احتدام التنافس الأنجلو أمريكى حول الاستحواذ على امتيازات التنقيب عن النفط فى إمارات الساحل. فالتمتع للأوضاع السياسية والاقتصادية للمنطقة يتجلى له كيف أن تلك

الأوضاع أسهمت في تأجيج حدة التنافس بين واشنطن ولندن، وأن الأوضاع السياسية التي مرت بها بريطانيا، ولاسيما عقب الحرب العالمية الثانية، كان لها تداعياتها بالنسبة إلى الاستمرار في السيطرة والهيمنة على مناطق الامتيازات التي حصلت عليها بريطانيا، بحكم علاقاتها التاريخية مع شيوخ إمارات الساحل.

لقد حازت إمارات الساحل العماني حيزا كبيرا في الاستراتيجية البريطانية، إثر اكتشاف البترول في إمارات الخليج المتاخمة لإمارات الساحل العماني<sup>(٣٦)</sup>، ووجود الشركات الأمريكية بشكل مكثف في المنطقة خاصة في المنطقة الشرقية من شبه الجزيرة العربية، إضافة إلى الدراسات التي قامت بها شركة النفط الإنجليزية الفارسية في منطقة الساحل العماني، والتي أكدت بقوة احتمالات وجود النفط في تلك الإمارات<sup>(٣٧)</sup>، ومن ثم اتجهت بريطانيا إلى تكبيل شيوخ الساحل بتعهدات اقتصادية وسياسية، تهدف منها في المقام الأول إلى احتكار امتيازات التنقيب عن النفط في كل إمارات ساحل عمان<sup>(٣٨)</sup>، ومرجعيتها القانونية في ذلك أن مفاوضات التنقيب عن النفط بين الشركات والشيوخ تقع تحت بند العلاقات الخارجية الموط بها إلى 'الإدارة البريطانية طبقا للاتفاقية المانعة التي وقعها بريطانيا مع شيوخ الإمارات عام ١٨٩٢'<sup>(٣٩)</sup>، وبشكل واضح وصريح حصلت بريطانيا عام ١٩٢٢ على تعهدات تلزم شيوخ الساحل بعدم منح امتيازات التنقيب عن البترول في أراضيهم لأي شخص عدا الذي تختاره الحكومة البريطانية؛ وهو الأمر الذي يعد احتكارا سافرا من أجل الحصول على امتيازات التنقيب في الإمارات<sup>(٤٠)</sup>، ويتضح من خلال صيغة التعهدات أنها قد أملت على الشيوخ، ولم يكتبوها بمحض إرادتهم<sup>(٤١)</sup>.

فلا شك في أن نجاح شركة ستندارد كاليفورنيا Standard Oil of California في الحصول على امتيازات التنقيب عن البترول في المملكة العربية السعودية (٤٢)، كان له صدى قوي لدى الدوائر الرسمية البترولية البريطانية؛ لذا أبرم المقيم السياسي في الخليج عام ١٩٢٢ اتفاقية مع حكام إمارات الساحل، منحها امتيازات التنقيب عن النفط في تلك المنطقة للشركات البريطانية<sup>(٤٣)</sup>، وكان لحصول شركة ستندارد على امتيازات التنقيب عن النفط في البحرين عام ١٩٢٨<sup>(٤٤)</sup>، وتمكن شركة Gulf Oil Cooperation من مشاركة الشركة الأنجلو فارسية Anglo - Persian Company في بفق الكويت، أثر فاعل في تزايد حدة التنافس بين الشركات الأمريكية والبريطانية في منطقة إمارات الساحل<sup>(٤٥)</sup>

ونخلص إلى أن تعهدات عام ١٩٢٢ جاءت لتكريس امتيازات التنقيب عن النفط للشركات البريطانية، وهو ما سعت إليه بريطانيا منذ بدايات اكتشاف البترول في إمارات الخليج المتاخمة لإمارات ساحل عمان، ومن ثم شددت بريطانيا قبضتها على تعاملات الإمارات الحارجية، خشية تسلل الشركات الأمريكية الطامحة للنفوذ ببعض امتيازات التنقيب عن النفط في الإمارات، مع التركيز على إمارتى أبوظبي ودبي، فقد أشارت معظم التقارير الجيولوجية إلى ارتفاع نسبة وجود النفط فى المناطق البرية والبحرية لتلك الإمارات<sup>(٤٩)</sup>.

كن الوضع الاقتصادى لإمارات الساحل قبل الحقبة البترولية يتسم بالبدائية والسمط التقليدى؛ إذ فرض الموقع الجغرافى والبيئة الصحراوية والظروف المتاخية العمل فى النشاط البحرى، ومثلت صناعة اللؤلؤ وصيد الأسماك والتجارة أهم الأنشطة الاقتصادية لإمارات الساحل، فى حين كانت الزراعة والرعى والصناعات الحرفية أنشطة اقتصادية ثانوية<sup>(٥٠)</sup>.

وعلى ضوء تلك المعطيات الاقتصادية التى تضيف إليها تردى الأوضاع أكثر إبان حقبة ثلاثينيات القرن العشرين، بسبب أزمة الكساد العالمى التى أدت إلى كساد تجارة اللؤلؤ؛ إذ حدثت تطورات ساعدت على تحسين الوضع المالى، والخروج من تلك الأزمة، كن أهمها البدء فى التنقيب عن النفط<sup>(٥١)</sup>؛ إذ أبرمت بريطانيا عددا من الاتفاقيات الخاصة بالامتيازات النفطية مع شيوخ إمارات الساحل فيما بين عامى ١٩٣٧ و١٩٣٩؛ وهو ما أسهم فى تحسين الوضع المالى لشيوخ الإمارات<sup>(٥٢)</sup>. والملاحظ أن امتيازات التنقيب عن البترول فى الساحل تكاد تتوازى مع اتفاقيات إنشاء الطريق الجوى الإمبراطورى التى بدأت فى أوائل الثلاثينيات<sup>(٥٣)</sup>.

ونستنتج مما سبق أن بريطانيا شرعت فى إبرام الاتفاقيات النفطية والجوية فى هذا الوقت لاستغلال الوضع الاقتصادى المتدهور لإمارات الساحل، على خلفية الأوضاع السابق ذكرها، بوصفها ورقة ضغط لإقناع حكام الإمارات بعقد مثل هذه الاتفاقيات، مقابل قدر من المال يسهم فى الخروج من تلك الأزمة الاقتصادية الطاحنة التى أرخت بظلالها على المنطقة بأسرها. وينهض دليلا على ذلك رصد المسئولين البريطانيين للوضع المالى لإمارات الساحل، مع زيادة إيقاع المباحثات بالنسبة إلى تلك الامتيازات فى خلال فترة الأزمة، وقد استخدمت بريطانيا كثيرا من الآليات لصمن الحصول على امتيازات التنقيب عن النفط فى إمارات الساحل، مستعلة نموذجا التاريخى فى المنطقة، وعلاقاتها الضاربة بحدورها فى القدم مع شيوخ الساحل، فضلا عن استخدام سياسات التهديد والوعيد<sup>(٥٤)</sup>.

## التنافس الأنجلو أمريكي على الامتيازات في الإمارات منذ نهاية الحرب العالمية الثانية:

أسهم الوضع السياسى والاقتصادى فى بريطانيا الذى ألم بها فى أعقاب الحرب العالمية الثانية فى تزايد مزاحمة الشركات الأمريكية للشركات البريطانية، بغية الحصول على امتيازات التنقيب عن النفط فى إمارات الساحل. فلاحظ أنه بعد أن كبلت بريطانيا شيوخ الساحل بتعهدات لتضمن لنفسها امتيازات التنقيب فى تلك المنطقة، كان الوضع العام لبريطانيا فى حالة يرثى لها. فعقب الحرب العالمية الثانية، وهنت الهيمنة البريطانية فى منطقة الخليج، ومن ثم ضعف الدعم الذى كان يقدمه المستولون البريطانيون للشركات البريطانية؛ وهو ما فتح المجال أمام الشركات الأمريكية للسمى للحصول على امتيازات التنقيب، وكان ذلك إيذاناً ببدء فترة عرفت بالوجود الأنجلو أمريكى فى منطقة الخليج. مارست فى خلالها واشنطن ضغوطاً قوية على بريطانيا لقبول سياسة الباب المفتوح، والسماح للشركات الأمريكية بالحصول على بعض امتيازات التنقيب عن النفط فى المنطقة<sup>(١٧٢)</sup>. والأمر الذى لا مراء فيه أن البترول كان العامل الرئيسى للصراع بين الجانبين(٥٣)؛ لذا صارت العلاقات بين الدولتين فى خط أكثر تعرجاً، ولكنها لم تصل إلى مرحلة الصدام المباشر؛ لوجود مصالح حيوية فى المنطقة لكلتا الدولتين<sup>(١٧٣)</sup>.

فقد تشابكت سياستهما تجاه عدد من القضايا والأحداث؛ نذكر منها: أزمة تأمين النفط الإيرانى (١٩٥١-١٩٥٣)، وما تبعها من انتقاص هيبة النفوذ البريطانى فى الخليج، ومعارضة الولايات المتحدة فكرة استخدام بريطانيا القوة العسكرية ضد إيران فى خلال الأزمة، خوفاً من أن يودى ذلك إلى تدخل سوفيتى فى شمال إيران، ومن ثم تصاعد وتيرة الحرب فى المنطقة، واكتفت بتدبير انقلاب ضد الدكتور مصدق (رئيس الوزراء الإيرانى) لإنهاء الأزمة<sup>(١٧٤)</sup>. وهناك أيضاً النزاع الحدودى بين السعودية وأبوظبى على واحة البورى<sup>(١٧٥)</sup>، ورؤية الملك فيصل بأن الاعتراف بالولة الجديدة لابد أن يساير تسوية المنازعات الحدودية القائمة بين السعودية وأبوظبى<sup>(١٧٦)</sup>.

وبرغم اختلاف الرؤى السياسية بين البلدين تجاه بعض قضايا المنطقة؛ فإنهما كانا أكثر ميلاً لتنسيق سياستهما لمواجهة الخطر الشيوعى، وتطوير تيار القومية العربية. وجاء حلف بغداد عام ١٩٥٥ معبراً عن هذا الاتجاه<sup>(١٧٧)</sup>. وقد قام نورى السعيد - رئيس الحكومة العراقية - فى فبراير عام ١٩٥٥ بنشاط مكثف فى منطقة الخليج للترويج لحلف بغداد، وبحث إنشاء حلف الخليج،

لمقاومة الغزو المصري<sup>(١٩)</sup>، والزحف السوفيتي في المنطقة الذي كان يسعى لنشر الفكر الشيوعي في كل جنات المنطقة، عبر إيران. وسط سيطرته على بترول إيران والعراق<sup>(٢٠)</sup>. وقد شنت مصر والسعودية حرباً إعلامية ضد سياسة الأخلاق، خاصة بعد توقيع الميثاق العراقي التركي الذي عد إضعافاً للإرادة العربية<sup>(٢١)</sup>، وحددت مصر موقفها من مسألة الأخلاق أملاً في تنظيم عملية الدفاع مع الدول العربية، وتفعيل نظام الدفاع العربي المشترك<sup>(٢٢)</sup>.

ونلاحظ أن انضمام إيران لحلف بغداد أحدث قدراً من الارتباك للسياسة البريطانية تجاهها؛ إذ فقدت القدرة على خلق توازن بين سياستها التقليدية تجاه إمارات الساحل؛ "أي التصدي للأطماع الإيرانية"، وكيفية التعامل مع إيران بعد أن أصبحت معها في بوتقة واحدة<sup>(٢٣)</sup>. ونلمس هذا الارتباك في الموقف البريطاني الذي لم يعد متشدداً إزاء الادعاءات الإيرانية في الجزر الإماراتية الثلاث (طنب الكبرى، وطب الصغرى، وأبو موسى) وحزر البحرين<sup>(٢٤)</sup>.

ونستنتج مما سبق أن العلاقة بين الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا، لم تكن علاقة صراع على طول الخط، غير أنها شهدت فترات مد وحزر، حسيماً تقتضيه مصلحة كل منهما. ونؤكد أن سنوات ما بعد الحرب العالمية الثانية سجلت نهاية عهد قدم، وبداية عهد جديد في تاريخ المنطقة؛ إذ لاح في أفقها جملة من المعبرات كانت كفيلة بتقويض الموقر البريطاني في الخليج.

وحدثت تطورات محلية وإقليمية ودولية، أرغمت بريطانيا على تبني استراتيجية الانسحاب شرق السويس. وقد حملت تلك التطورات بين ثناياها أوضاعاً سياسية واقتصادية واستراتيجية، لم تستطع بريطانيا في ظلها الاضطلاع بمهامها في المنطقة؛ لذا كان قرار الانسحاب بغية الحفاظ على ما تبقى لها من نفوذ. ولاشك أن العوامل (الاقتصادية والسياسية والاجتماعية) الدافعة للانسحاب، وإن اختلف معدل تأثيرها؛ فإنها شكلت في مجملها مناخاً ضاغطاً على صانعي القرار البريطاني لإقرار سياسة الانسحاب. ومنذ ذلك الحين تنامي الاهتمام الأمريكي بمنطقة الخليج وأمنه ونقطه، مع العمل على استمرار تدفق النفط للغرب، ومواجهة أي مد سوفيتي في المنطقة<sup>(٢٥)</sup>.

وقعت شركة امتيازات البترول المحدودة البريطانية Petroleum Concessions Ltd Coast اتصالات التنقيب عن البترول مع حكام إمارات الساحل عام ١٩٣٩<sup>(٢٦)</sup> الذين قبلوا ذلك على مضض، تحت ضغط بريطاني، واتباع سياسة التهديد والوعيد؛ إذ هددت بريطانيا بعدم إصدار

وثائق السفر، وحجز السفن التابعة لإمارات الساحل، تحت ذريعة تفتيشها وحجزها، لمكافحة تجارة الرقيق، فضلا عن التلميح باستحقاقات اتفاقية عام ١٩٢٢<sup>(١٧١)</sup>. وقد حال اندلاع الحرب العالمية الثانية دون مواصلة الشركة أعمالها، حتى انتهت الحرب<sup>(١٧٢)</sup>، فاستأنفت أعمال الاستكشاف والتنقيب. ومع تعثر اكتشاف البترول بكميات تجارية<sup>(١٧٣)</sup>، تخلت الشركة عن امتيازها في كل الإمارات - ما عدا مناطق أبوظبي البرية، وأضحت تعرف باسم شركة بترول أبوظبي المحدودة<sup>(١٧٤)</sup> لذا منح حكام الإمارات امتيازات التنقيب عن البترول في إماراتهم لشركات جديدة، كان أهمها: شركة أبوظبي البحرية المحدودة للتنقيب عن البترول في المناطق البحرية بأبوظبي عام ١٩٥٣<sup>(١٧٥)</sup>، وشركة بترول دبي للتنقيب عن البترول في المناطق البحرية عام ١٩٦٣، فضلا عن الامتياز الذي منحه إمارة الشارقة عام ١٩٦٩ لشركة الهلال<sup>(١٧٦)</sup>.

وعقب توقيع امتيازات التنقيب عن النفط وجدت ضرورة ملحة لتخطيط الحدود، لكي تتمكن الشركات البترولية من القيام بعملیات المسح الجيولوجي والتنقيب، ومن ثم طفت على السطح مشاكل الحدود، وكان من أبرزها مشكلة البورمي<sup>(١٧٧)</sup> التي حسدت في جوهرها صراعا واضحا بين الشركات النفطية الأمريكية والبريطانية المتنافسة. أكثر من كونها خلافا بين السعودية وأبوظبي<sup>(١٧٨)</sup>؛ إذ أثار تنقيب شركة تطوير بترول الساحل المهادن (البريطانية) في واحة البورمي حفيظة ابن سعود. وقد تزامن ذلك مع وجود شركة أرامكو الأمريكية في واحة البورمي لعمل مسح جيولوجي هناك<sup>(١٧٩)</sup>. ولما كانت بريطانيا المستولة عن الشؤون الخارجية لإمارات الساحل، بموجب الاتفاقية المانعة، طردت القوات السعودية التي دخلت قرية حماسا بواحة البورمي في أغسطس عام ١٩٥٥<sup>(١٨٠)</sup>.

وعلى هذا، قطعت السعودية علاقاتها الدبلوماسية مع بريطانيا، وسعت لعرض القضية على مجلس الأمن. بيد أنها تراجعت، إثر قيام ثورة اليمن عام ١٩٦٢، وحدث التقارب البريطاني السعودي، لمواجهة الوجود المصري في اليمن<sup>(١٨١)</sup>. وقد أوكلت بريطانيا إلى الملك حسين في خلال زيارته إلى منطقة الخليج في فبراير عام ١٩٦٧ مهمة القيام بدور الوساطة لحل مشكلة البورمي، ومن ثم حل الاشتباك الذي حدث بين الشركات الأمريكية والبريطانية على أحقبة أى منهم في 'التنقيب عن النفط'. فادعا - السعودية بأحققتها في واحة البورمي بمنح شركة أرامكو الأمريكية حق 'التنقيب، في حين أن حق أبوظبي في البورمي بمنح شركة تطوير بترول الساحل المهادن (البريطانية) الحق في التنقيب. ولا شك أن الذي أشعل قنبلة الأزمة الحدودية بين المملكة العربية السعودية

وأبوظبي هي شركات النفط الأمريكية والبريطانية المتنافسة<sup>(١٧٨)</sup>. ومع تزايد النزاعات الحدودية بين بعض إمارات الساحل وبعضها؛ مثل النزاع الحدودي بين أبوظبي ودبي عام ١٩٤٥، أعاق عمل شركات التنقيب<sup>(١٧٩)</sup>؛ وسعت بريطانيا إلى إنشاء قوة كشافة ساحل عمان؛ لحماية المصالح النفطية البريطانية، ومنع النزاعات الحدودية بين الإمارات، والدفاع عن إمارات الساحل ضد الأطماع الإقليمية، كما حدث عند طرد القوات السعودية من البويعي<sup>(١٨٠)</sup>.

وما يسترعى الانتباه أن بعض الإرساليات الأمريكية في الخليج التي كانت تقدم نوعاً من الرعاية الصحية لسكان إمارات الساحل<sup>(١٨١)</sup>، أثارت مخاوف لدى البريطانيين؛ إذ خشيت بريطانيا أن يستغل أطباء تلك الإرساليات في تبشير حصول الشركات الأمريكية على امتيازات البترول بإمارات الساحل؛ لذا طالب الوكيل السياسي البريطاني في البحرين بضرورة وجود إشراف طبي في ساحل عمان، وفرض قيود صارمة على زيارات البعثات الإرسالية الأمريكية للساحل<sup>(١٨٢)</sup>، ومن منطلق تخوف البريطانيين من نشاط الإرساليات الأمريكية الطبية في المنطقة قدمت بريطانيا بعض الخدمات الطبية لسكان الساحل، وسعت لمكافحة انتشار وباء الجدري والملاريا في المنطقة. ويرجع ذلك في المقام الأول إلى رغبة بريطانيا في استمرار عرلة إمارات الساحل، وضمان عدم خروج امتيازات التنقيب عن النفط بعيداً عنها<sup>(١٨٣)</sup>.

وبما سبق نستنتج أن الإرساليات الأمريكية في إمارات الساحل كان لها دور في فتح باب للتفاوض مع شيوخ إمارات الساحل، للحصول على حق التنقيب عن النفط في أراضيهم؛ وهو الأمر الذي أرغم بريطانيا على تقديم قدر من الخدمات الطبية لإمارات الساحل، بعد تيقنها من دور أعضاء تلك الإرساليات في الدعاية لشركات النفط.

وانتهزت إيران حالة التخلف التي كانت تعيشها المنطقة، وبادرت بتقديم عدد من الخدمات التعليمية والصحية، وسعت لكسب ولاء سكان المنطقة، من خلال تقديم المساعدات الاقتصادية والاجتماعية<sup>(١٨٤)</sup>. ويُعتقد أن السعودية وإيران استخدمتا العامل الاقتصادي ورقة ضغط لتحقيق أغراض سياسية؛ إذ كانت تحركهما أطماع إقليمية تجاه إمارات الساحل، متمثلة في البويعي بالسبب إلى الرياض، والجزر الثلاث بالنسبة إلى طهران؛ لذا استغلا الوضع الاقتصادي والاجتماعي المتخلف في المنطقة، لاستقطاب سكان إمارات الساحل، وكسب ولائهم.

ونلاحظ من خلال شركات النفط العاملة بإمارات الساحل (شركة نفط أبوظبي المحدودة، وشركة

مناطق أبوظبى البحرية المحدودة "أدما"<sup>(٨٥)</sup>، وشركة نفط فيليبس، وشركة زيت الشرق الأوسط، وشركة توتال أبو البخوش، وشركة نفط البندق المحدودة، وشركة نفط أميراداهيس، وشركة بترول دى، وشركة مناطق دى البحرية، وشركة بترول الهلال، فضلا عن شركة اتحاد نفط كاليفورنيا، وشركة الغاز الطبيعي الجنوبية) أن معظمها شركات أمريكية؛ إذ استطاعت الشركات الأمريكية أن تخرق الجدار الذى فرضته بريطانيا على المنطقة، وتستحوذ على أكبر قدر من الامتيازات فى إمارات الساحل السبع<sup>(٨٦)</sup>.

وقد أثر شيوع إمارات الساحل العماني منح امتيازات التنقيب عن النفط للشركات الأمريكية، بدلا من الشركات البريطانية التى كان لها سبق الحصول على الامتيازات فى بادئ الأمر؛ ويرجع ذلك إلى تركيز المفاوضات الأمريكى، فى خلال تلك المفاوضات، على عدم جدية الشركات البريطانية فى عرضها، وأن غاية ما تتغيبه الشركات البريطانية هو التأكد من وجود البترول فى الأراضى الإماراتية، ثم بيع الامتياز للشركات الأمريكية، والحصول على مبالغ طائلة من المال، ودغما بهذا جهد كبير، كما فعل فرانك هولز الذى باع امتياز البحرين لشركة حلف أوويل الأمريكية، قبل أن تشتره منها ستاندارد كاليفورنيا، وأكد أن الشركات الأمريكية تمتلك إصكانات مادية وفنية كبيرة، وهى لهذا السبب قادرة على الاستمرار فى التنقيب، بدون الإخلال بالتزاماتها المالية. واستدل الوفد الأمريكى على ذلك باللائحة الباهرة التى توصلت إليها شركة ستاندارد كاليفورنيا فى ذلك العام ١٩٣١؛ إذ تدفق النفط فى البحرين<sup>(٨٧)</sup>، إضافة إلى كبر المقابل المادى الذى عرضته الشركات الأمريكية، مقارنة بعرض الشركات البريطانية التى كانت عاجزة عن تقديم عروض أكثر سخاء فى ظل الضائقة الاقتصادية التى كانت تمر بها بريطانيا، ولاسيما بعد أن انتهت الحرب العالمية الثانية، وخرجت منها بريطانيا منهكة اقتصاديا وسياسيا<sup>(٨٨)</sup>. وهكذا عجزت الشركات البريطانية عن محاربة الشركات الأمريكية التى حازت معظم امتيازات التنقيب فى إمارات الساحل السبع<sup>(٨٩)</sup>.

وتعد أبوظبى أولى إمارات الساحل التى اكتشف بها البترول؛ إذ اكتشف بكيمات بحرية فى حقل أم الشيف البحرى عام ١٩٥٨، وبدأ تصدير أول شحنة منه فى ٣ يونيو عام ١٩٦٢<sup>(٩٠)</sup>، وفى ديسمبر عام ١٩٦٣ صدر البترول من حقل الباب البرى<sup>(٩١)</sup>، وجاءت إمارة دى فى المكافة الثانية من حيث أهميتها البترولية، فقد اكتشفت شركة نفط دى فى يونيو عام ١٩٦٦ البترول فى حقل فاتح البحرى، وصدرت أول شحنة منه فى سبتمبر عام ١٩٦٩<sup>(٩٢)</sup>.

وهكذا يتضح أن الإمارات دخلت في ميدان الإنتاج النفطي عام ١٩٦٢، مع بداية تصدير النفط من حقل أم الشيف البحري، ثم تبع ذلك تصدير النفط من الحقول البرية بأبوظبي والبحرية بدبي، وفي عام ١٩٧٠ اكتشف البترول في حقل مبارك بإمارة الشارقة<sup>(١٤٣)</sup>.

كما استأثرت الشركات الأمريكية بشراكة إماراتية على امتيازات الغاز الطبيعي؛ إذ تنتج إمارة أبوظبي الغاز من جميع الحقول المنتجة للبترول، سواء البحرية أو البرية، واضطلع بدور تصنيع الغاز في أبوظبي شركتا أبوظبي لتسييل الغاز المحدودة "أدجاز"، وشركة أبوظبي لصناعات الغاز المحدودة "جاسكو"<sup>(١٤٤)</sup>.

### خاتمة:

يتضح من خلال هذه الدراسة كيف أن الصراع بين الشركات الأمريكية والبريطانية انتقل من المجال الاقتصادي ليلقى بظلاله على العلاقات السياسية بين الدولتين؛ إذ وقفت كل دولة إلى جانب شركاتها النفطية، تدعمها بكل ما أوتيت من قوة، وتوفر لها كل السبل لتضمن لها التفرد بأكبر مساحة من امتيازات التنقيب عن النفط، وهذا يعد تنظيماً واقعياً لنسبة أبرزهاور الرئيس الأمريكي في خمسينيات القرن العشرين الذي أكد أن الشركات سيكون لها تأثير فاعل في قرارات الحكومات في خلال الحقبة القادمة.

وقد أدت الصراعات بين الشركات الأمريكية والبريطانية، ومن ثم صراع الحكومات، إلى تفجر مشاكل الحدود في المنطقة، فمشكلة البورمي والجزر الثلاث، ينهضان دليلاً على أن أساس تلك المشكلات كان صراعاً خفياً بين شركات التنقيب عن النفط في إمارات الساحل، كما أن العلاقات السياسية بين بريطانيا وإيران، ولاسيما ارتباطهما معا بحلف بغداد، جعل بريطانيا تغض الطرف عن الادعاءات الإيرانية في الجزر الثلاث، وما بهما من امتيازات للتنقيب عن النفط، ولاسيما جزيرة أبو موسى.

نضيف إلى ذلك أنه مع أقول القوة البريطانية السياسية، توارت معها الشركات البريطانية التي كانت تتمتع في خلال ثلاثينيات القرن العشرين بهيمنة واضحة من قبل شركاتها على معظم امتيازات التنقيب عن النفط، ليس في إمارات الساحل فحسب، بل في منطقة الخليج برمتها، لتفسح المجال للشركات الأمريكية التي كانت مدعومة من قبل قوى عظمى خرجت في أعقاب

الحرب العالمية الثانية، لتسيطر على مقدرات المنطقة، وتدفع شركاتها قدما للأمام نحو مزيد من امتيازات التنقيب عن النفط، وتنحى الشركات البريطانية جانبا، في ظل وهن بريطاني سياسي واضح.

وعلى هذا فإن العلاقة بين الوضع السياسي للدولتين كان عامل الفصل في سيطرة شركات كل جانب على الآخر.

وها نشير إلى مقولة هارولد لاسكى في كتابه "تأملات في ثورة العصر" أنه لا يمكن الفصل بين السياسي والاقتصادى والاجتماعى؛ لأن الفصل بينهم يعد تعسفيا.

ويتضح من ذلك أن الوضع الاحتكارى، والعزلة التى سعت بريطانيا جاهدة لفرضها على إمارات الساحل، والقبضة الحديدية التى ظلت تحكم بها المنطقة، ما بره على قرن ونصف، كل هذا أخذ يتهاوى، ولاسيما بعد الحرب العالمية الثاسة التى عصفت ببريطانيا بوصفها قوة عظمى لا تغيب عنها الشمس، وفتحت الباب على مصراعه أمام قوة أمريكية طامحة تمتلك شركات بإمكانات مالية وإدارية وتقنية ضخمة، استطاعت أن تزيع بريطانيا عن عرشها لتؤرخ لحقبة جديدة من التنافس الأنجلو أمريكى، استطاعت فى خلالها واشنطن أن تقر سياسة الباب المفتوح، وتفسح المجال أمام الشركات الأمريكية، لتحصل على قدر من امتيازات التنقيب عن النفط، ثم أعقب تلك الحقبة فترة ما زلنا نعاصرها حتى هذه اللحظة؛ هى فترة التفرد الأمريكى بمعظم امتيازات التنقيب عن النفط فى إمارات الساحل العمانى (دولة الإمارات العربية المتحدة).

## الهوامش

(\*) الإمارات السبع هي: أبوظبي، ودبي، والشارقة، ورأس الخيمة، وأم القيوين، والعجيرة، وعجمان ولتتبع الأصل التاريخي لكل إمارة من إمارات الساحل السبع، ومساحة كل إمارة وموقعها، راجع:

Malakh R. EL., The Economic Development of the United Arab Emirates, London, 1981, pp. 5-9

(\*\*) ساحل القرصنة. ترجع تسمية المنطقة بساحل القرصنة إلى حقبة الوجود البرتغالي في الخليج، إذ أطلق هذا اللقب على أعمال أئمة دولة البعارة، إبان جهادهم من أجل تحرير عمان وساحل أفريقيا الشرقي، من الاحتلال البرتغالي في القرن السابع عشر، كذلك بعث الإنجليز القواسم بالقرصنة، إثر مهاجمتهم السفن البريطانية التي كانت تبخر في الخليج، ويمكن إرجاع هجوم القواسم على السفن البريطانية إلى عوامل اقتصادية ودينية وسياسية، وبهذا لم يكن لتلك الأعمال أية علاقة بأعمال القرصنة. ولعل لصاق تهمة القرصنة بالقواسم حسب الزعم البرتغالي والبريطاني، شبه بما بلصق في وقتنا الراهن من يدافع عن أرضه ومقدساته بالإرهابي. لمزيد من التفاصيل عن ساحل القرصنة. راجع

S. M. Al-Qasbi, The Myth of Arab Piracy in the Gulf, London, 1986, pp. 31-51. Sir R. Hayat E. Rear, the Persian Gulf States, Washington D 1959, p. 113

(\*\*\*) كانت عمان الكبرى حاضنة للواء دولة البعارة من (١٦٤٤ - ١٧٤٣)، وقد نجحت تلك الدولة في تحرير عمان من احتلال البرتغاليين، ولكن سرعان ما تشرمت تلك الدولة، إثر الصراع الداخلي، ودعم القوى الأجنبية الطامحة في المنطقة لهذا الصراع. لمزيد من التفاصيل عن دولة البعارة، انظر: ج. ح. لوزري، دليل الخليج، ترجمة. مكتب أمير دولة قطر، القسم التاريخي، الجزء الثاني، ص ٦٢٦-٦٢٧.

(٢) عادل رضا: عمان والخليج العربي، دار الكتاب العربي، القاهرة، ١٩٩٩، ص ١٠٠.

(٣) محمد عبد الله مرسى: دولة الإمارات العربية المتحدة وجيرانها، ط ١، دار القلم، الكويت ١٩٨١، ص ١٢٠.

Long, E. A. The Persian Gulf An Introduction to its Peoples, Politics, and Economics, the Middle East, Colorado, 1978, p. 16

Shaban, M. A. Arabia and the Gulf from Traditional Society to Modern States, London (5) 1986, p. 146

(٦) جمال زكريا قاسم: دولة اليعسوب في عمان وشرق أفريقيا ١٧٤١ - ١٨٦١، مكتبة القاهرة، القاهرة ١٩٦٨، ص ٨٠.

(٧) يوسف أبو الحجاج: دولة الإمارات العربية المتحدة، دراسة تحليلية للملامح العامة، في: "دولة الإمارات العربية المتحدة. دراسة مسح شاملة"، معهد البحوث والدراسات العربية، القاهرة ١٩٧٨، ص ٦٠.

(\*\*\*\*) كانت الحملة البريطانية الأولى ضد القواسم عام ١٨٠٥، والثانية عام ١٨٠٩، ولريد من التفاصيل عن الحملات البريطانية الثلاث ضد القواسم، انظر: ج. ج. لورير، مرجع سابق، ص ٩٧٦-١٠٢٣.

Anthony, J. D. Arab States of Lower Gulf: People Politics Petroleum, Washington D C, (٨) 1975, p 240

Mansfield P The Middle East: A Political and Economic Survey, Fifth, (٩) Edition, London, 1989, p. 240

(\*\*\*\*\*) ما أشبه الليلة بالبارحة؛ إذ أطلق مصطلح السلام البريطاني Pax-Britannica في منطقة الخليج تعبيرا عن هيمنة بريطانيا على مقدرات المنطقة في خلال القرنين ١٩ و ٢٠، ومع فرض أمريكا مظلتها على المنطقة وتسلم إرث الإمبراطورية البريطانية، أصبحنا نسمي عن Pax-Americana

Country Profile, The Economist Intelligence Unit, London, 1987, p. 3 (١٠)

(١١) أحمد قاسم البوريني: الإمارات السبع على الساحل الأخضر، دار الحكمة، ب.ت، ص ١٧٧.

Common House, Record of the Arab World, 13 Marsh, 1892, p 44 (١٢)

Mansfield. P, op. cit, p. 184 (١٣)

(١٤) محمد عبد الله مرسى: مرجع سابق، ص ٣٣- مصطفى عبد القادر الجار: الحركة العربية السياسية، ص ١٣٨.

(١٥) سيد فاروق حسن، ترجمة: محمد عبد العسي المسعودي: مسح تاريخي للمصالح الأوروبية في منطقة الخليج العربي، مجلة الخليج العربي، العدد ٢٥، ١٩٨٧، ص ٨٩؛ جمال زكريا قاسم: مخفارات من وثائق الكويت والخليج العربي، ص ٣٣.

(١٦) إبراهيم شرف: البترول أهم سلاح من أسلحة الحرب الحديثة - بحث مقدم إلى المؤتمر العربي الثاني، بيروت، أكتوبر ١٩٦٠، ص ٩، د. راشد البراوي: حرب البترول في الشرق الأوسط، ط ٥، ١٩٦٢، ص ٤٥.

(١٧) بيير فونتين، السياق الجديد نحو البترول، ترجمة: د. جلال صادق، ١٩٦٢، ص ٩.

- Hoskins Halford Middle East Oil in United States Foreign Policy, Public Affairs, Bul letin, 1977, p. 2 (١٨)

Roosevelt Kermit, Arabs, Oil and History, New York, 1955, p 12 (١٩)

(٢٠) هارفي أكونور: الأزمة العالمية في البترول، ترجمة: عمر مكاوي، مراجعة: د. راشد البراوي، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، القاهرة ١٩٦٧، ص ٨٧.

(٢١) محمد صبحي الإترى: مدخل إلى دراسة الشركات الاحتكارية متعددة الجنسية، منشورات المعط والتسمية، بغداد ١٩٧٧، ص ٨.

FCO, British Embassy, Washington, to FCO, September, 7, 1973, U.S Policy in the (٢٢) Middle East

(٢٣) مجموعة من الباحثين: السياسة الأمريكية والعرب، مركز دراسات الوحدة العربية، ١٩٩١، ص ٢٧.

(٢٤) كان اتفاق (سان ريمو) محاولة لتنظيم تقاسم النفوذ والسيطرة بين فرنسا وبريطانيا، وقد حصصت أهم البندوب الواردة فيه لتنظيم حصص البلدين في بترول العراق؛ إذ رفعت حصة فرنسا إلى ٢٥٪ هي شركة البترول التركية، وفي المقابل سمحت فرنسا بتمديد خطوط الأنابيب التي تنقل بترول الموصل إلى شاطئ البحر المتوسط، مروراً بـ سوريا الخاضعة لسيطرة الفرنسيين، ويمكن عد اتفاق سان ريمو اتفاقاً بشأن النفط في الدرجة الأولى، أندريه نوسشي، الصراعات البترولية في الشرق الأوسط، ص ٧١-١٢٣

(٢٥) المرجع السابق، ص ١٢٥.

(٢٦) مجموعة من الباحثين: السياسة الأمريكية والعرب، مرجع سابق، ص ٢٩.

(٢٧) أندريه نوسشي: مرجع سابق، ص ١٥٨.

Arabian Gulf Concessions 1911-1953, Documents from the India Office, Recording the (٢٨) Negotiations and Agreements for the first Land- Based Oil Concessions in Kuwait, Bahrain, Qatar, the Trucial States and Muscat and Oman, London, 1989, pp.77-79

(٢٩) أحمد عبد الرحمن مصطفى، الولايات المتحدة والشرق العربي، عام المعرفة العدد ٤، الكويت ١٩٦٥، ص ١٤. أنتوني سامبسون، الشفقات النسخ، شركات البترول الكبرى والعالم الذي صنعتها، ١٩٧٦، معهد الإنماء العربي، ص ١٠٩.

(٣٠) أندريه نوسشي: مرجع سابق، ص ١٥٩.

(٣١) وقعت معاهدة (سيفر) بين الحلفاء في أغسطس ١٩٢٠، وقد قضت بسلخ مجموعة من الأقاليم عن تركب وإلحاقها بدول مجاورة، أو جعلها مفصولة تحت الانتداب، كما تنظم المعاهدة امتيازات رعاية الحلفاء في تركيا والأراضي العثمانية السابقة، لكن الأتراك قاموا بثورة وحراروا الجيش اليوناني الذي سلمت إليه بعض أقاليم البلقان، فدهروه في معركة سماريه (سبتمبر ١٩٢١)؛ وهو ما أضعف من قيمة المعاهدة، وألغيت أخيراً في مؤتمر لوزان (سيفر ١٩٢٣).

Niblock, T Social and Economic Development in the Arab Gulf London, 1980, P (٣٢) 34-35

(٣٣) سيد نوفل. الأوضاع السياسية لإمارات الخليج العربي وحول الجزيرة، الكتاب الأول، معهد البحوث والدراسات العربية، القاهرة، ط ٣، ١٩٦٦-١٩٦٧.

(٣٤) أحمد مدحت إسلام. الطاقة ومصادرها المختلفة، ط ١. مركز الأهرام للترجمة والنشر، القاهرة ١٩٨٨.

Witchell K S T: Saudi Arabia with an Account of the Development of its Natural Resources – third edition – Greenwood Press 1969- p 222

سيد فتحى الخولى: اقتصاديات البترول، ط١، مكتبة دار حافظ للنشر والتوزيع، جدة ١٩٨٨، ص٣٤٧.

(٣٦) روزمارى سعيد زحلان: الوحدة والحكم البريطانى، حالة الإمارات العربية المتحدة، فى: "تجربة دولة الإمارات العربية"، مركز دراسات الوحدة العربية، ط٤، بيروت ١٩٩٩، ص١١٧.

R. EL Malakh, op cit, p.1

(٣٧) دكتور سيد نوفل: مرجع السابق، الكتاب الثانى، ص١٩٦-١٩٧

(٣٨) محمد حسن العبدروس: التطورات السياسية فى دولة الإمارات العربية المتحدة، ذات السلاسل، الكويت، د. ت، ص١٧٤.

(٣٩) رياض نجيب الريس: صراع الواحات والنفط، هموم الخليج العربى ١٩٦٨-١٩٧١، ط١، بيروت، ١٩٧٣، ص٢٣٢.

(٤٠) وثيقتا تعهد من حاكمى الشارقة ودبي فى عام ١٩٢٢ حول امتيازات البترول، نقلا عن سيد نوفل: الأوضاع السياسية لإمارات الخليج العربى وحروب الجزيرة العربية، ص١٩٤-١٩٥.

(٤١) أحمد زكريا الشلق وآخرون: التاريخ لسياسى لإمارات الخليج العربى، ص١٨٠.

H. Hoskins, The Middle East Problem Area in World Politics, NewYork, 1955, p.208 (٤٢)

(٤٣) محمود على الداود: عوامل الوحدة والتحررة فى الجزيرة العربية، فى: "تجربة دولة الإمارات العربية المتحدة"، ط٤، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ١٩٩٩، ص٢٨؛ روزمارى سعيد زحلان: مرجع سابق، ص١١٧.

R F Mikesell & Hollis B Chenery, Arabian Oil: Americans Stake in the Middle East, the University of North Carolina, 1949, p.60 (٤٤)

(٤٥) بيتر ر. اوديل: النفط والقرعة العالمية، حلقة أزمة النفط، ترجمة: راشد البراوى، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٧٧، ص٢٠٨.

Sir R. Hay & E. Rear, op. cit, p.93-94

(٤٦) إبراهيم إبراهيم: أثر النفط على قيام دولة الإمارات العربية المتحدة، فى: "تجربة دولة الإمارات العربية المتحدة"، مركز دراسات الوحدة العربية، ط٤، بيروت، ١٩٩٩، ص١٨٣.

(٤٧) محمد ياسر شرف: مجتمع الإمارات، دار المنشى، أبوظبى ١٩٩٢، ص٢.

(٤٨) محمد عبد الله مرسى: مرجع سابق، ص١٤٥، ١٤٨-١٤٩.

- (٤٩) إبراهيم إبراهيم: مرجع سابق، ص ١٤٨-١٤٩.
- (٥٠) روزماری سعيد زحلان: مرجع سابق، ص ١٢-١٢١.
- (٥١) وزارة التخطيط: الملامح الرئيسية للتطورات الاقتصادية والاجتماعية في دولة الإمارات العربية المتحدة في حلال المدة ١٩٧٥-١٩٨٥، ص ٢١-٢٥.
- (٥٢) محمود علي الداود: الخليج العربي في العلاقات الدولية، ص ١٨١.
- (٥٣) ف. تروخانوفسكى: سياسة بريطانيا الخارجية خلال الحرب العالمية الثانية، ترجمة: عبد الحميد الجمال، مراجعة وتقديم: عبد الحائق لاشين، مكتبة سعيد وأخت، القاهرة، ١٩٧٦، ص ٤٨٨.
- (٥٤) ك.م. وهاوس: السياسة الخارجية البريطانية بعد الحرب الثانية، ترجمة: حسن القبانى، المؤسسة الدولية للنشر، ب.ت، ص ٣١.
- (٥٥) وثائق وزارة الخارجية المصرية: محفظة ٤٨٩، الملف الأول، تقرير حول الحدث الذى دار بين سفيرى مصر وواشنطن فى ١٨/١٢/١٩٥٢، أرشيف سرى جديد.
- (٥٦) Fenelon, K.G: The Trucial States, p 89
- (٥٧) International Journal of Middle East Studies, vol. 12, no 4, Dec 1980, pp 541-542 ; Melamid, A: op. cit, pp. 542-45
- (٥٨) وثائق الخارجية المصرية: محفظة ٥، بغداد، ملف ٣٧/١-٣٨/١، ج ١، حلف بغداد، تقرير رقم ٢٥٨ من القائم بالأعمال المصرى بطهران إلى وكيل الخارجية بشأن حلف بغداد والهيكل التنظيمى للحزب ولجانه، فى ١٦/١١/١٩٥٧، سرى للغاية.
- (٥٩) وثائق الخارجية المصرية: محفظة ١٤٠٦، ملف ١٧/٢٧/٣٨، ج ٤، حلف بغداد، مرفق بتقرير ١٨٤ من السفير المصرى ببغداد إلى وكيل وزارة الخارجية النائم بشأن اجتماع المجلس الوزارى لحلف بغداد فى طهران، فى ٢٢/٥/١٩٥٦، سرى للغاية.
- (٦٠) F.O 371/115514, Extract, From the Hearings before the Committee of Foreign Relation United States Senates, May, 6, 1955
- (٦١) F O 371/113579, Tele, No118, from, British Embassy Cairo to F O, July, 18, 1955
- (٦٢) F.O 371/113578, Tele, no 72, from British Embassy Cairo to F.O, March, 29, 1955
- (٦٣) صلاح العقاد: التيارات السياسية فى الخليج العربى، مكتبة الأنجلو، القاهرة، د.ت، ص ٣٢٩
- (٦٤) محمد حسن العبدروس: الحزب العربى والاحتلال الإيرانى: نموذج للعلاقات العربية الإيرانية، دراسة وثائقية أرشفة، ج ٣، محمد رضا حان والجزر العربية ١٩٤١-١٩٧٩، دار الكتاب الحديث، القاهرة ٢٠٠٢، ص ١٠١

- (٦٥) هادي طعيمة: الخليج العربي والاستراتيجية الاستعمارية البريطانية الخاصة، القاهرة، ١٩٧١، ص ٥٦.
- (٦٦) دائرة التخطيط، مركز الإحصاء، أبوظبي، يوليو ١٩٨١، ص ٤٠.
- (٦٧) محمد مرسى عبد الله: مرجع سابق، ص ٩٠-٩١، روزماری سعيد زحلان، مرجع سابق، ص ١٢.
- (٦٨) H Hoskins, Op Cit, PP 208,209, EL- Malakh, op. cit, p. 89
- (٦٩) K G Fenelon, The United Arab Emirates, p 32
- (٧٠) EL- Malakh R., op. cit, p.89
- (٧١) R F Mikesell & H B Chenery, op. cit, pp 116-117
- (٧٢) موسوعة زايد: مرجع سابق، ص ١٦٢.
- (٧٣) كانت مشكلة البوريني من أكثر النزاعات الحدودية تعقيدا في منطقة الخليج؛ إذ شمل النزاع ثلاثة أطراف: السعودية وأبوظبي ومسقط، وقد تم التوصل إلى تسوية لتلك المشكلة عام ١٩٧٤، على ضوء الاتفاق الذي أبرمه بين الشيخ زايد حاكم دولة الإمارات والملك فيصل المعاهد السعودي. لمزيد من التفاصيل عن أزمة البوريني ومباحثات تسويتها ومؤتمر النداء، ومسألة التحكيم في حيف حتى اتفاق ١٩٧٤ بين فيصل وزايد، راجع: ابتسام حسون، مرجع سابق، ص ٢٦١-٢٩٣.
- R S. Zahlan, The Origin's of the United Arab Emirates, pp 192-194
- (٧٤) إبراهيم إبراهيم: مرجع سابق، ص ١٨٧.
- (٧٥) Arabian Gulf Concessions 1911-1953, Documents from the India Office, Recording the Negotiations and Agreements for the first Land- Based Oil Concessions in Kuwait, Bahrain, Qatar, the Trucial States and Muscat and Oman, London, 1989, p.457
- (٧٦) Mikesell & H. B. Chenery, R. F., op. cit, pp 118-119
- (٧٧) ابتسام عبد الأمير حسون: مرجع سابق، ص ٢٨٩، ٢٩٣.
- (٧٨) عن زيارة الملك حسين إلى أنظار الخليج العربي (البحرين - قطر - أبوظبي - دبي - رأس الخيمة) في فبراير ١٩٦٧، وأهم المباحثات حول قضايا المنطقة، راجع:
- F O 17/299, Tele, no 98, from British Embassy, Amman to F O, King Hussein's Visit, 27, January, 1967 F O 17/299, Tele, from Political Agency, Bahrain to F O, no 38, 20, January, 1967
- (٧٩) R S Zahlan, The Origin's of the United Arab Emirates, p 191
- (٨٠) إبراهيم إبراهيم: مرجع سابق، ص ١٩٠.

- (٨١) عبد القوي فهمي: مرجع سابق، ص ٤١٩-٤٢٢.
- (٨٢) محمد عبد الله مرسى: مرجع سابق، ص ٧٩، ٨٦.
- (٨٣) عبد القوي فهمي: مرجع سابق، ص ٤٢٣.
- (٨٤) جمال زكريا قاسم: إمارات قديمة ودولة حديثة، ص ٦٩. محمد عبد الله مرسى: مرجع سابق، ص ٩٢.
- (٨٥) تقرير وزارة البترول والثروة المعدنية: البترول في دولة الإمارات، أبوظبي، ١٩٧٧، ص ٢-٧.
- (٨٦) محمد علي الفراء: جغرافية البترول في دولة الإمارات العربية المتحدة، في: "دولة الإمارات العربية المتحدة، دراسة مسحية شاملة"، معهد البحوث والدراسات العربية، القاهرة ١٩٧٨، ص ٤٤٠، ٤٤٣؛ خزعل الجاسم: دور قطاع النفط والغاز في البرنامج الإيماني لإمارة أبوظبي ١٩٨١-١٩٨٥، ودوره في تحطيط التنمية الاقتصادية والاجتماعية، دائرة التخطيط، أبوظبي، يوليو ١٩٨١، ص ٤٤-٤٥.
- (٨٧) سيد فتحى الحلوى: اقتصاديات البترول، ط ١، مكتبة دار حفظ للنشر والتوزيع، جدة ١٩٨٨، ص ٣٤٧.
- (٨٨) أنتوني سامبسون: الشفقات المسح شركات البترول الكبرى والعالم الذي صنعتها، معهد الإعمار العربى، ١٩٧٦، ص ١٣٥.
- (٨٩) قصة النفط، مرجع سابق، ص ٧١.
- (٩٠) Fenelon, K G : The United Arab Emirates, pp 38-39
- (٩١) جمال زكريا قاسم: إمارات قديمة ودولة حديثة، ص ٥٣.
- (٩٢) موسوعة زايد: مرجع سابق، ص ١٦٩.
- (٩٣) عبد الرحمن عيسى، محمد إبراهيم الشاعر: الاستراتيجية القومية لدولة الإمارات العربية المتحدة، ط ١، دمشق، ١٩٧٨، ص ٣٣؛ وزارة التخطيط: التقرير الاقتصادي لعام ١٩٩٢، إدارة التخطيط، أبوظبي، ١٩٩٣.
- (٩٤) موسوعة زايد: مرجع سابق، ص ١٦٤.

## أضواء على الصحة العقلية في القاهرة العثمانية

٩٢٣ - ١٢١٦ هـ / ١٥١٧ - ١٨٠١ م

كثير الحديث في الآونة الأخيرة في وسائل الإعلام المقروءة والمسموعة والمربوطة عن الأمراض النفسية، كما تشجع الجامعات الباحثين على دراسة مثل هذه الموضوعات لما لها من تأثير على مسار التنمية الاقتصادية والاجتماعية، ولربط العلم بالمجتمع من خلال بحوث تؤدي إلى حل مشكلاته، بغية الوصول إلى أفضل النتائج في مجال التنمية البشرية. وعلى الرغم من عدم تخصصي في الطب أو الاجتماع، غير أنني أردت تناول الصحة العقلية في المجتمع المصري خلال العصر العثماني ٩٢٣ - ١٢١٦ هـ / ١٥١٧ - ١٨٠١ م، نظراً لأن المتخصصين في الطب أو الاجتماع لا يستطيعون الرجوع إلى هذه الأزمنة البعيدة لتنوع أنواع وأعراض الأمراض التي كانت تحمل أحيانا مسميات مختلفة عن مسميات الوقت الحاضر، وبالتالي لا يستطيعون معرفة ما استخدم من الأعشاب والنباتات لعلاج مثل هذه الأمراض، والتي ربما تكون أفضل مما هو مستخدم حالياً. ومن هنا ليس أمام الباحث في الطب أو الاجتماع إلا أن يقوم باستكمال ما وصل إليه الباحثون السابقون عليه. أما دراسة الباحث في التاريخ لمثل هذه الموضوعات فإن الهدف منها هو معرفة العوامل التي أدت إلى

هذه الأمراض وطرق علاجها ، والعلاقة بين الصحة العقلية والصحة البدنية ، وأثر الصحة العقلية على السلوك الاجتماعي ، ونسبة المصابين بالأمراض العقلية في المجتمع خلال تلك الفترة ، وطرق العلاج ، والجهة التي قامت بعلاج مثل هذه الأمراض .

ونظرا للارتباط الوثيق بين الصحة العقلية والنفسية لابد أولا من معرفة معنى الصحة النفسية .

فالصحة النفسية Mental Health هي قدرة الفرد على التوافق والتكيف مع نفسه ومع مجتمعه . وعقد صلات اجتماعية تتميز بالأخذ والعطاء والتعاون والتسامح ، واختيار الآمال والأهداف التي تتناسب مع واقعه وإمكاناته والقدرة على مواجهة الأزمات النفسية التي تطرأ عليه وإحساسه بالسعادة والرضا .<sup>(١)</sup>

والمرض النفسي ، والمرض العقلي ، مظهران لاضطراب الشخصية ، غير أن هناك اختلافاً بينهما ؛ فالأمراض النفسية هي اضطرابات تكون العوامل النفسية صاحب البد الطولي فيها ، وتتخذ شكل صراعات داخلية ، وتصدع في العلاقات الشخصية تؤدي إلى مظاهر خارجية كالقلق Anxiety والتوتر Tension . وتعتبر الظروف البيئية المسببة التي يعيش فيها الفرد من أهم الأسباب التي تؤدي إلى مثل هذه الأمراض .<sup>(٢)</sup>

أما المرض العقلي Psychosis (موضوع الدراسة) فهو اضطراب في الشخصية ، و هو أخطر من المرض النفسي ، حيث يبدو في صورة اختلال عنيف في القوى العقلية ، وعجز ظاهر عن ضبط النفس ، الأمر الذي يعوق قيام علاقات اجتماعية متوافقة بين الفرد و غيره ، بل وعدم قيم توافق بين الفرد وذاته .<sup>(٣)</sup>

وترجع مصادر العصر العثماني وجود مثل هذه الأمراض - التي نظر إليها على أنها ضرب من الجنون<sup>(٤)</sup> - إلى ارتفاع درجة الحرارة في مصر وطبيعة أرضها التي أدت إلى جعل بعض سكانها سوداويين<sup>(٥)</sup> كما أضاف داود الأنطاكي إلى هذه الأسباب الهموم معرفاً أياها بأنها (أشغال النفس بما ستلقاه من مكروه ، فيغلي الدم) مما يؤدي إلى إفساد الحواس ، وقد أوضح بأن أقل الناس هما ذو الأمزجة الباردة Cold Temperament ، وأكثر الناس هما من (غزر عقله وصح حسه) . لتوفر نظرة في العواقب ، كما أوضح أنه يترتب على الهموم بدون مخرج لها قتل أصحابها ، وأقل ما تحدث في البدن سرعة الشيب والهزال والسيان واحتلال العقل<sup>(٦)</sup> ، مضاف إلى ذلك إقبال بعض المصريين أغنياً أو فقراء على تعاطي المخدرات بأشكالها المختلفة ،

والتي كان مسموحا ببيعها بمحلات خاصة بها ، ويطلق على باتمها ومحصرها المعجوني، والتي اعتقد المصريون أنها سبب السعادة والراحة<sup>(١٧)</sup> ، بالإضافة إلى إقبال البعض على شرب الخمر ، إلا أن الإفاقة من هذه المواد المخدرة والمسكرات ، مع عدم القدرة على شرائها عند الفقراء ربما يؤدي إلى تلك النوبات العصبية التي نشاهدها في الوقت الحالي لحالات المدمنين المحاولين الإقلاع عن الإدمان والذين يكون مأواهم المصحات النفسية والعقلية. ويؤكد على ذلك عبد العزيز القوصي، حينما أشار إلى أن (إدمان الخمر أو المخدرات يؤدي إلى تعطيل العمليات العقلية، وإفساد التفكير، واختلال الأحكام التي يصدرها الفرد، واضطراب إدراكاته ، فهي تدفع بعض الناس للبيكا، وبعضهم للانتحاض، وبعضاً ثالثاً للمرح، وبعضهم للغضب والهياج ، كما أنها تؤدي إلى نتائج عقلية دائمة كضعف الذاكرة، وتأخر القدرة على التفكير المنطقي المنظم، وتسلب الأوهام والوساوس)<sup>(١٨)</sup> نضيف إلى ذلك سببا آخر وهو ما يشير أصحاب السلطة والنفوذ في مصر وبخاصة البكوات المالكي من الرعب والفرع لدى الفقراء ، والتي يؤدي أحيانا إلى دهاب العقل ، وخير مثال على ذلك اتهام علي بك الكبير (ت ١١٨٧ هـ - ١٧٧٣ م) لأحد الشباب بمدينة دمنهور بتهريب السلاح للعراب ، فأمر بقطع رأسه، إلا أنه اكتشف الحقيقة في اللحظة الأخيرة، وأطلق سراحه، ولكن ترتب على الرعب الذي عاش فيه هذا الشاب فقداه لصوته.<sup>(١٩)</sup>

وأخيرا كثيرا ما كان يتم الزواج بأحد الأشخاص بالبيمارستان<sup>٢٠</sup> اطمعا في ماله، أو انتقاما منه لسبب ما ، فقد شاهد ديجنت Desgenttes كبير الأطباء في الحملة الفرنسية على مصر عند زيارته للبيمارستان المنصوري-<sup>٢١</sup> وهو البيمارستان الوحيد الذي بأوى المرضى العقليين في مصر خلال فترة الدراسة - فتاة وصفها بقوله (شابة جميلة جالسة على أرض الحجر ترسف في أغلالها وهي تكاد تكون عارية في أسماها البالية الممزقة) ، وعند اقترابه منها فرحت برؤيته، وحاولت محادثته بعصبية شديدة، لم يفهم منها ديجنت شيئا لاختلاف لفته الفرنسية عن لغتها العربية، غير أنه أشفق عليها ، وتتبع حالتها قائلاً : (خطر لي أنها ليست مجنونة، وأن بعض الأشرار قد زجوا بها في المويستان ظلما وكيدا) ، وتبين له بعد ذلك أنه كان محق فيما اعتقد ، وأخرجها من البيمارستان.<sup>(٢٢)</sup>

و قد أطلقت المصادر الطبية في العصر العثماني على الأمراض التي تصيب الرأس و تؤدي إلى زوال العقل، مسمى المالبخوليا<sup>(٢٣)</sup>. ويندرج تحت هذا المسمى أنواع عديدة من الأمراض العقلية يوضحها الجدول التالي<sup>(٢٤)</sup>.

السمات	أنواع المالمخوليا	القطرب	المائريا	الصبار	الهذبان والجسور
سبب المرض	المعدة	السوداء	السوداء : إذا كان المرضى في حالة سكون ونحافة. الصفراء : مادون ذلك.		
وقت المرض	يشدد المرض وقت الجوع أو الهضم	—	—	—	—
أعراض المرض	العزلة، قلة الكلام، تخيلات	احتلال مشية تقلب وجهه عزله عن الناس والأماكن	احتلال عصبه باللعب وضحك بالباكا والعطش.	اختلال الأفعال المضادة والرعونة والخوف والتكدر والصفا.	كل ما سبق مع فساد الخطط من الداخل أو الخارج
معلومات إضافية			يسمى هذا المرض أيضا بماتريا ودا. الكلب أو الداء السمي لشبه أفعاله بأفعال الكلاب أو السباع.		

ر قد أورد مؤرخو مصر في العصر العثماني نماذج من هذه الأمراض. فهناك من يدعي أنه  
سبى مرسل<sup>(١٤١)</sup> أو المهدي المنتظر<sup>(١٤٢)</sup> أو يكون في حالة هدوء تام لفترة طويلة من الزمن قد تصل  
إلى اثنين وثلاثين عاما (وأحيانا يتكلم، وأحيانا أخرى لا يكلم أحداً ، وإن أتاه الوزير) ثم فجأة  
صرخ وبكي مدعياً أنه قد سلب حقه ، وأنه يرغب في تخلص قريته (أوسيم) من المعتدين. ثم

يعود إلى هدوئه مرة أخرى <sup>(١٧٧)</sup> وهناك من تكون حالته هياجاً مستمراً <sup>(١٧٨)</sup> (وكأنه يزأر كالأسد، ثم يعود إلى الهدوء، وتعلو شفتيه ابتسامة بلهاء <sup>(١٧٩)</sup>) وهناك من هو شارد <sup>(١٨٠)</sup> بصفة مستمرة <sup>(١٨١)</sup> وهناك من هو مصاب بالهوس <sup>(١٨٢)</sup> على الدوام <sup>(١٨٣)</sup>.

وإذا كانت هذه أمثلة لبعض الحالات التي أودعت في البيمارستان المنصوري، إلا أن هناك العديد من المرضى يجوبون الشوارع والأسواق، ويصيحون، ويصرخون، وتعتقد فيهم العامة الولاية <sup>(١٨٤)</sup>، ومنهم «علي البكري» الذي اعتقد فيه العوام الولاية وأطلقوا عليه «الشيخ علي البكري» وقد وصفه الجبرتي بقوله إنه (رجل طويل، حليق اللحية، يمشي عرباناً، وأحياناً يلبس قميصاً وطاقيّة، ويمشي حافياً) وقد تبعته امرأة، وصارت تمشي خلفه أينما توجه وتخلط في ألفاظها وتدخل معه البيوت واعتقدت بها النساء. وتبعهما الأطفال والصغار وهوام العوام، وصاروا يقولون أيديهما، ويتبركون بهما. وعندما دخل الشيخ والمرأة ومن تبعهما بين القصرين وبه أحد أجناد الدولة العثمانية وبدعى حعفر كاشف، قص على الشيخ والمرأة ومن تبعهم، ثم أطلق الشيخ لخال سبيله رجا لاعتقاده هو نفسه في هذا الشخص، أما المرأة فقد أرسلها إلى البيمارستان، وأطلق باقي من تبعهما بعد أن صرهم، وتابوا ولبسوا ثيابهم. ويعلق على ذلك الجبرتي بقوله: (بعد أن طارت الشرية <sup>(١٨٥)</sup> من رؤسهم <sup>(١٨٦)</sup>).

وقد أدى تواجدهم الكثيرين من أمثال علي البكري في الشوارع إلى استفسار ناهليون بونايرت عنهم من مشايخ الأزهر خصوصاً مع (اعتقاد العامة فيهم، وهم لا يصلون ولا يصومون، هل هذا حلال أم حرام في الشريعة؟) فأجابهم المشايخ بأنه حرام. عندئذ أمر بونايرت بجمع من على هذه الشاكلة والكشف على عقولهم، وأدخل البيمارستان من ثبت عليه الجنون. <sup>(١٨٧)</sup>

وقد حاول المصريون آنذاك وقاية أنفسهم من الأمراض النفسية والعقلية، حيث حرصوا على الهدوء <sup>(١٨٨)</sup> واسترخاء الأعصاب <sup>(١٨٩)</sup> مع عدم شغل العقل بالتأمل والتفكير <sup>(١٩٠)</sup> وعدم الاستجابة للتفاعلات العنيفة، وتقبل الواقع بما فيه من محاسن ومساوئ وهو ما يعرف عند علماء النفس بالمنهج الوقائي Preventive Method <sup>(١٩١)</sup>. كما سعوا إلى زيادة سعادتهم والاستمتاع بمباهج الحياة كالذهاب إلى الحدائق، وسماع الموسيقى، وقضاء وقت في الهواء الطلق <sup>(١٩٢)</sup> والمرح والضحك لإزالة التوتر وتخفيف آلامهم سواء كانت هذه الآلام، آلاماً بدنية أو نفسية <sup>(١٩٣)</sup>، وهو ما يعرف لدى علماء النفس حالياً بالمنهج الإنشائي Constructive Method <sup>(١٩٤)</sup>. أما إذا أحس

المصريون بإعتلال في الصحة، عللوا ذلك بانسداد مسام الجلد ، وقلة إفراز العرق ، لهذا يتوجهون إلى الحمامات البخارية في محاولة لتبديد ما ظهر من تلك الأعراض.<sup>(٣٦)</sup>

ولم يعتد أهل مصر استخدام الأدوية إلا في حدود ضيقة ، فالمرضى يستخدم ما يناسبه من الأعشاب والنباتات<sup>(٣٧)</sup> ، ولا يستشر الطبيب إلا عند الأمراض الخطيرة وغير العادية<sup>(٣٨)</sup>.

و قد كانت وسيلتهم الأساسية للعلاج ما يطلق عليه (الطب الروحاني) ، وهو الرقي بآيات من القرآن الكريم ، و ما ورد من أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم. وهذه الرقي بعضها لنشف من الأمراض بصفة عامة، وبعضها الآخر للشفاء من الأمراض العقلية. غير أنهم أضافوا إلى آيات الله وأقوال الرسول صلى الله عليه وسلم، بعض الأدعية والكلمات غير المفهومة والتي ترتبط بالسحر والأحجية والتعائم<sup>(٣٩)</sup>، مثل كتابه تسعين صادا في ثلاثة أسطر في كاغد ويعلق على الرأس ، و يكتب بعدها أ ح أ ك ك خ ع ح أ م ح و قوله تبارك وتعالى (ألم تر إلى ربك كيف مد الظل ولو شاء لخلعه منك<sup>(٤٠)</sup> ، وأيضاً (إن يكاد الذين كفروا ليرلقونك بأبصارهم لما سمعوا الذكر ويقولون إنه لمجنون . وما هو إلا ذكر للعالمين).<sup>(٤١)</sup>

كما حرص المصريون من أجل شفاء المريض على معرفة مكان المرض، وما لذلك العضو من الحروف، والعضوين القريبين منه (فوقه وتحتنه) ، ويقومون بجمع حروف الأعضاء الثلاثة، ثم يظفرون في القرآن في أي آية جمعت تلك الحروف، ثم تكتب هذه الآية ، وتسقى للمريض ، أو تعلق عليه<sup>(٤٢)</sup> ، بالإضافة إلى حلقات الزار التي رأى فيها المصريون شفاء من الأمراض العصبية<sup>(٤٣)</sup>.

أما إذا فشلت تلك الطرق مع المريض ، فعندئذ يلجأ المريض أو أقاربه للطبيب. و يبدأ مع المريض ما يعرف بالمسح العلاجي Remedial Method الذي يكون الهدف منه عودة المريض إلى التوازن والاعتدال والتوافق النفسي والاجتماعي.<sup>(٤٤)</sup>

و تتم معالجة مريض المالبخوليا بعقاقير، بعضها بسيط مكون من نبات واحد، وبعضها الآخر مركب من عدة نباتات. ومن هذه العقاقير الأشربة والمعاجين والسفوف والحبوب والادهان والمفرحات.<sup>(٤٥)</sup>

فمن الأشربة شراب أسطوخودس ويتكون من الأسطوخودس وعصير تفاح وسفرجل وحماض

ولسان ثور<sup>(٤٤١)</sup>. وشراب مركب من اللازورد والأفتيمون والسكتجين بماه الجين، وشراب بسيط من نبات بزر قطو نامع السكر وماء الورد<sup>(٤٤٢)</sup>.

أما المعاجين وهي من أعظم المركبات قدرا وأجلها نفعا وأكثرها في التداوي، والقانون الجامع لسائر المعاجين أن تكون بالعسل. والجدول التالي يوضح المعاجين المستخدمة في علاج المالبخوليا:

اسم المعجون	مكونات المعجون	جرعة المريض اليومية	مدة صلاحية المعجون
معجون النجاح	أهليلج <sup>(٤٤٣)</sup> - بلبليج - أفتيمون - اسطوخودس - بسفايج - غاريقون - حجر ارمني - مرجان - لؤلؤ - بادروح	مشقلاق <sup>(٤٤٤)</sup>	سنة واحدة
معجون الفائق	تريد - لوز - سقمونيا - قرنفل - مصطكي - جوزبوا - دار صيني - زنجبيل - أنيسون	أ ربعة مثاقيل	سنة واحدة
معجون داود	أفتيمون - بسفايج - فستق - صنوبر - حب لسان - غاريقون - صندل أحمر - بزر خشخاش - قطريون - أنيسون - رازيانج - مصطكي - صمغ - لازورد - حجر ارمني - فاوانيا - مرجان - لؤلؤ	مشقلاق	عشر سنين
معجون الأفتيمون	أفتيمون - أهليلج - بلبليج - أملج - بسفايج - بزر شاهترج - حجر ارمني - لازورد - غاريقون - أنيسون - مصطكي	من خمسة إلى عشرة مثاقيل	—
—	سنا - حنظل - صبر - اسارون - أفتيمون - بسفايج - لؤلؤ - ازورد - مسك	—	—
—	زعفران - اسارون - دار صيني - صبر	—	— <sup>(٤٤٥)</sup>

ومن السعوف، سفوف اللؤلؤ وتشكون من درونج، وبزر ربحان، وبدر نبوة، ولازورد، ومصطكي، وحجر أرمني، وذهب، وفضة، ومرجان، وياقوت، ولؤلؤ، وسفوف أخرى مكونة من قرفة، وفرفر، ومسك، وقرنفل، وحوزبوا، ومصطكي، واسارون، وأهليلج، ونار مشك، ونار قبصر، ودار صيني، وزنجبيل<sup>(٤٤٦)</sup>.

ومن الجيوب جرب اصطمحيقون وهي يونانية، و معنى اصطمحيقون منقي الأخلاط الباردة. ويتكون من صبر وصفايح وافتيمون وسقمونيا وغاريقون وحنظل وزعفران وحب بلسان وأسارون ومصطكي وزراوند ودار صيني. وجيوب تتكون من مسحوق كل من اللؤلؤ وحماض الأترج وصبر وسقمونيا وافتيمون ودار صيني وقصب ذرية ولازورد وقرنفل<sup>(٤٠)</sup>.

أما الأدهان ، فيقصد بها طبخ الدواء سواء كان على شكل أوراق أو عصير في دهن حتى يذهب الماء ويبقى الدهن . ومن أهم الأدهان، دهن اللبوب السبعة المكون من بندق وقستق ولوز وجوز وصوبر وسمسم وقرع لب، ودهن البنج وإن لم يذكر- المصدر مكوناته، غير أن تسميته تدل على أن تركيبة الأساسي من نبات البنج.<sup>(٤١)</sup>

والى جانب هذه العقاقير، التي يرى البعض إنها أنواع معتادة من العلاج، استخدم أطباء العصر العثماني نوعا من العلاج يدل على عبقرية الأطباء خلال فترة الدراسة، ويطلق على هذا النوع الأخير مسمى (المفرحات)، ويقصد به ما يسر القلب، ويبسط النفس، وينشط الحواس، ويصقل الذهن. فقد استخدم الأطباء حينئذ كل ما يؤدي إلى تهدئة وإرضاء المريض كالأغذية الجيدة، والعقار الذي يخدر العقل والأعضاء. كما حاول الأطباء الاستفادة من حواس الإنسان، وقدموا حاسة السمع على غيرها من الحواس.<sup>(٤٢)</sup> لذلك كان يتم علاج مريض المالبخوليا في البيمارستان أولا بالموسيقى ورواية القصص المسلية للترويح عنهم.<sup>(٤٣)</sup> وما إن ينتبه المريض إلى ما يدور حوله يتم الانتقال للاستفادة من الحاسة الثانية للمريض ألا وهي البصر، حيث يتم نقل المريض إلى غرفة أخرى للاستمتاع بمشاهدة الرقص واللوان من الكوميديا<sup>(٤٤)</sup>. مع لفت نظر المريض بالألوان والأضواء. وقد رأى الأطباء أن أكثر الألوان المفرحة هو اللون الأبيض. وأن أفضل الألوان المركبة هي الأبيض والأحمر متساويان مع أصفر بسيط. و في نفس الوقت استفاد الأطباء من حاسة الشم عند المرضى، فأوصوا بإقامتهم وسط الورد والبنفسج والياسمين قرب المياه في الصيف للاستمتاع بالمنظر والروائح الجميلة. وتحتب تيارات الهواء في الشتاء مع تعليق الفانوانيا حول المريض.<sup>(٤٥)</sup> أو قديما كان الأطباء يصعدون كل يوم أعلى البيمارستان لمعرفة اتجاه هبوب الهواء، ثم يتم وضع المريض في المكان المناسب له، ولكن أبطل ذلك من البيمارستان المنصوري خلال العصر العثماني مما كان له أثره في تأخر شفاء المرضى. وكان أطيب الروائح المستخدمة للمرضى هو المسك والعنبر. أما عند وصول الروائح الكريهة ، فإن الأطباء كانوا ينصحون المرضى باستخدام السعوط<sup>(٤٦)</sup>.

كما استغل الأطباء - حاسة اللمس عند الإنسان، حيث عالجوا بعض المرضى المحبين للمال بلمس الذهب والفضة طالما أن هذه المعادن تسر نفوسهم. <sup>(٥٧)</sup> في حين أقام المرضى عموماً، بالبيمارستان المصوري- خلال فترة ازدهار تلك المؤسسة العلاجية- على أسرة حريرية، وأعطيتهم ألحقة حريرية <sup>(٥٨)</sup>

كما استغف الأطباء من حاسة التذوق عند المريض، فأوصوا بإطعامه ألد الأطعمة، وبخاصة ما يناسب ميل المريض. كما صرح للمرضى بالدجاج واللبن والقرع. <sup>(٥٩)</sup> وقد ذكر البعض أن الدجاج يزيد من جوهر العقل، ويصلح الأعصاب، وشحمه يسكن المايخوليا والجنون، وغالب الأمراض السوداوية. ومرقه خصوصاً مرق الديك الهرم بالسفيايح يستأصل السوداء، وطبخه مع اللوز يصلح الفكر. واللبن يلين الطبع ويخرج الأخلاط السوداوية. كما أن شرب ماء القرع مفيد في إزالة الوسواس والجنون. <sup>(٦٠)</sup> وقد أجمع الأطباء على أن الحلويات تحظى بقبول ورضا كافة المرضى وأضاف الأطباء أمراً مفرحاً آخر للمرضى، فإن كان المريض ممن يحبون مهنتهم، تترك له حرية مزاوله هذه المهنة، لأنها تؤدي إلى إسعاده <sup>(٦١)</sup>.

وبالإضافة إلى الاستفادة من حواس المريض، أعد الأطباء مركبات كانت تستخدم أيضاً للتفريح عن المرضى. والجداول التالية يوضح المفرحات المستخدمة لعلاج المايخوليا.

اسم المفرح وأصله	مكونات المفرح	جرعة المريض اليومية	مدة صلاحية المفرح
مفرح بطولا ماخس أصله رومي بمعنى جبار القلب	حليب بقر - بزر رحلة - صندل - رازيانج - دار صيني - كزبرة يابسة - يارنج - مرجان - لؤلؤ - حماض الاترج.	مثقال	سبع سنين
مفرح البياقوت	شاهترج - باذرنبوة - بهمن - لازورد - صندل - فستق - مرجان - لؤلؤ - حماض الاترج - ماء ورد وسفرجل وتفاع - زعفران - درونج - زرنب - ذهب - فضة - ياقوت أحمر.		لا يبطل مفعوله بمرور الوقت.

مفرح العمود	بزر خشخاش - أسارون - مصطكي - قرنفل - فرنجمشك - لؤلؤ - عنبر - باقوت - ذهب - فضة - مسك - ليون - ماء العناب والتفاح والرياح.	سنة واحدة
—	أشنة - أظفار طيب - نارمشك - فرنجمشك - قرفة - قرنفل - دار صيني - مصطكي - زعفران - سنبل طيب.	
—	افتيمون - اسطوخودس - قرنفل - حب بلسان - سليخة - أسارون - زونباد - درونج - لؤلؤ - مرجان - بهمن - سنبل الطيب - زنجبيل - مسك.	درهمان <sup>(٧٢)</sup> ثلاث سنين <sup>(٧٣)</sup>

غير أن هناك حالات مستعصية تشكل خطورة على المجتمع استدعت الضرورة إبداعها بالبيمارستان للعلاج. لهذا كان لابد من الحصول على إذن من الباشا، وذلك لأن البيمارستان لا يقبل المريض إلا بأمر منه، لأن المريض يكلف الإدارة، لعثمانية قرشا<sup>(٧٤)</sup> كل يوم حتى النصف الثاني من القرن السابع عشر<sup>(٧٥)</sup>، في حين أصبح المريض يكلف الإدارة في أواخر القرن الثامن عشر ديناراً<sup>(٧٦)</sup> كل يوم<sup>(٧٧)</sup>.

وكان البيمارستان ينقسم إلى قسمين، الأول ويشمل كافة الأمراض، والثاني ويشغله المرضى العقليون. وانقسم هذا الأخير بدوره إلى ساحتين، إحداها تضم ثماني عشرة حجرة للرجال، وثانيتهما تضم ثماني عشرة حجرة للنساء<sup>(٧٨)</sup>.

والمرضى العقليون من الرجال معزولون في حجرات ضيقة ذات قضبان، في أعناقهم السلاسل<sup>(٧٩)</sup> ويشرف على علاجهم عدد من الحكماء، يساعدهم أتباع من المرضى لهم طبع الجلادين ويصف أوليا جليبي قسوتهم بقوله: (يطعمون بعض الأخوان الفاقدي العقل خشافا من عصا الشوم فيعقلون).<sup>(٨٠)</sup>

أما المريضات من النساء فكان عاريات أو شبه عاريات<sup>(٨١)</sup> وحجراتهن ليست جميعها ذات قضبان ومع إنهن كلهن مقيدات فإنهن لسن مشدودات إلى الجدار كما هو الحال بالنسبة للرجال<sup>(٨٢)</sup> وجميع خدمة هذا القسم من النساء وليس به رجال غير الحكماء<sup>(٨٣)</sup> ولم يرحمن لمرضهن، فبعضهن حملن في البيمارستان، فقد ولد غلام في عهد إبراهيم باشا (١٠٧٨ - ١٠٨٥ هـ / ١٦٦٧ - ١٦٧٤ م)<sup>(٨٤)</sup> وسمي (شفائي).<sup>(٨٥)</sup>

وإلى جانب عدم رحمة بعض القائمين على العلاج. عانى المرضى أيضا - خاصة خلال القرن الثامن عشر - من سوء أحوال البيمارستان ذاته. <sup>(١٧٦)</sup> ، فقد كان حتى النصف الثاني من القرن السابع عشر على درجة كبيرة من الرقي. حيث وصفه أوليا جلبي، الذي زار مصر بين عامي (١٠٨٢ - ١٠٩١ هـ / ١٦٧٢ - ١٦٨٠ م) بقوله: (بناء عجيب لا نظير له في بلاد الترك والعرب والعجم، فقد بنى على أسلوب لو اختل عقل إمري عالجه الحكماء فارتد عاقلا) كما أوضح كيفية إقامة المرضى بالبيمارستان، و ما حظوا به من رعاية صحية متكاملة، فهناك اثنا عشر طبيبا مع تلاميذهم يحضرون لكل مريض، في مكان صرف الطعام، ما يوافق مرضه من الطعام والدواء. وإذا ما اقترب المريض من الشفاء، سمح له بالاستحمام في المياه الجارية داخل البيمارستان. وحوله المرضى يخدمونه كأنهم فراش حول الشمع. <sup>(١٧٧)</sup>

لكن أوضاع البيمارستان ساءت خلال القرن الثامن عشر بعد أن انتقل الإشراف عليه إلى البكوات المحاليك، فأصبح بعض المرضى يرقد على أسرة حشوة مفروشة بالحصر أو مفروشة بمراتب ممزقة، والبعض ينام على مصاطب منية من الحجارة أو الطين. وطعامهم الخبز والأرز وشربة العسل <sup>(١٧٨)</sup> ، رغم كثرة الأوقاف المرسودة للإتيان على هذه المؤسسة العلاجية <sup>(١٧٩)</sup> إلى جانب مصادر دخل أخرى للمؤسسة كالترهات <sup>(١٨٠)</sup> التي تخصص حصيلة بيعه للعناية بالبيمارستان ، لكن رغم ذلك لا يتفق على البيمارستان إلا القليل نتيجة لهيب البكوات المحاليك لمعظم هذه الأموال. <sup>(١٨١)</sup>

وقد استغل رجال البيمارستان حالات المرضى؛ فعندما وضع أحد المرضى بالبيمارستان لإدعائه النبوة، استغل البيمارستاني المشرف عليه ذلك. وأدخل عليه من يرغب في رؤيته من الناس. واصفا المصدر المعاصر هؤلاء الناس بأنهم: (من لا عقل لهم، ويغلب عليهم الجهل)، وصار المارستاني يأخذ منهم مالا، كل على حسب حالته. ويعترف المارستاني بأنه خلال الثلاثة أيام التي أقام فيها المريض بالبيمارستان. استطاع كسوة نفسه وعبائمه، وعمل كعك العبد، واشترى النقل و دبر مصروفات رمضان، وصار يدعو لعثمان كتنخدا <sup>(١٨٢)</sup> الذي أرسل هذا المريض للبيمارستان <sup>(١٨٣)</sup>.

وقد أشفق ديجنت، المكلف من قبل ناهليون بونايرت بالإشراف على البيمارستان، على المرضى الموحدين به، وأوصى قائده بمنح هذه المؤسسة العلاجية إعانة مالية قدرها خمسون ديرا يرميا رحمة بالمرضى البؤساء. إلى أن يتم إنشاء المستشفى العسكري <sup>(١٨٤)</sup> المزمع إنشاؤه <sup>(١٨٥)</sup>.

وختمنا لاهد من الإشارة إلى قلة نسبة المرضى العقلين في مصر العثمانية. فقد أشار كارست

نيبور الذي زار مصر في الفترة من (١١٧٤ - ١١٧٦ هـ / ١٧٦١ - ١٧٦٢م) إلى قلة عددهم بالقياس إلى حجم مدينة القاهرة<sup>(٨٦)</sup>، في حين حدد ديجنت عددهم في أواخر القرن الثامن عشر أربعة عشر مريضا عقليا<sup>(٨٧)</sup> كما أوضح كلوت بك في أواخر الربع الأول من القرن التاسع عشر، أن عدد المرضى العقليين يبلغ ما بين ثلاثين إلى أربعين مجنوناً من الرجال والنساء في مدينة القاهرة التي يبلغ عدد سكانها ثلاثمائة ألف نسمة<sup>(٨٨)</sup>.

وقلة نسبة المرضى العقليين في القاهرة العثمانية، يدفعنا إلى وضع عدد من الفروض، أولها أن هذه النسبة تؤخذ من البيمارستان المنصوري، وهذا البيمارستان لا يودع به إلا الحالات المستعصية التي تؤدي غيرها في المجتمع. وربما كان ميل المصريين للتدين والقبول بقضاء الله في كل أمور حياتهم المعيشة، مع عدم إجهاد العقل بكثرة التفكير قد أدى إلى قلة المرضى العقليين، أو ربما كان لرفض البعض إيداع أقاربهم بالبيمارستان وإبقائهم في المنازل دون أن يعلم عنهم أحد شيئاً.

غير أن تتبع طرق العلاج التي اتبعتها أطباء مصر في العصر العثماني لعلاج الأمراض العقلية تدل على تقدم علم الطب بصفة عامة، والطب العقلي و النفسي بصفة خاصة، حيث يتضح عدم اكتفاء أطباء العصر بما وصل إليهم من الطب الإسلامي، إذ كانوا على دراية بتطور طرق العلاج في جهات العالم المختلفة، والمستخدمه عند الفرس والروم واليونان، وتسمية كل نبات طبي بمسماه في كل بلاد العالم.

لكن رغم تقدم الطب في مصر العثمانية، إلا أن المصريين أنفسهم رفضوا الخضوع لكشف وعلاج الأطباء، وفضلوا العلاج بالطب الروحاني قبل الأقدام بعرض المريض على الطبيب. والذي كان يتم عند وصول المريض إلى حالة خطرة ربما تؤدي به إلى الموت في النهاية.

فمعظم الحالات التي أشارت إليها المصادر المعاصرة، وتم إيداعها بالبيمارستان المنصوري، هي حالات تم تقييدها بالسلاسل، سواء أكانت من الرجال أو النساء مما يدل على إيذائها لنفسها، أو لمن حولها، كما أن معظمها كان في حالة هياج مستمر. مما أصطر الأطباء إلى علاجهم بالمهدئات المصنعة من النباتات المخدرة كبنجر الحشخاش والبنج. فالمصريون لا يودعون مريضهم بالبيمارستان إلا عندما يأسون منه، وكأنهم قد أودعوه في قبره.

أما من فقد عقله، ولم يؤذ أحد من المجتمع، فقد نظر إليه المصريون على أنه مجنون، قد جذبته الله، إذ هم يتركون به ويتعاملون برؤيته مثل شخصية الشيخ على البكري، وهناك العديدين من أمثاله في شوارع القاهرة.

## ملحق عن

## المواد الخام المستخدمة في عقاقير الأمراض العقلية

آس :	باليونانية أموسير ، والفارسية مرزباح ، والسريرية سن ، والبربرية أحماض ، والعبرية أخمام ، والعربية ربحان ، وعصر مرمين ، وبالشام منه البستاني والبري ، ورقة دقيق ، مر الورق حلو الخشب ، زهره وشعره أسود ، غير أن ثمر البستاني كالعنب في الحجم ، ويسمى تكمام . و ينفع في علاج الصداع .
أسارون :	الناردين البري والأقريطي ، وهو نبات مبرز ، نحو ذراع ، منبسط على الأرض ، وغالبه تحت الأرض ، وجميعه أغبر إلى الصفرة ، وزهره دقيق الورق ، صلب وعريض وهش ، أجوده الأصفر الطيب الرائحة القليل المارة المجتني في يوليو .
أسطوخودس :	يوناني بمعنى مرقب الأرواح ، ويسمى أيضا الكمون الهندي ، وهو كالشعير يميل إلى الحمرة ، وأوراقه كالصنوبر . أجوده الحديث الطيب الرائحة المر المأخوذ في يونيو ، وفائدته أنه يخرج السوداء ، ويفرح ويقوي القلب ، وينقي الدماغ لذلك يسمى المكسة . والسعوط منه بما . العسل ينقي الدماغ ، وشربه مع السكنجبين يشفي من الصداع والماليخوليا ، وتقدر جرعة المريض ما بين اثنين إلى خمسة مثاقيل ، وفي السعوط مرة واحدة .
أشبه :	يطلق عليها في العربية شبيه ، و في اليونانية برون ، وهي أجرا . شعرية تتخلق بأصول الأشجار ، وأجودها ما على الصنوبر والحوز . ، تذهب الأعياء والتعب ، وجرعتها إلى ثلاثة مثاقيل .
أظفار الطيب :	قشور صلبة على طرف من الصدف قد حشى تقعرها لحما روحا ، تحرق من الأرض أواخر مارس ، وأجودها الأبيض الصارب إلى الحمرة ، وحرته من واحد إلى ثلاثة مثاقيل ، وبدله الفاوانيا .

<p>يوناني معناه دواء الجنون، وهو نبات شديد الحرارة، وفروعه كالحيط اللينة وأجوده المأخوذ في يونيو، ينزل أمراض الجنون السوداء لاسيما إذا أضيف إليه الخل وتقع منه رطل في ثلاثين رطلاً لمدة أربعين يوماً. ومتى استعمل منه خمسة أرطال في نصف رطل حليب وأوقيتين سكتجبن أسبوعاً أذهب المالمخوليا.</p>	<p>أفسمون:</p>
<p>يسمى بمصر السنابير، وفي فارس إذا نقع باللبن سمي شير أملج؛ لأن الشير هو اللبن الحليب، وأجوده ما يشبه الكمثرى الصغيرة، وإذا طبخ مع ورقه الأس، ثم طبخ مازده بدهن كالسبرج والزيت، أفاد في تقوية الأعصاب. وجرعته من ثلاثة إلى خمسة مثاقيل.</p>	<p>أملج:</p>
<p>وهو أربعة أصناف: الهندي المعروف بمصر بالشعيري، والأسود المعروف بالصيني، والكابلي كالبخ، والأصفر كالتمر؛ وأكثرها نفعا الكابلي فالأصفر فالصيني فالهندي وهو يقوى الحواس والدماغ، ويساعد على سرعة الحفظ.</p>	<p>أهلبلج:</p>
<p>باليونانية أفسمن، والحرية حول، وعندنا يسمى بالريحان الأحمر أو السليمانى، لأن الجن حاتم به سليمان فكان يعالج به، وجرعته إلى ثلاثة.</p>	<p>بادروج:</p>
<p>ويطلق عليه باذر نبوية، وباليونانية لبوفلى، وهو بقلة تثبت وتستثبت خضراء، عطرية ريحية وصيفية، يستخدم في التفریح وتقوية الحواس والذكاء والحفظ، وجرعته إلى مثقالين.</p>	<p>باذر محجوبة:</p>
<p>باليونانية تسليون، وهو ثلاثة أنواع: الأبيض وهو الأجود، والأحمر ويعرف بالبرلسية نسبة إلى البرلس، والأسود وهو الأردأ ويسمى بالصعيدي؛ لأنه يحلب من الصعيد الأعلى.</p>	<p>بزر قطونا:</p>
<p>باليونانية بولوديون، والفارسية سكرمال، والهندية والسريانية تنكار علا، ومعنى هذه الأسماء الحيوان الكثير الأرجل، وسمي هذا النبات به لكونه كاللدور الكثير الأرجل، ويدعى بمصر اشتيوان، وهو نبات طوله نحو شبر، دقيق الورق أغبر مزغب، في أوراقه نكت صفيرين صفرة وحمرة وهو الأجود، وأرداه الأسود، ويسمى يدرك في يونيو؛ يرى من الجنون ورداء الأخلاق والمالمخوليا.</p>	<p>بسفايج:</p>

بليلج:	ثمر شجرة هندية، تجنى بيوليو ، وأحوده الأصفر الرحو بخرح السوداء ، وحرعته إلى ثلاثة مثاقيل.
بنج:	بالعربية السبكران، وباليونانية أفيقوامس ، والسريانية أرمانبوس، والبربرية اقنقيط . ويقال اسقيراسن، وهو نبات ينسبط على الأرض دائرة ، ويرتفع وسطه دون ذراع، شديد الحضرة، مزغب غليظ الورق مائي مشقق الأطراف، زهره يخلف حبا أسود وأصفر وأحمر وأبيض. يدرك في الصيف في يونيو. وأجوده الذي لم يجاوز سنة، يسكن الصداع المزمن، وإذا دق بذره مع بذر حس وخشخاش ، واستخرج دهن ذلك كان ترياقا للمالبخوليا والجنون والوساوس وحديث النفس شرها ودهنا وسعوطا.
بهمن:	نبات فارسي جبلي، ساقه شبر، يبسط أوراقا كورق الأجاص، لكنها شائكة. أوراقه ملتفة بلا زهر، يدرك في يوليو.
تريد :	نبات فارسي، بخرح من جبال خراسان، يخلف ثمرأ كاللسنة العصافير، ويدرك يوليو ، وأجوده الأبيض الخفيف المحوف المصغ الطرفين. مع الكابلي يشفي غالب أنواع الجنون ، وغالب المستعمل منه الآن بمصر عروق تجلب من أطرف الشام وديار بكر، وحرعته من ثلاثة إلى خمسة مثاقيل، وإذا طبخ تصل جرعته إلى عشرة مثاقيل.
جوزبوا:	يسمى جوز الطيب لعطريته، يخرج بجبال الهند وجزائر آشية، أحوده الحديث السالم من التآكل الهش الذي لم يبلغ ثلاث سنين من يوم قطعه.
حجر أرمني:	لا زوردي لكنه أغبر، وأحوده الهش الخالي من الملوحة، يتولد بأرمينيا وجبال فارس ينفع في السوداء وأمراضها كالجنون والوساوس والمالبخوليا. وحرعته درهم.
حماض:	نبات كثير الأصناف منه نوع دقيق الورق محمر الأصول ، له سنبل بيض ، يخلف بذرا أسود براقا ، ونوع يولد بذره من غمر زهر، وكلاهما حامض حاد. والمولد بذرا بلا زهر إذا سحق وشرب فرح النفس وقارب الحمر.

حفظل.	باليونانية دوفوفينا، وقد يسمى أغريسومس ، وجهه يسمى الهبيد، وهو نبت يمد على الأرض كالبطيخ ، إلا أنه أصغر ورقا. وقائده إذا على الماء والعسل والأقيمتون والقرفة يستأصل السوداء ، ويبرئ المالميوخوليا والجنون.
خس الحمار:	الشتجار، خسرو دارو، الخولحان، الخشخاش؛
	يقصد به النبات المعروف في مصر بأبي النوم، وأجوده الأبيض. أوراقه خشنة ، و طولها نحو ذراع ، ويخلف زهرا ذا رؤوس مستديرة ، غليظ الوسط يجمع آخره قمعا. ويرزغ الخشخاش في أواخر طوبة إلى تمام أمشير. ويجمع بهرموده. ومنه يستخرج الأفيون بالشرط. وقشره إذا دق رطبا وقرص كان مفيدا لمرضى الأرق. ويصب طبخة على الرأس فيشفى الصداع وأنواع الجنون والمالميوخوليا
دار صيني:	معرب عن دار شين الفارسي. وباليوناني أديمونا، والسريانية مرسلون ، و هو شجر هدي يتحوم الصين كالزمان، أوراقه كأوراق الجوز ألا أنها أدق، ولا زهر ولا بذر له ، والدار صيني هو قشر تلك الأغصان ، وأجوده الشحم المتخلخل بين حمرة وسواد وصفره وحلاوه وملوحيه ومراره الكائن بالصين، فالياقوتي الكائن بأشبة وجرائر الزنج، فالأسود البراق، فالأصفر الدقيق، وأرداه الأبيض، يستمر مفعوله خمس عشرة سنة، يمنع الخفقان والوحشة والوساوس وضروب الجنون.
درونج:	نبت مشهور ببجبال الشام خصوصا ببيروت يدرك يستمر، يستمر مفعوله عشر سنين، مفرح ويقوي الحواس، وجرعته مثقال.
زاربانج:	هو الأثيسون، ويسمى الشعار بالشام ومصر، والشمرة بحلب، والبساس بالمغرب، وهو برى يستاني، عطري ذكي الرائحة، يجي بمصر في الربيع
راوند:	نبت مشهور يسمى باليونانية رسطولوحيا معناه دواء يبرئ، وهو كثير الوجود بالشام، مر الطعم، يستمر مفعوله ستين، يعيد في الوسواس والجنون، وجرعته إلى درهمين.

زرنب:	يسمى الملكي ورجل الجراد، وهو نبات لا يزيد طوله على ثلثي ذراع، له ورق أعرض من الصعتر، وزهر أصفر، يوجد بهجبال فارس، وهو الأجود، وقد يوجد بالشام، ولكنه لأحرافه فيه، يدرك بهشنس، و يستمر مفعوله أربع سنين، فيه شدة تفريح حتى أن عصارتة تفعل فعل الحمر. يقضى على الصداع سعوطا، و جرعته إلى درهمين، ويدله النار الصيني.
زرنباد:	يسمى كافور الكعك، وأهل مصر يسمونه الزرنبة وهو عطري، ينبت بهجبال بنكالة والدكن ويجزأثرها، ويطول نحو شهرين، وله أوراق تقارب ورق الرمان، وزهر أصفر يخلف بلرا كبذر الورد، يدرك بمسرى وتوت، و يستمر مفعوله ثلاث سنين، والمر هو الأجود، والحلو ضعيف المفعول يذهب الوسواس لشدة تفريجه.
زعفران:	بالسريانية الكركم، والفارسية كركيماس، ويسمى بالجسار والجاتد والرغيل والدلهقان. وهو نبات بأرض سوس، وينبت كثيرا بالمغرب زهرة كلبادنجن فيه شعر، إذا فرك فاحت راحته وصيغ، وهذا الشعر هو الزعفران. يظهر في أكتوبر وفاتدته يفرح القلب ويشفي الأرق.
سقمونيا:	هي المحمود، وهي عبارة عن نبات ينبت بالأحجار والجبال، يطول نحو ثلاثة أذرع، وله ورق كالليلاب لكنه أدق وزهره أجوف مستدير أبيض. وطريقة أخذها بأن بشرط الأصل، ويصفى في إتنا، فيسيل كاللبن ويجمد. وأجودها الخفيف الأسفنجي المائل إلى الزرقة والصفرة. ويستمر مفعوله ثلاثين سنة، وغلظها باللازورد يساعد في علاج السوداء، وتزيل الوسواس والجنون ومبادئ المالبخوليا.
سكنجبين:	صمغ شجرة بفارس، يخرج منها في يونيو، أجوده الأبيض، تظل قوته عشرين سنة.
سليخة:	باليونانية أسليوس، وهي قشر شجر هندي وعني، يظل مفعوله سبع سنين، وجرعته درهم، ويدلها النار صيني.

سنا:	نبات ربيعي له زهر أزرق، وثمره داخلها حب مفطح محزوز الوسط، ومنه نوع عريض الأوراق أصفر الزهر يسمى بالحجازي، يظهر بالصفيف، وفائدته أنه ينقي الدماغ من الصداع الشديد.
شاهترج:	فارسي بمعنى ملك البقول، ويسمى كزبرة الحمار، عريض الأوراق، وزهره إلى البياض، مر الطعم، يدرك في الربيع، وأهل مصر يسمونه شاتراج، والجرعة من مائة إلى خمسين مثقالا.
صبر:	يطلق عليه صباره، أصله كالقريبط وأعرض، وعلى أطرافه شوك، والصبر عصاره، ينقي الدماغ، ويشفي الجنون والوساوس والصداع.
صندل:	شجر بالصين يشبه الجوز، وهو من الأدوية التي يستمر مفعولها ثلاثين سنة، وأجوده الأبيض المعروف بالمقاصيري، وهو مفرح، وحرته مثقال.
غاريقون:	رطوبت تتعفن في باطن ما نأكل من الأشجار، يستمر مفعوله أربع سنين، له خاصية عظيمة في علاج الأعصاب خصوصا مع السكتجيين، وحرته إلى مثقال.
فاوانيا:	يطلق عليه وقابوتا، والكهينا، وعود الصليب، وفي المغرب ورد الحمبر. نبت دون ذراع، ولا ينبغي أن يؤخذ إلا يوم نزل الشمس الميزان. ويقطع بحذر، فإن اختل الشرط بطلت خواصه. ويبقى مفعوله سبع سنين. وهو يشفي من الكابوس، ويجلو الآثار السود، وهذه الشجرة بجملتها تشفى في الصرع والجنون والوساوس كيفما استعملت ولو تعليقا وبخورا.
فرنجمشك:	الفرنغل البستاني، طيب الرائحة، ينبت ببساتين مصر كثيرا، ودهنه مفيد للأعصاب، وجرعته ثلاثة مثاقيل.
قصب ذريره:	نبت كالقش عقد محشو بشي، أبيض، وأجوده المتقارب العقد الياقوتي الضارب إلى الصفرة القابض المر.
قطريون:	يوناني، شديد الحمرة، ساقه مزغب خشن، له زهر كحلي، يحلف بذو كالقرطم، مر الطعم، يدرك بالحريف، يستمر مفعوله عشر سنين، يزيل علل الأعصاب، ويذهب الإعياء والتعب.

لازورد:	معدن مشهور بجبال أرمينيا وفارس، أحوده الصافي الشفاف الضاربة زرقته إلى خضرة ما وحمرة، ينفع في الجنون والوسواس والهيم وفساد العقل.
لسان الثور:	باليونانية قوغلص، والعارسية كاوزبان، ثبت ربيعي، غليظ الورق، خشن يخلف بذرا مستديرا، يستمر مفعوله سبع سنين، وموضعه جبال فارس والموصل، شديد التفريح، ويقوى الحواس، لهذا ينفع في علاج الجنون والوسواس والماليخوليا، فأوقيه ونصف منه تعادل رطلا من الخمر الخالص في شدة التفريح مع حضور الدهن، وجرعته عشر دراهم.
لؤلؤ:	معدن أحوده الكبير الأبيض الشفاف الكائن ببحر عمان، وأرداه الصغير الأسود القلزمي، وهو يمنع الوسواس والجنون وتسعيطه يذهب الصداع.
ماء الجبن:	من لبن الماعز، ينفع في أمراض السوداء كالوسواس والجنون والماليخوليا وخصوصا إذا أضيف له اللازورد.
مسك:	دم يعتقد في حواش دون الظباء، قصبر الرجل بالنسبة إلى اليد، له ناهان معرقان إلى الأرض، وقرنان في رأسه معوجان إلى ذنبه، شديد البياض، ويقيد في إزالة الفم.
مصطكي:	معرب عن مصطبخا اليوناني، يسمى العلك الرومي والمراد به الصمغ، وهو نوعان: أبيض ناعم طيب الرائحة فيه لدونة، حلو يسحق ويسمى المعلق، والثاني يؤخذ من العود الغض والورق بالطبخ، ولا يوجد إلا في رودس وأشبيلية بالأندلس. يستمر مفعوله عشرين سنة، يذهب الصداع والسوداء والوسواس وحديث النفس ومبادئ الماليخوليا مع الأهليجات، وزيادة الفهم مع الكثير.
نارقيصر:	ثبت دقيق أحمر إلى صفره، يجلب من الروم، ويسمى بمصر سلق الحمام، وهو عطري طيب الرائحة، مفرح، جرعته مثقال.
نارمشك:	فارسي معناه رمان بري، يوجد بخراسان، يزيل الوسواس والماليخوليا، وجرعته درهمان. (١٨٩)

من الملحق السابق يتضح :

براعة الأطباء في مصر العثمانية، فهم يعرفون كافة المواد الحام الموجودة في مختلف أنحاء العالم ، واستخداماتها المختلفة.

اقتصرت عند ذكر تلك المواد الحام على فائدتها للأمراض العقلية، وإن كانت لكل مادة منها استخدامات لعلاج أمراض أخرى لم يتم ذكرها تركيزاً على موضوع الدراسة.

تشمل المواد الحام الأساسية في علاج المالبخوليا كلا من أسطوخودس وأفتيمون وسفايح وبليلج وبنج وتريد وحجر أرمني وحنظل وحشخاش ودار صيني وزراوندو زرنباد وسقمونيا وصبر وفانوانيا ولازورد ولسان الثور ولؤلؤ وماء الجبن ومصطكي ونار مشك: في حين أن باقي المواد استخدم لإستكمال تركيب المواد الأساسية أو للتفريح.

غير أن هناك قدرًا لا يستهان به من تلك المواد الحام يستخدم كمخدر لمرضى المالبخوليا ، أو تفريح لهم كبديل عن الحُمور مما يؤدي إلى عيش المريض في الجبل.

إلا أن كثرة استخدام الأطباء للمواد المحذرة والمفرجة تدل على تدهور حالات مرضى المالبخوليا مما يدفع أطباءهم إلى استحياء تلك المواد لتهدئتهم، وري لإجبارهم على الاستغراق في نوم عميق.

## الهوامش

- (١) محمد السيد الهابط : حول صحتك النفسية، الإسكندرية، ١٩٨٩، ص ٣٢ - ٣٣
- (٢) عباس محمود عوض : الموجز في الصحة النفسية، الإسكندرية، ١٩٨٩، ص ٩١
- (٣) نفس المرجع السابق، ص ٩١ - ٩٢
- (٤) الجبور : مصدر جن وهو زوال العقل وفساده، والجنون في اصطلاح الفقهاء عبارة عن التصرف في المال بخلاف مقتضى الشرع والعقل، وعبد الأطباء اختلال القوة المميزة بين الأمور الحسنة والقيحة.. لمزيد من التفاصيل (أنظر بطرس البستاني محبب المحيط، بيروت، ص ١٣٠ - ١٣١)
- (٥) أوليا جلي : سياحتنامة مصر، ترجمة محمد علي عوني، تحقيق عبد الوهاب عزام وآخرون، دار الكتب المصرية، القاهرة ٢٠٠٥، ص ٣٤٧؛ كلوت بك : لمحة عامة إلى مصر، تعريب محمد مسعود، الجزء الثاني، القاهرة ٥٠٦٧.
- والسوداء : فساد الفكر، من اليونانية بمعنى الخلط الأسود. وتشير المراجع الحديثة إلى أن السوداء هو المالبخوليا Melancholia، وهو مصطلح يشمل جميع الاضطرابات العفلية المرصدة. لمزيد من التفاصيل أنظر بطرس البستاني : المرجع السابق، ص ٤٣٩. أحمد محمد عبد الحائق : أصول الصحة النفسية، الإسكندرية ٢٠٠٣، ص ٣١٥ - ٣١٦.
- (٦) داوود بن عمر الأنطاكي (١٠٠٨ هـ) : تذكره أولى الألباب الجامع للعجب العجائب، الجزء الثاني، القاهرة ٢٠٠٨، ص ١٠٩.
- (٧) روبة : التداوي بالأعشاب عند المصريين المحدثين، ضمن وصف مصر (قاهرة الممالك)، الجزء الحادي عشر، ترجمة منى زهير الشايب، القاهرة ٢٠٠٢، ص ١٥٦، ١٦٥.
- (٨) عبد العزيز القوصي : أسس الصحة النفسية، القاهرة ٥٠٦٧، ص ٤٠.
- (٩) Sonnini, C.S : Voyage dans la Haute et Basse Egypte, Tome Second, Paris, P. 228
- (١٠) البيمارستان : لفظ فارسي مركب من بهار أي مريض، وستان أي محل، أي دار المرضى، ويقال أحيانا البيمرستان، والمارستان : وهو مستشفى لمعالجة كافة الأمراض، ولكن بمرور الزمن اختصر الاسم على المكان الذي يعد لإقامة المجانين. لمزيد من التفاصيل أنظر سعيد عبد الفتاح عاشور : المجتمع المصري في عصر سلاطين المماليك، القاهرة ١٩٩٢، ص ١٣ - ١٠٤. محمد محمد أمين : الأوقاف والحبة الاجتماعية في مصر ٦٤٨ - ٩٢٣ هـ / ١٢٥ - ١٥١٧ م، دراسة تاريخية وثائقية، القاهرة ١٩٨٠، ص ٦٥٥.

- (١١) البهارستان المصري . نسبة إلى المصور قلاوون. وقد شيده عام ٦٨٣ هـ / ١٢٨٤م. ويقع هذا البهارستان بالقاهرة بين القصرين يغط المدارس الكاملية والصالحية والظاهرية .. أنظر محمد محمد أمين : المرجع السابق، ص ص ١٥٥ - ١٧٧.
- (١٢) ديجيت : تقرير عن المورستان أو مستشفى القاهرة، مقدم إلى القائد العام بونابرت، لاديكاد إيجيبسين، العدد التاسع ضمن كتاب صلاح الدين البستاني، ص ١٧٩٨ - ١٨٠١. القاهرة د.ت، ص ١٣٢.
- (١٣) أبر النبي بن نصر بن عفاط المعروف بالكهرك العطار الإسرائيلي مهاج الدكان ودستور الأعبان في معرفة العقابر وطب الأبدان، مخطوط بالهيئة العامة للكتاب، ل ٣٤٨٥، ميكروفيلم ٢٢٩٤٢. بدون صفحة
- (١٤) أحد تلاميذ داوود بن عمر الأنطاكي : ذيل تذكرة أولي الألباب الجامع للعجب العجائب، القاهرة ٢٠٠٨، ص ص ١٨٤ - ١٨٥
- (١٥) أحمد شلبي بن عبد الغني الحنفي المصري : أوضح الإشارات فمن تولى مصر القاهرة من الوزراء والباشات الملقب بالتاريخ الصني، تحقيق عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم، الطبعة الثانية، القاهرة ١٩٩٤، ص ٥٩٩؛ عبد ارحمن بن حسن الجبرتي . عجائب الآثار في التراجم والأخبار، تحقيق عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم، الجزء الأول، القاهرة ١٩٩٧، ص ٢٥٢.
- (١٦) محمد بن أحمد بن إياس الحنفي : بدائع الزهور في وقائع الدهور، تحقيق محمد مصطفى، الجزء الخامس من سنة ٩٢٢ إلى سنة ٩٢٨ هـ (١٥١٦-١٥٢٢م)، الطبعة الثانية، القاهرة ١٩٦١، ص ٤٧٢
- (١٧) أحمد شلبي بن عبد الغني الحنفي المصري : المصدر السابق، ص ص ٥٦٤ - ٥٦٥
- (١٨) أوليا جلبي : المصدر السابق، ص ٣٤٧.
- (١٩) بله- بلها - بلاهة - بلها : العفلة، ضعف العقل، قلة التمييز. لمزيد من التفاصيل أنظر الهيئة المصرية العامة للكتاب، المعجم الكبير، الجزء الثاني، الطبعة الأولى، القاهرة ١٩٨١، ص ٥٦٥؛ بطرس البستاني : المرجع السابق، ص ٥٥.
- (٢٠) جومار : وصف مدينة القاهرة، ضمن وصف مصر، ترجمة رهير الشاب وأخرون، الجزء العاشر، القاهرة ٢٠٠٢، ص ٢٠٣.
- (٢١) يسمى علماء النفس حاليا هذه الحالة بالاكتئاب Depression ويكون المريض فيها في حالة حمول وبأس وحرز، و يشعر بالضعف ويوجه عدوانه إلى نفسه، وقد يحاول الانتحار.. لمزيد من التفاصيل أنظر عباس

محمود عوض : المرجع السابق، ص ١٠٠.

(٢٢) جومار : المصدر السابق، ص ٢٠٢.

(٢٣) الهوس : Mania هو اضطراب حاد دون وجود حمى ، ويسمى هذا المرض العقلي الوظيفي بالدهان النوربي أو التواب Manic- depressive psychosis ذلك إن المريض قد تتناوب حالة من الهوس، ثم حالة من الإكتئاب تختلف من حيث الشدة والاستمرار. والهوس، قد يكون هوسا خفيفا Hypomania وهذا النوع يتسم بتشاط وتفاؤل زائدين، أو هوسا زائدا Hypermania وهنا يكون المريض في حالة هياج حاد، ويعرض نفسه وبغيره للخطر. فالمريض في حالة الهوس يوجه عدوانه إلى العالم الخارجي . للمزيد من التفاصيل أنظر: عباس محمود عوض : المرجع السابق ، ص ص ٩٩ - ١٠٠

(٢٤) جومار : المصدر السابق ، ص ٢٠٢

(٢٥) كلوت بك : المصدر السابق، ص ٥٦٧.

(٢٦) الشربة : يقصد بها هرى النفس، يقولون - وافق الأمر مشربه أي هواء - والشربة أيضا الطريقة يقال مزال فلان على شربة واحدة أي طريقة واحدة .. لمزيد من التفاصيل أنظر بطرس البستاني ، المرجع السابق، ص ٤٥٨.

(٢٧) عبد الرحمن بن حسن الحبرني . عجائب الآثار في التراجم والأخبار، تحقيق عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم، الجزء الثاني، القاهرة ١٩٩٨، ص ١٥٥

(٢٨) نفس المؤلف : مظهر التقديس بزوال دولة الفرنسيين، تحقيق عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم ، القاهرة ١٩٩٨، ص ٢١٤؛ نفس المؤلف : عجائب الآثار في التراجم والأخبار، تحقيق عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم، الجزء الثالث، القاهرة ١٩٩٨، ص ٢٣١

(٢٩) كلوت بك : المصدر السابق ، ص ٥٦٨

(٣٠) Brown, Edward Voyage en Egypte 1673 - 1674 calre 1974, P 181

(٣١) Sonnini, C.S : OP. cit, Tome premier, P. 273

(٣٢) عباس محمود عوض : المرجع السابق، ص ٦؛ محمد السيد الهابط : المرجع السابق، ص ٢٩.

(٣٣) Sonnini, C.S : Op Cit, Tome premier, P. 273

Ibid P 273 (٣٤)

(٣٥) عباس محمود عوض : المرجع السابق ، ص ٦؛ محمد السيد الهابط : المرجع السابق، ص ٣٠

(٣٦) كلوت بك : المصدر السابق، ص ص ٥٢٩ ، ٥٧٨ - ٥٧٩

(٣٧) روية : المصدر السابق ، ص ١٥١

(٣٨) كلوت بك : المصدر السابق ، ص ٥٧٨

(٣٩) سيريزول : مستخرج من ملاحظات للمواطن سيريزول الطبيب بالجيش عن رحلة له على الضفة الغربية للنيل من القاهرة إلى أسوط ، لاديكاد إيجيبيسن ، العدد الرابع ، ضمن كتاب صلاح الدين البستاني ، المرجع السابق، ص ٧٦

(٤٠) القرآن الكريم، سورة الفرقان، آية ٤٥ .

(٤١) القرآن الكريم، سورة القلم، آية ٥١ .

(٤٢) أحد تلاميذ داوود بن عمر الأنطاكي . المصدر السابق ، ص ١٦٥

(٤٣) نفس المصدر السابق، ص ١١٦

(٤٤) عصمت محمد حسن . جوانب من الحياة الاحتشافية لمصر من خلال كتابات الميرتري، القاهرة ٢٠٠٣ ، ص ١٨٤ - ١٨٥

(٤٥) محمد السيد الهابط : (المرجع السابق، ص ٣٢

(٤٦) أبو النبي بن نصر بن حفاط المعروف بالكرهن العطار الإسرنيلي . المصدر السابق، بدون صفحة.

(٤٧) أحد تلاميذ داوود بن عمر الأنطاكي : المصدر السابق، ص ١٩٣

(٤٨) داوود بن عمر الأنطاكي : المصدر السابق، الجزء الأول، ص ٢٤٢

(٤٩) لمزيد من التفاصيل عن المواد الخام المستخدمة في العقاقير أنظر الملحق.

(٥٠) المثقال : واحد ونصف درهم، أي أربعة وعشرون قيراطاً أو اثنان وسبعون حبة شعير أو ست وتسعون حبة قمح. وكان المثقال يستخدم في تقييم الذهب والأحجار الكريمة والسلع والعقاقير الثمينة التي تباع بأوزان بالغة الصغر. لمزيد من التفاصيل انظر، صامويل برنار : الحياة لاقتصادية في مصر في القرن الثامن عشر، الجزء الثالث، الموازين والتقود، ترجمة زهير الشايب، الطبعة الأولى ، القاهرة ١٩٨٠ ، ص ص ٢٤ - ٢٦؛ سحر علي حفي : العلاقات التجارية بين مصر وبلاد الشام الكبرى في القرن الثامن عشر، القاهرة ٢٠٠٠ ، ص ص ١٠٥ - ١٠٦

Alpin, prosper plantes d' Egypte 1581 - 1584, caire 1980, PP. 12 - 13 (51)

داوود بن عمر الانطاكي . المصدر السابق ، الجزء الأول ، ص ص ٣٤٥ - ٣٤٩ : أحد تلاميذ داود بن عمر الأنطاكي : المصدر السابق ، ص ١٩٤

- (٥٢) أبو السبي بن نصر بن حفاظ المعروف بالكروقي المطار الإسرائيلي : المصدر السابق ، بدون صفحة ، داود بن عمر الانطاكي : المصدر السابق ، الجزء الأول ، ص ص ٢١٧ - ٢١٩
- (٥٣) داود بن عمر الانطاكي : المصدر السابق ، الجزء الأول ، ص ١٣٢
- (٥٤) نفس المصدر السابق ، ص ص ١٧٩ - ١٨٠
- (٥٥) نفس المصدر السابق ، الجزء الأول ، ص ٣٦٠
- (٥٦) جومار : المصدر السابق ، ص ٢٠١
- (٥٧) نفس المصدر السابق ، ص ٢٠١
- (٥٨) داود بن عمر الانطاكي : المصدر السابق ، الجزء الأول ، ص ١٨١
- (٥٩) السعوط : اخترعه جالينوس للصداغ ، ثم توسع فيه لأعراض الأنف والعين ، فإن جعل مانعا فهو السعوط أو مشتدا فالنشوق أو بابسا يسحق ويسحق صمغ أو طبع وكب المريض على بخاره فكبوب ، وكلها محتصة بأوجاع الرأس .. لمزيد من التفاصيل أنظر داود بن عمر الانطاكي المصدر السابق ، الجزء الأول ، ص ٢١٤ .
- (٦٠) نفس المصدر السابق ، ص ص ٣٥٨ - ٣٥٩
- (٦١) أوليا جلبي : المصدر السابق ، ص ٣٤٧
- (٦٢) أحد تلاميذ داود بن عمر الانطاكي : المصدر السابق ، ص ١٨٥
- (٦٣) داود بن عمر الانطاكي : المصدر السابق ، الجزء الأول ، ص ص ١٧٢ ، ٢٩٢ ، ٣١٨
- (٦٤) نفس المصدر والجزء : ص ٣٦٠
- (٦٥) نفس المصدر والجزء : ص ص ٣٦٠ - ٣٦٥
- (٦٦) الهرم : يساري ستة عشر قيرطا أو أربع وستين حبة قمح . لمزيد من التفاصيل أنظر : صامويل برنار : المصدر السابق ، ص ص ٢٤ ، ٢٦ ، سحر علي حنفي : المرجع السابق ص ١٠٥
- (٦٧) داود بن عمر الانطاكي : المصدر السابق ، الجزء الأول ، ص ص ٣٦٦ - ٣٦٧
- (٦٨) القرش : هناك نوعان من القروش العشماوية ، القرش الأسدي الذي ساد منذ عهد السلطان سليمان القانوني وتبلغ قيمته أربعين نصف فضة ، والقرش العددي الذي صرب في عهد السلطان سليمان الثاني (١٠٩٩ - ١١٠٢ هـ / ١٦٨٧ - ١٦٩١م) وتبلغ قيمته ثلاثين نصف فضة . (أنظر ، صامويل برنار : المصدر السابق ، ص ص ٨٨ - ٨٩ ، سحر علي حنفي : المرجع السابق ، ص ١١٤)

- (٦٩) أوليا جلبي : المصدر السابق ، ص ٣٤٧
- (٧٠) الديار نقد من الذهب، ومن أهم أنواعه في العصر العثماني المحبوب والعدقلي والظرفي و الجنزير صامويل برنار - المصدر السابق، ص ص ٦٦ - ٦٧، محر علي حقي : المرجع السابق، ص ١١٣.
- (٧١) جومار : المصدر السابق، ص ٢٠١
- (٧٢) نفس المصدر السابق ، ص ٢٠٣
- (٧٣) نفس المصدر السابق ، ص ٢٠٢ : كلوت بك : المصدر السابق ، ص ٦٣٦.
- (٧٤) أوليا جلبي : المصدر السابق ، ص ٣٤٧
- (٧٥) جومار : المصدر السابق ، ص ٢٠٢
- (٧٦) نفس المصدر السابق ، ص ٢٠٣
- (٧٧) ميكل ونتر : المجتمع المصري تحت حكم العثماني . ترجمة إبراهيم محمد إبراهيم، تعليق عبد الرحمن عبد الله الشيخ، القاهرة ٢٠٠١، ص ٣٤٩.
- (٧٨) محمد مختار . الثورات الإنهامية في مدرسة النواحي بهجته بالسبب الأفرنجية والقبطية، المجلد الثاني من سنة ٧٥١ إلى سنة ١٥٠ هجرة الطعة الأولى. المؤسسة المصرية للدراسات والنشر ١٩٨٠، ص ص ١١١٤ ، ١١٢١
- (٧٩) أوليا جلبي : المصدر السابق ، ص ٣٤٨.
- (٨٠) كريستوفر هيرولد . بونايرت في مصر، ترجمة فؤاد أندراوس، مراجعة محمد أحمد أنيس، القاهرة ١٩٦٢، ص ٢٤٠
- (٨١) أوليا جلبي : المصدر السابق ، ص ٣٤٧.
- (٨٢) ديجيت : المصدر السابق ، ص ١٣٢.
- (٨٣) كارسن سبور : رحلة إلى بلاد العرب وما حولها ١٧٦١ - ١٧٦٧، الجزء الأول، رحلة إلى مصر ١٧٦١ - ١٧٦٢، ترجمة وعليق مصطفى ماهر، د ت ، ص ٢٢٢، جومار . المصدر السابق، ص ٢٠٤
- (٨٤) روية - المصدر السابق ، ص ١٥٧، والترباق : يصنع من لحم الثعابين والحيات، ويستخدم لعلاج العديد من الأمراض.. أنظر أوليا جلبي : المصدر السابق، ص ص ٣٤٨ - ٣٦١.
- (٨٥) جومار : المصدر السابق ، ص ص ٢٠٤ ، ٢٠٦.
- (٨٦) الكتخدنا يمنع الكاف وسكون الماء وصم الحاء، في التركية كتخدنا، من الفارسية كخدنا. والكلمة

الفارسية من كلمتين (كد) بمعنى البيت، و (خدا) بمعنى الرب والصاحب قالكتفدا هو في الأصل رب البيت، ويطلقها الفرس على السيد الموقر وعلى الملك، ويطلقها الترك على الموظف المستول والوكيل المعتمد... أحمد السعيد سليمان : تأصيل ماورد في تاريخ الجبرتي من الدخيل، دار المعارف د.ت، ص

١٧٦

(٨٧) أحمد شلبي بن عبد الغني : المصدر السابق، ص ٦٠٠.

(٨٨) مونيخ وآخرون : تقرير مقدم إلى الجنرال بونايرت، القائد الأعلى بشأن مشروع إنشاء مستشفى مدني في القاهرة، لأديكاد إيجيسين، العدد الأول، المجلد الثاني، ضمن كتاب صلاح الدين البتساني : المرجع السابق، ص ص ١٥٣ - ١٥٧.

(٨٩) ديجينت : المصدر السابق ، ص ١٣٣

(٩٠) كارستن تيبور : المصدر السابق ، ص ٢٢٢

(٩١) ديجينت : المصدر السابق ، ص ١٣١

(٩٢) كلوت بك : المصدر السابق ، ص ٥٦٧

(٩٣) داورد بن عمر الأنطاكي : المصدر السابق، الجزء الأول، ص ص 330,325,321,316,300,284,280,277

255,253,235,228,223,222,219,202 Archivebeta.Sakhrit.com

374,342,340, 201,200,188,172,169,159,151,146,136,125,104,98,96,94,85,84,76,75,71,65,58,53

## قائمة المصادر والمراجع

أولا : القرآن الكريم.

ثانيا : المخطوطات

أبو النبي بن نصر بن حفاظ المعروف بالكهرق العطار الإسرائيلي : منهاج الدكان ودستور الأعيان في معرفة العقاقير وطب الأبدان، مخطوط بالهيئة العامة للكتاب، ل. ٣٤٨٥، ميكروفيلم ٢٢٩٤٢.

ثالثا : المصادر العربية المنشورة :

أحد تلاميذ داود بن عمر الأنطاكي : ذيل تذكرة أولى الألباب الجامع للعجب العجائب، القاهرة ٢٠٠٨.

أحمد شلبي بن عبد الغني الحنفي المصري : أوضح الأشارات فيمن تولى مصر القاهرة من الوزراء والباشا، الملقب بالتاريخ العيني، تحقيق عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم، الطبعة الثانية، القاهرة ١٩٩٤ م.

داود بن عمر الأنطاكي (١٠٨٠ هـ) : تذكرة أولى الألباب الجامع للعجب العجائب، الجزآن الأول والثاني، القاهرة ٢٠٠٨ م. <http://Archivebeta.Sakhril.com>

عبد الرحمن بن حسن الجبرتي : عجائب الآثار في التراجم والأخبار، تحقيق عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم، الأجزاء الأول والثاني والثالث، القاهرة ١٩٩٧ - ١٩٩٨ م. : مظهر التقديس بزوال دولة الفرنسيين، تحقيق عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم، القاهرة ١٩٩٨ م.

محمد بن أحمد بن إياس الحنفي : بذائع الزهور في وقائع الدهور، تحقيق محمد مصطفى، الجزء الخامس من سنة ٩٢٢ إلى سنة ٩٢٨ هـ (١٥١٦ - ١٥٢٢)، الطبعة الثانية، القاهرة ١٩٦١ م.

رابعا : المصادر الأجنبية المعربة :-

أوليا جلبي : سيا حتنامة في مصر، ترجمة محمد علي عوني، تحقيق عبد الوهاب عزام وآخرون، القاهرة ٢٠٠٥ م.

جومار : وصف مدينة القاهرة، ضمن وصف مصر، ترجمة زهير الشايب وآخرون، الجزء العاشر، القاهرة ٢٠٠٢ م.

ديجينيت : تقرير عن المورستان أو مستشفى القاهرة مقدم إلى القائد العام بونايرت، لاديكا  
إيجيسين، العدد التاسع، ضمن كتاب صلاح الدين البستاني، صحف بونايرت  
في مصر ١٧٩٨ - ١٨٠١ م، القاهرة د.ت.

روية : التداوي بالأعشاب عند المصريين المحدثين، ضمن وصف مصر (قاهرة المالك)، الجزء  
الحادي عشر، ترجمة منى زهير الشايب، القاهرة ٢٠٠٢ م.

سيريزول : مستخرج من ملاحظات للمواطن سيريزول Ceresole الطبيب بالمجيش عن رحلة له  
على الضفة الغربية للنيل من القاهرة إلى أسيوط، لاديكا دياجيسين، العدد  
الرابع، ضمن كتاب صلاح الدين البستاني، صحف بونايرت في مصر ١٧٩٨ -  
١٨٠١ م، القاهرة د.ت.

صامويل برنار : الحياة الاقتصادية في مصر في القرن الثامن عشر، الجزء الثالث، الموازين  
والتقود، ترجمة زهير الشايب، الطبعة الأولى، القاهرة ١٩٨٠ م.

كارستن نيبور : رحلة إلى بلاد العرب وما حولها ١٧٦٦ - ١٧٦٧ م، الجزء الأول، رحلة إلى مصر  
١٧٦١ - ١٧٦٢ م، ترجمة وتعليق مصطفى ماهر، د.ت.

كلوت بك : لمحة عامة إلى مصر، تعريب محمد مسعود، الجزء الثاني، القاهرة د.ت.

مونج وآخرون : تقرير مقدم إلى الجنرال بونايرت، القائد الأعلى، بشأن مشروع إنشاء مستشفى  
مدني في القاهرة، لاديكا دياجيسين، العدد الأول، المجلد الثاني، ضمن كتاب  
صلاح الدين البستاني، صحف بونايرت في مصر ١٧٩٨ - ١٨٠١ م، القاهرة  
د.ت.

خامسا : المراجع العربية :

أحمد السعيد سليمان : تأصيل ما ورد في تاريخ الجبرتي من الدخيل، دار المعارف، القاهرة  
د.ت.

أحمد محمد عبد الخالق : أصول الصحة النفسية، الإسكندرية ٢٠٠٣ م.

الهيئة المصرية العامة للكتاب : المعجم الكبير، الجزء الثاني، الطبعة الأولى، القاهرة ١٩٨١ م.  
بطرس البستاني : محيط المحيط، بيروت د.ت.

سحر علي حنفي : العلاقات التجارية بين مصر وبلاد الشام الكبرى في القرن الثامن عشر،  
القاهرة ٢٠٠٠ م.

سعيد عبد الفتاح عاشور : المجتمع المصري في عصر سلاطين المماليك، القاهرة ١٩٩٢ م.

عباس محمود عوض : الموجز في الصحة النفسية، الإسكندرية ١٩٨٩ م.

عبد العزيز القوصي : أسس الصحة النفسية، القاهرة د.ت.

عصمت محمد حسن : جوانب من الحياة الاجتماعية لمصر من خلال كتابات الجبرتي، القاهرة ٢٠٠٣ م.

كريستوفر هيرولد : بونايرت في مصر، ترجمة فؤاد أندراوس ، مراجعة محمد أحمد أنيس، القاهرة ١٩٦٢ م.

محمد السيد الهابط : حول صحتك النفسية، الإسكندرية ١٩٨٩ م.

محمد محمد أمين : الأوقاف والحياة الاجتماعية في مصر ٦٤٨ - ٩٢٣ هـ / ١٢٥٠ - ١٥١٧.  
دراسة تاريخية وثائقية، القاهرة ١٩٨٠ م.

محمد مختار : التوفيقات الإلهامية في مقارنة التواريخ الهجرية بالسنين الأفرنجية والقبضية  
المجلد الثاني من سنة ٧٥١ إلى سنة ١٥٠٠ هجرية، الطبعة الأولى، المؤسسة  
العربية للدراسات والنشر ١٩٨٠ م.

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

ميكل ونتر : المجتمع المصري تحت الحكم العثماني، ترجمة محمد إبراهيم، تعليق عبد الرحيم  
عبد الله الشيخ، القاهرة ٢٠٠١ م.

سادسا : المصادر الأجنبية :

lpin, prosper : plantes d' Egypte 1581-1584, Caire 1980.

rown, Edward : Voyage en Egypte 1673-1674, Caire 1974.

nnini, C.S : Voyage dans la Haute et Basse Egypte, Tome I, II, Paris.